اسطورة ماه برى

من روائع الأدب القديم

ترجمها عن الفارسية و

د. محمد فتحي

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رائعة القصص
الفارسي الإسلامي

أسطورة ماه بري

تأليف
صدقة بن أبي القاسم

ترجمها عن الفارسية وقدم لها
د . محمد فتحي الريس



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٥

الغـلاف : جرجس ممتـــاز

الاخراج الفنى : أميمة على احمد

تقـــديم

الى روح والدى ..

الى كل أصحاب المبادىء وذوى الخلق والأخلاق ..

الى كل من يحافظ على شرفه وسمعته رغم كل مغريات الحياة من مال زائل وسلطان براق لا يدوم ...

أقدم قصة الفتوة والفتيان الذين عاشوا من أجل المبادىء ، ودافعوا عنها ، وماتوا من أجلها ، فأصبحت سيرتهم خالدة وحياتهم ذكرى باقية ، لم يصل اليها أثرياء عصرهم رغم ما جمعوه من ثروة ، ولم يبلغها أصحاب السلطان والدولة رغم ما كانت لهم من قوة ، لعلنا نجد فيها العزاء عن عرض الدنيا ، والقدوة لحسن السمعة والأمل فى حياة أفضل وأبقى .

دكتور محمد فتحى يوسف الريس

القـــاهرة فى ابريل ١٩٨٢ ..

مقـــدمة

العيار لغة لها معان كثيرة واشتقاقات متعددة ، قال صاحب لسان العرب (١) « العير كالحمـــار أيا كان أهليـــا أو وحشيا ، وقد غلب على الوحشى والأنثى عيرة · ومن أمثالهم « فلان أذل من العير » فبعضهم يجعله الحمار الأهلى وبعضهم يجعله الوتد · وجمع العير أعيار وعيور وعيار وعيورة وعيورات ·

وفى الحـــديث « اذا أراد الله بعبد شرا أمسك عليه بذنوبه حتى يوافيه يوم القيامة كأنه عير » · العير الحمار الوحشى ، وقيل أراد الجبل الذى بالمدينة اسمه عير ، شبه عظيم ذنوبه به ·

وقيل العيران متنا اذن الغرس · وفى حديث أبى هريرة « اذا توضأت فأمر على عيار الأذنين الماء » ، العيار جمع عير وهو الناتىء المرتفع من الأذن ، وكل عظيم ناتىء من البدن ·

وعار الفرس والكلب يعير عيـــارا ، ذهب كأنه منفلت من صـــاحبه يتردد · ومن أمثالهم « كلب عائر خير من كلب رابض » ، فالعائر المتردد وبه سمى العير لأنه يعير فيتردد فى الفلاة · وعار الفرس اذا ذهب على وجهه وتباعد عن صاحبه ·

« وعار الرجل فى القوم يضربهم ، مثل عاث ، وفرس عيار بأوصال أى يعير ههنا وههنا من نشاطه · وفرس عيار اذا نشط فركب جانبا ثم عدل الى جانب آخر من نشاطه ·

وقصيدة عائرة أى سائرة ، والاسم العيارة ومنه الحديث ، « مثل الشـــاة العـــائرة بين غنمين» ، أى المترددة بين قطيعين لا تدرى أيهما تتبـــع ·

ورجل عيار أى كثير المجىء والذهاب فى الأرض وربما سمى الأسد عيارا لتردده ومجيئة وذهابه فى طلب الصيد · وأنشد الجوهرى :

---

(١) اللسان ج ٦ ص ٢٩٩ وما بعدها ·

لما رأيت أبا عمرو رزمت له   منى ، كما رزم العيار فى الغرف

والغرف جمع غريف وهى الغابة ..

وحكى الفراء ، رجل عيار اذا كان كثير التطواف ذكيا » .

أما فى اللغة السريانية فكلمة عار بمعنى انتبه وتيقظ . أما عير فمعنــــاها أيقظ ونبه وأغار وأثار وهيج ، والاسم عيرا معنــاها اليقظة والنبـــاهة .

وقد ذكرت كل هذا لأبين أن كلمة عيار كلمة عربية أصيلة توجد فى العربية وشقيقتها السريانية وتحمل معنى كثرة الحركة والتنقل بنشاط من مكان الى مكان ثم الجرأة والقوة كالأسد الذى ربما سـمى عيارا ، أضف الى هذا الذكاء واليقظة والنباهة وكلها صفات اتصف بها العيارون كما سنرى .

وقد ذهب بعض أهل اللغة الفارسية فى ايران فى السنوات الأخيرة الى أن كلمــــة عيار كلمــــة فارسية الأصل ، وقالوا أن أصلها فى اللغة البهلوية هو « أييار » وأنها تحولت فى اللغة الفارسية الاسلامية الى « يار » بمعنى صاحب أو صديق أو معين ، ونظـرا لأن العيارين كانوا يتآخون فيما بينهم ويتعاونون فقد أطلقت عليهم كلمة « عيار » المعربة عن يار الفارسية (١) .

ولسنا فى حاجة الى رد هذا الادعاء أو بيان التعنت فى هذا الاشتقاق البعيد عن الصواب ، فالكلمة عربية أصيلة كما أنها موجودة فى السريانية بنفس معانيها أيضا مما يقطع بأصالتها ، وفرق بعيد بين معنى عيـــــار العربية ومعنى يار الفارسية .

وقد أطلت بعض الشىء فى هذه المقدمة اللغوية عن كلمـــــة عيار واشتقاقاتها ومعانيها ، ولكننى كنت مضطرا لهذا التطويل لأدلل على أصالة الكلمة فى اللغة العربية وأرد على الذين يحاولون جعل كل كلمة عربية من أصــــل فارسى وكأن العرب لم تكن لهم حضارة سبقت حضـــارة الفرس بآلاف السنين (٢) .

نشـــــأة العيــــارين :

استخدمت كلمة العيار لتطلق على جماعات من الناس كانوا يتصفون بصفات معينة سنتحدث عنها بالتفصيل فيما بعد ، وكانوا يخضعون فى

(١) مجلة سخن العدد الأول السنة ١٢ ص ١٩ .

(٢) سنتناول هذا الموضوع فى بحثنا « اثر الحضارة السامية العربية على الحضارة الفارسية » .

كل مدينة أو اقليم لتنظيمات تجمعهم ينضوون تحت لوائها برأسها أقدمهم وأمهرهم وأقواهم في هذه الصفات ، وكان الفرد يسمى عيارا والمرأة عيارة والجماعة عيارين • ومن أشهر هؤلاء العيارين الذين خلدت لنا الكتب أسماءهم صاحبنا « سمك العيار » بطل هذه القصة التى نقدم لها ، ومنهم أيضا يعقوب بن الليث الصفار وغيرهما كثير (١) •

وكان العيارون في أية دولة أو ولاية أو مدينة يتعاونون فيما بينهم ويعرف بعضهم بعضا « لان الفتيان يعرفون أينما ذهبوا » (٢) ، فاذا انتقل عيار من اقليم الى اقليم غير اقليمه أو مدينة غير مدينته ، نزل ضيفا على العيارين هناك وأقام عندهم أو في رعايتهم وحماهم ، وعاونوه في كل ما أراد ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، فالعيارة أو الفتوة لا وطن لها ، أعضاؤها جميعا يرتبطون بمبادئها •

ولا يعنى هذا أن العيارين جميعا كانوا في وئام دائم أو على الأقل في اتفاق مستمر بل نجد صاحب تاريخ سيستان (٣) يحدثنا عن خلاف بين جماعتين من العيارين كانتا في زمن يعقوب بن الليث الصفار كانت احداهما تطلق على نفسها « السمكية » والأخرى « الصدفية » • كما أن قصة سمك العيار هذه تتحدث عن خلاف بين جماعتين من العيارين في منغوليا احداهما اسمها « أصحاب العلم الأخضر » والأخرى « أصحاب العلم الأسود » وقد حدث بينهما صراع وقتال كما سنرى في القصة •

الفرق بين الفتوة والعيارة :

اختلط معنى العيارة والعيارين بالفتوة والفتيان نظرا لاتفاق الجماعتين في صفات كثيرة من الشهامة والمروءة والنجدة وغيرها (٤) ؛ الا أن الفتوة أقدم نشأة وأسبق ظهورا وذكرا ، فقد وردت في القرآن الكريم عدة مرات منها « انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » و « اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة » وكذلك « وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه » و « دخل معه السجن فتيان » وأيضا « فمن ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات » وغيرها ، والفتوة هنا لا تعنى الشباب وانما تعنى فتوة أخلاقية كالترابط على الايمان أو عصمة يوسف ونجدة أصحابه أو الخلق الكريم لهم وللفتيات •

---

(١) يعقوب بن الليث الصفار ــ ترجمة •

(٢) سمك جـ ١ ص ١٣٩ •

(٣) تاريخ سيستان ص ٢٧٥ •

(٤) للمزيد عن الفترة ارجع لكتاب الفتوة تاليف ابن المعمار البغدادى •

وأرباب الفتوة يسندونها بالعنعنة الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وناهيك بذلك شرفا وفخرا وعظمة وقدرا .

ونظرا لما كان للفتوة من مبادىء أخلاقية سامية وجمع للكلمة ولم للشعث وتعاون وتعاضد واخاء وتناصر ، فقد حاول الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضىء (م ٦٢٢ هـ) أن يستفيد من الفتوة فى اعادة اتحاد المسلمين عامة والعرب خاصة والقضاء على ما كان بينهم من مشاحنات وخلافات فلبس سراويل الفتوة سنة ٥٨٧ هـ وقد تفتى له خلق كثير من الملوك والأكابر ، وأثمرت هذه الدعوة فى عصره ولكنها انتهت بوفاته .

واذا كانت الفتوة والفتيان قد احتلت هذه المنزلة الرفيعة ، فان العيارة والعيارين قد وصفت ووصفوا بكثير من الصفات السيئة ، لأنهم أحيانا كانوا يلجأون للعنف وأخذ المال بالقوة أو الارهاب من الأغنياء الجشعين البخلاء مصاصى دماء الفقراء ، حتى لا يتعرضوا لهم بالأذى . ولعل هذه الصفات التى ألصقت بهم كانت غالبا نتيجة أفعال المدعين للعيارة أو المنتحلين لها فأساءوا لهذه الجماعة التى سنرى الكثير من صفاتها الحسنة الخيرة ونجد مبررا لما كان العيارون يقدمون عليه من أعمال قد تبدو سيئة أو قاسية .

وقد أدرك مصنف قصة سمك العيار هذا فقال مدافعا عن العيارين عادا اياهم من الفتيان مبرئا لهم ما ألصق بهم من البهتان :

أعلم أنه لا يوجد فى هذه الدنيا أفضل من الصدق ، ويجب قول الصدق فى أى مكان سواء أمام الخاص وسواء أمام العام ، الجاهل أم العاقل ، خاصة أمام الملك وعلى الأخص ونحن لا يمكن أن نقول الا الصدق لأننا معروفون بأننا فتيان ونحن فعلا فتيان ولو أنهم يطلقون علينا اسم العيارين ، والعيارون لا يمكن أن يكونوا الا فتيانا » (١) .

ظهور العيارين :

واذا كانت الفتوة قديمة كما جاء ذكرها فى القرآن منذ عصر يوسف وأهل الكهف فان العيارين لم يظهروا على صفحات التاريخ كجماعات لها تأثيرها الا منذ منتصف القرن الثانى الهجرى ، فقد ظهرت جماعتان متعاصرتان فى الزمان تقريبا متباعدتان فى المكان ، أولاهما فى بغداد وثانيتهما فى سيستان .

---

(١) سمك ج ١ ص ٦٤ .

وكانت الجماعة التى ظهرت فى سيستان أغلبها من الخوارج الذين كانوا قد تجمعوا فيها لبعدها عن مقر الامارة فى خراسان ودار الخلافة في بغداد وأخذوا يثيرون الشغب ، ولم تفلح حملات ولاة خراسان فى القضاء عليهم ، فكتبوا الى الخليفة العباسى هارون الرشيد الذى لم يجد مفرا من الخروج اليهم بنفسه ، فجمع جيشه وخزائنه واستخلف ابنه الأمين مكانه فى بغداد واصطحب ابنه المأمون وسار اليهم عن طريق خراسان ولكنه توفى أثناء الطريق ودفن فى ضاحية من ضواحى طوس فى خراسان وهى اليوم مدينة مشهد والى هذا أشار الشاعر :

ألا أيها الثاوى بطوس   غريبا ما يفادى بالنفوس

ولما علم قائد الخوارج والعيارين بموته قال « وكفى الله المؤمنين القتال » (١) ، وعاد هو ورجاله الى سيستان .

وقد تمخضت هذه الحركة عن ظهور عيار هو يعقوب بن الليث الصفار ، استطاع فى منتصف القرن الثالث الهجرى أن يصل الى امارة سيستان ثم استولى على خراسان وجرجان وكرمان وفارس والأهواز وأراد أن يفتح بغداد نفسها ولكن الخليفة المعتمد خرج اليه بنفسه ومعه أخوه الموفق وفتحا عليه نهر دجلة فأغرقا معسكره ودوابه فحلت به الهزيمة وأصيب بثلاثة سهام فى رقبته ويديه ومات متأثرا بجراحه منها (٢) .

أما الجماعة الثانية فقد ظهرت فى بغداد عاصمة الخلافة حيث كان مركز حركة العيارين الأصلى ومنها سرت الى المدن (٣) ، واستطاعت أن تلعب دورا هاما فى الدفاع عن بغداد عندما ضيق جيش المأمون الحصار على الأمين فيها ، فاستنجد الأمين بالعيارين وأهل السجون فتصدوا لجيش المأمون وأوقعوا به كثيرا من الخسائر رغم قلة سلاحهم وعدتهم وننقل هنا صورة لهذه المعارك تقول :

(فلما استأمن هذان القائدان الى طاهر ، اشفى محمد الأمين على الهلاك ودخله من ذلك ما أقامه وأقعده حتى استسلم وصار على باب أم جعفر يتوقع ما يكون أقبلت الغواة من العيارين وباعة الطرق فاقتتلوا داخل قصر صالح . وذكر أن قائدا من قواد أهل خراسان ممن كان مع طاهر (بن الحسين) من أهل النجدة والبأس خرج يوما الى القتال فنظر الى قوم عراة لا سلاح معهم فقال لأصحابه « ما يقاتلنا الا من أرى ؟ » استهانة بأمرهم واحتقارا لهم . فقيل له « نعم هؤلاء الذين ترى هم

(١) يعقوب بن الليث ص ٤٦ .
(٢) يعقوب بن الليث ص ٢٠٨ .
(٣) نفس المرجع ص ٥١ .

الآفة » . فقال « أف لكم تنكصون عن هؤلاء وتتحيمون عنهم وأنتم فى السلاح الظاهر والعدة والقوة ، ولكم مالكم من الشجاعة والنجدة ، وما عسى يبلغ كيد من أرى من هؤلاء ولا سلاح معهم ولا عدة ولا جنة تقيهم » . ثم أوتر فرسه وتقدم ، أبصر بعضهم فقصد نحوه وكان فى يد بارية مقيرة وتحت ابطه مخلاة فيها حجارة . فجعل الخراسانى كلما رمى بسهم استتر منه العيار فوقع فى باريته أو قريبا منه ، فيأخذه فيجعله فى موضع من باريته قد هيأه لذلك وجعله شبيها بالجعبة ، وجعل كلما وقع سهم أخذه وصاح « دانق » أى ثمن النشابة دانق قد أحرزه . ولم يزل تلك حالة الخراسانى وحال العيار حتى أنفد الخراسانى سهامه ثم حمل على العيار ليضربه بسيفه ، فأخرج من مخلاته حجرا فجعله فى مقلاع ورماه به فما أخطأ به عينه ، ثم ثناه بآخر فكاد يصرعه عن فرسه لولا تحاميه ، وكر راجعا وهو يقول « ليس هؤلاء بأنس » فلما سمع طاهر خبره ضحك منه وأعفاه من الحرب (١) . فلما طال ذلك على طاهر وقتل من أصحابه فى قصر صالح من قتل أمر بالهدم والاحراق .

ثم كان بينهم وقعة بدرب الحجارة قتل فيها من أصحاب طاهر خلق كثير . ووقعة بالشماسية خرج فيها حاتم بن الصقر فى العيارين وغيرهم الى عبيد الله بن الوضاح فأوقعوا به وهو لا يعلم ، فانهزم عنهم وغلبوه على الشماسية فأتاه هرثمة بن أعين يعينه فأسره بعض أصحاب الأمين(٢) .

وكانوا يقاتلون عراة وفى أوساطهم المآزر ، وقد اتخذوا لرءوسهم دواخل من الخوص وسموها الخوذ ودرقا من الخوص والبوارى قد قرنت وحشيت بالحصى والرمل ، ونظموهم نظام الجند : على كل عشرة عريف ، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب ، وعلى كل عشرة نقباء قائد ، وعلى كل عشرة قواد أمير ، ولكل ذى مرتبة من المركوب على مقدار ما تحت يده ، فالعريف له أناس مركبهم غير ما ذكرنا من المقاتلة ، وكذلك النقباء والقائد والأمير ، وأناس عراة قد جعل فى أعناقهم الجلاجل والصوف الأحمر والأصفر ومقاود ولجم من مكانس ومذاب .... وقال على بن الأعمى :

خرجت هذه الحروب رجالا
لا لقحطانها ولا لنزار
معشرا فى جواشن الصوف يغدو
ن الى الحرب كالليوث الضوارى

---

(١) الطبرى جـ ١١ ص ٨٧٧ والكامل جـ ٦ ص ٢٧٤ .
(٢) الكامل جـ ٦ ص ٢٧٦ .

ليس يدرون ما الفرار اذا الابـــ
ـــطال عاذوا من القنا بالفرار

واحد منهم يشد على الـــ
ـــفين عريان ماله من ازار

يقول الفتى اذا طعن الطعـــ
ـــنة خذها من الفتى العيار (١)

وقد استمر نشاط العيارين فى بغداد حتى زمان المستعصم آخر خلفاء بنى العباس وكان نفوذهم يزداد كلما ضعفت سلطة الخليفة والحكام حتى أن عقيد العيارين فى بغداد فى مطلع القرن الخامس الهجرى وكان اسمه البرجمى بلغ من السطوة والجرأة حدا جعله يقف فى وجه رجال الدولة فلا يقدرون عليه ويذكر الكامل فى حوادث سنة ٤٢٤ هـ (٢) أن العيارين ثاروا فى بغداد وأخذوا أموال الناس ظاهرا وعظم الأمر على أهل البلد وطمع المفسدون الى حد أن بعض القواد الكبار أخذ أربعة من العيارين فجاء عقيدهم البرجمى وأخذ من أصحاب القائد أربعة وحضر باب داره ودق عليه الباب فكلمه القائد من وراء الباب فقال العقيد : قد أخذت من أصحابك أربعة فان أطلقت من عندك أطلقت من عندى والا قتلتهم وأحرقت دارك • فأطلقهم القائد •

وبلغ من شهرة هذا العيار بين العامة فى بغداد أنهم ثاروا على خطيب المسجد بالرصافة يوم جمعة وقالوا : « اما أن تخطب للبرجمى والا فلا تخطب السلطان ولا غيره » •

ويستطرد ابن الأثير « وحكاياته كثيرة وكان مع هذا فيه فتوة وله مروءة لم يعرض لامرأة ولا الى من يستسلم اليه •

ويتبين من هذا مدى الدور الذى لعبه العيارون فى الدفاع عن بغداد أو حفظ النظـــام بها ، وأحيانا انتهاز الفرصة لفرض سيطرتهم عليهـا والمطالبة بالخطبة لقائدهم على قدم المساواة مع الخليفة العباسى •

رئاســـة العيـــارين :

اذا كان الفرد من هذه الجماعات يسمى عيارا فان الرئيس الذى كان يدين له كل أفراد الجماعة أو الجماعات فى المدينة أو الولاية بالطاعة والولاء كان يلقب من أفراد جماعته بالأستاذ وغالبا ما كان يسند اليه

---

(١) النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٠٧ هامش •
(٢) الكامل جـ ٩ ص ٤٣٢ •

منصب رسمى كأن يكون رئيس المدينة أو أحد المسئولين عنها وهو ما كان يطلق عليه فى الفارسية « اسفهسالار شهر » (١) وهى رتبة تعادل اللواء فى أيامنا هذه ، وكان يقال له فى العربية عقيد العيارين وان كان لا يقود فرقة من الجيش أو جماعة من الشرطة ، الا أنه كان يتولى رئاسة هؤلاء العيـــارين الذين كانوا يعينون على حفظ النظام واستتباب الأمن وتنفيذ القانون اذا عجزت الشرطة عن ذلك ٠

فعندما تقلد أبو محمد النسوى النظـر فى المعـونة ولقب الناصـح واستحجب ، استدعى جماعة من العيارين فأقامهم أعوانا وأصحاب مسالح وكان هذا عام ٤٣١ هـ (٢) ٠

ومما يرويه المؤرخون فى أحداث سنة ٤٤٣ هـ أن الفتنة عادت بين أهل السنة والرافضة ببغداد ، وكتب أهل الكرخ (٣) على برج البـــاب « محمد وعلى خير البشر فمن رضى فقد شكر ومن أبى فقد كفر » وثارت الفتنة بينهم ولم يقدر على منعهم الخليفة ولا السلطان واستنجد الخليفة بعيار من أهل درب ريحان ، فأحضر الى الديوان واستتيب عن الحرام وسلط على أهل الكرخ فقتل منهم جماعة كثيرة ٠

وقد يقاتل العيارون تحت امرة أستاذهم اذا طلب منهم ذلك وسنرى أمثلة كثيرة على هذا عند قراءتنا للقصة ٠ وكان من المهام التى يقوم بها رئيس العيارين أو أستاذهم القبض على المتمردين أو مصـــادرة أموالهم وتوقيع العقاب عليهم (٤) ٠ فحين يعتب ملك الصين على رئيس العيارين فى مملكته يقول له « ان كل المدينة فى قبضتك ومصادرة أى شىء فيها ودخلها وفق ارادتك » ٠

ولا يعنى هذا أن رئيس العيارين كان دائما يخضع للحكومة أو أنه كان أحد رجالها أو أعوانها بل ان قوته كانت تنبع من قوة رجاله وكثرتهم ومدى نفوذهم وسطوتهم ، كما كانت تستند الى التأييد الشعبى لهم لأن العيارين كانوا أكثر التصـــاقا بالناس وتعـــاونا معهم من رجال الدولة الرسميين ٠ كما أن مبادىء العيارين وأعمالهم البطولية كانت تستهوى أفراد الشعب وتجذبهم اليهم وتدفعهم الى مساعدتهم وتقديم العون لهم بل

---

(١) ســمك جـ ١ ص ٨١ ٠
(٢) المنتظم جـ ٨ ص ٤٩ ٠
(٣) الجانب الغربى من بغداد على شاطىء دجلة ويقابله الرصافة على الجانب الشرقى ٠
(٤) سمك جـ ١ ص ٧٩ ٠

والانضمام لهم اذا اقتضت الظروف هذا (١) ، كما سنرى عند محاصرة العيارين فى شعب الصخر وامداد أهل المدينة لهم بالطعام والشراب والسلاح .

وكان رئيس العيارين عندما يتنقل في المدينة أو يسير فيها فغالبا ما كان يسير فى موكب من رجاله ، وكان يركب حصانه وتحيط به جماعة من العيارين الأشداء يعدون أمامه وحوله فيبعثون الهيبة فى النفوس .

الانضمام للعيارين :

لم يكن يسمح لأى شخص بالانضمام لهذه الجماعات أو الانضواء تحت لوائها الا اذا توافرت فيه شروط كثيرة واجتمعت له صفات معينة وأثبت بالفعل والقول أنه جدير بأن يصبح عيارا فى زمرة عيارى بلدته . وكان من أهم هذه الشروط أن يكون حرا ذا عيارة لا عبدا أو رقيقا لا يملك من أمر نفسه شيئا ، ولهذا نجد خطاب العيارين لغيرهم ممن لا يعرفونهم كان دائما « أيها الرجل الحر » أو « أيها الحر » وكان على العيار الجديد أن يؤدى بعض المراسم والأعمال منها أن يشرب نخب الجماعة أو تحيتها .

النخب :

كان من مراسم الانضمام الى جماعة من العيارين شرب المرشح لنخب هذه الجماعة التى يريد الانضمام اليها وذلك بأن يقف والكأس فى يده ثم يرفعها الى محاذاة رأسه ويذكر اسم أستاذه الذى سينضوى تحت رئاسته ثم يشرب الكأس جرعة واحدة . ولم يكن شرب الكأس يعنى أنه انخرط فى سلك العيارين اذ يبقى أمامه طريق طويل ، ومراسم متعددة ولكنه فى هذه الحال كان يسمى الرفيق له بعض حقوق العيارين وعليه واجباتهم .

وكان شرب الانخاب والتحية لا يقتصر على مراسم الانخراط فى جماعة العيارين ولكنه كان أيضا يشرب تجديدا للبيعة أو تقديرا لرفيق غائب أو اعجابا بعمل بطولى قام به أحد العيارين أو تعبيرا عن الاعزاز والتكريم أو اقرارا بالتفوق والمهارة فى العيارة . أما اذا كان شارب النخب أستاذا أو عظيما فيكون هذا من باب التقدير والتكريم لأحد العيارين أو رفاقه وتحية له .

(١) سمك جـ ١ ص ١١١ .

القســـم :

عندما كان الشخص يقبل في جماعة من العيارين كان يجب عليه أن يقسم قسمهم ، وأهم ما كان يتضمنه القسم هو « ألا يخون ولا يفكر في الخيـانة ، وأن يكون صديقا لأصدقائهم عدوا لأعدائهم ، وألا يغدر بشكل من الأشكال ، ولا يؤول هذا القسم تأويلا آخر أو يحمله معنى يختلف أو يغاير نصه وما يقصد به » ٠

وكان القسم يتضمن أحيانا أن يكون العيارون أعوانا لبعضهم أصدقاء أوفياء فيما بينهم ، لا يتخلون عن بعضهم حتى الرمق الأخير ، لا يمكرون ولا يخونون أو يغدرون أو يرضون بهذه الصفات ٠

وكان العيارون اذا منحوا حمايتهم للاجىء أو محتم بهم فانهم كانوا يأخذون عليه العهد والميثاق ويقسم لهم أن يحفظ سرهم ولا يذكره لأحد ولا يخونهم أو يفكر في خيانتهم وألا يخرج عن توجيههم وارشادهم ٠

ولهذا كانت صيغة القسم تختلف من شخص لآخر ، ونجد أن قصة سمك العيار تركت لنا الكثير من صيغ القسم ٠ فكان من يريد الدخول في خدمة ملك يرأس العيارين أو يؤيدهم يقسم بتراب أقدام ذلك الملك ٠ وكان الابن يقسم بتراب قدم أبيه ، والأخ يقسم بروح أخيه والأب يقسم بأرواح اخوته وأبنائه الذين استشهدوا أو ماتوا ، كما كان يقسم أحيانا « برأس ابنه العزيز » ، كمـا كانوا يقسـمون بالخبز والملح أو أرواح الأجداد الطاهرين ٠

التـــآخى :

كانت المحافظة على الحرمات من أهم مبادىء العيارين الأخلاقية ٠ فلم يكن أحد منهم يعتدى على امرأة أو حتى ينظر اليها نظرة فيها شهوة أو ريبة ٠ وكانوا يعتقدون أن الله يرعاهم ويحفظهم لأنهم لا يرتكبون فاحشة أو يقدمون على حرام فنرى سمك يخاطب نفسه قائلا : « ان الله يرعانى لأننى لم أرتكب عملا يرضى الشيطان ، ولن أقدم عليه ، ولن أعمل الا كل ما هو لائق » (١) ٠

ولهذا السبب كان العيارون يلجأون للتآخى مع أى فتاة أو امرأة يضطرون لمجالستها أو العمل معها حتى تصـبح فى عداد الأخت تمـاما

---

(١) ج ٤ ص ٢٨٩ ٠

محرمة عليه تحريمها ، تخاطب العيار بأخى ويخاطبها بأختى (١) . فنرى سمك يقول لملك الصين :

« لقد جئت الى قصر الملك ولم ألمس الأميرة أو أنظر اليها قبل أن أشهد الله على أن صارت لى أختا وأصبحت لها أخا » (٢) .

بل لقد ذهب الى أبعد من هذا فى الأخوة حين أكمل حديثه قال : « لقد حملتها الى بيتى حتى اذا كان يوم زفافها خرجت من بيت أخيها » .

وكان هذا التآخى يتم أيضا بين الرجال من العيارين وغيرهم حتى تنقلب الصداقة الى أخوة كالأخوة الحقيقية ، بل ربما أشد وأوثق لأن الأخوة قد يختلفون على بعض المسائل كالميراث وغيره ولكن العيارين لم يكن يحدث بينهم الا كل تعاون ومحبة وفداء .

وكان سمك قد عقد أخوة مع خورشيد شاه ومع زوجته ماه برى ، ولهذا فعندما وصــل سمك الى مجلس خورشيد شاه ذات مرة قال له : « يا أخى ، ان أختك تريدك » . فنهض سمك وتوجه اليها وحياها ، فنهضت اليه الملكة واحتضـــنته وأجلسته أمامهـــا وقالت له : « يا أخى ، هل نسيتنى ؟ » (٣) .

وكانت مراســم التآخى تتم بوضع يدى المتــآخيين فى بعضهما ثم القسم على هذا التآخى بقول : « أقسم بالخالق أن أقبلك أخا (أو أختا) » وبعد ذلك يتناول المتآخيان بعض الطعام حتى يصبح بينهما «خبز وملح» .

وأحيانا كان المتآخيان يلجآن الى جرح ساعديهما ثم وضع الجرحين فوق بعضهما حتى تختلط دماء المتآخيين فتصبح الأخوة أخوة دم أيضا ، كانت مرتبة المتآخى أو المتآخية لا تقل عن مرتبة الشقيق له ما له وعليه ما عليه مع اخلاص وصدق وحب وفداء وتفان فى سبيل مبادىء العيارين .

صـفات العيــارين وســلاحهم

الصفات التى تميز العيارين كثيرة متعددة وقد يضيق المجــال عن ذكرها كلها ، ولكننا سنحاول أن نذكر أهمها ونترك للقارىء الوقوف على بقيتها من القصة التى تضمنت الكثير من هذه الصفات فى ثنايا صفحاتها التى تزيد عن الألفين وخمسمائة صفحة ، اذ أن أحد أهداف القصة كان ابراز هذه الصفات التى تميز بها العيارون والدفاع عنها وعن أعمالهم

---

(١) سمك جـ ١ ص ٧٤ ، ٨٥ .
(٢) سمك جـ ١ ص ٧٩ .
(٣) سمك جـ ٣ ص ٢٧٤ .

التى قد يراها بعض الناس من الأعمال القبيحة ، ويكفى للدلالة على كثرة هذه الصفات أن نستشهد بهذه الجملة على لسان سمك العيار فيقول :
« انهم يسموننى سمك العيار لان فلاسفة الدنيا وحكماء الزمان يتعجبون من فنونى ، وهؤلاء الذين يستولون على العالم بالحيلة والدهاء حين يرون أعمالى فانهم يتعلمون منى الحيلة وحسن التصرف » (١) ٠

وكان العيار يتحلى بصفات قتالية وصفات أخلاقية ، فأما الصفات القتالية فكانت تتمثل فى المهارة فى استخدام أنواع السلاح المعروف والمستعمل آنذاك مثل السهام والخراب والسيوف والخناجر والدروع والمقلاع (٢) والوهق (٣) الى جانب أسلحة خاصة بهم كالمقارض والكماشات والمبارد ووسائل التخدير وأدوات التنكر والتخفى ، مع تحليهم بصفات قتالية عالية كالصبر وتحمل الشدائد ويقظة الحواس وحسن استخدامها وقوة الملاحظة وسرعة البديهة والقدرة على العمل بالليل لأن العيارين كانوا غالبا لا ينشطون الا بالليل ولهذا كانوا يسمون « الدالجون بالليل » ٠

وقد ورد ذكر هذه الأسلحة والصفات كثيرا فى ثنايا قصة سمك العيار فيقول مثلا : « نهض سمك وحمل السلاح والخنجر والوهق والمبرد والمقراض والكماشة وما يحتاجه الدالجون بالليل ثم خرج (٤) ٠

والى جانب السهام العادية كانت لهم أنواع معينة من السهام الصغيرة التى كانوا يسمونها «الموبر» (٥) ، كانوا يطلقونها دون أن يحس بهم أحد أو يراهم ومع هذا كانت قاتلة لا تخطىء هدفها ٠

---

(١) سمك ج ١ ص ٧٧ ٠

(٢) المقلاع عبارة عن حبل يتراوح طوله بين متر ونصف ومترين فى وسطه قطعة من الجلد أو القماش فى حجم الكف ويربط أحد طرفيه فى اليد ويمسك الطرف الآخر بالاصابع ويوضع فى جلدته قطعة من الحجر أو الحديد تسمى قلاعة ويدير الرامى الحبل رأسيا حتى يأخذ سرعة معينة ٠ وعندئذ يترك طرف الحبل الممسك بالاصابع فتنطلق القلاعة بقوة وسرعة الى مسافة بعيدة ، ولازال المقلاع يستخدم فى الريف لطرد العصافير التى تفتك بالمحاصيل ٠

(٣) الوهق هو الحبل الذى نشاهده حاليا فى أفلام رعاة البقر والذى يلفه الراعى ليصبح كحلقة كبيرة ثم يلقيه على صيده ويشده فتضيق أنشوطة الحبل حوله وتمسك به ، وكان يستخدم أحيانا فى الحروب ومن هنا جاء المثل العربى « اختلط الحابل بالنابل » أى الذى يحارب بالوهق والذى يحارب بالسهام كناية عن شدة المعركة والتحام المقاتلين ٠

(٤) سمك ج ١ ص ١٠٤ ٠

(٥) أبره طولها ٢٠ سم تستخدم فى خياطة الأجولة وما شابهها ٠

ومن الاشارات التى وردت فى القصة الى هذا « وضعت ضياء يدها فى وسطها لأنها كانت تحمل « الموبر » معها دائما حيث كانت أستاذة فى رميه لا نظير لها فيه ، ثم وضعته فى القوس ونظرت جيدا ، ومع أن المسافة بينها وبين عادان كانت مائة خطوة أو أكثر الا أنها حينما أطلقت سهمها أصابت به فم عادان حتى خرج من قفاه ، ولم يدر أحد ماذا حدث لعادان حين سقط ميتا ، فلما نظروا وجدوا الدماء تنزف من فمه قالوا كيف حدث هذا ؟ (١) ٠

بل أن أحد العيارين كان يسمى « سرناوك » أى رأس السهم لمهارته فى اطلاق هذا النوع من السهام كما سنرى عند الحديث عن أسماء العيارين ومهاراتهم ٠

كما كان استخدامهم للحراب يفوق غيرهم ، كما كانت لهم حراب قصيرة يخفونها تحت ملابسهم أحيانا ويستخدمونها فى المسافات القريبة أو المزدحمة بالناس ٠

وتتجلى مهارتهم فى السلاح فى استخدام الخناجر التى كانوا يحملون منها أكثر من واحد فى وسطهم ، كما كانوا يخفونها أحيانا فى سيقانهم لاستعمالها فى الحالات التى يتوقعون فيها الغدر أو الخيانة من أحد ومن الشواهد على هذا « حينما رأى سمك هذا قال وا أسفاه لقد وقع ما كنت أخشاه وما كنت أفكر فيه وكان قد أخفى خنجرا بين فخذيه فأخرجه وانهال به على الغلمان (٢) ٠

وكما أجادوا استخدام الخناجر فى القتال فانهم أجادوا استعمالها فى عمل الأنفاق والأنقاب سواء حفرت فى الأرض أو الجدران للوصول الى مكان معين أو للخروج من سجن أو تخليص زميل أو رفيق من أسر أو معتقل ٠ وكانت مهارتهم فى عمل الأنفاق والأنقاب لا تقل عن مهارتهم فى أى شىء آخر فما أسرع ما كانوا يخلون حول أبواب السجون فيفصلونها عن جدرانها ثم يخرجون ٠

أما الدروع فكانوا يلبسونها تحت ملابسهم العادية غالبا حتى لا يؤخذوا على غرة أو يشك فى أمرهم أخذا بالحيطة قبل وقوع البلاء والضرر ٠

والمقاليع كانت من بين أسلحتهم وأكثرها فاعلية ضد أعدائهم لبساطتها وخطورتها ، وقد تحدثنا عنها عند الحديث عن نشأة العيارين

---

(١) سمك ج ٣ ص ١٣٢ ٠
(٢) سمك ج ١ ص ٨٢ ٠

ودفاعهم عن بغداد ضد جيش المأمون ، ولكن هذه المهارة فى استعمال المقلاع تتجلى فى قصة ذلك العيار فى سوق بغداد حينما رأى رجلا يحمل طبقا على رأسه فيه سمك مقلى فصوب اليه العيار قلاعة من مقلاعه أطارت سمكة من الطبق دون أن يشعر الرجل بشىء (١) ٠

أما الوهق وهو حبل مخصوص متين فى آخره أنشوطة فقد كان رفيق العيار ، فان كان فارسا علقه فى قربوص سرجه ، وان كان ماشيا علقه فى كتفه أو لفه حول وسطه ليخفيه ، فاذا احتاجه أدخل يده فى جيب فى ملابسه وفكه وأرخاه فينزل ملفوفا معدا للاستعمال ٠ وكان الوهق يستخدم فى « الصيد » أخذ الأمير الوهق الذى كان معلقا بقربوص السرج وجعله كالحلقة وألقاه على حمار الوحش واذا بالحمار يفتح يديه ورجليه كما لو كان مدربا عليه وبهذا تخلص من الوهق » (٢) ٠

وكان الوهق يستخدم أيضا في تقييد الأسرى والأعداء عند الايقاع بهم « أخذ سمك يفكر ، ثم فك الوهق من وسطه وربط قدمى قطران البطل فى هدوء ثم أحكم ربطه بالسرير ٠ وجاء عند وسادته وربط يديه بالوهق فى الطرف الآخر للسرير ثم أخرج خنجره وجلس على صدر قطران وأيقظه » (٣) ٠

كما كان الوهق يستخدم فى تسلق الجدران المرتفعة ، فكان العيار يقذف وهقه الى سطح المبنى الذى يريد تسلقه لكى يعلقه فى أى شىء بارز على السطح ثم يصعد عليه وكان يجب على العيار عندما يصعد عليه أن يسحب وهقه لكى ينزل عليه الى داخل البناء ، وحتى لا يراه أحد من الناس أو الحرس فيدرك أن شخصا قد تسلق على ذلك المبنى وعندئذ ينكشف أمره ٠

وكان الوهق يساعد العيارين فى الهروب أيضا ، فان حوصر عيار فى قلعة أو مدينة أو حتى فى سجن فانه كان يستخدم الوهق فى الهروب من على الأسوار التى تقل عليها الحراسة وتحت جنح الظلام ٠

وكان العيار يحمل فى بعض الأحيان مقراضا ليقص به السلاسل والأغلال التى كان يقيد بها المساجين أو يستخدمه فى كسر الأقفال والقضبان ، كما كان المبرد يستخدم فى نفس الغرض الا أنه كان يحتاج الى وقت أطول فى استخدامه اذا لم يتوفر المقراض ٠

---

(١) يعقوب بن الليث الصفار ص ٥٢ ٠
(٢) سمك جـ ١ ص ١٢ ٠
(٣) سمك جـ ١ ص ١٥٧ ٠

أدوية التخـــدير :

كان العيارون يحملون أشــد أنواع الأدوية المخدرة والأسرع تأثيرا وذلك لتخدير أعدائهم أو حراسهم فكانوا يضعونها فى طعــامهم أو شرابهم وبهذا يوقعون بهم « فلما شربوا بضعة كئوس وضع بعض المخـــدر فى الشراب وقدمه للخادم فسقط الخادم على الفور من قوة المخدر » (١) ٠

وكان العيــار يحمل المخدر فى كيس حـول وسطه فاذا أراد أن يأخذ بعضه مد يده فى جيبه وأخرج منه ما يريد دون أن يشعر به أحد « وضع سمك يده فى وسطه وأخرج نحو عشرين درهما من الدواء المخدر الذى لو وضع منه مثقال درهم فى شراب مائة رجل لسقطوا جميعا مغشيا عليهم » (٢) ٠

وأحيــــانا كان العيار يخفى هذا المخدر خلف أذنه حتى اذا أراد استخدامه عمل كمن يسوى شعره فلا يفطن أحد الى ما يفعل « لم يقتنع سمك بما كان لهيب قد وضعه من مخدر فأخرج مقدارا آخر من خلف أذنه متظاهرا بأنه كان يسوى شعره خلفها ، وأتى بالمخدر بين اصبعيه ووضعه فى الكأس » (٣) وربما أخفى العيار هذا المخدر تحت فص خاتمه أيضا حيث يسهل استعماله ٠

ومن وسائل التخدير الأخرى التى نجدها فى قصة سمك أنواع من الغازات المخدرة أيضا كان مسحوقها يوضع على النار فتتصاعد منه الغازات التى يستنشقها الخصــم فيغمى عليه فورا « فقد وضعت الفتاة يدها فى وسطها وأخرجت دواء وضعته على شعلة الشمعة فأخذ يحترق ثم قالت أيها الملك أنظر فى هذه الشمعة حتى ترى العجائب ، فنظر الملك وأولاده فى الشمعة فلم يروا شيئا فقالت بل انظروا جيــدا ما هــذا ؟ فظنوها صادقة ، ونظروا فى الشمعة وتصاعدت رائحة الدواء الى أنوفهم فسقطوا جميعا مغشيا عليهم » (٤) ٠

التنــــكر :

كان العيــارون الى جــانب هذه الأســلحة والأدوات يرتدون ملابس خاصة تناسب عملهم ، فكانوا يلبسون صدرية تحت ملابسهم تعمل كدرع يحميهم من الطعنات المباغتة ٠ كما كانوا أحيانا يرتدون فى أقدامهم خفا

---

(١) سمك ج ١ ص ٥٥ ٠
(٢) سمك ج ٢ ص ١١٣ ٠
(٣) سمك ج ١ ص ٢٠٤ ٠
(٤) سمك ج ٣ ص ٣٣٨ ٠

لكى يخفى آثار أقدامهم فى التراب ، وأحيانا يلبسون الجرموق (١) ليحميها من الماء والوحل ·

وقد مهر العيارون فى التنكر والتخفى فى أشكال مختلفة ، فكان العيار يتخفى فى ملابس التجار أو العلماء أو غيرهم حتى يمكنه التنقل فى حرية أو الخروج من مأزق أو لاستطلاع أخبار يريدون معرفتها · فنرى سمك ذات مرة يطلب دواء معينا ثم يضع يده فى وسطه ويخرج شيئا ثم يخلطه بذلك الدواء حتى يذوب ثم يضعه فى الماء ويغسل به وجهه الذى يتغير لونه ، فأثنى الجميع على مهارته ، ثم فك شعره ولف بعضه وربطه من وسطه وأخذ فى يده عصا وخرج (٢) ·

وعندما أراد سمك الذهاب الى معسكر الأعداء للاستطلاع وجمع الأخبار نراه يترك قاعة الملك ثم يطلب جبة وعمامة ارتداهما ثم أخذ زجاجة زيت وضعها فى الجبة ، ثم دهن وجهه بدواء فصار محببا وركب فرسه وانطلق » (٣) ·

وفى موضع آخر من قصة سمك العيار نرى عيارة اسمها ضياء تريد الذهاب الى معسكر الأعداء للتجسس فيحذرونها قائلين لها : « ان الجميع يعرفونك وقد يحدث خطأ فينكشف أمرك » · فتقول لهم : « لا تفكروا فى هذا فاننى أعرف التنكر جيدا حتى أننى لو ذهبت اليهم مائة مرة وتحدثت اليهم لما عرفونى » ، ثم أدخلت يدها فى وسطها وأخرجت كيس التنكر وأخذت منه شيئا أذابته فى كف يدها ثم طلت بها وجهها حتى صار أبيض أحمر كالأجانب » (٤) ·

وعندما كان سمك فى الأسر أراد أستاذه الثعلب الفيلم أن ينقذه فتنكر حتى لا يعرفه أحد ولبس خرقة ووضع عمامة قديمة ودلك لحيته بدواء فصارت بيضاء تماما ثم خرج (٥) ·

وسنرى أن تغيير الملابس والتنكر على هيئة النساء من الأمور التى يلجأون اليها كثيرا فسنرى فى القصة كيف أن الأمير خورشيد شاه تنكر فى ملابس جارية مغنية لكى يصل الى حبيبته وقد جلس اليها واستمعت الى حديثه وغنائه واصطحبته الى مخدعها وظل يحادثها حتى نامت ولم

---

(١) الجرموق هو ما يسمى اليوم « البوت » ·
(٢) سمك ج ١ ص ٢٥٩ ·
(٣) سمك ج ٢ ص ١٦٣ ·
(٤) سمك ج ٤ ص ١٧٤ ·
(٥) سمك ج ٣ ص ١٧٤ ·

تلحظ أو يلحظ أحد أن هذه الجارية المغنية كانت هي الأمير خورشيد شاه متنكرا في ملابس جارية .

كما أن سمك لجأ الى التنكر في زي النساء كثيرا ولبس ملابسهن وتعطر بعطرهن . كما كان العيارون يتنكرون في ملابس الجنود أو القواد أو حرس الملك اذا تطلبت الأوضاع قيامهم بدور أحد من هؤلاء أو غيره ولم ينكشف أمرهم أو يقف عدوهم على حيلهم لاتقانهم لوسائل التنكر واجادتهم له .

وكانت كل وسائل التنكر وأدواته لا تغني شيئا أو تدفع مكروها اذا لم تقترن بدقة ملاحظة في التنكر وسعة أفق واجادة تغيير الأصوات ومعرفة اللهجات لكل مدينة بل وأحيانا التمكن من كثير من اللغات لأن خطأ في هذه الأمور كان يؤدي الى كشف سر المتنكر والايقاع به .

الحيلة والدهاء :

كان العيارون الى جانب ما سبق الاشارة اليه من المهارة في استخدام أنواع السلاح أو التنكر فانهم كانوا مستعدين دائما لمواجهة المآزق والخروج منها سواء بالمكر والحيلة أو بالذكاء وحسن التصرف .

يروون أن يعقوب بن الليث الصفار عندما أراد محاربة أحد أعدائه وكان بينهما نهر يحول دون عبور الخيل وبقية دواب الجيش . وكان يعقوب يحمل معه صندوقا مغلقا لا يعلم أحد ما به أو لماذا أحضره . وأمر يعقوب جنده أن يركبوا خيولهم دون سروج ويحملوا رماحهم في أيديهم . فلما امتطى الجند خيولهم فتح يعقوب الصندوق فخرج منه كلب كبير أمر بانزاله في النهر حيث أخذ يسبح عابرا للضفة الأخرى ونادى الجنود على خيولهم وحثوها فاذا هي تلقى بنفسها في الماء وتخوضه للشاطىء الآخر كالكلب » (١) . وبهذه الحيلة وحسن التصرف فاجأ عدوه وهو ملقى السلاح مطمئنا أن النهر سيمنع يعقوب من الوصول اليهم .

أما صاحبنا سمك فقد كان صغير الجسم نحيفا ، ولم يكن فارس حرب رغم مهارته في الطعن والضرب ولكنه كان يعوض هذا النقص بالحيلة والدهاء ، وقد اضطرته الظروف ذات مرة للخروج للمبارزة في الحرب ضد أحد الأبطال المشهورين وكان لا محالة سيهلك في هذا النزال . فلما نادى عليه البطل قائلا من أنت حتى تأتي للحرب ؟ عد فانني لا أقتل العجزة مثلك فلو ضربتك بقبضة يدي لبعثرتك أشلاء على الأرض .

(١) يعقوب بن الليث ص ١٤٠ .

قال له سمك : اذا كنت قوى الساعد الى هذا الحد فتعال ضع ساعدك فى ساعدى ونتبارى فى قوة السواعد ٠

ضحك البطل واقترب من سمك رافعا قبضة يده ليمسك بقبضته ولكن سمك قال له ان المباراة فى قوة السواعد لا تصلح فوق ظهور الخيل فدعنا ننزل على الأرض ٠ فنزل البطل وسمك ثم قال له هات قبضة يدك فمد البطل يده ظنا منه أن سمك جاد فى كلامه وقال فى نفسه سوف أمسك قبضته وأصرعه على الأرض فمن يكون هذا ؟

حين وضع البطل يده فى يد سمك مد سمك يده الأخرى فى ملابسه وسحب خنجره وطعن به البطل فى جانبه حتى نفذ فيه الخنجر الى مقبضه فسقط فى الحال ، وأسرع سمك الى فرسه وعاد الى جيشه (١) ٠ وكانت حيلته سببا فى نجاته من الموت المؤكد ٠

الكرم :

كان العيارون يلجأون للبذل والعطاء للوصول الى أهدافهم وأغراضهم ، وأحيانا يلجأون لتقديم الرشاوى لتحقيق ما لا يمكن تحقيقه الا عن هذا الطريق ، وكثيرا ما كان العيار يخفى المال فى معضدة (٢) فى ذراعه ، أو صرة على وسطه ، كما كان يحتفظ ببعض الجواهر واللآلىء لصغرها وكبر قيمتها لينفق منها فى الظروف الاضطرارية ، « فحينما أقسم ذهب الطبيب على ألا يفشى سره وضع سمك يده فى ساعده وأخرج معضدة بها عشر حبات من الجواهر قيمتها ألف دينار وضعها فى يد ذهب الجراح » (٣) ٠

وذات مرة عندما أراد سمك أن يستعين بحطاب لكى يدخل قلعة من القلاع قال لرفيقه : « لم أشعر بالوحدة أبدا هكذا ، فلا معين معى ولا شريك ، ولا مؤنس ولا رفيق ، ولهذا صرت عاجزا » ٠

قال له رفيقه : « أيها البطل ما هذا الذى تقول ؟ من هو المؤنس والرفيق ؟

قال سمك : « رفيقى هو الذى يجعل أمورنا تستقيم ويوصلنا الى غاياتنا ، انه الذهب ٠٠ أليس معك شىء منه ؟

قال لهيب : « نعم ، منذ أن قلت لى ان الرجل لا يخلو من ذهب

---

(١) سمك جـ ٢ ص ١٦٢ ٠
(٢) المعضدة كيس يربط على العضد يحفظ به المال وما شابهه ٠
(٣) سمك جـ ١ ص ٥٣ ٠

يحمله وأنا أحتفظ ببعضه معى » ثم وضع يده فى وسطه وأخرج بدرة بها مائتى دينار وقدمها لسمك (١) ٠

أسماؤهم تدل عليهم :

قلنا ان العيارين كانوا يمتازون بالمهارة فى استعمال الأسلحة المختلفة والتفوق فيها على نظرائهم ، وكان من العيارين من يمتاز عن سائر جماعته فى سلاح معين أو مهارة بذاتها ، لا يجاريه فيها أحد أو حتى يدانيه ، ولهذا كانت هذه المهارة تصبح صفة له يشتهر بها وتطلق عليه كنية أو اسما ، ومن أول هذه الأسماء التى أمامنا اسم صاحبنا « سمك » ويبدو واضحا من القصة أنه كان كالسمك فى الماء سريع الحركة صعب الاصطياد لا يقع فى مأزق الا تخلص منه ٠

وسنرى فى القصة أن أستاذ سمك وأباه بالتبنى كان يسمى « شغال بيل زور » أى الثعلب الفيلم (٢) ، والثعلب معروف بدهائه أما الفيلم فهى كلمة تعنى الضخم الجثة القوى كالفيل وهذا يدل على أن رئيس هذه الجماعة من العيارين كان ذا دهاء وقوة الى جانب ضخامة فى الجثة ٠

ونجد من أسماء العيارين « تيزدندان » أى الحاد الأسنان الذى يبدو أنه كان يستخدم أسنانه الحادة كسلاح أو أداة قاطعة ٠ وشيرافكن أى صارع الأسود ، ولعل هذا الاسم يرجع الى شهرة صاحبه فى صيد الأسود أو الى قوة بدنية كان يصرع بها أقوى الرجال ٠ وشاه مير أى ملك الموت وربما كان صاحبه من القتلة الذين مهروا فى الفتك بالأعداء وقتلهم ٠ ومنهم زيرك أى الذكى الداهية وأنشك أى لهيب الذى يبدو أنه كان نشطا مندفعا كأنه شعلة من النار ٠ وكذلك سرناوك أى رأس السهم وغير ذلك ٠

صفات العيارين الأخلاقية

رغم ما تذكره بعض كتب الأدب والتاريخ عن العيارين ، وما تصفهم به من أنهم لصوص أو قطاع طريق أو أوباش (٣) الا أن بعض الكتب

---

(١) سمك ج ١ ص ٣١٦ ٠

(٢) الفيلم العظيم الجثة فقه اللغة ص ٤٠ ٠

(٣) قال عثمان الخياط ، السارق فى الحضر والسفر خمسة : المحتال وصاحب ليل وصاحب طريق والنباش والخناق ٠ فالمحتال اسم لمن لا يعمل الا بحيلة ، ولا يقتل فهو بالصبر والنجدة ٠ واللصوص يبهرجونهم ولا يستصحبونهم ٠ أما صاحب الليل فالنقاب والمتسلق والمكابر وأشباه ذلك ٠ والنباش معروف ٠ وأما الخناق فما منهم =

الأخرى تورد لهم من الأخبار والقصص ما يمحو سيئاتهم ويزيد حسناتهم ويجعل من أخلاقهم قدوة تحتذى وقبلة يتوجه اليها الباحثون عن مكارم الأخلاق من مروءة وشهامة ونجدة وفداء وصدق وحفاظ على الحرمات ٠

ويجب أن يتصف العيارون بصفات من الفتوة فهم يقولون « يجب أن يكون العيار شجاعا صابرا فى كل أمر ، صادق الوعد ، عفيف العورة طاهر القلب ، لا يستفيد من ضرر أحد ويتقبل الضرر من الأصدقاء ، لا يتطاول على الأسرى بل يساعد الأسرى والمساكين ، ويكف أذى السفلة عن الطيبين ، ولا يسمع الا الخير ، ولا يقول الا الصدق ويقتص من نفسه ولا يسىء الى سفرة أكل عليها ، ولا يرد الحسنة بالسيئة وأن يتحاشى النساء » ٠

وفى موضع آخر من كتاب سمك العيار جاء « ان العيار يجب أن يكون ماهرا فى العيارة فتى خبيرا فى السير بالليل ، أستاذا فى الحيلة ، متعدد المواهب ، صاحب نكتة ، حاضر البديهة والجواب لين الكلام يمكنه أن يرد على أى شخص ولا يعجز عن ذلك ، ولا يعيب فى أحد ، يصون لسانه ، قليل الكلام ، ومع هذا يجب ألا يتخلف فى ميدان الحرب فاذا حدث قتال لا يعجز عنه ، ومع كل ما ذكرناه لا يجب أن يعجز عن شىء وبهذا يمكنه القول بين الفتيان أنه عيار » (١) ٠

الصـــدق :

كان الصدق فى القول من صفات العيارين البارزة ، فالعيار لا يكذب أبدا ولكنه قد يتحايل على الصدق اذا اضطر لذلك ، فنجد سمك العيار يقول « خصوصا وأننا لا نقول الا الصدق » وفى موضع آخر يقول « ان الرجال لا يكذبون أبدا » ثم يصور ذمهم للكذب وكراهيتهم له بقوله : « ان ابن الحرام هو الذى يكذب » (٢) ٠

أما عن تحايلهم على الصدق فيروون أن بعض العيارين كانوا يجلسون على جبل فقدم عليهم رجل وسلم وقال « أنا رسول عيارى مرو اليكم ، وهم يسلمون عليكم ويقولون اسمعوا منا ثلاث مسائل فان أجبتم عليها رضينا بالتبعية لكم ، وان لم تجيبوا عليها تبعتمونا » ٠

= واحد الا وهو صاحب بعج ورضخ ، والرضخ انما يكون فى الأسفار ويصحب الرجل المنفرد من الرفقة ومعه حجران أملسان ململمان قدرمك الكف ، فان قدر عليه ساجدا أو نائما والا فقائما فيعمد الى صماخه ولا يخطىء ٠ وأكثرهم لا يرضى بالقتل مخافة المطالبة (محاضرات الأدباء ج ٣ ص ١٩٢) ٠

(١) سمك ج ١ ص ٥٢٦ ٠

(٢) سمك ج ١ ص ٤٠٩ ٠

قالوا : قــل ٠

قال : « ما هى الفتوة ؟ واذا جلس عيار على طريق ومر عليه رجل وبعد فترة رأى رجلا ومعه سيف يذهب فى اثره ليقتله ، وسأل ذلك العيار هل مر فلان من هنا ؟ فبماذا يجيب العيار ؟ فان قال لم يمر كذب ٠ وان قال مر فقد غمز ، وكلاهما ليسا من صفات العيارة » ٠

حينما سمع عيارو الجبل هذه المسائل نظروا الى بعضهم ، وكان بينهم عيار اسمه فضــل الهمــدانى قال أنا أجيبه على أسئلته ، قالوا لا بأس ٠ قال فضل « أصل الفتوة أن تقول ما تقدر على فعله ٠ والفرق بين الفتوة وغير الفتوة هو الصبر ٠ أما رد ذلك العيار الجالس ، فانه يجب أن ينتقل خطوة من المكان الجالس فيه ويقول « منذ جلست هنا لم يمر أحد حتى يكون قد صدق فيما قال » ٠

وعند العيارين أن أصل الفتوة ثلاثة أشياء هى « أن تفعل ما تقول ، وألا تقول الا الصدق ، وأن تقدر على الصبر » لأن كل صفات الفتوة تنضوى تحت هذه الصفات ٠

الحفــاظ عــلى الحــرمات :

من صفات العيارين الأخلاقية حفاظهم على الحرمات ، وقد سبق أن أشرنا عند حديثنا عن التآخى أن العيار لا ينظر الى امرأة أو يلمسها قبل أن يطلب منها أن تصبح أختا له ، ويشهد الله على أنه أصبح أخا لها حتى يتمكن من الجلوس معها أو مرافقتها فى سفر أو غير هذا ، ورأينــا أن ماه برى زوجة الأمير خورشيد شاه استقبلت سمك بعد غيبة طويلة بأن احتضنته وقبلته وكانت تخــاطبه بأخى ويخــاطبها بأختى كأنها أخوة حقيقية ٠

والقصة مملوءة بمثل هذه الحكايات وخاصة فى بداية القصة عندما تنكر خورشيد شاه فى ملابس جارية مغنية واصطحبته الأميرة الى مخدعها وظلت تحادثه وتسمع غناءه حتى غلبها النعاس فنامت وهى لا تدرى أنه الأمير رغم حب الأمير لها فانه ظل متذرعا بالفتوة والعصمة ولم ينظر اليها نظرة فيها ريبة أو شهوة ٠

ومن أجمل الأمثلة على الحفاظ على الحرمات عند العيارين ما روى عن يعقوب بن الليث الصفار من أنه كان يجلس يوما فى حديقة قصره فرأى شخصا جالسا فى محلة أمام القصر وقد أسند رأسه الى ركبتيه ، ففكر فى أمره وقال « لابد أنه حزين مغموم وأرسل على الفور أحد حراسه فأحضر ذلك الرجل ٠ وعندما جاء قال ليعقوب « أيها الملك ان حالى أصعب

من أن أقصه عليك ، ذلك أن قائدا من قوادك ينزل من على سطح منزلى كل ليـلة أو ليلتين على ابنتى ويرتكب الفاحشـة معها ولا طاقة لى على دفعـه » .

قال يعقوب : « لا حول ولا قوة الا بالله » ، لماذا لم تخبرنى قبل هذا ؟ عد الى منزلك وحينما يأتى ذلك القائد تعال الى هنا وستجد عند كنسك الحديقة رجلا بدرعه وسيفه سيذهب معك ويقضى لك كما أمر الله بالنسبة لمنتهكى الحرمات » .

ذهب الرجل ولم يأت تلك الليلة ، فلما كانت الليلة التالية جاء فاذا برجل ينتظره وقد لبس درعه وشهر سيفه فاصطحبه الى المنزل ، وكان ذلك القائد موجودا فى البيت فرفع سيفه وهوى به على مفرقه فشطر رأسه شطرين ثم قال للرجل أوقد المصباح ، فلما أضاء النور قال للرجل اسقنى . فناوله الماء فشرب ثم قال آتنى خبزا فلما أحضره وأكل منه نظر والد الفتاة الى الرجل الذى قدم معه فاذا هو الأمير يعقوب جاء بنفسه للانتقام . وقال يعقوب للرجل والله العظيم أننى لم أذق طعاما أو ماء منذ ذكرت لى تلك الحكاية ونذرت لله تعالى ألا آكل حتى أريحك من هـذا الشر » (١) .

وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

ليس الجـواد الذى يحمى مطيتـه
يـوم النـزال ونـار الحرب تشتعل

لـكن فتى غض طرفا أو ثنى بصرا
عن الحرام فذاك الفـارس البطل (٢)

وقد رأينا ابن الأثير وهو يصف البرجمى بقوله ومع هذا كان فيه فتوة وله مروءة لم يعرض لامرأة .

الأمـانة :

يشتهر العيارون بالامانه فهم لا يخونون قط حتى بلغ بهم الحد الى القول « لو أن شخصا قتل لعيار ابنا ، ثم جاء القاتل الى بيت العيار فانه لا يؤذيه ولا يقتص لدم ابنه أو ينتقم له مع أن أحـدا لا يستطيع منعه من ذلك » (٣) .

---

(١) يعقوب ص ٢٢٩ .
(٢) الفتوة ص ٢٨٢ .
(٣) سمك جـ ٥ ص ٤٩٢ .

وقد رأينا عندما جرح سمك العيار وأحضر له رفيقه طبيبا اسمه ذهب الجراح كيف أن سمك يذكره بأهم المبادىء التى يجب أن يتحلى بها الطبيب وهى الأمانة فيقول له « يا ذهب كن فتى واحفظ سرى لأن كتمان السر والأمانة من الأمور المسلم بها لدى الأطباء ، ولا أقول هذا من أجلك بل لأنهم يعالجون الخاصة والعامة ويشفقون عليهم ويشاهدون كثيرا من الحسن والسيىء ولا يذكرون ذلك لأحد أبدا وهذا أفضل من الفتوة » (١)٠

وكذلك عندما ذهب سمك العيار ومعه أستاذه الثعلب والأمير خورشيد شاه الى منزل « بهجة الروح » وصيفة الأميرة لكى يجدوا وسيلة للوصول اليها ، سألها سمك ماذا عندك من الفتوة قالت « عندى من الفتوة الأمانة التامة ، فاذا وقع شىء لشخص ما وجاء الى فى حاجة ، فاننى أجعل روحى درعا له وأفديه بها ، وأكون عونا له واذا التجأ أحد الى حماى فاننى لا أتخلى عنه ما بقيت روحى فى جسدى ، ولا أقول سر أحد لأحد قط ولا أفشيه أبدا ، هذه هى الرجولة والفتوة كما أعرفها » (٢) ٠

وتتردد الاشارة الى الأمانة كثيرا فى قصة سمك العيار وغيرها من قصص العيارين ، ومع هذا سنجد كثيرا من التهم الموجهة الى العيارين على أنهم لصوص وشطار وأهل سلب ونهب فكيف يتفق هذا وذاك ؟

ونحن نرى أن العيارين ــ كما سبق أن ذكرنا ــ كانوا يستحلون بعض أموال البخلاء والجشعين من الأغنياء ويرون أنهم يمنعون هذه الأموال عن الناس ويحبسونها عن الانفاق فيما ينفعهم ، ولهذا كانوا يرغمونهم على دفع اتاوات لهم ينفقون منها على أنفسهم وعلى المحتاجين والمعوزين ، وأنهم كانوا ضد السرقة يعتبرونها عيبا ويتبرأون منها ، فنجد سمك حكم عليه مرة بالضرب يقول « لماذا يجب أن أضرب ، ان الضرب للصوص » (٣) ٠

كما أن بعض اللصوص وقطاع الطريق كانوا ينسبون أنفسهم الى العيارة والعيارين وهم منها براء لأن للعيارين مبادىء وأصولا أما اللصوص وقطاع الطرق فلا يدينون بخلق أو يتبعون مبدأ من المبادىء الا أخذ أموال الناس بكل الطرق ، وربما أدى هذا الى الخلط بين العيارين وغيرهم ٠

الخبز والملح :

كان الخبز والملح ذا أثر بعيد عند الفتيان والعيارين وكانا أساس تصرفاتهم وسلوكهم ، فمن آداب الفتوة فى الطعام اضافة الملح قبل الأكل

---

(١) سمك ج ١ ص ٨٦ ٠
(٢) سمك ج ١ ص ٤٨ ٠
(٣) سمك ج ١ ص ١١١ ٠

ثم ختم الطعام به (١) تأكيدا لمن يشارك فى الطعام على وجود ملح به فى البداية وتذكيره به فى النهاية • وكان من يأكل مع عيار لا يخونه أبدا ولا يفعل به أى مكروه مهما اتضح له بعد ذلك أو عرف عنه ويروون فى هذا قصصا كثيرة •

يقولون أن الليث ـ والد يعقوب بن الليث ـ نقب نقبا فى منزل الوالى درهم بن نصر وجمع ذهبا وجواهر كثيرة ، وعندما هم بالخروج عثرت قدمه فى شىء ظنه بعض الجواهر فتناوله وأراد أن يتحقق منه بفمه فوجده ملحا وعندئذ تغلبت تقاليد رعاية حق الملح على أخذ الأموال فترك ما جمعه من ذهب وجواهر فى مكانه وعاد الى منزله • وفى اليوم التالى وجدوا هذا ، فبعثوا مناديا فى المدينة ينادى أن من فعل هذا فهو آمن وعليه أن يقابل الوالى ، فذهب الليث الى هناك وسأله الوالى « لماذا تركت ما كنت قد جمعته من ذهب وجواهر ؟ » قال الليث «رعاية لحق الملح» (٢) •

ليس من المروءة أن تنجو بنفسك وتترك غيرك :

ربما كان هذا المبدأ من المبادىء التى أدت الى اعجاب العامة بالعيارين وتقريبهم اليهم وتشجيعهم أو الانخراط فى سلكهم ، اذ أنه يدعو الى الوقوف بجانب المظلومين والذين يتعرضون لجبروت الأقوياء أو ظلم الحكام • وقصة سمك العيار من بدايتها تقوم على هذا المبدأ اذ أن خورشيد شاه عندما التجأ الى العيارين بعد أن أخذت الساحرة التى كانت مسيطرة على الأميرة أخاه فرخ روز وسجنته رأى موكب رئيس العيارين فى المدينة فسأل عنهم ثم ذهب اليهم فوجد شابين واقفين على باب قصرهم فقال لهما قولا لرئيس الفتيان أن غريبا يريد الدخول ان أذنت له •

قال الشابان « ان أبواب الفتيان مفتوحة لا تغلق » أى أنهم يستقبلون الضيوف واللاجئين والمحتاجين والمحتمين بهم ليلا ونهارا لا يردون أحدا فى حاجة ولا يتخاذلون عن مساعدة •

وتتحدث القصة بعد هذا عن الكرم الذى لقيه خورشيد شاه من العيارين ورئيسهم دون أن يعرفوه أو يسألوه من هو أو لماذا جاء أو ماذا يريد حتى أكل وشرب وأنس لهم وطرب ثم سألهم عن الفتوة وطلب أن يؤمنوه ، فلما أقسموا له على ألا يبوحوا بسره وأن يخفوا أمره أظهر لهم شخصيته وطلب منهم العون والمساعدة • فقال له رئيس العيارين « يا بنى لقد طلبت أمرا صعبا ، ان النسيم لا يجرؤ على الاقتراب من حرم الأميرة

---

(١) فتوت نامه سلطانى ص ٢٣٢ •

(٢) يعقوب بن الليث ص ٥٦ •

خوفا من المربية الســاحرة ، ولو كان ما تريده أمــرا يمكن تنفيذه بالقوة أو الحيلة أو بالذهب والعيارة لدبرته لك وانجزته من أجلك » •

فقال سمك « أيها الأستاذ لا تخذل الأمير لأنــه لو لم يكن مملوءا بالأمل لما جاء اليك » (١) ثم يتفقون على الذهاب الى مطربة الأميرة لكى تدبر للآمير ما أراد رغم مخاطره •

ويتضح من هذا مدى قيام العيارين بمساعــدة من يلتجيء اليهــم أو يطلب عونهم حتى ولو كان فى عداد الصعب المستحيل • ولهذا فهم يقولون «ليس من المروءة أن تترك قوما في بلاء وتنجو بنفسك» (٢) كما أن الفتيان يفعلون كثيرا من الأعمال ويتحملون المتاعب ويجعلون أرواحهم فداء للناس وهم يفعلون هذا للشهرة وليس من أجل جزاء أو مال ، فالعيار اذا وجد طعاما أكل والا فانه يتجول لخدمة العيارين والفتيان ويعمل ذلك من أجل الشهرة لا من أجل الحصول على الطعام أو المال •

ومن قصص المروءة وايثار الغير التى تروى عن العيارين قصــة زبد العيار فقد كان فى بغداد رجل أسود يقال له زبد كان يأوى قنطرة الزبد فى بغداد يشحذ وهو عريان فلــما كثر الفساد رأى هذا الأسود من هو أضعف منه قد أخذ بالسيف فطلب الأسود سيفا ونهب وأغار ، وحف به طائفة وتقوى وأخذ أموال الناس وتمول حتى اشترى جارية بألف دينار ثم راودها فتمنعت فقال ما تكرهين منى ؟

قالت : أكرهك كلك •

قال : ما تحبين ؟

قالت تبيعنى •

قال : أو أفعل خيرا لك من ذلك » وحملها الى القاضي وأعتقها ووهبها ألف دينار • فتعجب الناس من سماحته ومروءتــه • أما هو فخرج الى الشام فهلك هناك ضاربا بهذا أعلى مثل فى التضحية والمروءة وايثار الغير حتى مع جارية كانت ملك يديه •

قصــة ســمك

هذه القصة الطويلة التى نعدها بلا شك أروع قصة كتبت فى الأدب الاسلامى سواء فى العربية أو الفارسية لا نعرف عنها الكثير • فلا نعرف

(١) سمك جـ ١ ص ٤٤ •
(٢) سمك جـ ٢ ص ١٠٩ •
(٣) سمك جـ ١ ص ٦٤ •
(٤) النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٠٨ •

سنة تأليفها على وجه التحديد ، لا نعرف شيئا عن راويها وجامعها أو مصنفها ، ولا نعرف أين كتبت ، كما لا نعرف بقيتها ، اذ مما يبعث على الأسف ان المخطوطة الوحيدة المعروفة لها الى الآن ناقصة الآخر ، مبتورة النهاية ٠

أما عن سنة تأليفها فمن المرجح أنها ألفت فى القرن السادس الهجرى. ومع أن هذه العبارة قد جاءت فى مقدمة الجزء الثالث من المخطوطة وهى « بدأت هذه الحكاية باليمن والاقبال فى يوم الثلاثاء الرابع من جماد الثانى سنة ٥٨٥ من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم » ، الا أن محقق الطبعة الفارسية يقول ان هذا التاريخ مختلف فى خطه وطريقته عن خط النسخة الأصلية ويبدو أن هذه الجملة كتبت فى نحو القرن التاسع » (١) ٠

ولكننا نرى أن هذا التاريخ صحيح أو قريب من الصحيح ودليلنا على هذا أن جامع القصة وهو فرامرز بن خداداد بن عبد الله الكاتب الأرجانى يقول ان الرواى الأصلى للقصة هو « صدقة بن أبى القاسم والذى تردد أسمه بضع مرات فى القصة ٠

واذا نظرنا الى هذا الاسم وجدناه من الأسماء التى كانت شائعة فى العراق فى أواخر القرن الخامس وأوائل السادس الهجريين مثل الأمير دبيس بن صدقة الذى قتل سنة ٥٢٩ وابنه صدقة بن دبيس بن صدقة أمير الحلة ، والحسن بن على بن صدقة وزير المسترشد العباسى الذى قتل أيضا سنة ٥٢٩ هـ (٢) ٠ وهذا مما يرجح أن الراوى ربما ولد فى العراق أو أنه كان من أهل العراق وقد سمى على اسم أحد الامراء أو الوزراء المذكورين اذ من الملاحظ أن هناك أسماء تشيع فى وقت من الأوقات ثم تختفى وتظهر غيرها ٠

والشىء الثانى أن وصف دخول خورشيد شاه ورفاقه الى مدينة الصين قريب من الوصف الذى جاء فى كتب التاريخ العربية مثل البداية والنهاية (٣) عن قدوم رسول ملك الروم فى طلب الهدنة والمفاداة بين المسلمين والبيزنطيين وذلك فى سنة ٣٠٥ هـ ، مما يقطع بأن رواى القصة قرأ هذا الوصف فى أحد كتب التاريخ ونقله مما يجعل كتابة القصة بعد القرن الرابع وقد أثبتنا هذا الوصف فى هامش الكتاب فى مكانه من القصة وأشرنا اليه ٠

---

(١) سمك جـ ١ ص ٤ المقدمة ٠

(٢) الكامل جـ ١١ ص ٣٠ ٠

(٣) البداية والنهاية جـ ١١ هـ ١٤٦ ٠

كذلك فان الأسماء التركية التى وردت فى القصـــة مثل قزل ملك ، ارغون ، قاورد ، سنجر وغيرها كانت من الأسماء التى شاعت أثناء العصر السلجوقى الذى ابتدأ حوالى سنة ٤٣٢هـ وانتهى من نهاية القرن السادس وبداية السابع تقريبـا ٠

ومع هذا الترجيح لزمن كتابة القصة الحقيقى الا أن راويها وجامعها قد أرجعا زمن أحداثها الى عام الفين وثلثمائة وسبعين قبل ميلاد الرسول عليه الصلاة والسلام ٠

ولا يعنى هذا التاريخ أن أحداث القصة وقعت حقيقة فى ذلك الزمن السحيق الذى يعاصر قيام الحضارة البابلية فى بلاد ما بين النهرين تقريبا(١) وقبل قيام الحضارة الفـارسية بألفى عام أو يزيـد ٠ كما لا يعنى أن تنظيمات العيارين عرفت منذ ذلك الوقت ٠ كما لا يعنى أن الفتوة والعيارة وما تنطوى عليه من مبادىء كانت فارسية الأصـل ، اذ الواضـح الذى لا شك فيه أن الفتوة التى اعتنقها الفتيان والعيارون تستمد أصولها من القرآن والسنة ولا مجال أو امكان لنسبتها الى الحضارة الفارسية القديمة أو الى أصول بهلوية كما يدعى البعض ٠

واذا كان الراوى والجامع قد اختارا هذا التاريـخ البعيد لروايـة القصة بأحداثها المثيرة المتتابعة الشيقة ، فقد كان هذا تجنبا للحساسيات أو ما قد يثار ضدهما من اتهامات ، وما قد يؤخذا به أو يؤاخذا عليـه ، خاصة فى القرن السادس الذى كثر فيـه الصراع والنزاع بين الطوائف المختلفة والجنسيات المتعددة من فرس وترك وشركس وأرمن ، والمذاهب المتشاحنة من سنة أو رافضة والتى كانت تتصارع فى العـالم الاسلامى آنذاك ٠

وقد ربط القاص حلب وبغداد بالمصاهرة والحب ، فلما ابتدأ الصراع والحرب نقل أحداثها الى أقصى الأرض ، الى الصين ومنغوليا حتى يبتعد به عن بلاد المسلمين والعالم الاسلامى لأنه لو كان ادار هذه الحروب بين المسلمين فى قصته فلربما أثار من العداوة بين أقطارها وحكامها ما كان حريا أن يؤدى الى اهدار دمه أو قتله ولكنه جعل القصة بأبطالها تمثـل العالم الاسلامى كله بأسماء أبطالها وأشخاصها فنجد فيها الأسماء العربية مثل سعد وزيد وقايم وصابر وقطران وطرمشة(٣) ٠ والأسماء الفارسية مثل خورشيد شاه وفرخ روز ومهران وماه برى ودل افروز ، والتركية مثل سنجر وقزل ملك وقيماز وقاورد وغيرها ٠

---

(١) قامت الحضارة الأكدية فى العراق سنة ٢٣٧٠ ق٠م٠

(٢) سمك جـ ١ المقدمة ص ٦ ٠

(٣) طرمشة أى الأسود الحالك السواد ٠

وإذا كانت بعض صيغ القسم قد جاءت على شاكلة القسم عند الفرس قبل الاسلام فهذا ما اقتضته الحبكة القصصية وضرورة التوافق الزمني ، فلا يعقل أن تكون القصة قد حدثت قبل الاسلام كما أراد الراوي والكاتب ثم تأتي صيغ القسم اسلامية عربية والا كان هذا تناقضا ظاهرا مع زمن القصة ، ولا يجب أن تؤخذ صيغ القسم هذه دليلا على أن القصة ترجع الى أصل بهلوي أو فارسي قديم حتى مع وجود بعض الأسماء أيضا التي قد تكون من الأسماء الفارسية القديمة محافظة على هذا الشكل والتوافق الزمني • ومع كل هذا نرى في رسالة خورشيد شاه لوالده استعمال كلمة « الله » صراحة حيث يقول « الله يجب ألا تقصر في ارسال الجيش والسلام» •

أهميــة القصـــة (١) :

تعكس هذه القصة صورة الحياة الاجتماعية في ذلك العصر وخاصة وضع العيارين والفتيان ومبادئهم وأخلاقهم وأسلحتهم وكل ما يتعلق بهم مما قد لا نجده في غيره من الكتب مما يجعل هذه القصة دراسة وافية عن العيارين •

ولما كانت أحداث القصة قد مست كل طبقات المجتمع تقريبا فانها تفيدنا كثيرا في الوقوف على الحيـاة الاجتماعية في القرن السادس ، فنرى الملوك وديوانهم وتقاليدهم ورسومهم سواء في خلوتهم أو مجالسهم العامة أو لقاءاتهم الخاصة وفي ساحات الحرب أو في جلسات الطرب • كما نرى الوزراء ومؤامراتهم ودسائسهم في سبيل بقائهم ومصالحهم الشخصية • ونرى العلماء والأطباء والتجار والقواد والجنـود والسفراء والجواسيس وكل طبقـات النـاس على مختلف أشكالهم وألوانهـم في حياتهم الخاصة والعامة •

ونرى الحروب وكيف كانت تجري أو تدور ونرى نزال الأبطـال وتقارعهم بالسيوف وتراشقهم بالسـهام وكرهم وفرهم ، ونرى ملابسهم وسلاحهم وخيلهم وسروجها ودروعها •

كما نرى النساء وملابسهن وزينتهن • ونشـاهد المدن وأسوارها وأبراجها، والقصور والبيوت والسرادقات ، والسجون والقلاع ومستحفظيها وتقاليدها •

مع كل هذا فان أروع ما في هذه القصة هو ما تنطوي عليه من مكارم الأخلاق ، فلا نجد كلمة خارجة ، ولا لفظة نابية جارحة ، ولا نحس تهتكا

---

(١) سمك ج ١ ص ١١٩ •

ولا خروجا عن عرف أو عادة ، بل ان كل تصرفات أبطال القصة تحكمها مبادىء الفتوة وتقاليد الفتيان من نجدة وشجاعة وبطولة وسماحة وكرم ومروءة وفداء ٠

وقد استطاع الراوى والكاتب أن يتنقلا بنا فى كل مدينة أو ولاية ، ومع كل حدث أو حكاية كأننا نعيش معهما ونشاهد ما يرويانه فلم يهملا أقل أشارة ولم يفتهما توضيح أى أمر بالتصريح ، أو الكناية ، وأنت حيثما ذهبا أو تحدثا ووصفا تشعر كأنك شريك فيما يحدث تشاهد ما يجرى وهذا ما جعل القصة تشد القارىء شدا وتجذبه اليها جذبا فيصبح شريكا فى أحداثها يريد أن يمضى بها الى غاياتها ٠

ولكن من المؤسف المحزن أن هذه القصة الفريدة فى لونها ، الوحيدة فى بابها لم يعثر لها الا على نسخة مخطوطة واحدة فى ثلاثة مجلدات فى مكتبة بادليان فى اكسفورد وضاع بقيتها أو لم يعثر عليه للآن ونرجو أن يعثر عليه حتى تكتمل هذه الرائعة الاسلامية ٠

وليت النسخة الموجودة كانت كاملة الا أنه للأسف أيضا فان بها نقصا كبيرا بين الجزءين الثانى والثالث أدى الى انقطاع تسلسل القصة ونقص أحداثها ولكن أستاذنا الدكتور برويز خانلرى الذى نشر الأصل الفارسى أكمل هذا النقص عن طريق الترجمة من النسخة التركية المحفوظة فى المتحف البريطانى والتى ضاعت ولم يبق من أجزائها الا هذا المجلد الثانى الذى أكمل منه نقص النسخة الفارسية وبهذا اكتملت هذه الأجزاء الثلاثة الموجودة ٠

ومع ان نهاية القصة أو بقيتها مفقود الا أن المجلدات الثلاثة للمخطوطة قد طبعت فى خمسة مجلدات باللغة الفارسية تقع فى نحو ألفين وستمائة صفحة وهى تعطى للقارىء متعة لا حدود لها ولذة لن يجدها فى غيرها ولن يشعر بفتور أو ضيق رغم طولها ولكنه سوف يشعر بالأسى والأسف حين يصل الى آخر الكتاب ولا يجد نهاية القصة وتنقطع صلته بهؤلاء الأبطال الذين عاش معهم هذه الأيام الطويلة التى استغرقها فى القراءة ولا يعرف ماذا انتهى اليه أمرهم أو ماذا فعلت الأيام بهم ٠ وربما شاركنى الشعور بالحزن العميق على اهمالنا فى المحافظة على تراثنا وتقصيرنا فى الابقاء عليه حتى سرق منه ما سرق وضاع ما ضاع وهو أضعاف ما تبقى فى أيدينا ٠

وقد قمت بترجمة هذه القصة الى العربية حتى أكون قد ساهمت فى نشر جزء من التراث الاسلامى بين من لا يمكنهم قراءة القصة فى لغتها الأصلية الفارسية وقد راعيت فى الترجمة الالتزام بالنص الفارسى قدر الامكان ، ولكنى اضطررت الى تعريب كثير من الأسماء الفارسية حتى

لا يشعر القارىء العربى بغرابة هذه الأسماء أو بنبوة فى الكلمات اذا طرق سمعه اسم غريب أو معنى بعيد ، فترجمت آتشك مثلا الى مرادفه العربى وهو لهيب وهو اسم شائع فى العراق الآن وكذلك مهرك الى حبيب وزيرك الى ذكى آهو كير أى قانص الغزال الى قانص فقط ، وشه مير أى ملك الموت الى فاتك حتى اتجنب الأسماء المركبة ما استطعت الى ذلك سبيلا •

ومع هذا فقد أبقيت على بعض أسماء وجدت الأبقاء عليها مع أنها فارسية الا انها شائعة فى العربية مثل خورشيد وفيروز وسنجر وغيرها كما تركت بعض الأسماء التى لم تتكرر الا مرة أو مرتين على حالها لعدم أهميتها •

أما بطلة القصة وهى ماه برى فلا أدرى لماذا أبقيت على اسمها دون تعريب مع انه على سمع العربى غريب ، ربما كان لأننى عايشتها طيلة الترجمة فأصبحت قريبة منى عزيزة على ، وربما لأن رنين اسمها ومعناه لم أجد له مرادفا يحمل نفس رنينه ومعناه ، فترجمته الحرفية « القمر الملاك » ولهذا تركت هذا الاسم على حاله وأرجو أن يأنس له القارىء العربى ويتقبله بعد فترة من القراءة كما تقبل اسم شهرزاد بطلة قصة ألف ليلة وليلة •

والقصة أصلا تخلو من أى عناوين لأبواب أو فصول وقد رأيت أن أضع بعض العناوين لتشير الى الأحداث التى تجرى لتشوق القارىء ويستهدى بها أثناء قراءته للقصة •

أما القصة نفسها فتدور حول خورشيد شاه ، ابن ملك حلب ، الذى أوقعته ساحرة كانت تقوم بتربية الأميرة ماه برى بنت ملك الصين ووحيدته ــ فى حب تلك الأميرة • ولهذا ذهب الى الصين لخطبتها والزواج منها ولكن المشاكل والمصاعب أخذت تواجهه فالتجأ الى العيارين الذين كان أبرزهم سمك العيار واستعان بهم ليصل الى الأميرة وكان كلما اقترب منها أو كاد ابعدته الأحداث والأعداء حتى قامت الحرب بين ملك الصين وملك منغوليا ودخل خورشيد شاه طرفا فيها وتستمر الأحداث ولا يكاد العيارون يحلون اشكالا أو يتخطون عقبة حتى يجدوا أنفسهم أمام صعوبة جديدة ومشكلة معقدة وهكذا تستمر الأحداث وننتقل مع الأمير والعيارين من حفل خطوبة الى وليمة غدر ، ومن مجلس طرب فى قصر الملك الى مشهد حرب فى ساحة قتال ، ومن حدائق غناء الى صحارى وقلاع تناطح السماء ، كل هذا والجميع يتابعون الأميرة ويتعقبونها حيثما ذهبت وأينما خطفت لكى يجمعوا شملها على الأمير المتيم بها •

وقد اقترح بعض الزملاء الأفاضل تغيير الاسم الأصلى للقصة وهو « سمك العيار » الى « أسطورة ماه برى » لان الاسم الأصلى قد يختلط على البعض فيظن الكتاب فى طهى السمك أو تربيته • وقد نزلت عند رغبتهم شاكرا لهم كريم لفتتهم •

كما أضفت للترجمة كثيرا من الهوامش لشرح كلمات عربية مهجورة اضطررت للبحث عنها واستخدامها بدلا من التحايل على الترجمة ، فمثلا كلمـــة « الوهق » وهو الحبل الذى كان يستعمل فى الصيد والحرب والتسلق والذى ما زلنا نشاهده فى أفلام رعاة البقر الأمريكيين استغرق البحث عنها نحو عام ، وقد سألت عنها أساتذة فضلاء فلم يهتدوا اليها الى أن دلنى عليها زميل عراقى ووجدت أنها وردت فى شعر عربى تضمينا لبيت شعر للمتنبى يقول :

فالطرف والقوس والأوهاق تشهد لى
والسيف والنرد والشـــطرنج والقـــلم

ومثل كلمة « الجرموق » وهو الحذاء ذو الرقبة الطويلة ، وهو ما يطلق عليه اليوم « البوت » • ومثل كلمة مطمورة بدلا من كلمة سرداب الفارسية وغيرها كثير •

وأنا اذ أقدم الجزء الأول من هذه الأسطورة الطويلة ، أرجو من الله أن أكون قد وفقت فى نقل هذا العمل الأدبى الرائع الى قراء العربية خدمة للثقافة الاسلامية المتعددة اللغات ، الواحدة المنبع والمنهل ، وهو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة •

وأنتهز هــذ الفرصـــة لأقدم جزيل الشـــكر للزميلين الدكتــور سمير سرحان رئيس الهيئة العامة للكتاب ، والدكتــور محمد عنانى على تفضلهما بالموافقة على طبع هذا الأثر ضمن مطبوعات الهيئة العامة للكتاب• كما أشكر باخلاص كل العاملين بالهيئة الذين وجدت منهم كل عون فى طبع الكتاب واخراجه على هذه الصورة الجميلة •

د• محمد فتحى يوسف الريس

سـمك العيـار

يقول فرامرز جامع هذا الكتاب أنه حينما بلغت من العمر خمسا وعشرين سنة ، سمعت أنه قبل الرسول عليه الصلاة والسلام بألفين وثلاثمائة وسبعين عاما ، كان فى مدينة حلب ملك ذو كمال واقبال ، ورعية مطيعة وجنود كثيرة ، وثروة واسعة وطالع قوى وحظ سوى ، وكان أسم ذلك الملك ذى السعادة والجاه هو مرزبان شاه ، وكان عظيما فى كل أمر كاملا فى كل شأن وكان له وزير اسمه هامان خدم مرزبان شاه لسنوات طوال حتى هرم فى خدمته ، وقد حظى مرزبان شاه فى ملكه بكل ما تمناه الا أنه لم يحظ بولد تقر به عيناه ، وكان كل يوم يدعو الله أن ينعم عليه بولد ويتضرع اليه بالدعوات وبذل الخيرات لعل الله يرزقه بغلام يحمل اسمه ويبقى له ذكره ، وكان يتصدق فى الخفاء والعلن ، ويجيب حاجات المساكين ويتقرب للدراويش والمعوزين .

وفى يوم من الأيام بينما كان مرزبان شاه يجلس حزينا مهموما ، دخل عليه هامان ، فحيا وسلم ، وحين رأى الملك حزينا أخذ يتكلم فقال « أيها الملك العظيم ، ان الدنيا لك والسعادة بين يديك ، وكنوزك وافرة ورعيتك طائعة فلماذا هذا الحزن والقلق والدنيا كلها ليس بها عدو لك حتى ينشغل به فؤادك ويحزن قلبك » ؟

قال الملك « ايها الوزير الرحيم ، ان كل ما قلته حق ولكن انقطاع الذرية بؤس ، اذ حين ينتهى الأجل ، ولا يوجد لى ولد يحفظ مكانى ويمد سلطانى ، فان الغرباء سوف يستولون عليه ويزول اسـمى ولا يبقى ذكرى » .

قال الوزير « ما ذكره الملك صحيح ، فمن لا ولد له ولا ذكرى له وسوف يختفى اسمه فى الثرى ، ولن يقول أحد انه كان ملكا فى يوم من الأيام الا أن يكون له خلف يأخذ مكانه ويحيى ذكره ، ومع كل هذا فالأولاد هبة الله ولا سبيل لذلك الا الدعاء والضراعة حتى يرزقك الله بولد . قال مرزبان شاه هذا صحيح ولكن عليك أن تنظر فى طالعى وتحسب البروج

وتأثير النجوم وترى هل سيكون لى أولاد قط حتى يطمئن قلبى ويستريح فؤادى » ٠

صـــدق المنجمـــون :

قال هامان الوزير « سمعا وطاعة » ٠ ثم نهض وخرج من مجلس مرزبان شاه ، وذهب الى ديوانه وانشغل بمهامه وأعمل فكره ثم أخذ اسطرلابه (١) فى يده وخرج الى الشمس فأخذ ارتفاعها فى تلك الساعة ، وبعلمه ومعرفته بالنجوم نظر فى درجات الفلك المقسمة الى ٣٦٠ درجـة فرأى درجة المولود فى الطالع الثالث ، فبلغ بهذا مقصوده ووقف على ما يريده ، ونهض وذهب الى مجلس الملك الذى فرح حين رآه يعود اليه والبسمة على شفتيه ٠

حيا الوزير وسلم ثم قال « أيها الملك العظيم لقد بذلت ما فى طاقتى واستخرجت ما فى جعبتى من معرفة بعلم الفلك ، وأخذت طالع الملك ، واتضح لى أن الملك سوف يرزق بولد سعيد موفق ، ولكن من المفارقات أن أمه لن تكون من هذه الولاية بل ستكون من العراق ، وظهر لى من الحساب أنها أرملة سبق لها الزواج ٠

فرح الملك بهذا الخبر وقال « ابحث لى عن ذلك الملك الذى تعيش فى خدره هذه الزوجة التى تتفق أوصافها مع ما رأيت حتى أبعث فى خطبتها كى يتحقق أملى ورجائى » ٠

قال هامان الوزير « سمعا وطاعة سوف أتابع هذا الأمر وأرى ما يحدث فى السر » ٠

يقولون بعد ذلك أنه كان فى العراق ملك اسمه « سمارق » وكانت له بنت اسمها جلنار كانت قد تزوجت وأنجبت ولدا اسمه « فرخ روز » وقد توفى والده فتحقق هامان الوزير من كل هذه الأمور وجاء الى مجلس الملك وأخبره بكل ما علم ٠

قال مرزبان شاه « أيها الوزير هيىء مالا كثيرا لمهر الفتاة وأعد العدة لخطبتها ، وأمر فى الحال بفتح الخزائن وأخرج مائة صرة فى كل صرة ألف دينار وعشرة عقود فى كل عقد ألف حبة لؤلؤ وزنها مثقال ولا أحد غير الله يعلم ما تساويه من مال ، وتاجا مرصـــعا ومائة ثوب مختلفة الألوان ، كما اختار خمسين خادما ، ثم استدعى أحد أقاربه واسمه جمهور ، وسلمه هذه الأمور وقال له « اذهب بهذه الأموال الى الملك سمارق فى العراق واخطب ابنته لتكون زوجة لى ولكن عليك بالاسراع فى الذهاب والترحال »٠

(١) الأسطرلاب آلة كانت تستخدم فى معرفة البروج والفصول ٠

قال جمهور « سمعا وطاعة » .

وأمر الملك وزيره هامان فكتب رسالة الى الملك سمارق افتتحها بذكر الخالق ثم عرض الخطوبة وكانت كما يلى :

« بسم الله العلام ، هذه الرسالة منى أنا مرزبان شاه الى الملك سمارق ملك كل العراق فلتعلم وتثق أنه من زمن آبائنا الى وقتنا هذا لم ننشغل بغير العلم ، وقد تبين لنا أن للملك العظيم فى خدره أميرة ، وقد رغبنا فى وصالها لعل الله يرزقنا منها بغلام لأننى عشت فى هذه الدنيا دون وريث فلعلها تأتينى بولد يكون من بعدى معروفا مشهورا وأنا على يقين أن الملك العظيم لن يحرمنى من هذا الأمل . وقد علمت أن ابنتك لديها ولد وحتى لا تفكر فى الأمر فلترسله معها حتى لا يحرم من أمه وسوف يكون لدينا عزيزا كريما ولا تقصر فى هذا الأمر ، فاذا جاءكم جمهور فان رضاه من رضانا ، وكل ما يفعله فكأننا فعلناه ، ولقد أرسلت شيئا بسيطا الى اعتابكم العالية فأرجو أن تعذرونى بكرمكم والسلام » .

جاء هامان بالرسالة الى الملك وقرأها عليه فشكره مرزبانشاه وختم الرسالة بخاتمه وطلب جمهور وسلمها له . وفى يوم مختار خرج جمهور من المدينة فى الف فارس حاملا تلك الأموال والرسالة وتوجه الى العراق فلما اقترب منها أخبروا الملك سمارق أن رسولا سوف يصل من حلب ، فتعجب الملك سمارق وقال لنفسه ما عساه أن يكون اذ ليس بيننا وبينهم رسل أو رسائل أبدا ولا أعرف لمجيء هذا الرسول سببا .

ظل سمارق فى هذا التفكير حتى استقبلوا كوكبة الفرسان وأدخلوا جمهور الى المدينة فى أحسن استقبال قدموا لهم الطعام وما يلزمهم من النفقات فى الحال ، فلما استراح جمهور من تعب الطريق كان الملك سمارق قد أعد مجلسه وأرسل حاجبا استدعى جمهور للقائه .

حين دخل جمهور ووقف أمام العرش ، أدى التحية ، وقبل الأرض ومدح الملك وأثنى عليه فأشار الملك اليه فأجلسوه على كرسى ذهبى ، وفى الحال جاء الساقى بأطباق الذهب والفضة المغطاه بأغطية من الاطلس ثم ملأ قدحا بماء الورد (١) ورشف منه رشفة وقدمه للملك ثم قدم ماء الورد للجميع فشربوا ، وأتى قيم الطعام ومدوا الموائد فتناولوا ما لذ لهم وطاب .

(١) مازال العراقيون للآن يقدمون الماء كأول تحية للقادم ولعل هذا يرجع لشدة الحر .

بعد ذلك وقف جمهور وأدى التحية وقال أيها الملك العظيم ، قبل أن يثقل الشراب رؤوسنا فاننى كمبعوث لمرزبان شاه استأذن فى عرض مهمتى ٠

قال الملك سمارق هذا من الأفضل ٠ ولم يكن يعرف لماذا قدم جمهور عندئذ طلب جمهور تلك الأموال وعرضها وطلب المعذرة لقلتها ثم أخرج الرسالة وقبلها ووضعها بجانب العرش ٠

لما رأى الملك سمارق هذه الأموال الوفيرة فرح وذهب عنه الغم وأدرك أن وراءه خيرا قد عم ، وكان لسمارق وزير اسمه شروان أخذ الرسالة وفض أختامها وقرأ ما بها وأعلم الملك بمضمونها فلما وقف الملك عليه سعد لزواج ابنته من مرزبان شاه ، وفى الحال أمر باستدعاء العظماء والقضاة وأعيان الرجال وعقد لابنته على مرزبان شاه طبقا لرسومهم ، ثم سلمها الى وكيله جمهور وقال له هل يوجد من لا يفرح بمصاهرة مرزبان شاه ؟ لقد أتممت العقد بسرعة حتى لا يقول أن الأمر كان به أدنى تفكير ٠ بعد ذلك شربوا الشراب على سعادة ذلك اليوم وبذلوا الأموال للخاص والعام حتى انقضت تلك الليلة ٠

فى اليوم التالى أمر الملك سمارق باعداد جمهور للسفر وجمع له من الأموال مالم يتخيله بشر ، وأمر له بخلعة سنية وكذلك لكل من كان معه فى المعية ٠ وماذا أقول فيما أرسل ؟ فقد أرسل للعريس تاجا مرصعا من الجوهر وخاتما نفيسا ، ومائة غلام ذى بهاء ومائة جارية حسناء ومائة خادم أبيض ومائة فرس مطهم ثم قال لوزيره شروان يجب أن تذهب نيابة عنى لتعتذر باسمى ولقد سلمتك ابنتى وديعة لديك لتسلمها بدورك اليه وعليك أن تسرع فى الذهاب والعودة ٠

قال شروان الوزير سمعا وطاعة ٠ وأعدوا العدة وبدأوا الرحلة بعد ثلاثة أيام ٠ فلما بلغ مرزبان شاه أن الملك سمارق بعث وزيره وابنته الأميرة وأنهما سوف يصلان بعد مدة قصيرة ، أمر وزيره هامان وجميع جيشه خاصتهم وعامتهم بالاستعداد لاستقبالهم وخرج المنادون فى المدينة يدعون لتزيينها كلها وجلس المغنون والمطربون فى كل مكان يرددون أرق الأغانى وأعذب الألحان وأصبحت المدينة كالجنة من البهجة والفرحة وكثرة الألوان والزينة ٠

استقبال العروس :

حين خرج هامان الوزير على مقدمة الجيش تبعته أربعون محفة مزينة بالجواهر مع مائتى خادم أبيض ومائة جارية ٠ فلما التقوا بجلنار أجلسوها

فى المحفة الخاصة بها وأتوا بها المدينة فى موكب مهيب وقد نثر عليها الجميع مالا يمكن وصفه الى أن وصلت العروس الى قصرها الخاص بها • أما شروان فقد توجه مع هامان الى مجلس الملك لتحيته ، وحين رأى مرزبان شاه قبل الأرض بين يديه وأبلغه بتحية الملك سمارق اليه واعتذر نيابة عنه فأثنى مرزبان عليه وقربه اليه وأجلسه بالقرب منه وتطرق الحديث بينهما الى مختلف الأمور والأحوال الى أن أشار شروان فأدخلوا تلك الأموال فعرضها على مرزبان شاه ثم قال أيها الملك العظيم ، أنا رسول الملك سمارق وافقت ابنته اليك ومع أننا عقدنا عليها الا أننا سنعقد عليها مرة أخرى فى حضوركم لأننى أرسلت لهذا الغرض •

قال مرزبان شاه من الخير أن ننجز هذا الأمر غدا لأن الوقت قد تأخر وأنت قادم من السفر وفى حاجة للراحة ، عندئذ حياه شروان وخرج من مجلسه لكى يستريح •

فى اليوم التالى قام هامان الوزير بدعوة القضاة والفضلاء ثم استدعى شروان الوزير وعقدوا عقدا جديدا لمرزبان شاه على جلنار ونثر كل الأبطال عليها وقضى الجميع خاصتهم وعامتهم أسبوعا فى سرور وفرح الى أن استراحت جلنار من عناء السفر وتعب الطريق •

بعد هذا أبدت الماشطات مهارتهن وأخرجن ما فى جعبتهن فى تزيين جلنار استعدادا لليلة الزفاف ، ودخل مرزبان شاه مع وزيره هامان وشروان الوزير الى حيث كانت تقيم جلنار وحين رأتهم أخفت وجهها بيديها ولكن الماشطات أبعدنهما وأظهرن وجهها للملك فأعجب بها ثم تقدم شروان الوزير وأخذ يد جلنار ووضعها فى يد الملك وتركهما معا وخرج مع هامان ، فقضى مرزبان شاه معها ساعة مباركة • وكان من تقدير الله أن حملت جلنار فى تلك الليلة ولكنهما لم يعلما •

فى اليوم التالى جلس مرزبان شاه على عرشه وجاء لتحيته أبطال جيشه ، فخلع الملك عليهم جميعا كما خلع على شروان خلعة ثمينة ارتداها ثم قال ، أيها الملك العظيم ، اسمح لى بالعودة لأن الملك سمارق لم يسمح لى بالبقاء كل هذه المدة ، ومع أن الوطن واحد وأنا سعيد فى خدمتكم ولكن من الواجب أن أعود لأننى أرعى مملكة الملك سمارق •

أمر مرزبان شاه بصنع خلعة فاخرة للملك سمارق وأعدوا أموالا وفيرة سلموها الى شروان وأعادوه الى وطنه ، وقد خرج معه مرزبان شاه لتوديعه وسار معه نحو فرسخ (١) فتوقف شروان وقال أيها الملك العظيم

---

(١) الفرسخ حوالى ٦٫٢٥ كيلو متر •

تفضل بالعودة • فعاد مرزبان شاه بعد أن قال لشروان أبلغ سلامى الى والدى وقل له يتفضل بارسال فرخ روز •

سار شروان الوزير فى طريقه وعاد مرزبان شاه الى مجلسه وأخذ يعمل ليل نهار فى نشر العدل واحقاق الحق وكان فى كل أسبوع يعقد اجتماعين يحضرهما أمراء الدولة • ينظم فيها أمور الرعية ، وبعد شهرين شعرت جلنار بالحمل ونقل القائمون على القصر الخاص هذا الأمر الى الملك ففرح فرحا عظيما • وفتح أبواب خزائنه ووزع على الفقراء أموالا كثيرة ، وبعد أن انقضت تسعة أشهر على الزواج ، وعند شروق الشمس ذات يوم شعرت جلنار بآلام الوضع ، فحملوا الخبر الى مرزبان شاه الذى أمر باحضار المنجمين والحكماء ، كما أمر بوضع طشت ذهبى فى حجرة الميلاد مع اعطاء عصى من الفضة لكل من الموجودات بغرفة جلنار حتى اذا ولد الطفل دقوا بالعصى الفضية على الطشت الذهبى ليصل الصوت الى الحكماء فيأخذون طالع المولود • وعلى هذا النحو وفى وسط هذه الزينة وضعت جلنار حملها فاذا هو غلام فى جمال مائة ألف حسناء وأخذ المنجمون طالعه • وعلى الفور جاءت الداية ولفت الأمير فى القماط وقدمته للملك ، وفى هذه اللحظة التى وضعت فيها الطفل الجميل بجوار أبيه أشرقت الشمس على جبينه ، فنظر الملك الى الشمس وأطلق على ابنه اسم « خورشيد شاه » (١) وقبله قبلة حب وحنان وعناية وأعاده الى الداية ، ثم أمر بفتح الخزائن وتصدق بمال طائل كما أمر بمناد سار فى المدينة يعلن للناس اسقاط الخراج عن كل المملكة لمدة سنة تيمنا بهذه المناسبة ، فامتلأت المدينة بالزينة وأعدت الموائد فى القصر طيلة شهر لتقديم الحلوى لكل أفراد الشعب •

نعود الى شروان الوزير ، فهو عندما غادر حلب ومرزبان شاه ، ووصل الى العراق ومعه هذه الأموال الطائلة ذهب الى الملك سمارق وروى له كل ما حدث وقدم الخلعة والمال اليه فارتدى سمارق الخلعة وسر بها سرورا عظيما •

بعد شهرين قال شروان الوزير ، أيها الملك القدير يجب أن ترسل فرخ روز الى حلب ، وكان من تقدير الحق تعالى أنه حينما وصل فرخ روز الى حلب كان قد مضى أسبوع على مولد خورشيد شاه ، وكانت المدينة فى أجمل زينة والموائد موضوعة ، فحملوه الى مرزبان شاه وكان عمره عامين فأخذه الملك فى أحضانه بحنان الابوة ونظر اليه فاذا الشبه بينه وبين خورشيد شاه كاملا لا يستطيع أحد أن يفرق بينهما لولا أن خورشيد شاه

---

(١) آثرت أن أترك الاسم دون تعريب ومعناه شمس الملك •

كان رضيعا لا يتكلم بينما كان فرخ روز صغيرا يتحدث فحمد مرزبان شاه الله وأثنى عليه · ولما كان خورشيد شاه فى رعاية مربية اسمها سمن تقوم على تربيته فقد وضع معه فرخ روز ليكبرا معا ويشبا سويا ·

نابغـــة صـــغير :

حين بلغ خورشيد شاه الرابعة من عمره أصبح لا يمكن وصفه ، فأحضر له مرزبان شاه الأدباء ليؤدبوه ، فسهروا عليه الليالى · وكان خورشيد شاه ذا استعداد وذكاء بحيث كان ما يقوله الأديب مرة واحدة لا يحتاج الى تكراره مرة ثانية ، وقد تعجب المعلم من أن فرخ روز كان يتعلم نفس الشيء ولكن ليس بنفس الدرجة من الذكاء والوعى ، وقد بلغ من تفوق خورشيد شاه أن تلقى العلم عن أربعة أدباء مرة واحدة ، وتعلم الخط وقراءة الكتب وحل كل مسألة صعبة فى العلم ، وكان يقرأ ما يلزم الملوك ويحتاجون اليه حتى بلغ العاشرة ، فكان اذا ناقش أى أديب تفوق عليه ، فأمر مرزبان شاه أن يحضروا له أساتذة ذوى علم ليعلموه أصول القتال ، فتعلم الفروسية والصولجان والرمح والقوس والسهم والعامود والوهق والترس والمصارعة والملاعبة حتى أصبح قمة فيها كلها ·

وحين بلغ خورشيد شاه الرابعة عشرة من عمره أصبح جماله فتنة للناس حتى أنه عندما كان يمر فى السوق كان مائة ألف من النســاء والرجال يقفون فوق الأسطح وعلى الأبواب لينظروا اليه ويشاهدوا هيبته ويجتلوا طلعته ، حتى خاف مرزبان شاه من الحسد فأمر أن يضع خورشيد شاه نقابا على وجه اذا سار فى المدينة أو خرج ·

الأمير مطربـــا :

لما كان الأمير قد أصبح استاذا فى كل علم وفن ، فقد رغب فى تعلم الغناء والموسيقى والطرب ، مثل الكمان والدف والربابة والناى والبربط والعود وما شابهها ، فاستأذن والده قائلا ، يا والدى أريد أن أتعلم وسائل الطرب · ولأن مرزبان شاه كان يحبه اذ لم يكن له ولد سواه وبنت اسمها قمر الملك وأراد ألا يسبب له حزنا فقد قال له ، يا روح أبيك أنت حر فى تعلم ما تريد · فاستدعى خورشيد شاه أساتذة المطربين وأخذ يتعلم الطرب حتى أجاد فنونه جميعا ·

كان لخورشيد شاه صوت كأنه لحن داود ومع هذا كان يتغنى بأغانى العشاق فيذكر أحوالهم ويترنم بقصصهم ويتهكم عليهم ويتساءل كل يوم كيف يعشق الانسان ؟ فلما انقضت مدة على هذا أصبح الأمير حديث الدنيا

كلها ولكنه كان يفضل الصيد على كل الفنون التى تعلمها وكان يستأذن أباه ليخرج عشرة أيام أو أسبوع أو أقل للصيد أو لمشاهدته •

الأمير الصـــياد :

كان من ارادة الله أن ذهب الأمير الى أبيه ذات يوم وأدى التحية الواجبة وقال ، أبى العظيم ، أريد أن تأذن لى فى الخروج للصيد والبقاء فى الفلاة والجبل لمدة أسبوع • فاحتضنه أبوه وقرأ عليه اسم الخالق وقال له « يا روح أبيك أنت تعرف رأيى » ، فلما حصل بهذا على الأذن عاد خورشيد شاه الى القصر حيث تقيم أمه وأخته ليعد للخروج للصيد • أما مرزبان شاه فقد أرسل معه اثنين من الأبطال ليكونا فى خدمته أحدهما اسمه عليان والثانى طيار ووضع تحت أمرتهما خمسة آلاف فارس ، وخرجوا وضربوا خيامهم خارج المدينة •

كان خورشيد شاه فى ذلك الوقت فى السابعة عشرة من عمره وكان يحمل معه أدوات كثيرة مما يحتاج لها فى الصيد مثل البازى والصقور والفهود والكلاب والعجلات وما الى ذلك كثير أمر باخراجها جميعا ، كما طلب قفازات (١) وأصابع مما يلبس أثناء الصيد بالصقور ، أما الصقر الذى اختاره فكان صقرا أبيض كالكافور يندر أن يوجد مثله فى قرن من الزمان وكان يأخذه معه باستمرار كلما خرج للصيد وقد وضعه على يده ، وصحب معه أخاه فرخ روز وتوجها الى مكان الصيد وتبعهما غلمانهما وفرسانهما فاصطادوا كل ما وجدوه ذلك اليوم وأرسلوه الى المدينة •

فى تلك الليلة شرب مع خاصته حتى أشرقت شمس اليوم التالى فطلب صقره وصحب أخاه فرخ روز واتجه وجيشه الى الجبل لبدء الصيد فسد الفرسان الطرق والمسالك ثم أمر خورشيد شاه باطلاق الفهود والكلاب فاصطاد الفرسان بسهامهم كثيرا ، وأمر خورشيد شاه أن يحمل كل الصيد الى مجلس مرزبان شاه • ولما جن الليل شربوا أيضا حتى أضاء النهار فانشغلوا مرة أخرى بالصيد وكانوا يرسلون كل ما يصطادونه الى المدينة حتى انتهى الأسبوع •

وذات يوم خرج الأمير مع جيشه عند الفجر للنزهة • فرأى خميلة جميلة فقال لرفاقه لن نصطاد هذا اليوم بل ننزل هنا ونقضى النهار فى اللهو ، فنزل الجيش وأخذ فى اقامة الخيام ونصب الجند سرادقا للأمير الذى قال لهم الى أن تنتهوا من هذا العمل فاننى سأتنزه ساعة فى هذه

---

(١) القفاز : الكيس من الادم (الجلد) الذى يجعله الرجل على يده تحت رجلى الصقر •

الخميلة دون جلبة أو ضوضاء فاذا وجدت شيئا اصطدته • فقال الأبطال ليفعل الأمير ما يشاء •

عندئذ طلب خورشيد شاه وفرخ روز صقرين من حارس الصقور وضعاهما على يديهما وانطلقا يعدون مع بعض الخاصة فقضى الأمير وقتا فى التنزه والمرح والسعادة واصطاد كل ما عثر عليه بواسطة الصقور والفهود ، كما اصطاد بسهامه كثيرا ، فلما انقضى بعض اليوم عاد الى جيشه ولما استراح أمر قيم الطعام فمدوا الموائد وتناولوا طعامهم ، فلما فرغوا منه شرعوا فى تناول الشراب وكان الأمير ينظر الى الصحراء فاذا بغبار يتصاعد أمامهم ويخرج منه حمار وحشى حين رآه خورشيد شاه قال لفرخ روز أرع أنت هذا المكان وسوف أحاول صيد هذا الحمار •

حمار يتغلب على الأمير :

قال هذا ثم نهض وكان على باب الخيمة فرس مربوط فشد عليه آلته ثم اعتلى صهوته وانطلق صوب الحمار الوحشى فلما اقترب منه رآه حمارا أبيض كالفضة وقد امتد خط أسود من بين أذنيه حتى نهاية رأسه وخط آخر من بداية الظهر حتى نهايته كما لو كان نقاشو العالم قد اجتمعوا وخططوه ، فتعجب الأمير منه وسر من منظره وأراد أن يتقدم ليصطاده بوهقة (١) فاذا بالنوص (٢) يتجه ناحية لجام فرس الأمير ويرفع رأسه ثم ينطلق عائدا ، فلما رأى الأمير أن الحمار قد عاد ضرب فرسه بالسوط وأخذ الوهق الذى كان معلقا بقربوص السرج وجعله كالحلقة وألقاه عليه واذا بالحمار الوحشى يفتح يديه ورجليه كما لو كان مدربا عليه وبهذا تخلص من حلقة الوهق • فتعجب الأمير وتناول قوسه ووضع فيه سهما وأطلقه فانحرف الفرأ ناحية اليسار وأخطأه السهم ، فعدى الأمير بفرسه وأخذ يطلق سهامه فلم يلحق بالحمار الوحشى ولم تصبه السهام ولا القسى وظل هكذا حتى حل الظلام واختفى الحمار الوحشى عن الانظار فنزل الأمير عن فرسه وقال آسفا على هذا الصيد الذى ضاع منى ، وحين أراد العودة ضل الطريق فقال لنفسه يجب البقاء فى هذا المكان حتى يطلع النهار وأتمكن من العودة الى الجيش •

قال هذا ونزل عن فرسه فى وسط الصحراء وقيد الفرس وربط

---

(١) الوهق حبل كان يستعمل فى الحرب والصيد وهو ما يشاهد فى افلام رعاة البقر حاليا •

(٢) الفرأ والنوص من اسماء حمار الوحش •

لجامه فى يده ، ثم وضع الأمير جانبه على الحصى ونام الى أن أشرقت شمس اليوم التالى فنهض وتبين الطريق وجهز الفرس وامتطى صهوته وأراد أن يطلق عنانه حين رأى الفرأ يرعى فى الصحراء أمامه فقال الأمير لنفسه هل أترك هذا الصيد وأعود الى الجيش ؟ ثم تعقب الحمار حتى ارتفعت الشمس وكان ساعة يستخدم الوهق وزمنا يصوب سهامه ويعدو بفرسه خلف النوص حتى وصل الى طلع (١) صعده الحمار الوحشي ونزل فى الجانب الآخر منه واختفى فصعد الأمير خلفه ونظر فى الناحية الأخرى فلم ير أثرا للفرأ ورأى فلاة كأنها الجحيم وقد التهبت شمسها وتصاعد الغبار والدخان منها الى عنان السماء كما لو كان الانسان لم يطأها بقدمه ، وكان الرعب والهول يبدوان من تلك الصحراء حتى أن الأمير انتابه الخوف ولكنه حين دقق النظر فيها رأى خيمة على بعد نحو نصف فرسخ فتعجب وقال لنفسه كيف تنصب خيمة وحيدة فى مثل هذه الصحراء البعيدة ؟ يجب أن أرى ما بها • وانطلق بفرسه حتى اقترب من الخيمة فرآها من الاطلس الأحمر مشدودة الى أربعة وعشرين حبلا من الحرير مثبتة فى الأرض بأوتاد من الذهب يحيط بها شريط مزين بالجواهر وعلى مدخل الخيمة هلال من الذهب مرصع باللآلىء وقد اسدلت ستارة الخيمة ولا أثر للانسان حولها •

الأمير فى الشرك :

وقف الأمير أمام الخيمة متعجبا وألقى السلام فلم يتلق ردا ، فضرب الخيمة بسوطه وهو راكب فرسه ثم رفع ستارتها ونظر بداخلها فرأى حصيرا سامانيا ونطعا ووسادة ملقاه ورأى شخصا نائما بين أربع وسائد فترجل الأمير ودخل الخيمة ليرى من يكون النائم ، فلما أراد أن يتكلم اذ بالنائم يستيقظ وينهض فنظر الأمير اليه فرأى فتاة كأنها جمعت جمال مائة ألف حسناء ، أهدابها كالسهام ، أنفها كالسيف ، فمها كنصف الدينار ، وجهها كالفضة وجنتاها كالورد ، نون ذقنها (٢) مستديرة كأنها حافة كأس ، رقبتها قصيرة وتحت ذقنها مائة غبغب فوق غبغب وصدرها كأنه لوح من الفضة ، وثدياها كأنهما رمانتان وساعداها قصيران ويداها صغيرتان وقد زين ظهراهما وطليت أصابع كفاها ووضعت فى كل منها زوجا من الخواتم ، وبطنها كأنه دقيق نخل بمنخل من الحرير وخلط بزيت اللوز وصرتها كأنها علبة عطر قيم وساقاها كأنهما عمودان من العاج وسروال من

(١) الطلع كل مطمئن فى ربو أو مرتفع اذا اشرفت عليه رايت ما حوله •

(٢) نون الذقن أو نقرة الذقن الانخفاض الذى يكون فى وسطها وهو من علامات الجمال •

أفخـر الديباج وقميص من الحرير الأبيض ومسدل على رأسـها حجاب من المقصب ، وعقد مربوط حول خديها وصدرها ، وتدلت الحمائل من رقبتها وعطرت التعاويذ بالعنبر الأشهب الذى تفوح رائحته فتملأ الدنيا . وعلى هذه الصورة وبهذا الجمال وقفت الفتاة أمامه ومازال النعاس فى عينيهـا .

حين وقعت عينا الأمير عليها شعر أن قلبه قد خرج من حلقه دون ارادته وان لهيبا قد تصاعد من هامته وأظلمت الدنيا فى عينيه واحتبست أنفاسه فى رئتيه دهشة من جمال الفتاة ، فقال فى نفسه ، أيها القلب ماذا أصابك أنت الذى كنت تضحك على العاشقين ؟ ونظرت الفتاة الى الأمير ، فرأت شابا كالقمر طويلا كأنه شجرة سرو (١) ، وقد خط شاربه كأن أمهر نقاشى العالم قد رسمه وشذبه ، فلما أدركت الفتاة أنه فقد عقله وقلبه قالت أيها الشاب من أنت ومن أين أتيت وما الذى بهرك ؟

سمع الأمير صوت الفتاة تحدثه فدب النشاط فى قلبه وقال ، ياراحة القلب لقد سحرنى جمالك فقولى من تكونين بهذا الحسن والجمال فلعلك حورية أرسلها رضوان من الجنة لكى أراك أو لعلك سيدة الملائكة لأننى منذ خلقت لم أر انسانا بهذا الجمال والبهاء .

قالت الفتاة بدلال ، أيها الشاب مالك وأصلى وبلدى .

تعجب الأمير من قولها وقال لنفسه ليت الجيش كان معى فحملتها لانها ان لم تقبل المجىء معى أجبرتها على ذلك ولكن من الأفضل ألا أقدم على مثل هذا اذ ربما أتى بها أحد الى هنا ويقوم على حراستها فاذا أتى أحد فاننى سوف أختلف معه أو معهم ولكننى لا أخاف أحدا حتى ولو كانوا ألف رجل فاننى أقهرهم جميعا . وعلى هذا النحو كان يفكر ويحدث نفسه حين وقعت عيناه على اناء ذهبى مملوء بالماء تاقت نفسه الى شربة منه لأنه قضى يوما وليلة لم يذق خلالها أى شىء . فقال للفتاة ، أيها البدر المنير هل تسمحين لى بشربة ماء لأننى شديد العطش ؟ قالت الفتاة ولماذا لا تشرب ؟ ان الماء للشرب . فتقدم خورشيد شاه وتناول الاناء ووضعه على فمه ولم يكد يتم شربه حتى فقد وعيه وسقط لا يدرى شيئا عما حوله .

الأمير الضـــائع :

يقول الراوى ، ان ذلك الجيش الذى جاء معه للصيد وكان فيه أخوه فرخ روز والبطلان عليان وطيار يتناولون الشراب مع الأمير فى ذلك السرادق

---

(١) شجر السرو يضرب به المثل فى استقامة الجسم ، وجمال القد .

حين ظهر ذلك الفرأ فتركهم الأمير في مكانهم وذهب يتعقب الحمار الوحشى ليصيده وقد انتظروا عودته ولم يتناولوا أى شىء حتى يرجع خورشيد شاه ٠ واغتموا جميعا وحزنوا واستولى عليهم التفكير فى أين ذهب الأمير ؟ وأشعلوا النيران حتى اذا كان قد ضل الطريق اهتدى بنورها ، وظلوا هكذا حتى الصباح فلما لم يشاهدوا للأمير أى أثر قال البطلان عليان وطيار لفرخ روز ابق أنت هنا وسنذهب نحن للبحث عنه .قالا هذا وركبا وانطلقا فى الصحراء وتتبعا أثر فرسه حتى وصلا الى ذلك الطلع على حافة الصحراء وكانت الشمس فى كبد السماء فرأى البطلان هذا الوادى وكأنه قطعة من جهنم ورأوا فى ناحية منه فرس الأمير يتجول وشاهدوا الأمير ملقى وسط التراب والأحجار ، فخاف البطلان أن يكون الأمير قد حاول أن يصارع الحمار الوحشى فسقط من على فرسه ومات ، فأسرعا نحوه ونظرا اليه فوجداه على قيد الحياة ففرحا وترجلا عن فرسيهما وحمل أحدهما رأسه بينما ظلل الآخر عليه ، وبعد نحو ساعة استيقظ الأمير وفتح عينيه فرأى البطلين فقال : « أين راحة قلبى ؟ وأين راحت الخيمة ولماذا تركتنى فى هذا المكان وأى مكان هذا ؟ » ٠

قال البطلان ، أيها الأمير من هى راحة القلب ، وما هذا الكلام الذى تقوله ؟ لقد رأيناك ملقى على الأرض لا تعى شيئا ٠ فصاح الأمير من شدة دهشته قال ، ماذا تقولان ؟ خيمة الأطلس الأحمر ذات الشريط الأصفر وراحة قلبى التى كنت هذه اللحظة أتحدث معها فلماذا تقولان هذا الكلام ؟ أصدقانى القول أين حملتماها ؟

قال البطلان أيها الأمير ، أى خيمة وأى راحة قلب خاصة فى مثل هذا المكان ؟ حينما وجدناك فرحنا ٠ فأخذ الأمير فى البكاء قائلا يا راحة القلب أين ذهبت ؟ لقد أخذت قلبى وتركتنى وحيدا معرضا لشماته الحساد ولم تذكرى اسمك أو نسبك فأين أطلبك الآن ولمن أشتكى هذا الغم والوجد ؟ من ذا الذى يصدق هذه الحال وماذا سيقول عنى العزال ؟ لقد كنت أذم العشاق والآن سوف يتهكمون على ٠ مع من أجد السلوى وعند من أجد دواء هذا الجوى ؟ ولمن أقول سر قلبى ؟

قال البطلان ، أيها الأمير لعلك شهدتها فى النوم والا فان أحدا لن يصدق هذا الحديث ، أفى مثل هذه الفلاة التى تراها توجد فتاة بالأوصاف التى ذكرتها فى خيمة من الأطلس الأحمر ؟

واذا كانت بمفردها فأين ذهبت بهذه السرعة ؟ وأين يمكن أن تكون ؟ فلا تتحدث عن هذا وارحم نفسك فأنت أعقل الناس ، واذا كنت قد شاهدتها فى نومك فانهض لنذهب ٠

أزداد بكاء الأمير ونواحه ولم يكد يسير فى الطريق الا قليلا حتى وقع نظره على خاتم فى أصبعه ، فصاح وأخذ فى البكاء وقال أيها البطلان لم آرها فى النوم بل رأيتها فى اليقظة وهذا الخاتم لها وضعته فى اصبعى ·
فنظر عليان وطيار الى الخاتم ثم قالا ، انهض الآن لنذهب الى أبيك فى المدينة فربما أمكن العثور على دليل يرشد عن صاحبة الخاتم ·

حزموا متاعهم وركبوا جيادهم حتى وصلوا الى معسكرهم وكان الليل قد أرخى سدوله،ولكن الأمير لم ينزل عن فرسه بل توجه مباشرة الى المدينة وتبعه الجيش ، وكان من عادة الأمير فى كل مرة يرجع فيها من الصيد أن يذهب الى أبيه ، ولكن هذه المرة ذهب الى قصره وتوجه البطلان للقاء الملك ، فلما رآهما انقبض قلبه وقال لهما لماذا لم يأت ابنى ؟ قالا أيها الملك العظيم، ابنك الأمير متعب قليلا ولهذا لم يأت ·

ارتعش مرزبان شاه وخشى على حياة ابنه وقال ماذا حدث له ؟ لعله لم يرتكب خطأ أصابه بمكروه · فأخذ البطلان فى الكلام وذكرا للملك كل ما وقع لهم ·

حزن مرزبان شاه من أجل ابنه وتعجب وقال لقد أصابه الحسد ، ثم اتجه الى هامان الوزير وقال قم لنذهب الى خورشيد شاه لنعرف أحواله وماذا جرى له ·

ذهب الملك يرافقه هامان الوزير الى حيث يقيم الأمير فوجداه نائما واضعا رأسه المهموم على الوسادة وقد ذهب لون وجهه وظهر عليه الحزن والغم ، فتقدم مرزبان شاه الى فراش ابنه وجلس بجواره ووضع يده على جبينه فاستيقظ خورشيد شاه ليرى من الذى أيقظه فوجد أباه فحياه وقال أبى العظيم ، لماذا أتعبت نفسك بالمجىء الى وكنت سأذهب اليك لتحيتك ولقائك لأننى ــ حفظك الله ــ قصرت فى حقك اذ كنت متعبا من الصيد ·
ولم يقل الحقيقة لأبيه ·

قال مرزبان شاه ، يا بنى العزيز ، يا ثمرة القلب ويا نور العين ، لماذا تخفى عن أبيك ما حدث لك وقد علمته ، حدثنى عن أحوالك وماذا وقع لك حتى أشاطرك حزنك وأبحث عن وسيلة أخلصك بها من هذا الهم ·

حين رأى خورشيد شاه أن أباه قد علم ، لم يجد بدا من الكلام فقال أبى العظيم ، حينما تركتك للخروج للصيد أمضيت ستة أيام أصطاد فى الجبل والصحراء ، وفى اليوم السابع وجدت خميلة جميلة نزلت بهـا لاستريح وأخذت فى تناول الشراب وفجأة ظهر فى الصحراء حمار وحشى دفعنى حب الصيد الى اقتفاء أثره لصيده وعدوت خلفه حتى حل الظلام ولم أتمكن من الايقاع به ولما كانت الدنيا قد أظلمت فاننى لم أتبين طريقى

وخشيت أن أضل سبيلى فبقيت حيث كنت فى الصحراء حتى الصباح حين رأيت هذا الفرا مرة أخرى يتجول فى تلك الصحراء فقصدته وأخذت أعدو خلفه حتى ارتفعت الشمس وظهر طلع صعده الحمار الوحشى واختفى فى الناحية الأخرى منه فلما صعدت خلفه ونظرت لم أجد الحمار بل رأيت صحراء مخيفة ملأتنى بالرعب من الدخان والغبار الذى يتصاعد منها وفى ناحية منها شاهدت خيمة منصوبة ذهبت اليها فوجدت بها حصيرا مفروشا ونطعا مبسوطا ووسادة موضوعة وشخصا نائما حين سمع وقع قدمى استيقظ ثم وقف فرأيت فتاة لم أر قط فتاة فى حسنها فافتتنت بجمالها وشغف قلبى بحبها وأخذت أنظر اليها ورأيت اناء فقلت لها أتسمحين لى بشربة ماء ؟ قالت ان الماء للشرب فلماذا لا تشرب ؟ فتناولت الاناء ولم أكمل شربتى حتى فقدت وعيى ، وحينما أفقت وجدت البطلين واقفين بجانبى ولم أر الخيمة ولا الفتاة فاستولى البكاء على وسقطت عيناى مصادفة على أصبعى فرأيت فيه هذا الخاتم وقد نقشت عليه كتابة . قال هذا وسلم الخاتم لابيه .

نظر مرزبان فى الخاتم فرأى عليه نقشا فأعطاه لهامان الوزير قائلا اقرأه لعلنا نعرف منه من تكون تلك الفتاة .

تناول هامان الوزير الخاتم وحاول قراءة ما عليه فلم يستطع . عندئذ نهض مرزبان شاه وذهب الى قاعة عرشه وأمر أن يجمعوا العلماء وأهل الفضل وعرض عليهم الخاتم ليقرأوا رموزه ، ولكن هؤلاء الفلاسفة عجزوا عن ذلك فاغتم مرزبان شاه لهذا وحزن على ابنه وقال لهامان الوزير ابحث عن وسيلة لكشف هذا السر ليتخلص ابنى من هذا الحزن . فقال الوزير الوسيلة يا مولاى هى أن تأمر بألف دينار تعلق مع هذا الخاتم فى وسط السوق وتضع عليه الحراس وينادى المنادى أن كل من يقرأ ما على هذا الخاتم تكون له الألف دينار بالاضافة الى خلعة من الملك فلعل أحدا ممن يجيئون من الولايات الأخرى أو يذهبون اليها يتمكن من قراءته أو لعل أحدا يكون من تلك الولاية فيخبرنا عنه وأنا أقوم بما يلزم بعد ذلك .

اثنى مرزبان شاه على الوزير وقال ، نعم التدبير . ثم أتوا بالخاتم ومعه ألف دينار وكان فى المدينة خان ينزل به التجار المعروفون فعلقوا الخاتم هناك وكان المنادى يطوف فى المدينة كل يوم فيذهب الخاصة والعامة لمشاهدة الخاتم ولا يستطيع أحد قراءته بأى شكل من الأشكال حتى مرت أربعة أشهر ولم يقل أحد أنه يستطيع حل رموزه أو قراءته .

مرض الهـــوى :

وبسبب تلك اللوعة وذلك الجوى مرض الأمير وأصبح لونه مصفرا كلون الزعفران ، وعلى رغم علاج أساتذة الأطباء وعباقرة الحكماء الا أن علاجهم لم يفد أو ينفع اذ كان علاجه فى رؤية الحبيب وليس فى الحرارة أو البرودة أو أدوية الطبيب ٠

وقد حزن أبطال الجيش وعظماء الدولة على خورشيد شاه وبكوا عليه وكانت أمه جلنار وأخته قمر الملك تنوحان بجوار فراشه ، وفقد الجميع الأمل فيه ٠ ومع أن الأطباء كانوا يعالجونه ويعطونه الغذاء المناسب الا أنه لم يفد ٠

اذا كان الطبيب المسكين يستطيع شيئا
فليبعـــد المـــوت عن نفســـه ولو يوما

ويقول الشاعر فخر الجرجانى فى قصة ويس ورامين فى هذا المعنى :

من لدغت الحيـــة الرقطاء بدنه فلن ينفعـــه أى دواء نقى حـــر
والســـكر مهمـــا كان حلو المذاق فلن يشـــفى كالـــدواء المر
ان ماء الـــورد نقى معطر ولكنه لا يروى كمـــاء الأنهـــر

ومع أن الأمير كان يتناول الأدوية اللازمة الا انها لم تفده بل ان لوعته كانت تزداد وأصبحت حاله تدعو للأسف وخشى مرزبان شاه على حياة ابنه فقال لوزيره هامان انظر فى طالع ابنى فقال له هامان ، أيها الملك ان قلبى مشغول حزين على الأمير وأسرار الفلك تحتاج الى نفس هادئة حتى تستطيع أن تدركها ، ولكننا سندعو الحكماء لينظروا فى طالعه ويخبرونا به ، وكان هامان الوزير يقصد من وراء هذا أنه اذا كان الأمير سيصاب بمكروه فلا يجب أن يقوله هو ٠

أرسل الملك شخصا استدعى المنجمين وقال انظروا فى طالع ابنى وماذا ستكون نهاية آلامه واخبرونا بما سوف يحدث ٠ فأخذ أساتذة المنجمين والحكماء المحنكين طالع الأمير عند ولادته وأعملوا حساباتهم وبذلوا كل ما فى طاقاتهم وجمعوا ما شاهدوه من حركة الأفلاك وأحكام النجوم واقتران الكواكب وما يتصل منها بالسعد والنحس وما يتعلق منها ببرج الحياة والموت والعمل وكل ما عن لهم فى هذا الأمر وكتبوه وقدموه الى مرزبان شاه وقالوا أيها الملك العظيم لقد تعبنا ورأينا من تأثير الفلك وأحكام النجوم أن الأمير لن يلحقه سوء وأن ما أصابه كان بسبب فتاة ليست من هذه الولاية

ولكنه سوف يتعذب كثيرا حتى تصل اليه هذه الفتاة ويستدل أن الأمير سيبرأ سريعا من هذا المرض وسيحدث الفرج اليوم أو غدا وتتحسن حاله ، وأمامه انفراج مما هو فيه الآن ومكتوب فى طالعه وحظه أنه سوف يبتعد عن أهله ووطنه وتستقر أحواله فى الغربة ويصبح ملكا على سبعة أقاليم ، وسوف يقوم فى ملكه بأعمال لم يقم بمثلها ملك ولن يقوم • وسيستمر ملكه أربعين عاما ويبدو أنه سوف يتحمل كثيرا من الأسر والسجن والبلاء والمحن أثناء ملكه ثم يستقيم أمره ويعلم الله ما بعد ذلك ، ثم سلموا الورقة التى دونوا فيها هذا الى هامان الوزير •

نظر هامان الوزير فى استخراجاتهم وقال أيها الملك أبشر فان الأمور سوف تسير وفق مرادك ففرح الملك بكلامهم وخلع عليهم وأعادهم الى ديارهم

أول الخيط :

وتشاء ارادة الله أنه لم تكد تنقضى أربعة أشهر على تلك الحادثة حين اجتمعت ذات صباح جماعة كبيرة من الناس حول الخاتم وبينما كان كل واحد منهم يقول شيئا ، تقدم رجل عجوز يرتدى ملابس رثة ويتوكأ على عصا وسأل هؤلاء الناس عن سبب هذه الضجة وذلك الزحام وما الذى حدث وسبب وضع هذا الذهب • فقالوا له أنهم ينادون فى المدينة أن كل من يقرأ رموز هذا الخاتم يأخذ الألف دينار ويعطيه الملك خلعة أيضا • فقال الشيخ أعطونى الخاتم وأنا أقرأ ما عليه ، فلما سمعت تلك الجماعة ما قاله هذا الشيخ شتموه وسبوه وقالوا له لقد مرت أربعة أشهر حاول فيها كل حكماء العالم وشيوخه عامتهم وخاصتهم جاهدين قراءته فلم يستطيعوا وتريد أنت قراءته ؟

رأى الحراس الواقفون على الخاتم الناس وهم يتشاجرون مع هذا الشيخ ويعنفونه فقالوا لهم ، كفوا عنه • ثم أخذوه الى حيث يوجد الخاتم ووضعوه فى يده فنظر فيه وضحك وقال ، أيها الرجال الأحرار أنا أقرأ لكم ما على الخاتم ، كما أننى أعرف صاحبته وأعرف اسمها وأين تقيم •

ما كاد الحراس يسمعون ما قاله هذا الشيخ حتى دب فيهم النشاط والسرور وأنزلوا الذهب والخاتم وأخذوا يد الشيخ وذهبوا الى مجلس الملك وأدوا التحية •

كان مرزبان شاه حزينا على ابنه فقال له الحراس ، أيها الملك العظيم لقد أتينا برجل يقرأ رموز هذا الخاتم ويعرف صاحبته ومكانها • عندئذ فرح الملك وقال من هو ؟ قال الحراس هذا الشيخ العجوز • ونظر الملك فرأى

هذا الشيخ فلاطفه من أجل ابنه وكرمه ثم قربه من العرش وأجلسه وقال أيها الشيخ ، أتعرف رمز هذا الخاتم ؟ قال الشيخ : « أيها الملك أعرف نقش هذا الخاتم وأعرف صاحبته ومكانها وابنة من تكون لأننى عشت طويلا فى تلك الولاية وقد مضت سنة منذ غادرتها ·

فرح الملك بهذا وقال تكلم أيها الشيخ · قال هامان الوزير ، أيها الملك أتسمح بأن نذهب الى خورشيد شاه لكى يتكلم فى حضوره ويكشف هذا السر أمامه حتى يفرح ويسعد فقال الملك هكذا يجب أن نفعل ·

سار الملك مع هامان الوزير وذلك الشيخ العجوز وسار خلفهم بعض الناس حتى جاءوا قصر خورشيد شاه وقد وقف الخدم بينما كانت أمه وأخته دائما واقفتين بجوار فراشه تبكيان ، وحين دخل الملك مع بعض الأبطال دخلت أمه جلنار وأخته قمر الملك خلف الاستار وكانت سيمين مربية الأمير جالسة بجوار فراشه تبكى حين تقدم الملك وجلس على فراشه وجلس هامان الوزير مع بقية الحاضرين وتكلم مرزبان شاه فقال يا روح أبيك انهض فقد توصلنا الى معرفة مكان صاحبة الخاتم وحين سمع خورشيد شاه صوت أبيه استيقظ وأسند ظهره الى الوسادة وجلست المربية خلفه وأنصت الى ما سوف يقولون ·

دواء الحب :

تكلم ذلك الشيخ وكأنه كان يعالجه ويشفيه اذ أن الدواء الحقيقى كان فيما ذكره ، فقال أيها الأمير أعلم وتيقن أن هذا الخاتم ملك لبنت ملك الصين واسمها ماه برى ولها مربية اسمها فاتكة لها باع طويل فى السحر حتى أن فغفور(١) الصين وكل رعيته في قبضة يدها وقد عجزوا فى شأنها وأمرها ، ولا يجب أن أحدثك عن الفتاة لأن الساحرة حين تغضب من الملك تأخذ الفتاة وتحملها الى مكان لا يعلمه أحد أو تذهب بها الى خميلة جميلة مثل تلك التى رأيتها فى ذلك اليوم ، فاذا صالحها الملك أعادت الفتاة الى مكانها ويتصادف أن يشاهدها أحد من الناس فيفتتن بها ولا شك فى أن المربية تحمل الملوك والأمراء على رؤيتها ليعشقوها كما حدث لك ولعل ذلك الحمار الوحشى كان هو المربية وقد نقشت ـ ابنة الحرام هذه ـ اسم الأميرة على الخاتم ، والذى قام بالنقش رجل ماهر فى الصين اسمه سعد النقاش ، ثم طلب الشيخ قطعة من الشمع طبع عليها نقش ذلك الخاتم فظهر طلسم مشجر وضحت فيه حروف ـ ميم وألف وهاء وباء وراء وياء ـ وهو ماه برى ، فلما قدم لهم هذا البرهان وأظهره لهم تعجبوا منه جميعا ·

---

(١) الفغفور لقب لملوك الصين ·

كان الأمير يصغى وينصت الى كل ما قيل ثم قال أيها الشيخ هل ابنة ملك الصين التى ذكرتها متزوجة أم لا ؟

حبيب دونه المـوت :

قال الشيخ أيها الأمير انها لم تتزوج بعد ولكننى سمعت أنه تقدم لخطبتها حتى الآن واحد وعشرون أميرا ولم يقدروا عليها • فقال خورشيد شاه لأى سبب ؟ هل يطلب الفغفور أموالا طائلة ولهذا لم يقدروا عليها ؟ قال الشيخ العجوز ، أيها الأمير لقد تعب الفغفور لأن المربية تعمل سحرا ووضعت بعض الالغاز ، اولها فرس جامح يجب أن يساس وثانيها عبد كأنه بضع نخلات يجب مصارعته وثالثها مسألة وجوابها ، وكل من يحل هذه الألغاز الثلاثة تكون ماه برى زوجة له وكل الأشخاص الذين طلبوا خطوبة هذه الفتاة فتنوا بها وعجزوا عن حل الالغاز وأخذت المربية الساحرة أيديهم وقادتهم الى قصرها ولم يسمع أحد عنهم شيئا بعد ذلك أأحياء هم أم أموات هذا هو الوضع كما ذكرته كله من صنع المربية الساحرة تحمل الأمراء من الطريق وتجعلهم يفتتنون بالفتاة ثم تهلكهم •

تعجب الملك والأمير وهامان الوزير وفرخ روز وباقى الأبطال حين سمعوا كلام هذا الشيخ العجوز وتحيروا فى هذا الأمر وكيف يمكن أن يكون فى الدنيا مثل هذا الشر وقال مرزبان شاه هذا أمر عجيب وقد تعلق ابنى بالفتاة وعرض روحه للخطر ولو كان أمرا يشترى بمال الدنيا أو يفتح بالجيوش والقوة لقمت به وأنجزته له •

قال الشيخ ، أيها الملك اذا أطاعنى ابنك واستمع الى نصيحتى فعليه ألا يقترب من هذا الأمر ولا يطلب تلك الفتاة ، وقد كان سبب حزنه أنه لم يكن يعرف من تكون هذه الفتاة الآن وقد عرفها فعليه أن ينساها لأن طلبها والسعى اليها كله ألم وشقاء •

قال مرزبان شاه ، أيها الشيخ لعله يفعل هذا • ثم أمر له بخلعه جميلة أعطاها له مع الألف دينار ثم ودعه باحترام واكبار •

يقول الراوى أن هذا الشيخ العجوز كان هو فاتكة المربية الساحرة جعلت نفسها على هذه الهيئة وأخذت تطوف الدنيا لهذا الغرض •

حينما ودعوا ذلك الشيخ التفت الملك الى ابنه وقال ، يا بنى لقد علمت بالأمر ومن تكون تلك الفتاة ومن أين هى فاحزم أمرك وعالج نفسك لأن كل الأمور يمكن انجازها مع وجود الصحة وسلامة الجسم • والصحة أثمن من مال الدنيا كلها ، واذا كنت مريضا وقضيت على نفسك بالحزن والغم فانك لا يمكن أن توفق فى الدنيا لأن قمة الملك هى الصحة •

هل يبرأ من الحب :

قال خورشيد شاه ان شاء الله وباقبال والدى سوف أبرأ • وأخذ الأمير فى معالجة نفسه حتى استعاد صحته وذهب الى الحمام سعيدا متفائلا وأخرج أبوه الصدقات بهذه المناسبة ، وحين عاد من الحمام ذهب الى مجلس أبيه فنثر الأبطال عليه ونهض الملك واحتضن ابنه وقبله من عينيه وعلى خديه ثم أتى به الى العرش وأجلسه بين يديه وكانا سعيدين فرحين • واستمر الأمير في مداواة نفسه الى أن استعاد كامل صحته خلال شهر واحد بحيث لم يبق عنده أى أثر للمرض • وذات يوم ذهب الى والده وطبقا لما هو مرسوم انحنى بين يديه وقدم التحية اليه ثم وقف الى أن خلى مجلسه من الرعية وخرج الأمراء والأبطال •

قبل خورشيد شاه الأرض أمام والده وقال ، أطال الله عمرك وأبقاك • فقد كنت انتظر للآن أن تأذن لى بالذهاب لخطوبة ماه برى حتى ألقى عن كاهلى العبء الثقيل وأنفض عن قلبى هذا الحزن وأخلص روحى من تلك الغمة وأبعد عن نفسى هذا الالم وأنا أعرف أن الملك العظيم لا يعلم مدى ألمى ولا يقف على حقيقة حالى ، وقد أخبرتك عما كان من لوعة حبها وأطلعت أبى العظيم على الآلام التى تحملتها وأريد الآن أن يأذن لى الملك بالاستعداد لطلب ماه برى والبحث عن وسيلة للوصول الى راحة القلب لأننى لم أعد أحتمل فراقها أكثر من هذا •

عندما سمع مرزبان شاه كلام ابنه ، ورآه مغلوبا على أمره جرى دمعه على خده وقال يا روح أبيك ويا ابنى الحبيب ، تذكر نصيحة ذلك الشيخ العجوز واستجب الى نصحه لأن السعادة كلها فى قبول نصائح الشيوخ وعن طريقها يصل الانسان الى مراده ، كما أن طاعة الآباء من عبادة الله فاحذر أن تحرق قلب أبيك وأرحم والديك وأختك وتصور أن ما رأيته كان حلما وانس حبها لأنك مازلت صغيرا ولا أرى فائدة فى أن تبتعد عن أمك وأبيك •

حينما سمع خورشيد شاه هذا الكلام شهق شهقة عالية وسقط فاقد الوعى فأسرع مرزبان شاه واحتضن رأس ابنه وأمر أن ينثروا عليه عرق الصفصاف وماءه حتى أفاق فأخذ فى البكاء والصراخ من جديد وقال ابتاه انك لا تشفق على ولا تدرى ما فى قلبى ولا تتألم لألمى كابن لك ، ومهما قلت أكثر من هذا فكيف تدرك ما أقاسيه من الجوى ؟ انك لم تجرب هذا الوجد ولم تذق ألم الفراق فحينما كنا لا نعرف من تكون وأين مكانها كان هذا أسهل على ولكن أصبح أمرها أشد وأقسى • آنذاك كنت معذب القلب كما رأيت ، وكانت فى قلبى لها لوعة أما الآن فأنا مريض الروح وتبدلت

الرغبة الى حب وأصبحت قلقا ، فان أذنت لى فيها والا أهلكت نفسى لأننى لم أعد أحتمل فراقها أنت لست فى قلب المعركة ولكنك كالمتفرج وما أسهل الحرب على المتفرجين :

يقولون لك فى الصبر سلوة ما أسهل الحرب على النظارة (١)

لك قلب ليس كقلبى المعنى فطرف ثوبك يحترق وروحى فى ناره

وإذا كان الأمر يتعلق بانفاق أموال كثيرة ، أو أننى يجب أن أصطحب جيشا كبيرا فليس هذا شرطا ولكننى أقول اذا كنت لا تدعنى أذهب لهذا السبب فاتركنى ولا حاجة لى الى مال أو جيش ، وكفانى المال والجيش ، وسأذهب بمفردى كى أراها وآتى بها معتمدا على شجاعتى أو أهلك دونها ولهذا فلا موجب للحزن أو الغم ٠

قال الملك يا بنى قسما بالخالق العادل المدبر وبأرواح الطيبين والاطهار وبرأسك التى هى عندى أعز من كل شيء ان رأيى هذا ليس من أجل المال ولا من أجل الجند ولكننى لا أريد تعبك ولا أن أتجرع ألم فراقك الذى تقترحه على ، لأن ألم الفراق صعب مؤلم خاصة وأنك ابنى وأعز على من فقدان كل الأموال والكنوز التى ورثتها عن الآباء والأجداد فى مقابل ألا يصيبك مكروه أو أذى ، فملكى مصيره لك والجيش والجند كلهم رعيتك وأنت عندى كروحى بل أعز من روحى ألف مرة ويقولون :

كل شيء للروح وجلت الأرواح
فان ذهبت الروح فليس بعدها فلاح (٢)

فاحذر يا بنى أن تفكر فى هذا ٠

لم يقبل خورشيد شاه هذا النصح وأخذ يبكى ، فبكى معه مرزبان شاه وكان هامان الوزير حاضرا فقال أيها الملك العظيم لقد جاوز الكلام مداه فاصفح عن ابنك وهيىء له أمره فان هذا عمل مستطاع وأعد له احتياجات الطريق ليذهب الى هناك فلا مفر من أن يذهب فى طلبها وسوف يتم هذا

---

(١) مراكويند ترا صبر است چاره
چه آسانست كوشش بر نظاره
دل تو بـآدل من نيست يكسان
ترا دامن همى سوزد مراجان

(٢) جيز ازبى جانست نهجان ازبى جيز
جون جان برود كجابكار آيد جيز

الأمر على يديه ولو أنه سوف يتحمل كثيرا من العذاب والألم ولكنه سوف يصل الى مراده ويحصل على ما يريده لأن طالعه قوى وحظه سوى ألم تسمع من الحكماء كيف ستكون حاله فى السفر ؟ وأنا أيضا أعلم أن شأنه سيرتفع بالسفر وسيفوز بهذه الفتاة ويحصل على ما يريده ٠

ولو فى الصـــين :

حينما سمع مرزبان شاه من وزيره هذا الكلام ، قبل وجه ابنه وقال يا روح أبيك ، أفرح فان أباك سوف يقوم بما تريد ، وسأرسلك فى طلب راحة القلب فلعلك تستطيع أن تحقق رغبتك فشكر خورشيد شاه أباه وعاد الى قصره سعيدا مسرورا ٠

حينما وجد مرزبان شاه أن ابنه قد تركه فرحا سعيدا أمر بفتح خزائنه وأخرج عشرين حملا من الأموال الوافرة والجواهر والذهب والفضة والمسك والعنبر والكافور وأثواب الأطلس الرومى والبغدادى وأمر باعداد الخيام والسرادقات والأسلحة وأدوات المطابخ والماء وكل ما يحتاج اليه ثم استدعى البطلين عليان وطيار وقال لهما عليكما أن تصاحبا ابنى الى ولاية الصين لأنه غر ولا يعرف ترتيب كل أمر كما لا يعلم تقاليد كل شىء وله عليكما حق ولهذا وقع الاختيار عليكما وسيصحبكما ٠ فحيا الاثنان وقالا ما نحن الا تابعين نفعل ما يأمر به الملك ٠

ما أقسى الفراق :

اختار مرزبان شاه ألف فارس ليكونوا مع ابنه أغلبهم من الأقارب حتى يكونوا أكثر حرصـا عليـه ، وجاء الأبطال وأعدوا للطريق عدته واختاروا يوما لضرب خيامهم خارج المدينة وذهب خورشيد شاه الى أمه واخوته ليودعهم فصاحت أمه وأخته وأخذتا فى البكاء ، وكانت أمه جلنار تقول له يا بنى هل شبعت من رؤية أمك ولم أشاهدك بعد كما كنت أتمنى ، فوداعا بهذا الفراق لأن قلبى يحدثنى أنك لن تر أمك بعد هذا ، ثم تبكى ويبكى معها كل الناس وينوحون ، وكانت أخته قد ألقت بنفسها على الأرض وأخذت تبكى وتصرخ وكان فرح روز واقفا يبكى أيضا ثم قال لأمه ، يا أماه اذا كان قلبك يحترق لفراق خورشيد شاه فاعلمى أننى لا يمكن أن أعيش دون أخى ، فاسمحى لى بالذهاب معه لأنه لا حياة لى بدونه ٠

أخذت جلنار فى العويل وقالت ، أعرف أن العشق هو الذى يبعد خورشيد شاه عن أهله ووطنه أما أنت فما شأنك بهذا ؟ ابق معى حتى

أقضى بقية العمر أتطلع اليك • فقال فرخ روز : يا أماه ان قلبى لن يهدأ دون رؤية وجه أخى فاذا لم تتركينى أذهب معه هربت أو أهلكت نفسى •

وهكذا رأت الأم الباكية ابنيها يذهبان من أمامها وكان قلبها يحدثها بأنها لن تراهما أبدا بعد ذلك ، وقد ودعهـا خورشيد شاه وفرخ روز واحتضناها ثم انطلقا فى طريقهما •

فى سبيل الهوى :

حينما دقت طبـول الرحيل خرج مرزبان شـاه مع هامان الوزير والأبطال والأمراء المقربين لوداع الأمير وساروا معه مسافة منزل حين ترجل الأمير وقبل ركاب أبيه وقال أيها الوالد الكبير عد فان أمامى طريق طويل ولا يجوز للملك أن يتعب نفسه أكثر من هذا ، فارجع وتذكرنى بالدعاء ، وان شاء الله فاننى سأعود سريعا لخدمتكم • وعندئذ أوصاه مرزبان شاه وقال يا بنى حينما تعود سعيدا موفقا قد لا تجد أباك فاحفظ ملكه كما حفظه بالعدل والوئام ، وكن حذرا فى الملك يقظا واعيا ثم ودعا بعضهما وبكيا حتى أن كل الجيش بكى وعاد مرزبان شاه الى المدينة •

ابتدأ خورشيد شاه وفرخ روز والبطلان عليان وطيار وألف فارس رحلتهم وكانوا يطوون الطريق ليلا ونهارا ويقطعون المنازل منزلا وراء منزل ومرحلة بعد مرحلة والدليل معهم حتى وصلوا بعد مدة الى حافة صحراء لا ماء فيها ولا زاد يستغرق اختراقها أربعين يوما ، فجاء الدليل الى خورشيد شاه وكان عنـده البطلان وقال أيها الأمير أعلم أن أمامنا صحراء تستغرق أربعين يوما ولهذا يلزمنا ما يكفى من ماء وزاد وعلف لعبورها فنظر الأمير الى البطلين وقال لهما دبرا ما يلزم لهذا • فقال عليان وطيـار أن لدينا كثيرا من الحيوانات والزاد والماء ، ولنأخذ علفـا يكفى الحيوانات خمسين يوما لنعبر هذه الصـحراء وكل ما يواجهنا من هذا القبيل فهو سهل ولو كان غير هذا لكان صعبا • قالا هذا وأخذا فى اعداد كل ما يلزم من زاد وماء وعلف للحيوانات ثم ابتدأوا فى عبور الصحراء التى واجهتهم وكأن أحدا من البشر لم يسبق له اجتيازها فلا أثر للماء بها أو حتى الأشواك وكانت أرضا منبسطة ناعمة ساخنة كأنها أرض الشياطين والغيلان المخيفة تبعث الرعب فى النفوس فساروا فيها الى أن عبروا نصفها تقريبا •

خيـانة المقـربين :

فجاء شيطان الحسد واستولى على عليان وطيار وسيطر عليهما جانب الشر فقالا لماذا نكون فى طاعة صبى ؟ لنقتله ونستولى على هذه الأموال الطائلة ونصبح قادة أنفسنا وملوكا • ولكن ماذا نفعل مع فرخ روز ؟

تشاوروا واتفقا على قتلهما لأن الجيش معهما وقالا كل من يخرج علينا قتلناه واتفقا على هذا وكانا يدبران كيف يهلكان الأميرين وفضلا وضـــع السم لهمـــا ٠

تشاء ارادة الله أن غلاما صغيرا كان يخدم عليان وطيار اسمه تيمور وكان آية فى الجمال وغاية فى العقل ويعمل ساقيا لهما ، فاتفق عليان وطيار على اختياره ليضع السم للأمير ولفرخ روز واستدعياه وقالا له ، لقد أوكلنا اليك عملا ان أنجزته اعتقناك وجعلناك لا تحتاج الى المال فى حياتك أبدا ، كما سنجعلك قائدا للجيش ٠

حياهما تيمور وقال أنا عبدكما أعمل كل ما تأمران به ٠ فقالا انه أمر يسير ، خذ هذا الدواء واحتفظ به وحينما يشرب الأمير ضعه فى كأسه وفى كأس فرخ روز فيشربانه ويهلكا وتبقى لنـــا هذه الأموال ونعطيك نصيبا منها ونأخذ نحن الباقى ٠ ثم أعطياه مثقالا من السم القاتل كان عليان يحتفظ به بسبب سوء عنصره وخلقه الذى حرفه عن الطريق القويم وجعله يتجرأ ويهم بقتل الأميرين ٠

أبنـــاء الحـــلال :

حينما وقف تيمور على هذه الحال وعلم بنيتهما على الاغتيال ورأى هذا السم الذى أعطياه له ، أخذته الرحمة على هذين الشابين وحزن واحترق قلبه من أجلهما وقال من المؤسف أن يموت هذان الشابان على يدى ابنى الحرام هذين وأخذ يفكر فى وسيلة ينقذهما بها وقال لنفسه ، أيها الفتى أليس لك عقل حتى تقدم على مثل هذا العمل وكيف لا تعلم حتى هذا وهو أنك لو اهلكتهما فان البطلين لن يتركاك وسوف يقتلانك كما ستؤخذ بذنبهما يوم القيامة ويصبح لك فى جهنم شأن ٠ كما أنك لن تحصل على شىء فى الدنيا ، أذهب وأقصص هذا الأمر على الأميرين ، وحينما انتهى الى هـــذا التفكير وأنه ليس هناك أفضـــــل من أن يبوح بهذا السر الى خورشيد شاه حتى ينجى نفســـه من كيدهما ٠ قال هـــذا ثم نهض الى خورشيد شاه بمفرده وذكر له ذلك الرأى الذى اتفق عليه البطلان ثم قدم له السم ٠

نهض الأمير واحتضن تيمور وكانت فى يد خورشيد شاه أســـورة مرصعة بالجواهر خلعها من يده وألبسها لتيمور وقال له يا ابن الحلال بهذه الشفقة التى أخذتك على وعلى أخى ضع لهما هذا السم فى شرابهما لينالا جزاء ما أراداه لك من موت ودون مقابل يهباه لك ، وسوف أمنحك بطولة الجيش وأهبك كل أموالهما وأجعلك أمينا على خزائنى ونديما لى وصاحب سرى ، قسما بتراب قدم أبى وبحياة أخى فرخ روز لأنفذن كل ما ذكرته لك بل وأكثر منه ٠

جــزاء الخيــانة :

أدى تيمور التحية وخرج من مجلس خورشيد شاه الذى ظل ساهرا حتى انقضى الليــل وأقبل النهار فلما حطوا رحالهم فى أول منزل أمر بالشراب لأنه لم يكن قد نام هذه الليلة من شدة الغضب وكان يحدث نفسه قائلا لو أن هذا الغلام لم يشفق على ولم يطلعنى على هذا السر من أين كنت سأعرف أن أحدا يكن لى مثل هذه العداوة ويضمرها لى فى قلبه ؟ لقد كنت سأهلك أنا وأخى ٠ ولهذا كان يشــكر الله ٠ فلما انشــغلوا بالشراب جاء هذان البطلان مع الخاصة وكان تيمور واقفا يقدم الشراب ، وكان البطلان يأملان فى قتل الأمير بينما كان الأمير مطأطئا رأسه ولكنه يراقبهما ، ومع أنه كان آمنا الا أنه لم يكن غافلا الى أن أثر الشراب فى الحاضرين فأشار البطلان الى الغلام ولمحهما الأمير فألقى الغلام بالسم فى كأس بحيث لم يلحظه أحد وتقدم بالشراب وأعطاه الى عليان فشرب ثم ملأ قدحا آخر ووضع فيه السم وقدمه الى طيار فشرب أيضا ثم أخذ يدور بالشراب كالعادة ولم يكد دور الشراب يصل الى الأمير حتى سقط الاثنان فأدى تيمور التحية وهتف قائلا أيها الأمير فليسقط كل أعدائك هكذا أذلة ، أيها الأمير يجب قطع رأسيهما لأنهما عدوان ومن الأفضل دق رءوس الأعداء ٠ أثنى الأمير على تيمور ثم قص القصة على الحاضرين فتعجبوا جميعا ولعنوهما ، وأمر بقطع رأسيهما وعندئذ قال الخاصة أيها الأمير ان كل من يرتكب سوءا يلق جزاءه ، وقد لقيا جزاءهما دون أن يلحقهما منك أذى وحفظك الله ونجاك ٠

أثنى الأمير على الجميع وخلع على تيمور خلعــة فاخرة وأعطاه كل ما كان لعليان وطيار وجعله من ندمائه المقربين كما جعله صاحب خزائنه وأمين سره وأعطاه بعض الهدايا ، ثم استأنفوا سيرهم حتى عبروا تلك الصحراء ووصلوا الى العمران ٠

فى مدينة الحبيب :

كان على حافة تلك الصحراء مدينة يقال لها طور الأرض استراحوا بها ثلاثة أيام وأزالوا عن أنفسهم عناء السفر ثم استأنفوا مسيرتهم الى أن كان ذات صباح حين لاحت لهم معالم الصين فاتجهوا الى بوابتها وأمر الأمير أن يحطوا رحالهم خارج المدينة ، فضربوا خيامهم وأقاموا سرادقاتهم وبلغت ضوضاؤهم مدينة الصين فتسلق الأهالى سور المدينة ليروا من هؤلاء ثم نقلوا الخبر الى الملك فغفور ومؤداه أن فرقة من الجند تقدر بألف فارس

قد نزلت خارج سور المدينة وجميعهم مجهزون بكامل عدتهم ومعهم خزائن وافرة ٠

كان للملك فغفور وزير محنك اسمه مهران ذو تجربة ومران وكان حاضرا عند الملك فغفور فقال الملك أيها الوزير ما هو التدبير ولماذا جاءوا ؟ أرسل أحدا وأعرف من هم وماذا يطلبون ؟ فنظر مهران الوزير وكان هناك حاجب من حجاب الملك كبير ذو علم وفصاحة وخبير فناداه مهران الوزير وقال له ، اذهب وانظر لمن هذا الجيش ومن أين أتوا وهل هم أصدقاء أم أعداء ، نعرفهم أم غرباء ، عابرون أم باقون ؟ وآتنا بهذه الأخبار بسرعة حتى نتخذ عدتنا ٠

أدى الحاجب العالم ذو القبعة الذهبية والعمود الملكى التحية وخرج من مجلس الفغفور وركب فرسا سريعا وخرج من باب المدينة حتى وصل الى معسكر الأمير ٠

الاخـــوة :

يقول الراوى أنه حينما نزل الأمير خارج باب مدينة الصين قال له أخوه فرخ روز فى خلوة أيهـا الأمير العظيم ويا نور عينى أخيك يجب أن أقول لك كلمة فيها الخير وتجلب لى الراحـة فان رأيت أنك ستنفذهـا وتأخذها مأخذ جد وتعمل بمقتضاها قلتها ٠ قال خورشيد شاه أيهـا العظيم ذو الرأى السديد وأخى الكبير اننى لن أعمل خلافا لرأيك ولن أحيد عن أمرك لأنك الأكبر والأفضل خاصة حينما تنصح ، فماذا تريد أن تقول ؟

قال فرخ روز ، أيها الأمير ثق وأعلم أن هذا العمل الذى أقدمت عليه صعب ، وأنك قد دخلت فى أمر فيه تضحية بالروح والروح عزيزة لا يمكن تذريتها مع الرياح بل ان كل الأعمال تكون فداء للروح فاذا لم تبق الروح فما فائدة المخاطرة ؟ يجب أن يكرس كل شىء من أجل الروح وقد فكر أخوك جيدا وبغير هذا لا يجب أن نعمل اذ لا يوجد أى فرق بيننا فى الوجه والشعر والعينين والجسمين والصـوت ولا يستطيع أحـد أن يميز بيننا الا قدامى الخدم وهؤلاء أيضا يعرفوننا من ملابسـنا ومع هـذا كثيرا ما يخطئون ، وقد شاء الله أن يوجد هذا السبب ، يجب عليك أن تلبسنى ملابسك وتجلسنى مكانك باسم خورشيد شاه وتكون أنت فرخ روز بحيث لا يعلم أحد قط ، حتى اذا ذهبنا الى مجلس الملك فغفور فلابد أن تأتى المربية وتسأل عن جواب لغزها فلا أستطيع الجواب فتأخذنى المربية وتبقى أنت فلعلك تستطيع أن تجد وسيلة ، فان بقيت حيا أخرجتنى وان كنت قد قتلت اقتصصت لدمى ، واجتهد أن تحصل على بغيتك فلقد قررت أن أفديك بروحي ٠

دعا له خورشيد شـاه وقال يا أخي لقد وقعت الحادثة لى ، وأنا العاشق المحب وقد تركت الأهل والوطن واغتربت متيما ، وقد حملتك هذا العناء وذلك الشقاء ، فهل بعد هذا يجب أن تفتديني بروحك ؟ فلتبق أنت واذا أصابني مكروه فأحمل خبره الى أمي وأبي وشمر عن ساعديك طلبا لثأري .

قال فرخ روز يا أخي ألم أسألك منذ البداية انك اذا كنت ستنفذ ما أقول وقلت نعم سأنفذه والآن لا تقبل ، يجب أن يجرى الأمر على هذا النحو وأرى أن المنفعة في هذا .

حينما رأى خورشيد شـاه هذا الاصرار خلع ملابسـه في الحال وألبسها لفرخ روز وصعد فرخ روز الى العرش ووقف خورشيد في حضرته ولم يلحظ أحد من الخدم هذا التبديل ، وهنا وصل الحاجب مصقول ، وكان الواقفون على باب الأمير قد أبلغوه أن حاجبا من بلاط الفغفور يقف بالباب فما هي التعليمات ؟

رســـول الملك :

أمر الأمير أن يدخلوه الى حضرته وكان فرخ روز يجلس على العرش وخورشيد شاه يقف في خدمته ، وقد اصطف الغلمان والخدم حينما دخل مصقول الحاجب ونظر الى فرخ روز وهو جالس على العرش فتعجب من طلعته البهية وقبل الأرض بين يديه وحيا بأحسن تحية وأثنى على الأمير ثم قال أيهـا الشاب الجميل ان ملك الدنيـا فغفور الصين يقول أنكم – سعدتم – من أى قوم ومن أين قدمتم ، وما هي حاجتكم ، وما هو سبب مجيئكم الى هذه الولاية ؟ أخبرونا ما هو رأيكم حتى أحمله اليه ؟

حينما انتهى الحاجب من الكلام ، رفع فرخ روز رأسه وقال أيها الحاجب الكبير ، أبلغ سـلامي الى الملك وقل له انني خورشيد شـاه بن مرزبان شاه ملك ولاية حلب وكل الشامات وقد علمنا أن للملك بنتا عزيزة جميلة ، ومجيئي الى هذه الولاية من أجل خطوبة ابنته ولهذا حضرت لتحيته وليس لي أى هدف آخر سوى أن أصاهره فاذا تفضل علينا ذهبت الى حضرته وقبلت أرض عتبته والا فانني أرجع وليس هناك أكثر من هذا ، فاذهب اليه واخبره بهذا النبأ .

حينما سمع مصقول الحاجب هذا الكلام حيا وعاد الى الفغفور فحياه وقال ، أيهـا الملك العظيم انه ابن مرزبان شـاه جاء من حلب يطلب مصاهرتك . حين سمع الملك فغفور هذا الكلام تضايق واتجه الى مهران الوزير وقال له ما هذه المشكلة التى جعلت كل الملوك يعادونني بسبب هذه البنت ، ليتني لم أنجبها أبدا حتي كنت لا أواجه بكل هذه المتاعب .

قال مهران الوزير ، أيها الملك منذ كانت الدنيا والملوك ينجبون البنات وكانوا يتصاهرون ، وتحملوا المتاعب ، أما مشكلتك فليست من ابنتك ولكنها من المربية الساحرة ، وكل هذا من تقدير الله ولا حل لهذا فلا يستطيع أحد أن يتفوق على المربية الساحرة فلعل الله يسبب الأسباب ويجب أن تأمر بتزيين البلدة واستقبال الجيش لأن الأمير ابن ملك ويجب ادخاله الى المدينة .

قال الفغفور لا مفر من هذا فالناس جميعا يعلمون انني لا أفعل هذا الأمر ، وأمر أن يخرج المنادون يدعون الناس أن زينوا المدينة وارفعوا الرايات وأقيموا السرادقات ، فانشغل الأهالى فى هذا . كما أمر الفغفور مهران الوزير أن يتوجه الى معسكر خورشيد شاه مع الخاصة والجيش والحجاب وألف فارس فى أبهى زينتهم . فأخبروا خورشيد شاه أن قوما من المدينة قد قدموا ليكونوا فى استقباله .

جلس الأمير على عرشه وقد ارتدى قباء ملكيا وتمنطق بحزام سلطانى ووضع على رأسه تاجا مرصعا بالجواهر وأغلى الحلى ووقف خلفه خورشيد شاه كما وقف تيمور جزاء وفائه ، وأصطف أمامه الغلمان وحين دخل مهران الوزير مع الخاصة من باب المجلس نظر الى فرخ روز وجماله وأثنى عليه ودعا له فأشار اليهم فجلسوا مع جميع الخاصة والعامة ، وأتوا على الفور بماء الورد فشربوا ، وأرادوا أن يمدوا الموائد الا أن مصقول الحاجب وقف وحيا ثم قال أيها الأمير اننا لم نأت للضيافة بل ان الملك فغفور أرسلنا لكى يتفضل الأمير ويأتى الى مجلسه لأنه ينتظر مشاهدة جماله ثم ليفعل الأمير بعد ذلك ما يراه ، فى حضرة الملك .

على حصان الملك :

أمر فرخ روز فأحضروا خلعا لمهران الوزير وخاصة الحجاب وخلع عليهم جميعا ، ثم ارتدى ملابس ملكية وتوجه للمدينة راكبا حصان الملك فغفور وفى معيته خورشيد شاه وكانوا ينثرون عليهم حتى وصلوا الى باب المدينة فتقدم مهران الوزير وسار أمام الأمير ودخلوا المدينة التى كانت مزينة وقد جلس المغنون والمطربون فى الشرفات يغنون ويعزفون ، وكان الأمير فى مقدمة الجيش حتى وصلوا الى باب قصر الملك فرأوا بابا عاليا وقاعات فرعونية وحصرا مصرية مبسوطة وقد اصطف الغلمان ثم جاء الحجاب أصحاب القبعات الذهبية وأخذوا كم فرخ روز وأنزلوه من على الحصان وفتح حراس السلاسل سلاسلهم الذهبية ورفع أصحاب الستور ستائرهم فمر فرخ روز من الستارة الأولى ووصل الى الثانية ثم توقف وسار الى الثالثة وتركها الى الرابعة ونظر فاذا بالخامسة فتجاوزها الى السادسة فنظر اليها فارتفعت فى الهواء .

استقبال ملكي :

تطلع فرخ روز فرأى قصرا كان الملك جمشيد قد شيده (١) أربعمائة خطوة في أربعمائة خطوة مبنى من أحجار من أربعة ألوان ، ووسط القصر من الرخام والفيروز وحوض للأسماك تسبح فيه الأسماك المصنوعة من الذهب والفضة المجوفة وفي مقابل القاعة عرش من الساج والعاج والأبنوس والصندل وقد جلس الملك فغفور بين أربع وسائد ووضع التاج على رأسه وعن يمينه كرسي من الذهب والفضة وأصطف غلمان كالأقمار عليهم أقبية من الأطلس ووضعوا على رءوسهم قبعات مزينة ، ولبس الشاويشية وأصحاب المقارع أحذيتهم الطويلة ، وجاء المكبرون أمام العرش يدعون للملك فغفور ، كما وضعت وسادة مستديرة فوق الكرسي الذهبي .

جلس فرخ روز فوق هذا الكرسي الذهبي ، ونظر الملك فغفور الى قد فرخ روز وطوله وجماله وشاهد شابا فتيا ذكيا جميل الطلعة ، كما كان الوزير والأبطال ينظرون اليه حتى أشار الوزير الى خاصة السقاة فأحضروا الشربات وقد وضعوه في أقداح من الذهب والفضة ، وكان كبير السقاة يتناولها ويقدمها لهم ، ثم جيء بماء الورد فشربوا ثم جاء أمراء الطعام ومدوا الموائد فتناولوا طعامهم ، وكان الملك فغفور مع الوزير والنديم يتطلعون الى فرخ روز في قيامه وقعوده ويمتدحونه ، ثم جاء الفراشون وأتوا بالطشت والأبريق فغسلوا أيديهم وبعد ذلك بدأ مجلس الطرب

---

(١) هذا الوصف شبيه بما جاء في وصف استقبال رسول ملك الروم الى الخليفة المقتدر والوارد في كتاب البداية والنهاية ج ١١ ص ١٢٦ـ١٢٨ حوادث سنة ٣٠٥ هـ .

« وفيها قدم رسول ملك الروم في طلب المفاداه ، والهدنة وهو شاب حدث السن ومعه شيخ منهم وعشرون غلاما ، فلما قدم شاهدا أمرا عظيما جدا وذلك أن الخليفة أمر الجيش والناس بالاحتفال بذلك ليشاهد ما فيه أرهاب الاعداء فركب الجيش بكماله وكان مائة ألف وستين ألفا ما بين فارس وراجل غير العساكر الخارجه في سائر البلاد مع نوابها فركبوا في الأسلحة والعدد التامة وغلمان الخليفة (المقتدر) سبعة آلاف أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود وهم في غاية الملابس والعدد والحلى والحجبه يومئذ سبعمائة حاجب أما الطيارات التي بدجلة والزيارات والسمريات فشيء كثير مزينة . فحين دخل الرسول دار الخلافة انبهر وشاهد أمرا أدهشه ورأى من الحشمة والزينة والحرمة ما يبهر الأبصار وحين اجتاز بالحاجب ظن أنه الخليفة فقيل له هذا الحاجب ، فمر بالوزير في أبهته فظنه الخليفة فقيل له هذا الوزير ، وقد زينت دار الخلافة بزينة لم يسمع بمثلها ، كان فيها من الستور يومئذ ثمانية وثلاثون ألف ستر منها عشرة آلاف وخمسمائة ستر مذهبة وقد بسط فيها اثنان وعشرون ألف بساط لم ير مثلها ، وفيها من الوحوش متآنسه بالناس تأكل من أيديهم ومائه سبع مع السباعة ثم أدخل الى دار الشجرة وهي عبارة عن بركة فيها ماء صاف وفي وسط ذلك الماء شجرة من ذهب وفضة لها ثمانية عشر غصنا أكثرها من ذهب وفي الأغصان الشماريخ والأوراق الملونة من الذهب والفضة واللآلىء واليواقيت .

ووضعوا علب النقل الذهبية والفضية وكئوس (١) الطلا وبدأ المغنون ذوو الأصوات الملائكية وارتفع غناؤهم الى عنان السماء وكان السقاة يقدمون الشراب حتى ظهر أثره عليهم ٠

بعد هذا أخذ الملك فغفور يتحدث مع فرخ روز فقال ، أيها الأمير ليكن قدومك الى هذه الولاية مقرونا بالسعادة ، فلأى هدف وبأية حاجة جاء الأمير الى هنا ؟

قال فرخ روز ، أيها الملك العظيم لقد جئت الى حضرتك على أمل أن تقبل وتزوجنى ابنتك وتصبح أسرتا مرزبان شـــاه والملك فغفور أسرة واحدة ٠

عندما سمع الفغفور هذا الكلام أحنى رأسه الى الأمام وصمت برهة ثم رفع رأسه وقال ، أيهـــا الأمير لو أن لى مائة ألف بنت لجعلتهن فى أحضانك ، فهل يوجد من لا يريد صهرا مثلك ؟ ولكننى لا أريد لك هذه الزيجة ـ ليس لأننى لم أقبلك ـ ولكن لصالحك أنت ، فاذا كنت تريد الملك فبالخالق العادل المدبر لأسلمنه لك دون أن يكون لدى أدنى تفكير ، ولكن لا تفكر فى أمر ابنتى لأن الحاضرين من الخاصة والعامة يعلمون أحوال ابنتى وأعرف أنك قد تكون علمت بها لأن هذا شىء معروف وكيف أننى عاجز فى يدى المربية الساحرة ، وقد جاء حتى الآن واحد وعشرون أميرا لخطوبة ابنتى وعجزوا عن القيـــام بأمرها وضـــحوا برءوسهم فى هذا السبيل ، وقد ذكرت لك هذا شفقة عليك وعلى قلب أبيك الذى أعلم كيف هو حزين على فراقك ، كما أننى لم أقل هذا الكلام لأحد من خاطبى ابنتى غيرك وذلك من باب الشفقة عليك والرأفة بك وان شئت انتظرت حتى تموت الساحرة وآنذاك أجعل ابنتى فى أحضانك ٠

قال فرخ روز لقد حدثتنى عن مصلحتى ولكننى لن أتقبل هـــذا العجز وانتظر حتى تموت المربية وكان كل رأى يبديه فرخ روز يرد عليه الفغفور الى أن تجاوز حديثهم الحد ٠ وكان للملك فغفور خادم بليغ رزين يعمل رئيسا للقصر الخاص اسمه لالا(٢) صالح فقال له الملك يا لالا اذهب الى الجناح الخاص عند ابنتى ماه برى وقل لها لقد جاء الينا عريس وهو أمير من حلب اسمه خورشيد شاه وقد طلبك منى ٠ ذهب لالا صالح الى الجناح الخاص عند الفتاة وحياها ثم قال يا ملكة الدنيا يقول الملك العظيم ان خورشيد شاه ابن مرزبان شاه من ولاية حلب قد جاء لخطوبتك وهو يطلب مصاهرتى ٠

(١) القدح اذا كان مملوءا سمى كأسا ولهذا لا يقال شربت القدح لأن القدح يكون فارغا ٠

(٢) لالا بمعنى الطواشى أو الخصى من الرجال الذين كانوا يعملون فى بيوت الحريم ٠

كانت المربية جالسة قرب الفتاة ، فلما سمعت هذه الرسالة أخذت يدها وكانت الأميرة مزينة كأنها مائة ألف عروس وتوجهت الى مجلس الملك وتقدمها لالا صالح وأعلن قدوم الفتاة فأمر الملك باخلاء المجلس من الغرباء ولم يبق الا الملك والوزير مهران وفرخ روز وقد وقف خلفه خورشيد شاه الذى قال لنفسه الآن سوف أرى ان كانت هذه هى الفتاة التى نقش اسمها على الخاتم أم لا كان يفكر فى هذا وركز بصره على الباب حين دخل الخدم وخلفهم الجوارى ثم المربية وفى أثرها دخلت الفتاة ٠

أول لقـــاء :

نظر خورشيد شاه فرأى قمرا كأنه خرج من بين السحاب تسير وكأنها غصن بان وتتبختر وكأنها من حور الجنان ونظر الجميع الى الفتاة فى افتتان ولا تسل عن خورشيد شاه أكثرهم تطلعا باهتمام أما فرخ روز فمن الأدب أحنى رأسه للأمام بينما كان يتبادل مع الملك بعض الكلام ، وتحدثت المربية القميئة الشكل القبيحة الوجه السيئة الخلق الخبيثة الطبع البذيئة القول فقالت أيهما العريس ؟

أجاب فرخ روز أنا ٠

قالت المربية هل سمعت بالشروط ؟ وهل تعلمت سياسة الفرس ؟ وهل رأيت الغلام الحبشى ؟ وهل عرفت حل شجرة السرو الناطقة ؟

قال فرخ روز اذا لم أكن قد عرفتها لما جئت ٠

المواجهـة مع السـاحرة :

فى اليوم التالى أمر الملك بتزيين الميدان ووقف الملك تحت المظلة وجاء خورشيد شاه فى ملابس ملكية مزركشة ووقف مكان فرخ روز وأخذ فرخ روز مكان خورشيد شاه وأمرت المربية الملعونة باحضـــار الفرس الجامح فأحضروه الى وسط الميدان وكان كأنه عدة أفيال ونزل خورشيد شاه الى الميدان وتوجه الى الفرس الذى كان ينظر اليه وقفز الأمير وضربه بقبضة يده على فمه وأمسك بأذنيه مما جعل الحصان يستسلم ويستكين وعندئذ وضع خورشيد شاه السرج على ظهره ثم ركبه وانطلق به حول الميدان وقام ببعض ألعاب الفروسية الغريبة العجيبة فتصاعدت أصوات الاستحسان من النظارة وبعد ذلك تقدم خورشيد شاه على الحصان نحو الملك وأدى التحية ، فأثنى عليه فغفور الصين وخلع عليه خلعة فاخرة وعاد خورشيد شاه الى مكانه مع فرخ روز وانقضى هذا اليوم ٠

فى اليوم التالى حين أشرقت الشمس بنورها على الدنيا زينوا الميدان مرة أخرى وجاء الملوك وجلس كل واحد فى مكانه ونزل العبد الحبشى الى الميدان كأنه جلمود صخر قد من جبل وقد ارتدى سروالا من الجلد ووقف فى الميدان • وجاء خورشيد شاه من الناحية الأخرى كأنه شجرة سرو فأخذ الناس بجماله وأخذوا يتحسرون عليه ويلعنون المربية • فلما وقف خورشيد شاه فى مواجهة العبد الأسود صاح فيه ثم تقدم نحوه فتقدم العبد الأسود كالشيطان صوب الأمير وتشابكا بالأيدى وسارع خورشيد ووضع يده بين رجلى العبد ورفعه من على الأرض وجعله على رأسه ثم هوى به على الأرض فاندقت عنقه وانكسر ظهره ووسطه ، وارتفع هتاف الناس وصياحهم ثم تقدم خورشيد شاه وقبل يد الملك فغفور وخلع عليه مرة أخرى ، أما المربية فقد كساها الخجل وأخذت الفتاة وعادت الى مكانها •

كان الناس يبتهلون بالدعاء من أجل حياة الأمير ، وعاد كل شخص الى منزله حتى تبدل ليل ذلك اليوم بالنهــار فأمر الملك فغفور بتزيين مجلسه وجلس هو على عرشه الذهبى وأرسل فى طلب خورشيد شاه الذى لبس ملابس فرخ روز وارتدى فرخ روز الملابس الملكية وذهب الى مجلس الملك وأخذ مكانه وجاءت المربية الملعونة مع الفتاة ثم توجهت بعد ذلك غاضبة حانقة بالسؤال الى فرخ روز وقالت له تعال وقل لى ما هو السرو الناطق وما هى علامته ؟

أخو الأمير أسير الســاحرة :

تحير الملك فغفور كما تحير مهران الوزير من قولها ورد عليها فرخ روز قائلا أيتها المربيــة هذه ليست مسألة بل هى حيلة ولو كان لغزا لحللته لك ولكن لأنه حيلة فاننى أطلب مهلة لمدة ثلاثة أيام • فقالت المربية لا أوافق على المهلة ثم لماذا تطلبها ؟ قالت هذا وصــعدت العرش وجذبت فرخ روز وحملته الى منزلها وخرجت الفتاة فى أثرها •

تصاعد صياح الناس وهمهمتهم من أجل الأمير وحزن الملك وتضايق وعاد خورشيد شاه الى مقره حزينا مهموما وجلس مع أصــحابه فى مأتم أخيه • وبعد عدة أيام نهض خورشيد شاه وذهب الى ســوق البزازين وتوجه الى دكان سعد البزاز الذى كان نقيب البزازين وجلس هناك وأقام معه صداقة متينة •

العيــارون الفتيــان :

بعد عدة أيام بينما كان خورشيد شاه يجلس فى دكان سعد البزاز يتجاذبان أطراف الحديث ظهر فجأة فارس كهل يعدو أمامه عدد من الرجال

تبدو عليهم علامات الذكاء والفتوة وتظهر عليهم أمارات الهيبة فسأل خورشيد شاه سعد البزاز عمن يكون هذا الفارس ومن هم هؤلاء الراجلة الذين يعدون أمامه لأنه لم ير لهم مثيلا من قبل • قال سعد البزاز ، هذا الفارس الكهل يطلقون عليه « الثعلب الفيلم (١) وهو رئيس فتيان هذه المدينة وهذا الشاب الذى يلبس لبادة وقد وضع الخناجر على اليمين وعلى اليسار رئيس العيارين واسمه « سمك العيار » وهو ابن متبنى للثعلب الفيلم أما الآخرون فهم رفاقهما وهؤلاء لهم السلطة التامة فى ولاية الملك كما أنهم أمراء المدينة •

قال الأمير فى سريرته يجب الذهاب اليهم فلعلهم يفعلون شيئا • قال هذا ثم نهض وعاد الى مقره ثم طلب أعوانه وقال لجمهور خذ المال وتجول حيث شئت ولكن أسأل عن حالنا دائما كما أرسل تيمور وأعطى أصحابه أجازه خوفا من أن تفعل بهم المرأة الساحرة شيئا بعد أن أمرهم باخفاء أسلحتهم وقال لهم ان هذا الوضع مؤقت حتى نعرف ماذا سينتهى اليه مصيرنا • ثم أخذ خورشيد شاه صرة بها ألف قطعة من الذهب وتوجه الى منزل الثعلب الفيلم •

كان يقف على الباب شابان فقال لهما خورشيد شاه قولا لرئيس الفتيان ان غريبا جاء يريد الدخول ان أذنت له •

قال له الشابان ، ان أبواب الفتيان مفتوحة لا تغلق •

أجاب الأمير ، هذا صحيح ولكن ليس من الفتوة دخول منازل الفتيان دون اذن •

عندئذ ذهب الشابان وحدثا الثعلب الفيلم بما جرى ، فقال الثعلب ان الذى تصفانه يبدو أنه من رجال خورشيد شاه ادخلاه • فخرجا وأدخلاه الى البيت فأكرمه الثعلب وعززه وأخذ يحدثه حتى أتوا بالطعام فطعموا وبعد أن استراح الأمير وأنس لهم التفت الى الثعلب متسائلا ، أيها البطل ما هى حدود الفتوة ؟ فأجاب الثعلب ان حدود الفتوة أكثر من أن تحصى ولكن أهم هذه التى لا تحصى اثنتان وسبعون صفة فضلوا منها اثنتين الأولى اطعام الطعام وثانيتهما الائتمان على الأسرار • والآن ما هى حاجتك ؟ حدثنا بها :

قال الأمير ، لما كان كتمان الأسرار من صفات فتوتكم فاننى أطلب الأمان حتى أذكر لكم ما عندى من سر • قال الثعلب ، قسما بالعادل الخالق ألا أفشى سرك لأحد كما نفديك بأرواحنا وأقسم رفاقه نفس القسم •

---

(١) الفيلم كلمة معناها الشبيه بالفيل فى الجسم والقوة •

عندئذ قال الأمير ، اعلموا أننى خورشيد شاه بن مرزبان شاه ملك بلاد الشام ٠

قال الثعلب أيها الشاب لقد كنا فى مجلس الملك حينما أخذت المربية الساحرة خورشيد شاه وحملته أمام أعيننا وأنت الآن تقول انك خورشيد شاه ٠ نحن نريد الصدق فى هذا الحديث ٠

قال خورشيد شاه ، ذلك كان أخى فرخ روز اذ أننا متشابهان تماما أنا الذى روضت الحصان الجامح وصرعت الحبشى أما أخى فرخ روز فقد ضحى بنفسه من أجلى عندما طرحت الساحرة ذلك اللغز ٠ قال هذا ثم بكى ٠ قال الثعلب الفيلم عندما وقف على الحقيقة ان فتوة فرخ روز تفوق فتوتنا قال هذا ثم شرب الكأس التى كانت فى يده تحية لفرخ روز ثم نهض واحتضمن الأمير وزاد فى اكرامه واعزازه ، وقبل الأمير أن يكون الثعلب فى منزلة أبيه ونثر على رأسه تلك الصرة التى كان بهـا ألف قطعة من الذهب ٠ وعندئذ قال الثعلب أنا والســتون فتى هؤلاء رفاق وخدم لفرخ روز ٠ ثم أبديا لبعضهما كثيرا من الاحترام والمجاملة وأخذا يتبادلان الحديث وأثناءه قال خورشيد شاه يا أخى بما انك أظهرت لى هذه الشفقة وتقبلتنى بهذا القبول أفلا تستطيع أن تدبر لى رؤية الأميرة ولو لمرة واحدة لأعرف منها أحوال فرخ روز ؟

استغرق الثعلب فى التفكير مدة ثم قال ، يا بنى لقد طلبت أمرا صعبا ، ان النسيم لا يجرؤ على الاقتراب من ذلك الحرم خوفا من المربية الساحرة ولو كان أمرا يمكن تنفيذه بالذهب أو بالقوة أو بالحيلة أو العيارة لاستطعت أن أدبره لك ذلك أن الطيور لا تجرؤ على الاقتراب من القصر ٠ فحزن الأمير ٠

فجأة تكلم سمك العيار فقال ، أيها الأستاذ لا تخذل الأمير بل اجعله متفائلا لأنه لو لم يكن مملوءا بالأمل لما جاء اليك ٠ قال الثعلب ، ان الرجل هو الذى يقول الصدق ويذكر ما يستطيع أن يفعله ٠ فقال سمك عندى كلام فهل تأذن لى ٠ قال الثعلب يبدو من كلامك أنك تعرف شيئا وأن لديك فكرة فتكلم بصراحة ٠

فى بيت مطربة الأميرة :

قال سمك أيها الأستاذ ان للأميرة مطربة آية فى الجمال وغاية فى فن الغناء اسمها بهجة الروح ويربطنى بها من الصداقة ما يجعلها تفعل كل ما أقول وأعرف أنه عن طريقها يمكننا ادخال الأمير الى مجلس الأميرة ٠ فسر الثعلب وكان سرور الأمير أعظم وفرحا كما أثنى عليهم الجميع وقرروا

أن يشربوا يومهم هذا حتى اذا أقبل الليل ذهبوا الى منزل بهجة الروح ولهذا جلسوا مع الستين فتى أمثال غلاب العيار والشبل العيار فاتك العيار والمليك العيار والماكر العيار حرملة العيار قانص العيار مضرس العيار وأمثالهم من أصحاب الحيل والشجعان ، يشربون حتى حل المساء استراحوا قليلا ردحا من الليل . عندما صاحت الديوك فى الفجر نهض الثعلب وسمك والأمير وذهبوا الى منزل بهجة الروح ودق سمك البـاب ففتحت احدى الجوارى وحين رأت سمك سلمت عليه لأنه كان معتادا على المنزل وكانت بهجة الروح ساعتئذ نائمة بملابس نومها ولكنها استيقظت ورأت سمك فنهضت وسلمت عليه وقالت له يا فلذة كبدى أين كنت حتى هذه الساعة ؟ لعله خير ؟ وقال سمك نعم خير الا أن الثعلب واقف بالباب فارتدت بهجة الروح ما يسترها وخرجت لاستقبال البطل وسلمت عليه وأكرمت مجيئه كما رأت الأمير فأدخلته المنزل على أحسن صورة يستقبل بها انسان ثم أحضرت الشراب وتلته بالطعام ، بعد ذلك قالت يا بنى قل لى ما سبب تحملك مشقة المجىء الآن ؟ قال سمك ، يا أمى الرحيمة لقد قمت بواجب الأمومة نحوى مرات عديدة ، وقد جئت الآن ولى طلب وأريد ألا تهملى كلامى ولو تفضلت وغبرت قدميك بالمجىء الى منزلنا لأن لنا معك حديث .

قالت بهجة الروح ، يا بنى ألا تعلم أن ماه برى ابنة الملك لا تستغنى عنى ساعة واحدة ، والا لكنت قد حضرت وأنا أعلم رغبتك الآن هى أن أغنى لكم فنجلس هنا ونتحدث وأغنيكم لأن كل شىء هنا مهيأ وحتى اذا سمع أحد الغناء ظن أننا نعلم البنات واذا حضر أحد فى طلبى وجدنى بالمنزل . فاستحسنوا رأيها وألقوا أمامها صرة بها بعض الدنانير وقال سمك مداعبا نحن ننفق الذهب بحساب فى منازل المطربين فردت بهجة الروح يقولها البيت بيتك ومالى هو مالك .

قالت هذا وانشغلت باعداد مجلس الطرب وقالت لجارية اذهبى واحضرى سميى . فذهبت الجارية وأتت بكيس من الكتان الرومى طرزت أطرافه بالأطلس الختانى وعقدت أربطته الحريرية ، فضلتها وأخرجت منه كيسا وحلت أربطته المذهبة وأزراره الياقوتية واللؤلؤية ثم أخرجت بربطا من العود القمـارى والعـاج والأبنوس المنقوش ويده مرصعة بالجواهر وأزراره من خشب الصندل الأبيض وأمسكت بهجة الروح بهذا البربط وشدت أوتاره وأخذت فى العزف عليه فتصاعدت ألحانه وتصاعدت معها آهات الاستحسان من الحاضرين . فلما انتهت منها شربت كأسا ثم أشارت الى الجارية وقالت لها احضرى زينة المجلس ، وأت بذلك العجوز مفرح النفوس وهات ذلك الهرم الحسن النغم .

دخلت الجارية الى الداخــل وأحضرت شيئا مثل السلم وقد غلف بغلاف من الأديم ففتحت غلافه وأخرجت عودا أمسكت به وعزفت عليه فأطارت عقل الأمير فلما انتهت منه شربت كأسا أخرى وقالت للجارية أحضرى ذلك المطرب القمرى الصورة المدور الهيئة السمكى السيرة حتى نغنى عليه ساعة • فدخلت الجارية المنزل وأتت بملاءة من الأديم وفرشتها وأخرجت منها دائرة أعطتها لبهجة الروح فمرت عليها بيدها فخرج منها صوت كأنه موسيقار رومى يتغنى فى بلاد الروم ثم غنت عليه صوتا آخر فلما انتهت شربت كأسا أخرى ونالت استحسان الحاضرين واعجابهم •

كانت الخمر قد أثرت فى الأمير وأزالت حجب الخجل عنه ورغب فى العزف على العود فاستأذن فى ذلك وتناول العود وأخذ يعزف لحنا عاشقا من مقام عاطفى ملتهب مما أطاح بعقل بهجة الروح وسألت متعجبة كيف تحتاجون لنا ولأشباهنا مع وجود هذا الفتى معكم بما له من صوت وحسن ايقاع ومعرفة بأصول الموسيقى ؟

وجد سمك فرصة للكلام فوقف وحيا وقال يا أماه تعلمين ما هى الفتوة وحرفة من تكون ؟ قالت بهجة الروح ان الفتوة للفتيان واذا عملت امرأة عملا من أعمال الفتوة فهى كالرجل • فسألها سمك ماذا لك من الفتوة ؟ قالت بهجة الروح عندى من الفتوة الأمانة التامة فاذا وقع شىء لشخص ما وجاء الى فى حاجة ، فاننى أجعل روحى درعا له وأفديه بها وأكون عونا له ، واذا التجأ أحد الى حماى فاننى لا أتخلى عنه ما بقيت روحى فى جسدى • ولا أقول سر أحد لأحد قط ولا أفشيه أبدا ، هذه هى الفتوة والرجولة كما أعرفها ، والآن ما هى غايتك منها ؟ ان كان لديك أمر أو سر فاذكره وان كانت عندك أمانة فاودعها عندى • فأثنى عليها سمك العيار وقال نعم عندى سر سأبوح به ولدى أمانة سأودعها عندك ولكننى أريد أن تقسمى على ما قلته • قالت بهجة الروح بالله العــادل الخالق الرحيم وبأرواح الطاهرين والصديقين اننى مخلصة لك فيما قلت ، وأن أكون صديقة لأصدقائك عدوة لأعدائك ولا أفشى سرك أبدا وأن أقوم بأفضـــل ما أستطيع لكى أدرأ عنك ما قد يسبب لك الضرر أو الأذى ، وألا أتحايل عليك ولو دقيقة واحدة وألا أفكر فى اساءة اليك ، واذا تسببت صداقتك فى القضاء على فاننى أتقبل هذا وأرضى به ، واذا لم أقم بما تريد فلا كنت من النساء ذوات الشهامة والمروة كالرجال •

عند هذا قال سمك ، أماه : هذا الشاب الغريب هو ملكنا ، وهو ابن ملك الشام واسمه خورشيد شاه ، حضر الينا واحتمى بنا وقد جاء لخطوبة ماه برى » •

قالت بهجة الروح ، يا سمك ان خورشيد شاه هذا الذى تتكلم عنه ألم تأخذه المربية الساحرة ؟ أليس لك علم بما حدث ؟ عندئذ ذكر سمك القصة كما جرت • فأخذت بهجة الروح بجمال الأمير وشكله وشعره وقبلته كابن لها وقالت ، لقد وجبت الفتوة لفرخ روز لأنه قدم روحه فداء لخورشيد شاه ، أما ما قلته وما طلبته فلا سبيل اليه لأن الحصول عليه مستحيل سواء بالذهب أو بالقوة أو الضراعة مع غريمة مثل المربية الساحرة ، فما التدبير ؟ قال سمك ، يا أماه لو أن ذلك كان ممكنا عن طريق العيارة أو السرقة أو البطولة أو المال لما أتينا الى بابك ، ولكننا نترك هذا الأمر لحسن تدبيرك وسعيك •

رفعت بهجة الروح رأسها بعد ساعة وقالت « لقد وجدت حيلة اذا أطاعنى الأمير ونفذ كل ما أطلب منه » • فاتفقوا على هذا وتركوا خورشيد شاه لديها وخرج الثعلب وسمك •

الأمير فى زى مغنية :

قالت بهجة الروح أيها الأمير أنت ابنى وقد أقسمت على أن أقوم بهذا الأمر فيجب أن تنفذ كل ما أقول • قال الأمير مرى فانى منفذ لكل ما تقولين بروحى •

أسرعت بهجة الروح فوضعت الحناء فى يدى الأمير ورجليه ومشطت شعره ثم ضفرته وجدلته وزينته بكل ما تتزين به النساء من وشم وكحل وأزرق وأبيض وأحمر وخال (١) وما الى ذلك وأعدت له قناعا وعباءة وتصبة وغطاء رأس مذهب وأطلقت عليه اسم نور الفؤاد وأبقته مع الجوارى ، وفى اليوم التالى حينما جاء الثعلب وسمك وشاهداه على هذه الصورة من الحسن أعطياه بعض الدواء المخدر ووهقا وقالا له سوف تنفعك هذه الأشياء فكن شهما • قالا هذا وانصرفا •

كانت بهجة الروح فى صحبة الأميرة كالعادة الى أن حل عيد النوروز ، وذهبت الأميرة ماه برى الى البستان النوروزى للسرور والطرب مع الجوارى ، وذات يوم بينما كانت بهجة الروح تتحدث اليها ـ وهما فى وسط هذا الطرب والأفراح ـ اذ بماه برى تطلب على سبيل المزاح هدية عيد النوروز من بهجة الروح ، فوجدت هذه الفرصة مواتية للكلام وقالت

(١) الخال هو ما نسميه بالحسنة التى تكون فى الوجه •

« يا سيدة الحسن والجمال ، لقد اشتريت لك جارية كهدية للعيد وقد ربيتها حتى أصبحت نادرة الزمان وأعجوبة العصر والأوان » ، فألحت ماه برى وقالت أرسلي في احضارها فأرسلت بهجة الروح لالا صالح الى منزلها لكى يحضر نور الفؤاد ·

ذهب لالا صالح الى منزل بهجة الروح واصطحب نور الفؤاد مع بربط وأتى بهما الى البستان فلما وصل خورشيد شاه الى ذلك المجلس وجد ماه برى كأنهـا شمس الشروق وقد جلست على عرشهـا وأحاطت الجوارى بها فسلم وأسرع بتقبيل يدها فأعجبت ماه برى به وسألت عن اسمها فقالت بهجة الروح ان اسمها الأصلى هو نور الفؤاد فماذا ترى الأميرة ؟ قالت ماه برى انه اسم على مسمى · وهو اسم جميل ثم أمرت أن تغنى شيئا فأمسكت نور الفؤاد بالبربط وشرعت تغنى ، وكان بهاء المجلس والحبيب ملء العينين وخمر العشق تشعشع فى الرأس وتغمر الأنفس ما جعل هذه الأميرة المشهورة وتلك المربية القبيحة الملعونة وكل الحاضرين يفقدون عقولهم طربا وسرورا وكانت المربية تقول فى نفسها ماذا كان يمكن أن يحدث لو لم تكن هذه فتاة وكانت شابا اذن لقضيت العمر معه فى سعادة وكانت الأميرة فى نفس التفكير والحالة ، وماذا يمكن أن يقال عن الجوارى ؟ ولما كان خورشيد شاه قد استقبل هذا الاستقبال من المجلس فقد أخذت بهجة الروح العود من يده ووضعته على الأرض وأخذت تنظر اليه باعجاب · وفجأة وصل الملك فغفور الى باب البستان فى طريق عودته من الديوان فسمع صوت نور الفؤاد فقال لمهران الوزير ما أجمله من غناء هيا بنا نذهب اليهم ونشرب بعض الكئوس على هذا الصوت ولكن مهران الوزير منعه وقال لما كانت ماه برى لا تطلب شيئا منك فلا تطمع فى شيء لديها · قالا هذا وذهبا · أما فى الناحية الأخرى فان المجلس كان قد انتشى وكانت ماه برى تمسك بكأس فى يدها فنادت على نور الفؤاد وأعطتها اياه فحيتها وشكرتها وشربته تحية لوجه الحبيب وقالت :

مجلس طرب وربيع وبيننا حديث العشق يجرى
فهات الكأس من الحبيب يامن عن الحب لا يدرى (١)

---

(١) مجلس أمن وبهـــار وبحث عشق اندر ميان
نستدن جام مى از جانان كران جانى بود

وانشغلوا فى اللهو والسرور الى أن حل الليل والظلام فنهضت بهجة الروح وأخذت يد خورشيد شاه وحيت لكى تنصرف فساء ماه برى هذا التصرف • وقالت لبهجة الروح لقد أحضرت لنا شيئا كهدية للنوروز وأعطيته لنا والآن تأخذينه معك ؟ فلتبق هنا الليلة لأننى لم أجلس معها بسبب الجوارى وحديثهن ولنتحدث الليلة ولتذهب معك فى الليلة القادمة •

حيت بهجة الروح وتركت نور الفؤاد وخرجت وذهبت الى منزلها وأرسلت تطلب الثعلب وسمك فلما حضرا ذكرت لهما ما حدث فقالا نرجو الا يحدث ولو بالصدفة شىء بسبب الحب أو الشباب أو أثناء السكر فتضيع رءوسنا جميعا فى الهـواء ومن الخير أن نذهب الليلة الى باب البستان ونتجول حوله فاذا حدث شىء كنا موجودين على التو • ونهضا وأحضرا أدوات العيارين وذهبا الى هناك •

عصمة رغم الصبابة :

يقولون أنه فى الناحيـة الأخـرى حين خرجت بهجة الروح وبقى خورشيد شاه المسمى باسم نور الفؤاد مع الأميرة التى أمرت باحضار الشموع وتزيين المجلس بمختلف أنواع الشموع العنبرية الكافورية ، ثم أخذت الأميرة تتحدث الى الأمير فقالت يا نور الفؤاد أتعرفين كل الألحان ؟ قالت نعم • فسألت أتعرفين النرد والشطرنج أيضا ؟ قالت الى حد ما • فامرت الأميرة باحضـــار الشطرنج المجوف المصنوع من أسنان الأسماك والمملوء بالمسك والعنبر وأتوا ببساط من الأديم المخيط بالحرير وأخذا فى اللعب والتفنن فيه ومع أن الأمير كان يفوز الا أنه كان يخادع فى لعبه لكى تفوز الأميرة كما يقول الشاعر •

تدلل الحبيب على الرخ وفى عينيــه وسن
وانهزم لى فى الشطرنــج مرارا بالحيـــل
حينما يدفع حصـــانه قاصــــدا قتل الملك
أضــع الخـد على خـده فينسى من قتـــل

سرت الأميرة كثيرا وصرفت الجوارى فذهبت كل واحدة منهن الى مكان وأمرت لالا صالح أن « يحرس الباب ولا يدع أحدا يدخل لكى تختلى مع المربية ونور الفؤاد » • فخرج لالا صالح ثم أخذن فى الحديث مدة • وقال الأمير فى نفسه لقد حانت ساعة العمل وبعد أن شربوا عدة كئوس ،

وضع الدواء المخدر فى كأسين قدمهما للأميرة والمربية فسقطتا فاقدتى الوعى ونهض الأمير وأراد أن يقتل المربية ويحمل الأميرة ويذهب ، ولكنه ملك عنان نفسه وقيد المربية وحملها على كتفه وسار فى الحديقة حتى وصل الى حائطها فربط المربية فى الوهق ثم تسلق الجدار وسحب المربية وأنزلها من الناحية الأخرى ونزل خلفها ثم حملها متوجها الى منزل العيارين •

نهاية الشر :

من قضاء الله فى تلك الليلة المظلمة أنه بينما كان يسير رأى شخصين فجأة فخاف وغير طريقة ولكنهما قطعا الطريق عليه وصاحا فيه من أنت ؟ عرف الأمير صوتهما وكان هذان الشجاعان هما الثعلب الفيلم وسمك العيار فقال لهما يا أحرار الرجال ما هكذا يصيحون على الأصدقاء أنا خورشيد شاه نور الفؤاد • ففرح الثعلب وسمك وأسرعا نحو الأمير واحتضناه وسألاه عن أحواله ثم قالا له ماذا تحمل على كتفيك ؟ قال الأمير هذه هى المربية الملعونة أتيت بها ثم قص عليهما ما جرى من أوله الى آخره ففرحا غاية الفرح وتملكهما السرور لاحضار المربية الساحرة ومدحاه كثيرا وقالا لقد تصرفت تصرف الشجعان وأتيت بعمل عجز عنه كل العيارين ، والآن أعطنا المربية وعد أنت والا طلبوك غدا من بهجة الروح • ومن ناحية أخرى فلعلك تجد خبرا عن فرخ روز •

سلمهما الأمير المربية وعاد من نفس الطريق الذى أتى منه ورجع الى مكانه ونام ، فلما تحول ظلام تلك الليلة الى نهار ، استيقظت ماه برى بنت الملك فغفور ساحرة القلوب وأيقظت الأمير المسمى بنور الفؤاد وقالت انهض ما هكذا تنام المطربات ثم أخذتا فى الكلام وجاء لالا صالح والجوارى وتشعب الحديث ودارت الخمر واحتضن الأمير عوده وأخذ يغنى هذه الأبيات :

ما أسعد قلبى بنسمات الربيع وان صرعت كل العاشقين التعساء
كأنها عند الصباح رائحة الحبيب يطير لها قلبى المعنى للسماء
لها الورود تفتحت والأزهار وسكر البلبل وشدا بالغناء (١)

---

(١) خوش مى وزد بدين دلم باد نو بهار
مدهوش من شوند همه عاشقان زار
كوبى كه بوىيازمنست اين بوقت صبح
زان وجه مى شود دل ديوانه بى قرار
در باغ وبوستان جو رياحين وكل شكفت
بى هوش كشت بلبل وافغان كند هزار

حينما انتهى الأمير من غناء هذا الصوت تصاعد صياح الحاضرين بالمجلس ، أما الأميرة فانها من نشوتها نسيت نفسها وتصاعدت منها صيحات « الشراب الشراب » • ولم يفكر أحد فى المربية التى كانت معتادة على أن تتغيب يومين أو ثلاثة أو حتى عشرة أيام ثم تعود وكانت بهجة الروح قد جاءت وعذب الحديث والسمر •

أما راوى القصة فانه يقول فى الجانب الآخر حمل الثعلب وسمك العيار المربية الماكرة وذهبا بها الى المنزل ووضعا القيود والأغلال فى يديها ورجليها • فلما طلع النهار وفتحت المربية عينيها ورأت نفسها مقيدة ووجدت الثعلب وسمك والعيارين سألت من ذا الذى قيدنى ؟ قالوا لها انه شجرة السرو الناطقة • قالت المربية ما هذا الكلام ؟ لقد كانت هذه حيلة دبرتها • بعد ذلك سألها سمك أين وضعت فرخ روز المسمى بخورشيد شاه ؟ فقالت ان أحدا لا يسألنى عن هذا • عندئذ انهال عليها الثعلب وسمك ضربا بالعصى ثم صلباها ولكنها لم تعترف •

نعود الى القصة والحديث عن الأمير خورشيد شاه • فيروى ابن أبى القاسم ويقول ، قضت الأميرة ذلك اليوم فى الكلام والحديث فلما أقبل الليل أخذت بهجة الروح يد نور الفؤاد كى تستأذن فى الانصراف ولكن الأميرة ماه برى قالت يا بهجة الروح لقد سكرت البارحة بسرعة فيجب أن تبقى نور الفؤاد الليلة حتى نتحدث جيدا • فانصرفت بهجة الروح وجلست الأميرة مع نور الفؤاد فى خلوة تتجاذبان أطراف الحديث • وقال الأمير فى نفسه ؟ هل كان فى ظنك أن تصل الى هذه السعادة ؟ ثم وضع الدواء المخدر للأميرة فنامت وكبح جماح نفسه مرة أخرى وحافظ على شهامته وفتوته ، وقال على أن أبحث عن فرخ روز •

البحث عن فرخ روز :

خرج الأمير من المنزل وأخذ يتجول فى القصر لعله يجد شيئا ، وفجأة رأى دهليزا أراد أن يدخله الا أن عبدا زنجيا قبيحا هجم عليه وحاول أن يضرب رأسه بالسيف فقال الأمير متنكرا لا تضرب فأنا صديقة • قال العبد أيتها الحقيرة أن أحدا فى العالم لا يجرؤ على الاقتراب من باب هذه الحجرة ابتداء من الملك فغفور الى الآخرين لأن هذا مكان المربية • ففرح الأمير وقال لنفسه وجدت ما أبحث عنه ثم قال ، أيها الأستاذ (١) أنا غريبة هنا وقد

---

(١) أستاذ لقب من الألقاب التى كان العيارون يطلقونها على رؤسائهم •

ضللت الطريق ولا أعرف أين أذهب . أنا نور الفؤاد المغنية لدى الأميرة ولقد خرجت لقضاء حاجة ولا أعرف الطريق فوصلت الى هنا فاعذرني .

حينما سمع الخادم اسم نور الفؤاد وقف وأدى التحية ، وقال يا راحة القلب لم أتعرف عليك ولقد استمعت بالأمس الى غنائك وتمنيت أن أقضى معك ساعة فى لهو وشراب ، وقد أتى بك قلبى الى هذا المكان » .

قالت نور الفؤاد أنا طوع أمرك ولكنني أخشى أن تستيقظ الأميرة فلا تجدنى وتقول شيئا » فقال الخادم « لا عليك سنشرب معا بعض الكئوس ولنذهب الى حجرتى لأن هذا المكان طريق عبور ومرور » وتوجها الى حجرة الخادم وشربا لبعض الوقت وكان الأمير يغنى غناء جميلا رقيقا حزينا بحيث لا يخرج صوته من الحجرة . فلما شربا بعض الكئوس القى الأمير فى الخمر مخدرا وسقاه للخادم فسقط فى الحال فاقد الوعى من شدة المخدر . وقد سمعت أن اسم الخادم كان كمكوك .

حين رأى الأمير أن العبد سقط فاقد الوعى قال لنفسه هذا مكان المربية وكل ما لها لابد أن يكون هنا ، ولهذا قام وأخذ مصباحا وأخذ يتجول فى المكان وهو يشعر بالاطمئنان الى أن أحدا لن يأتى لأن المربية نفسها كانت فى القيد . وحين وصل الى وسط القصر رأى بابا مغلقا بقفل فى ضخامة ساق رجل . فقال خورشيد شاه لنفسه كل ما أبحث عنه لابد أن يكون هنا ولا شك أن المفتاح فى غرفة العبد . فعاد الى حجرته وهو يمنى نفسه قائلا لابد أن أخى فرخ روز حى فى ذلك السجن .

حمل المفتاح وفتح القفل والباب فظهر سلم فنزل عليه مسافة خمسين درجة الى أن وصل الى سرداب القصر ونظر فرأى قاعة لها أربعة أبواب وأربعة حجرات وجها لوجه وقد أوقدت الشموع ثم رأى جماعة جالسين والقيود فى أيديهم وأرجلهم وتطلع الى وسط الجماعة فوجد فرخ روز جالسا ففرح كثيرا وجرى نحوه واحتضن رأسه وأخذ يقبل وجهه وعينيه فسأل فرخ روز ، « أخى العزيز كيف جئت الى هنا والنسيم لا يستطيع الوصول خوفا من المربية وذلك العبد الموكل على باب السرداب ؟ ماذا فعلت بالمربية والعبد » ؟ قال الأمير « هذه الفرصة ليست للكلام فالقصة طويلة انظر الى وعلى أية هيئة قدمت يا أخى لقد تصنعت كثيرا حتى وصلت الى هذا المكان وجئت الى هذا المقام » .

انقاذ فرخ روز :

بعد ذلك فك القيود من يدى فرخ روز ورجليه فقال « أيها الأمير لما كنت قد جئت الى هنا فأتم العمل وأطلق سراح هؤلاء الأمراء أيضا لكى

نذهب جميعا فقد مضى عليهم وقت طويل فى الأسر » قال الأمير سوف أخذهم أيضا طالما عرفت أين أنتم ولكن يجب عليهم أن يقسموا بألا يفشوا هذا السر ولا يتحدثوا بشىء سواء كان خيرا أم شرا حتى أهيىء العدة لاخراجهم ففى مساء الغد سوف أخرجهم لأن هذا قصر ملك ولا يحتمل ضوضاء كل هؤلاء الناس ، كما أننى لا أعرف الطريق جيدا وكيف يمكن أن أخرج ، فليقسموا ويبقوا حيث هم حتى أرسلك اليهم واستدعى بعض الرجال لأننى لا أستطيع وحدى أن أخرج مثل هذا الجمع ، كما يجب على أن أبقى فى القصر كمطربة للأميرة حتى أهيىء لنفسى وسيلة للخروج ٠

حينما انتهى الأمير من كلامه هذا أقسموا على ألا يفشوا هذا السر ولا يتحدثوا به ولا يقبلوا أن يتحدث به أحد منهم عندئذ قال خورشيد شاه اطمئنوا فاننى سوف أخرجكم مساء الغد من هنا دون أذى لأننى أجد الطريق لذلك غدا ٠ قال هذا وأمسك بيد فرخ روز وصعدا السلم ثم أغلقا الباب وأقفلا القفل ووضعا المفتاح فى جيب العبد ثم عثرا على الطريق المؤدى الى السطح وصعدا اليه وفك الأمير الوهق من وسطه وربطه فى وسط فرخ روز وقال له يا أخى حين تنزل اذهب الى محله بائعى التبن حيث يوجد بيت الفتيان وتوجه الى التعلب وسمك واذكر لهم الحال كما رأيتهما واذا كان هناك جديد فقله الى بهجة الروح لتنقله الى ٠ ثم أضاف ولا تنس تدبير وسيلة نخرج بها هؤلاء الرجال مساء غد ولا أستطيع أن أطيل معك الحديث أكثر من هذا فالوقت متأخر ثم أدلى فرخ روز بالحبل ونزل هو من فوق السطح وذهب الى حيث توجد الأميرة ونام ٠

نعود الى الكلام عن فرخ روز وجماعة الفتيان ٠ يقول مؤلف الأخبار أنه عندما أخرج خورشيد شاه أخاه فرخ روز من ذلك السرداب وأنزله من فوق السطح سار فرخ روز فى طريقه الى منزل الفتيان كما وصفه له وحينما وصل الى باب القصر رآه مفتوحا وترامى الى سمعه صوت ضرب بالعصى فقال لنفسه ما عساه أن يكون فى هذا الوقت من الليل ؟ فلما دخل القصر رأى جماعة الفتيان جالسين وامرأة تضرب فلما دقق النظر أدرك أنها المربية الساحرة وقد قيدت لأنه سبق أن رآها أثناء الخطوبة ٠ سلم فرخ روز على الفتيان بسعادة فنظر الثعلب فى وجهه ثم وقف واحتضنه لأنه عرف أنه أخو خورشيد شاه وسأله عن القيد والسجن ثم احتضنه كل العيارين وسألوه عن أحواله وسعدوا به وقالت المربية رغم كل الضرب الذى نالته ، من هذا الذى تسألونه ؟ ثم نظرت فرأت فرخ روز ، وبكل الدناءة والخسة التى جبلت عليها تلك الملعونة ، رفعت رأسها وقالت أيها الخسيس كيف أتيت الى هنا وما هذه الحال ؟ هل مات كمكوك الأسود وخرب القصر ؟ قال فرخ روز يا ابنة الحرام يا ساحرة يا سيئة الفعال هل تظنين أننى جئت من حلب الى هنا عن جهل وتقدمت لخطوبة الأميرة

لكى تأخذيننى وتضعيننى فى القيد والسجن ؟ هل تعتقدين أننى مثل الآخرين أصبحت عاجزا فى يديك ؟ لقد حطمت سجنك وخرجت منه لكى أقف على أحوالك وغدا سوف أحضر لك بقية السجناء .

قالت المربية ، وا أسفاه لقد ضاع تعبى كله وذهب أدراج الرياح ولست أدرى أى بطل هذا الذى اخترق حماى واستولى على قيودى وسجنى ؟

بينما كانوا يتحدثون فى هذا نهض الثعلب واحتضن فرخ روز مرة أخرى وقبله من عينيه ووجهه وأجلسه أمامه وعززه وأكرمه وتحدث فرخ روز بكل ما سمعه من خورشيد شاه ، فأخذ الثعلب وسمك العيار يده واتجهوا الى قصر بهجة الروح فلما وصلوا نظرت المغنية فلم تفرقه عن خورشيد شاه وذكر لها فرخ روز أحوال أخيه خورشيد شاه واتفقوا على أنه حينما يحل الظلام يذهبون عند بيت الأميرة ويخرجون هؤلاء الأمراء . وقالوا لبهجة الروح اخبرى خورشيد شاه أننا سنأتى الليلة .

بعد هذا رجعوا الى بيت العيارين وجلست بهجة الروح بجوار المربية وأخذت تحاسبها على كل شىء وقالت لها أيتها الرعناء أى عمل كان ذاك الذى اقترفتيه ، ولماذا وضعت هؤلاء الأمراء فى السجن ؟ لقد ارتد اليك عمالك وأعرف أنك سوف لا تنجين من أيدينا وأخذت تحدثها بمثل هذا وتوبخها .

نعود الى الحديث عن خورشيد شاه .

كانت الأميرة نائمة فى حجرتها فجلس الأمير محتفظا بفتوته وعصمته مكتفيا بالنظر اليها ، ومع أنه كان يحبها فانه حتى لم يطبع قبله على خدها لأن فى ذلك خروجا على الأدب بل تناول الطنبور وأخذ يغنى للصبوح فى غزل هامس دافىء الى أن استيقظت الأميرة من نومها على هذه الأنغام الحلوة فأمرت أن يهيئوا مجلس الطرب ، وفى هذه الأثناء وصلت بهجة الروح فحيت وجلست فى مكانها ثم أحضروا ما تيسر فأكلوا ثم أخذوا فى تناول الشراب .

أما فى داخل القصر فان كمكوك الأسود استيقظ من نومه أمام منزل المربية وكان الوقت متأخرا فقال « وا أسفاه ، لو جاءت المربية ورأتنى نائما حتى هذا الوقت ، فانها كانت ستغضب ولكن حسنا انها لم تأت ولكن ماذا أصابنى حتى سكرت الى هذا الحد ولقد ذهبت نور الفؤاد ولم أشعر بها » . ثم نهض وحمل غذاء المساجين كالعادة وهبط الى السرداب ، وخوفا من المربية وسؤالها عن سبب تأخير طعامهم ، ولأنه أيضا ما زال تحت

تأثير الخمر يغالبه النوم فانه لم ينظر ان كان أحد الأسرى قد اختفى بل وضع الطعام أمامهم وعاد صاعدا وأغلق الباب وجلس خلف الستار ٠

نهضت الأميرة لقضاء حاجة فانتهزت بهجة الروح هـــذا وذكرت لخورشيد شاه كل ما أرادت ذكره وأخبرته عن مجيء الثعلب الفيلم وسمك العيار الى جوار القصر ٠ وأعطته بعض المنوم الذى أحضرته له ، وعندما عادت الأميرة وجلست فى مكانها انشغلوا باحتساء الشراب الى أن انتشر الظلام فقامت بهجة الروح وحيت وأخذت يد نور الفؤاد ٠ فقالت الأميرة يا بهجة الروح الى متى تتدللين ؟ بكم اشتريت هذه الجارية لأدفع لك ثمنها وأجر تربيتك لها ٠ لقد مننت على ذلك اليوم وقلت انك أحضرتها لى كهدية فى عيد النوروز ، ولكنك كل ساعة تأخذين يدها لتسترديها ويبدو أنك علمتها الغناء من أجلك أنت وليس من أجلى ، لأننى لا أشبع من غنائها فاتركيها وان شئت البقاء فابقى انت أيضا والا فاذهبى » ٠

حيت بهجة الروح وقالت « أيتها الملكة لقد كان خطأ منى ولكننى ظننت أنها ربما سببت لك بعض المضايقة ، ان كل ما أملك بما فيه نور الفؤاد ملك لسيدتى » ٠ قالت هذا وحيت وذهبت وبقيت الأميرة فى مجلس أنسها حتى سكرت الجوارى وتفرقن وخلا المكان ، وكان الأمير يقوم بتقديم الخمر فملأ قدحا ووضع فيه المنوم وقدمه للأميرة التى كانت ثمله فشربت تلك الكأس فلم تدر عما حولها شيئا ٠ وكان الخادم الأسود ينظر من خلف الأستار فلما رأى أن الأميرة نامت ألقى بحجر فسقط بجوار نور الفؤاد (خورشيد شاه) فعرفت أنه الزنجى وأنه يريدها ، فنهضت وذهبت الى الخادم وقالت له أيها السيد لقد كان هذا تقصيرا منى اذ نامت الأميرة متأخرة ، فحيا الخادم وقال لا بأس لقد شاهدت ذلك ثم وضع يده فى يد نور الفؤاد وذهبا الى حجرته وكان قد أعد كل شيء من شراب ونقل وفاكهة وشموع فجلسا يشربان ثم قالت نور الفؤاد أيها الخادم لقد شربت الليلة كثيرا فلا تعطنى شرابا حتى أستطيع الغناء ، لأننى لو شربت كثيرا فسأسكر وأبقى هنا وحين تستيقظ الأميرة ولا تجدنى فاننا سنلام كلانا ٠ فقال الخادم لا بأس فقالت نور الفؤاد سأتولى أنا تقديم الشراب لك وأسرعت الى اناء الخمر وملأت قدحا ووضعت فيه المخدر وقدمته للخادم الذى قال ، يا نور الفؤاد غنى أنت بينما أتنـــاول أنا الشراب بنفسى فأنا لا أحتاج الى ساقى فغنت نور الفؤاد ساعة ثم نهضت وقالت أريد الذهاب قبل أن تستيقظ الأميرة وتلومنى فقال الخادم فى نفسه لعلها تريد أجر الغناء لأن من عادة المطربين حين يريدون الأجر أن يقولوا نريد الذهاب حتى يعطيهم المضيف أجرهم وعندئذ قال يا نور الفؤاد اجلسى ولا يهمك ، ثم أتى بصرة من الدنانير وضعها أمامها واعتذر فقال الأمير أتظن أننى أخدمك من أجل المال ؟ ما هذا ؟ ثم جلس وغنى حتى

فقد الخادم وعيه بتأثير ذلك المخدر وسقط فاقد الوعى مغمى عليه بعد ذلك قال الأمير لنفسه أصعد الى السطح لأرى ان كان أحد قد جاء أم لا وصعد الى السطح ونظر فوجد بجوار القصر الثعلب الفيلم وسمك ونحو خمسين رجلا فأدلى اليهم وهقه فصعد الثعلب وسمك الذى أمر أن يبقى الآخرون بجوار القصر للحراسة ، ثم تقدم الأمير لأنه كان يعرف الطريق الى أن وصل الى حجرة الخادم فأخرج المفتاح من جيبه ثم توجهوا الى بيت المربية فقال سمك العيار أيها الأمير من الواجب قتل هذا الخادم وقام بوضع يده على حلقه وضغط عليه بقوة لأن العبد كان كالميت من تأثير المخدر فأخرج سمك بقية أنفاسه وذلك كى لا يشرب شرابا مع نور الفؤاد بعد هذا ٠

عهــد وميثــاق :

بعد ذلك توجهوا الى السرداب وفتحوا الباب ونظر الأمير والثعلب وسمك فرأوا عشرين شابا كالأقمار وقد وضعت القيود فى أيديهم وأرجلهم وربطت احدى أيديهم بين أرجلهم فتقدم سمك اليهم وقال أيها الأمراء والفتيان اعلموا وتأكدوا ان هذا الشاب الواقف أمامكم هو خورشيد شاه ، وقد تزيا بزى النساء من أجل نفسه ومن أجلكم ، هل يتصور أحد هذا ؟ ان أحدا فى العالم لم يفعل هذا ولا يستطيع أن يفعله لأنه وضع روحه على كفة وزج بنفسه فى مثل هذا المكان وحطم هذا السجن وأخذ المربية وسوف يخرجكم منه لكى يصل الى مراده فان وافقتم فبها والا عدنا ٠ قال الجميع ولماذا لا نوافق ليتك كنت أخذتنا بالأمس ٠ قال سمك يجب عليكم أن تقسموا انه حينما تخرجون لا تفكروا فى أمر ماه برى وتتركونها لخورشيد شاه ان أردتم أن تتخلصوا مما أنتم فيه ولا تكون لكم معه عداوة أو خلاف أو غمز أو لمز ولا تضمروا له حقدا فى قلوبكم وتفعلوا ما فيه رضاه وتكونوا أصدقاء لأصدقائه أعداء لأعدائه ٠ قال الجميع سنكون كما طلب سمك وأقسموا على ذلك ، عندئذ فكوا القيود من أرجلهم وصعد الجميع من السرداب ٠

أراد الأمير أن يصعد الى السطح ولكن سمك قال له يجب الخروج من باب القصر لأنه من الصعب انزال كل هؤلاء بواسطة الأوهاق ولا أعرف ماذا سيحدث لنا ، وتوجهوا الى باب القصر فوجدوا حارسا مع خادمين أو ثلاثة فانقضوا عليهم وقطعوا رءوسهم وفتحوا الباب وخرجوا سالمين ورافقهم خورشيد شاه الى قصر الفتيان ٠

كان فرخ روز جالسا يعاقب المربية فلما رآهم قال أيتها الساحرة القذرة انظرى كيف خرج جميع الأسرى ، ونظر الأمراء فوجدوا الساحرة على هذه الحال ففرحوا ، ونظرت المربية فرأت أسراها فسكتت ولم تستطع

أن نقول شيئا وتقدم كل واحد من الأسرى وصفع المربية على قفاها ثم لعنها وسبها . بعد ذلك جلس الجميع وأخذوا يقصون قصصهم وكيف وقعوا في هذا المكان وقضوا ليلتهم على تلك الحال .

اكتشاف السر :

حينما طلع النهار استيقظت الأميرة فلم تجد نور الفؤاد أو تسمع صوتها فنادت الجوارى وسألت لالا صالح أين نور الفؤاد ؟ قالوا أيتها الملكة لقد كانت عندك البارحة عندما تركناك فنهضت الأميرة وقالت لعلها ذهبت الى مكان ما وأخذت تبحث عنها لعلها تكون قد ذهبت الى مقر المربية وأمسكها الخادم الأسود ولا زالت نائمة عنده ، فذهبت الأميرة الى بيت المربية فرأت الخادم ملقى وقد قتل ونظرت فى وسط البيت فرأت باب السرداب مفتوحا فارتجفت وخافت ورجعت لكى تذهب الى الملك وتخبره وفجأة سمعت ضجة وصياحا يأتى من ناحية قصر الملك بأن بعض الحراس قد قتلوا ، فتحيرت الأميرة وقالت ما أعجب ما حدث أين ذهبت نور الفؤاد ؟ لعلهم اختطفوها ظانين أنها أنا . وهكذا كانت تفكر الى أن وصلت الى أبيها وكان فى بيت النساء فلما سمعت أصواتهن تضايقت وأرادت أن ترجع ولكن الملك رآها فتعجب وقال لماذا جئت وحدك وأين المربية ؟ ماذا حدث ؟ قالت الأميرة يا أبى وقع ما تسمعه ، فمنذ يومين أو ثلاثة والمربية مختفية وقد كسروا سجنها وأخذوا المسجونين ، فتعجب من كلامها وقال هل كان للمربيـــة ســـجن ؟ وهل كانت تسجن هؤلاء الأمراء الذين كانوا يأتون لخطوبتك ؟ قالت الأميرة نعم ولكن لا أعرف كيف كان ذلك . قال الملك فلأذهب الى قاعة الملك » . وذهب الى هناك وجلس على العرش وأحضروا مهران الوزير فأبلغه الملك بما حدث وقال لقد حطموا سجن المربية وحملوا المسجونين كما قتلوا حارس الباب وبعض الرجال . قال مهران الوزير أيها الملك هل كان للمربية سجن على هذا النحو ؟ وهل كانت تحتفظ بالأمراء ؟ ومع كل هذا فقد كان خيرا أنها كانت تأخذهم ولم تكن تقتلهم ولكن أين المربية ؟

قال الملك سمعت من بنتى أنها مختفية منذ نحو يومين أو ثلاثة فقال الوزير هذا الأمر لا يبعد عن الثعلب ورفاقه وهم الذين ارتكبوه يجب ارسال أحد ليحضره .

ذهب حاجب الى قصر العيارين فوجد جب العيـــار وشرير واقفين بالباب فقال الحاجب قولا للقائد الثعلب أن الملك فغفور يريدك . فدخل جب العيار الى القصر وقال للثعلب أن الملك فغفور يطلبك فنهض الثعلب وهو يعلم ماذا حدث ولماذا استدعوه وذهب معه سمك العيار وبعض الرجال

الآخرين فلما وصلوا الى مجلس الملك أدوا التحية أمام العرش فأجلسوا الثعلب على الكرسى الذى كانوا وضعوه له أمام الملك لأن منزلته كانت معروفة وكان الفغفور غاضبا فقال مهران الوزير « أيها القائد الفيلم لقد وقع حادث عظيم فى قصر الملك ولا أشك أن لديك به علم ، لأن عملا كهذا لا يمكن أن يحدث دون موافقتك ، لقد حطموا بالأمس سجن المربية وحملوا الأسرى وقتلوا بعض الأشخاص الآخرين فكيف يمكن أن يحدث هذا ؟ أعرف أنه لم يخرج عن أحد من أتباعك وهو من تدبيرك ولا يمكن التغاضى عن هذا . وهذه الاهانة لا يجوز الحاقها بالملك فغفور واقدامك على هذه الأعمال ليس شيئا كريما لأن الملك يحترمك ولا يحاسبك على الخير أو الشر ، واقترافك مثل هذا الفعل مما لا يجوز ، ويجب أن تذكر لنا كيف وقع هذا الأمر » .

أنصت الثعلب الى كلام مهران وهو منكس الرأس ولم يستطع أن يرد عليه وكان متحيرا بماذا يجيب ، كان سمك العيار ذلك الفتى الذكى رجلا منصفا مستعدا لكل المواقف فحين رأى أن الثعلب الفيلم منكس الرأس ولا يتكلم تقدم الى الملك فغفور وحياه وقال أبقاك الله ، اعلم وتيقن أنه لا يوجد فى هذه الدنيا ما هو أفضل من الصدق ، ويجب قول الصدق فى أى مكان كان سواء أمام الخاص أو العام الجاهل أو العاقل خاصة أمام الملك وعلى الأخص ونحن لا يمكن أن نقول الا الصدق لأننا معروفون بأننا فتيان ونحن فعلا فتيان ، ويقوم الفتيان بأعمال كثيرة كهذه ويتحملون الآلام ويقدمون أرواحهم فداء للناس ، وهدفى هو أن يعلم الملك جيدا أن أستاذى بل والدى الثعلب لو لم يخجل من ملك الدنيا لتكلم ، ولكننى أقول أن خورشيد شاه بن مرزبان شاه جاء يوما الى قصر الفتيان وأخذ علينا ايمانا مغلظة ولما كنا سمعنا اسم خورشيد شاه ورأينا ما وقع له مع المربية وأنها أخذته فقد سألناه كيف أتيت ؟ فقص علينا قصة فرخ روز كما حدثت وقد قبلناه — أيها الملك — فى الفتوة معنا وأنجزنا له عمله وفديناه بأرواحنا لعلنا نحقق له هدفه .

قال الملك كيف حطموا سجن المربية لأنه لم يكن لنا به علم ؟

قال سمك العيار أيها الملك قلت مرة أنه لا يوجد أفضل من قول الصدق لأن به تستقيم كل الأمور ثم أخذ يتحدث مرة أخرى عما فعله وأقدم عليه من جعله خورشيد شاه على هيئة النساء وقيامه بالغناء أمام الأميرة كما ذكرنا ، ثم ما فعله خورشيد شاه كله ذكره للملك ثم قال أيها الملك هذا العمل قام به خورشيد شاه . والآن فان خورشيد شاه وفرخ روز وواحد وعشرين أميرا فى قصر الفتيان والمربية الساحرة هناك أيضا فان

شاه الملك أحضرناهم جميعا الى مجلسه · هذا هو كل ما حدث شرحته أمام الملك ولماذا أخفيه ؟

قال الملك هل المربية مقيدة ؟ قال سمك نعم · تعجب الملك ووزيره مهران وكل الأبطال من هذا العمل وتملكتهم الدهشة الى أن قال الملك اذهبوا واحضروهم فعاد الثعلب وسمك الى قصر العيارين وأعادوا ذكر ما حدث مع الفغفور على سمع خورشيد شاه ·

قال خورشيد شاه يا سمك لم يكن من الواجب افشاء هذا الأمر بهذه السرعة ولكن فات الأوان ·

قال سمك هذا ما كان يجب فعلا ·

توجه خورشيد شاه مع فرخ روز وأولئك الأمراء مع ستين رجلا عيارا والمربية مقيدة الى قصر الملك وشاهد أهل المدينة ضجة الأمراء والعيارين وهم يتوجهون الى قصر الملك وذاع الخبر في المدينة فسار خلفهم نحو مائة ألف رجل وامرأة وطفل فرحين مسرورين وهم يلعنون المربية ·

حين وصل العيارون الى السوق زادت ضوضاء العامة وجلبتها فقال سمك لنفسه أنني أصطحب هذه الساحرة وهي ليست ملكا ولا ملكه ولا بطلا يجب أخذها الى الملك وليس أفضل من قتلها حتى تستريح الدنيا من شرها وقبل أن تهرب بالمكر والحيلة وتلحق بنا أذى أو ضررا · قال هذا واستل سكينا وأغمده في صدر المربية حتى أن طرفها خرج من ظهرها فسقطت المربية وفاضت روحها رغم أنفها ، ولكنها قبل أن تسلم الروح كانت كل قطعة منها قد حملت الى محلة من المدينة · وبلغ الخبر الى الملك بأن سمك قتل المربية ففرح وقال لقد نجوت من شر هذه الساحرة · جلس الملك على العرش ومهران الوزير عن يمينه وجاء أمراء الدولة وجلس كل منهم في مكانه حين دخل الثعلب ويد خورشيد في يده وأدى التحية فنظر الفغفور الى خورشيد شاه فرأى نورا الهيا يشع منه وكان معه فرخ روز فتطلع اليهما وتعجب وقال ألم تكن لنا أعين فلم نرهما ؟ أما الباقون فكانوا واقفين مطاطئين رءوسهم فأمر الملك أن يجلسوا جميعا وفي الحال مدت الموائد على عادة الملوك ورسومهم ·

سرى خبر هذه الحادثة الى داخل القصر فذهب لالا صالح الى ماه برى وقال أيتها الملكة لقد احضروا خورشيد شاه وقتلوا المربية فانتفضت ماه برى من مكانها وقالت كيف ؟ قال لالا صالح أيتها الملكة هذا ما فعله خورشيد شاه فقد كسر سجنها وأخرج سجناءها · فقالت ماه برى وكيف خرج خورشيد شاه نفسه من السجن وقام بهذا العمل ؟ قال الخادم : أيتها الملكة لم يكن خورشيد شاه بالسجن فقد كان هو نور الفؤاد المغنية التي

أحضرتها لك بهجة الروح هدية فى عيد النوروز · فلما سمعت ماه برى أن مطربتها كانت خورشيد شاه ارتعدت وقالت فى نفسها لقد أظهر فتوه تامة لأننى كنت أمامه بمفردى ولم يفكر حتى فى النظر الى ، ولو كانت قد جاءته الرغبة وسيطرت عليه رجولته لسعدت معه · وتبدلت عندها هذه الرغبة الى حب جارف ونمت فى كيانها جذور الوصال ولم تفكر فى بهجة الروح ولماذا دبرت هذا العمل · قالت يا لالا صالح أين ذهب خورشيد شاه ؟ قال أيتها الملكة انه جالس فى مجلس الملك فان شئت فانهضى لنذهب ونراه وهل هو نور الفؤاد أم لا ·

نهضت الفتاة التى كان عشقها لخورشيد شاه قد استولى عليها وكانت كل لحظة تمر عليها كأنها سهام حب تصيب قلبها ، فلما وصلت كانت هناك نافذة تقابل المجلس فجلست خلفها وأخذت تنظر فلم تر نور الفؤاد ولم تعرف خورشيد شاه لأنهم كانوا يتناولون الطعام ، فلما فرغوا منه أعدوا مجلس الطرب ودار السقاة بالشراب وأخذ المغنون فى العزف والغناء ·

منافس جديد :

كان من تقدير الله تعالى أن الوزير مهران كان له ولد اسمه قابض وكان بطلا كاملا وكان يحب ماه برى ولكنه لم يكن يفصح عن حبه لما كان يراه من سلوك المربية مع الأمراء ، وحين سمع أنهم قتلوا المربية والجميع فى قاعة العرش ذهب الى أبيه وقبل الأرض ثم أخذ يبكى وقال أيها الوزير العظيم انك تعلم حالى منذ مدة مديدة وأننى أرغب فى بنت الملك وأتلظى فى نار عشقها وكنت لا أتكلم خوفا من المربية والآن وقد راحت المربية وقام خورشيد شاه بهذا العمل فلابد أنه سوف يطلب الأميرة ، فلا تدع غريبا يأتى ويأخذها وحاول أن تخلص الأميرة من أيديهم وابذل كل جهدك لعلنا نستطيع أن نحصل على الفتاة بعزة وكرامة · فقال مهران الوزير « يا بنى اطمئن فسأجتهد فى ذلك » ·

كان الملك فغفور يتناول الشراب مع الأمراء بينما الأميرة تنظر من النافذة ولالا صالح واقف بجوارها فقال لها أيتها الملكة هل تعرفين خورشيد شاه ؟ قالت ان غنى عرفته · وفى هذه اللحظة قال فغفور الملك يا خورشيد شاه كنت أسمع أنك تجيد الغناء وقد أوصلت نفسك الى ابنتى عن طريق الغناء ـ عفا الله عنك فقد كنت شهما ـ ولعلك الآن لا تخجل وتسعدنا ساعة بغنائك · قال خورشيد شاه سمعا وطاعة · ثم طلب العود من مطربى الملك وأمسك به وأحكم مفاتيحه وضبط أوتاره وأخذ فى الغناء·

حينما سمعت الأميرة صوت خورشيد شاه قالت « لالا صنالح هذا هو نور الفؤاد ، وفى الحقيقة لقد أحسنوا اختيار اسمه فان سماع صوته ينير قلوب الناس وزاد حبه فى قلبها وافتتنت بخورشيد شاه وأخذت تشاهد جمال الأمير ولا تستطيع أن تحول عينيها عنه » .

كان خورشيد شاه يغنى وكان الملك ومهران الوزير وأمراء الدولة الذين حضروا جميعا قد اسلموا له آذانهم وقلوبهم فلما انتهى الأمير من أغنيته تكلم مهران الوزير وقال أيها الملك ماذا سوف تصنع بشأن الأميرة لأن جميع ملوك الدنيا تعاديك وقد أعدوا لحربك من أجل الفتاة ، وحين يعلمون أن المربية قتلت وأن أبناءهم جميعا أحياء فانهم سوف يجيئون الى ولايتك فأنظر ما سوف تفعل .

كان الملك منكسا رأسه فرفعه وقال « ان ما فعله خورشيد شاه ورجولته التى أبداها وأخذ المربية وتحطيمه للسجن وكل الفتوة والشهامة التى أظهرها تدل على نجابته والا فان ابنتى حينما وقعت سكرى أمامه وكان يستطيع أن يفعل بها ما يشاء ويذهب فماذا كنت أستطيع أن أفعله معه ، هذا الى جانب أصله ونسبه وجماله ورجولته وفضله وعلمه الذى يفضل الجميع .

نصائح الوزير :

قال مهران الوزير ، نعم أن ما تفضلت به صحيح ولكن تلزمك الحجة حتى لا يستطيع أحد أن يتحدث معك فى هذا الشأن ، وأنت تعلم أنه يوجد هنا أمراء من الأقاليم السبعة ، كما يوجد كثير من أبناء الحسب والنسب فى مدينتنا جاءوا جميعا لخطوبة ابنتك ، فان زوجتها دون سبب من خورشيد شاه فان ملكك سوف يختل واذا عاد كل واحد منهم الى ولايته وأحضر جيشا فان أهل المدينة قد يثورون عليك ولهذا يجب أن تدبر طريقة بحيث يذهب الجميع الى الميدان ويتصارعوا فمن تفوق منهم فزوجه الأميرة حتى تتصر ألسنة الناس ولا يسىء أحد منك ويبقى الملك لك » .

قال الملك « هكذا يجب أن أفعل ، فاعمل ما ترى فيه الخير والمصلحة .

قال مهران الوزير أيها الأمراء الحاضرون هنا والذين تحملتم أسر المربية وسجنها من أجل الأميرة كل من تفوق منكم على غيره ستكون لـه الأميرة .

نهض سمك وقال أيها الملك العظيم أن الأميرة لخورشيد شاه لأنه حصل عليها برجولته وعياريته ولا يستطيع أحد قط أن ينظر اليه فلماذا يقول مهران هذا الكلام ولمن سيجعل الملك الأميرة أو لمن سوف يعطيها ؟

قال مهران الوزير « أيها الرجل الحر ان كلامك صحيح وهى حق مسلم لخورشيد شاه ولكن لا يمكن أن تثير عليك مشكلة ، فمع أن خورشيد شاه قام بهذا العمل فان هنا قوما حاضرين سنقوم بهذا العمل لارضائهم ٠

قال سمك انهم راضون لأن خورشيد شاه خلصهم من السجن ٠

فسأل مهران وهل الموجودون فى المدينة يوافقون ؟ ان الوسيلة الوحيدة هى أن يتصارع هؤلاء فى الميدان فمن تفوق منهم أعطيناه الأميرة ٠ وعندئذ تصاعد الصياح من قاعة المجلس وسر الجميع وفرحوا وقالوا هذا ما يجب أن يكون ٠

فرح قابض ابن الوزير فرحا شديدا وقال لو أن فيلا واجهنى لقضيت عليه ومزقته اربا ٠ وعلى هذا النحو تفرق الجميع وعادوا الى مساكنهم وذهب كل طالب للأميرة على أمل أن يظهر فى الغد قوته وفنه فى ميدان القتال ، وعادت الأميرة بقلب مملوء بالحب وروح معلقة بالأمل تفكر فيما سيسفر عنه الغد ٠

عاد العيارون — كما عاد كل من كان بالمجلس الى بيوتهم ، ولكن الملك فغفور كان بقلبه مع خورشيد شاه ويتمنى مصاهرته وظل يفكر فى هذا حتى طلع نهار اليوم التالى فتوجه الى الميدان مع أمراء الدولة وتبعهم مائة ألف متفرج من الرجال والنساء والأطفال :

فى الصباح استدعت الأميرة لالا صالح وأرسلت معه حلة ملكية لا يعلم قيمتها الا الله الى خورشيد شاه كما أرسلت له فرسا أسود ليس له مثيل فى خيل الملك البالغ عددها ألفا وخمسمائة فرس مع سرج وعدة ولجام ذهبية مرصعة بالجواهر دون أن يعلم بهذا أحد الا الله ، أما هى فقد طلبت الاذن من أبيها وذهبت متخفية عن أعين الناس لتشاهد ما يحدث ٠

يقول راوى القصة ، حينما رأى خورشيد شاه تلك الحلة وذلك الفرس تعجب لأنه لم ير قط مثلهما ذلك أن المربية الساحرة كانت قد صنعتها فى عام كامل لابن أخ الملك فغفور وهو ملك الأفيال لانها كانت تحبه وحين انتهت من اعدادها له مات فى نفس العام فقالت لماه برى احتفظى بها لمن ستتزوجين ، وقالوا انها كانت قد حصلت عليها من سحرة المشرق ٠

صراع الأمراء على الأميرة :

توجه خورشيد شاه بهذه الخلعة التى أرسلتها ماه برى ممتطيا الفرس الأسود ومصطحبا أخاه فرخ روز وسمك العيار والثعلب الفيلم والستين عيارا خلفهم الى الميدان وأدى التحية أمام منصة الملك فلاطفه

وحياه ، وكان الأمراء جميعا قد حضروا الى الميدان ، فأشار الملك فغفور لكى يذهب من يشاء منهم الى الميدان ، فتقدم هؤلاء الأمراء الذين خرجوا من السجن الى الملك فغفور وأدوا التحية وقالوا أيها الملك العظيم لقد أقسمنا لخورشيد شاه الا نعاديه ولا نحاربه وأن نترك له الأميرة ولهذا لا شأن لنا بـه ٠

قال الوزير ، يا خورشيد شاه لقد أغلظت عليهم الايمان والقسم فكيف يحاربونك ؟

قال خورشيد شاه ، اننى راض أن يحاربوا بعضهم فمن انتصر منهم فأنا مستعد لنزاله ٠ وعلى أســاس هذا الاتفــاق نزلوا الى الميــدان كى يتصارعوا ٠

خرج من بين الأمراء شاب جميل الطلعة اسمه بهمن وهو بن ملك عمان كان قد أضاع أموالا طائلة ووصل قبل خورشيد شاه بعام ووقع فى أسر المربية فكان أول من تقدم فى الميدان وصاح فى جيش خورشيد شاه والأمراء فتقدم نحوه أحد الأمراء لمنازلته فأرسل الى قلبه حربة خرجت من ظهره وأخذ الأمراء يتتابعون واحدا تلو واحد حتى قضى بهمن على عشرين أميرا صرعهم وتفوق عليهم ٠

أراد خورشيد شاه أن يذهب الى الميدان فقال مهران الوزير ، أيها الأمير انه متعب ومنهك القوى وصرع عشرين رجلا فعليك أن تجــول فى الميدان مع بعض الرجال الآخرين قبل أن تصارعه قال خورشيد شاه ، أيها الوزير لقد أدركت الآن أنك لا تعرف شيئا عن هذا الأمر فأنت لا تدرى أنه فى كتابة الرسائل تكتب مسوداتها أولا ثم تعاد كتابتها فاذا تبودلت الرسالة بعد ذلك بين الأفراد فان كل واحد يكتبها بأسلوب أرق وخط أحسن ، وصراع الحرب مثلها فانه عندما يتصارع رجل فى الميدان ويقضى على واحد واثنين أو حتى خمسين فانـه يكون قد رأى حيلة من كل منهـم وعرفها وتعلم مقاومتها وردها ، ومثله ككاتب الرسالة فانه عندما يقابل أول شخص يكون قلبه خائفا ولا يعرف كيف يقاتله ، ومع أنه قد يعرف كل حيله الا أنه يظن أنها قد تخطى مع خصمه ولهذا أدركت انك لا تفهم فى الحرب ولكن الأمر لك ، وقد فهمت ما ترمى اليه ومع هذا فهو أفضل لى ٠

لهذا وقف بهمن فى مكانه ثم تقدم خورشيد شاه جائلا فى الميدان وقال ، كل من يريد من الخاصة والعامة سواء كان أميرا أم بطلا وسواء كان نقيبا أم حاجبا ويطلب الأميرة فعليه أن يتقدم ٠ فكان الرجل يتقدم فيصرعه خورشيد شاه بلعبه أو بفن من فنون المصارعة وماه برى تنظر اليه وعشقها له يزداد قوة حتى بلغ من صرعهم خمسين رجلا ٠

تقدم بهمن فى الميدان نحو خورشيد شاه وأخذ يقاتله زمنا بالسيف والسهم والقوس وزمنا يتطاعنان بالرماح وما يستعمل فى هذا النوع من الصراع وكان خورشيد شاه يستطيع أن يتغلب عليه ولكنه كان يتحاشى ذلك ولم يكن يرغب فى القضاء على مثل هذا الشاب حتى تمكن من امساك حزام بهمن وانتزعه من على فرسه وحمله على يده حتى رآه الجميع ثم ألقاه على الأرض ، وكانت الأميرة أثناء ذلك تنظر فى الجميع ولكن لم يكن فى نظرها من هو أحسن من خورشيد شاه ٠

على نفسه جنى :

كان ابن الوزير مهران واقفا ينظر فلما سقط بهمن اندفع الى الميدان لأن كل الأبطال كانوا مستعدين فى سلاحهم وعدتهم ، فقال خورشيد شاه من هذا الذى يتقدم فى الميدان ؟ قالوا ابن مهران الوزير فقال خورشيد شاه ، قل لنا اذن ان كل هذا الدس والقتل والقتال الذى دبرته كان من أجل ابنك والآن وقد رأيت كيف انني هزمت بهمن وكيف حاربته كثيرا الى أن صرعته ترسل ابنك الى الميدان فأى خوف لى من ألف مثل أبنك ٠

كان سمك واقفا ينظر فلما رأى أن ابن مهران يدخل بعد كل الأمراء والأبطال قال لنفسه أيها الوزير ابن الحرام ، لقد أعددت هذا الأمر لابنك قابض البطل ولا يجب أن يقع خطأ يجر علينا الحزن بانتصار ابن الوزير ولهذا فعلى أن أقوم بعمل قبل أن يقدم هو على شىء ثم استل من وسطه خنجرا حادا يقطع الصخر وتقدم فى جرأة الى قابض الذى لم يكد يتنبه اليه حتى كان قد طعنه فى صدره طعنه جعلت الخنجر يخرج من ظهره فاصفر وجهه وسقط وهو لا يدرى كيف قتل وظن الناس أنه ربما يكون قد جرح ولكنه كان قد أسلم الروح لانه لم يتحمل ضربة الخنجر من سمك ٠

تصاعد صياح الناس وهياجهم فاستل العيارون خناجرهم وأحاطوا بالأمير وكان بعض أهل المدينة قد هاموا به فلما رأى الملك فغفور أن الأمر قد اضطرب خشى أن تنقسم المدينة على بعضها ويهلك بعض الناس فصاح فى الجيش لكى يهدىء الناس ٠ وفى وسط هذه الضجة تقدم سمك العيار الى منصة الملك وأمسك بتلابيب مهران الوزير وقال يا ابن الحرام ياسيىء الفعل سيىء الحظ قل لنا ان اشعال هذه الفتنة والسعى فى تعذيب الناس وافناء الأموال كان كله لكى تضع الأميرة فى أحضان ابنك ؟ احذر فلن تستطيع أن تجنى العسل من وراء هذا لكى تطعمه لابنك ، بل يجب أن يصبح هذا العسل مرا تتجرعه أنت ثم استل خنجره ليطعن مهران الوزير وكان بجانبه بطل اسمه السباع أمسك بيد سمك ولم يمكنه من طعن الوزير الذى استولى عليه الغم والحزن لقتل ابنه ثم لهذه الاهانة التى

لحقته وهو فى معية الملك فعاد من الميدان الى قصره وأمر أن يحملوا ابنه الى القصر حيث قام بدفنه حسب عادتهم ثم جلس يتقبل العزاء فيه ٠

تحديد عقد القران :

بينما كان الجيش والناس يعودون للمدينة تقدم الثعلب الفيلم على خورشيد شاه وذهب الى الملك فغفور وحياه وقال له إعقد لخورشيد شاه على الأميرة لانه لم يبق هناك سبب أو عذر فقال الملك يا ثعلب لن أعقد لخورشيد شاه على الأميرة الا بعد أربعين يوما فقال الثعلب انها لكثيرة وكان الملك يتحدث والثعلب يحاوره حتى اتفقا على عشرة أيام ووصل الجميع الى القصر وكانت الأميرة قد سبقتهم ولكنها قد فقدت قلبها وأصبحت حزينة مغمومة ٠ فلما سمعت أن أباها سيعقد لها على خورشيد شاه بعد عشرة أيام فرحت وسعدت ٠

دخل الملك قصره وتبعه خورشيد شاه وفرخ روز والفتيان والآخرون فقال الأمراء يجب علينا أن نعود الى أوطاننا وأخذ كل منهم يعود الى وطنه واستغرق هذا أسبوعا ٠

كان سمك العيار يجلس أمام الثعلب الفيلم وخورشيد شاه وفرخ روز فقال يا أستاذى لدى فكرة وهى أننى لست آمن غدر مهران ومكره بعد ما فعلته معه ولا يستبعد أن يدبر ابن الحرام هذا حيلة ويخفى الأميرة ونشقى نحن فى سبيل العثور عليها ٠

قال الثعلب والآخرون وماذا ترى ؟ قال سمك اننى أعرف الوسيلة لهذا وهى أن أذهب هذا المساء الى قصر الملك وأحضر الأميرة حتى اذا حان يوم العرس أخرجناها من منزلنا هذا ٠ فاستحسن الجميع رأيه وأثنوا عليه وأجمعوا على هذا حتى كان المساء ٠

اختطاف الأميرة :

قام سمك فلبس سلاحه من سكين ووهق ودرع وسناقه ، وجعل الوهق فى ذراعه وربط فى طرفه مشملا(١) جعله خلف ظهره وخرج سائرا الى باب قصر الملك وكانت أصوات رجال الحرس تتعالى فلبث هناك طويلا حتى هدأت أصواتهم وعندئذ اتجه الى ركن من أركان القصر وأخرج الوهق من ساعده وألقاه فى الهواء الى سطح قصر الملك فتعلق به كما تتعلق يدا العاشق والمعشوق برقبة الآخر ، وشد سمك الوهق وأحكمه ثم أمسك به وتسلقه الى السطح ومنه نزل الى حجرة الأميرة مباشرة فرآها نائمة كأنها

---

(١) المشمل حربة قصيرة كانت تخفى تحت الملابس وغالبا فى الظهر ٠

كومة من الورد فهزها هزا لطيفا بيده ووضع طرف كم الدرع على وجهها وحركها بهدوء مراعيا الأدب والحرمة التى لها ، ففتحت الفتاة عينيها فرأت شخصا واقفا أمامها وقد لبس درعه وشهر خنجره فارتجفت فقال لها لا تخافى يا ابنتى فأنا سمك العيار تلميذ الثعلب الفيلم وقاتل قابض ابن الوزير مهران كما رأيت وسمعت ولقد أتيت لأحملك الى خورشيد شاه لأننى لا آمن مكر الوزير مهران ولا كيده فقد يقدم على حيلة تؤلمنا وتشقينا .

فرحت الأميرة ونهضت فقال سمك العيار أيتها الفتاة بشهادة الله اتقبليننى كأخ لك ؟ قالت الأميرة قبلتك . قال سمك العيار وأنا قبلتك كأخت لى . ثم أخذ يد ماه برى وصعد الى السطح وربط الوهق فى وسطها ثم أدلاها الى الأرض ولم يكد الوهق يتدلى الى منتصفه حتى قطعوه وحملوا الفتاة وسمك على السطح لايدرى .

يقول مؤلف الأخبار وراوى القصة فرامرز بن خدا داد عن صدقة ابن أبى القاسم راوى الكتاب ومصنفه ان مهران الوزير ذلك المشئوم ابن الحرام سيىء الفعل عاد من الميدان الى قصره حزينا ذليلا فقد قتل ابنه ولحقته من سمك تلك المذلة والاهانة فلما دفن ابنه وأقبل الليل جلس يفكر فى كل شىء وماذا يفعل . ثم أرسل شخصا فى طلب السباع البطل الذى أنقذه من يد سمك العيار فلما حضر نهض مهران واستقبله بترحاب واعزاز وأجلسه أمامه وقال له « أيها البطل اعلم وثق أن الملك فغفور يريد قتلك وقتلى ، وقد تدبرت هذا الأمر بأن أجعل الأميرة فى أحضانك ويصبح الملك لك . فهاج السباع قال أيها الوزير هل يريد الملك قتلنا ؟ ان جوابه سيكون على يدى ، ولكن ماذا دبرت الآن ؟ قال الوزير أن التدبير هو أنه قبل عقد الأميرة يذهب أحد ويختطفها بالحيلة والمكر حتى نؤخر هذا الزواج وآنذاك ندبر الأمر فى هدوء .

تشاء ارادة الله أن كان لهذا الوزير ابن الحرام غلام اسمه أدهم ، استدعاه وأرضاه وقال له « اذا ذهبت وعدت بالأميرة جعلتك فى غنى عن المال طول حياتك » . وكان هذا الغلام ماهرا صاحب ليل (١) يجيد عمل الانقاب حتى أنك ان دللته على مكان لاستطاع أن ينقب نقبا يصل اليه مباشرة . فقال أدهم « أيها الوزير لا تفكر فى الأمر فاننى سأذهب وأقوم بهذا العمل وآتيك بالأميرة » .

---

(١) قال عثمان الخياط السارق فى الحضر والسفر خمسة ـ المحتال وصاحب ليل وصاحب طريق والنباش والخناق ... أما صاحب الليل فللنقاب والمتسلق والمكابر وأشباه ذلك ...

من خاطف الى سارق :

قال أدهم هذا وخرج من عند الوزير الى هناك ونقب نقبا حيث ذكروا له فلما انتهى من عمل النقب وخرج منه رأى شخصا معلقا فى الوهق يتدلى فلما أنعم النظر وجد الأميرة فقطع الحبل بسكينة وحملها وهو سعيد فرح وأدخلها فى النقب فلما نزل سمك من على سطح القصر لم ير للأميرة أثرا فجن جنونه ، وحين رأى أن وهقه قد قطع قال لابد أن يحدث مثل هذا لأننى جئت وحدى لهذا العمل ، وا أسفاه اذ لا أعرف من يكون هذا البطل الذى أقدم على هذا العمل معى وقال فى نفسه ربما كان الثعلب يمزح معى ٠

كان يفكر فى هذا وهو مسرع الى قصر الفتيان وقال وهو مضطرب أيها البطل الثعلب لا تفعل مثل هذا معى فليس هذا وقت المزاح حتى تفعل ما فعلت اذ حينما أخرجت الأميرة وكنت أنزلها من على السطح تقوم أنت بأخذها قال الثعلب يا سمك هل جننت أم لا عقل لك اننى لم أبرح القصر وبالله العادل اننى لا علم لى بهذا ولم أبرح البيت منذ غادرته أنت ٠

قال خورشيد والآخرون يا سمك ان الثعلب لم يخرج فلما عرف سمك أن الثعلب لم يفعل هذا خرج من القصر كالمجنون وهو يعدو يمنة ويسرى لعله يجد أثرا للفتاة ٠

شاءت ارادة الله أن أدهم حينما حمل الفتاة وكان قصر الوزير بعيدا مما اضطره الى تكميمها وربط يديها ورجليها وتركها وخرج ليرى من هو الذى اختطف الأميرة وهل له غرض من هذا أم لا أو أن الأميرة هى التى هبطت بمفردها لتذهب الى ناحية ما ٠

كان أدهم ينظر فى كل مكان حين التقى به سمك فرآه فقال له سمك يا ابن الحرام أأنت الذى تحمل الصيد من أمام الأسود أنت وسيدك المخنث ؟ اذا لم أفعل بك فعلا يناسب ما تستحقه من جزاء فلست بسمك ٠ قال هذا ووضع فى رقبته حبلا وأخذ يسحبه فكان أدهم يقول أيها الرجل الحر ما هذا الكلام الذى تقوله ؟ من تكون ابنة الملك ؟ قال سمك يا ابن الحرام أتقول هذا يا أدهم ؟ انك معذور لأنك لا تعرف من أكون ، أنا من يطلقون عليه سمك العيار الذى يتعجب فلاسفة الدنيا وحكماء الزمان من فنونه ، وهؤلاء الذين يسخرون الدنيا بحيلهم حينما يروننى فانهم يتعلمون الحيل منى فهل تظن أنك بمثل هذا الكلام ستفلت من يدى ؟ سوف تعلم فيما بعد أن يدى هى الطولى ٠

قال أدهم أيها الرجل الحر ان كنت تعرف كل شىء على النحو الذى عرفت به أمرى فانك لا تعرف شيئا ٠ فأين أنا من ابنة الملك ؟ وعليك أن تبحث عنها قبل أن تضيع من يديك لأنك ان انشغلت بى فانك سوف

تفقدهـا فقال سمك بلى هـكذا يجب أن تقول ثم حمله الى قصر الفتيان وسجنه •

من قضـاء الله أن السباع كان تلك الليلة فى منزل الوزير مهران وحينما أحسا أن أدهم قد تأخر قال الوزير يا سباع انهض واذهب الى البيت الذى نقبه أدهم ظنا منهما أنه ربما كان مازال بالنقب ، انهض لنذهب ونرى ماذا فعل أدهم لأنه سوف يأتى بها فى وقت أقل مما يستغرقه العيارون •

قال السباع مدفوعا بالرغبة التى تسيطر عليـه فى الوصول الى الأميرة فلنذهب • وخرج مهران الوزير ومعه السباع من القصر الى المكان الذى حدده أدهم لنقبه فدخلا فيه لينظرا ماذا يفعـل أدهـم هناك وفجأة شاهدا شخصا مقيدا وملقى على الأرض فتعجبا وتحسساه فوجداه طريا ناعما ليس كأجساد الرجال ففكا قيده وقالا من أنت ؟ قالت أنا الأميرة ماه برى • عندئذ فرح مهران الوزير والسباع لأن الأميرة وقعت فى أيديهما دون مشقة أو تعب • ثم قالا أيتها الفتاة من الذى أتى بك وكيف وصلت الى هذا المكان ومن الذى قيدك ؟ قالت لا أعلم فحملاها الى قصر الوزير •

قال الوزير أيتها الفتاة أصدقينا القول كيف قيدت ومن ذا الذى عاملك على هذا النحو ؟ قالت ماه برى ان سمك العيار هو الذى أخرجنى من البيت وأنزلنى من فوق السطح بالوهق لكى يأخذنى الى خورشيد شاه وحين وصلت الى الأرض أخذنى شخص وحملنى الى ذلك النقب وقيدنى على هذا النحو ولا أعرف أكثر من هذا •

قال مهران الوزير أنه غلامى أدهم ولا أعرف أين هو الآن وأرجـو ألا يكون قد وقع فى قبضة سمك العيار وسجن •

قضوا الليل فى الحديث وكان مهران الوزير والسباع يتشاوران ويدبران الأمر وما يجب عليهما عمله •

أما فى الجانب الآخر فانه منذ وقعت تلك الحادثة وأفرج عن أسرى المربية الساحرة فقد جرت العادة على أن يذهب لالا صالح مرتين أو ثلاث الى فراشها ليطمئن على وجودها وفى تلك الساعة التى حمل فيها سمك الأميرة جاء لالا صالح الى غرفتها وبحث عنها فلم يجدها وفتش كل مكان فلم يعثر لها على أثر ، فذهب فى الحال الى مخدع الملك وأيقظه من النوم وقال أيها الملك العظيم ان الأميرة غير موجودة فقال الملك لعلها ذهبت الى حجرة أخرى لأمر من الأمور قال لالا صالح أيها الملك لقد بحثت عنها فى كل مكان فلم أجدها • فتعجب الملك وقال اذهب الى قصر الفتيـان وات بالثعلب الفيلم لأن هذا من عملهم •

ذهب لالا صالح الى قصر الفتيان عند الثعلب في ذلك الوقت الذى كان فيه أدهم ملقى مقيد اليدين والرجلين وكان الثعلب والآخرون يتحدثون في كل أمر فتقدم لالا صالح وسلم فردوا عليه التحية وقال الثعلب يا لالا ماذا حدث في هذه الساعة ؟ ولو أنك في كل أمر توكل فيه يقترن اسمك بالخير فقال الخادم إن الملك فغفور يستدعيك فأدرك الثعلب السبب ·

نهض الثعلب ومعه سمك واصطحبا الخادم الى قصر الملك الذى كان موجودا في بيت النساء فدخل الثعلب وسمك وأديا التحية فقال الملك ، قل لى بماذا أسأت اليك طول عمرى منذ توليت الملك الى الآن وماذا لحقك من اساءتى لأحول بينك وبين كل أعمالك ، فالمدينة كلها تحت أمرك ، والمصادرات والمطالبات فيها رهن اشارتك ولم أسائلك عن شيء سواء كان خيرا أم شرا ، كان هذا لسابق خدمتك ولسبب آخر هو أنك وضعت قدمك على طريق الفتيان وتسير على نهجهم فلماذا تسيء الى سمعتى الطيبة وتلحق العار بأسرتى وتأخذ ابنتى كاللصوص من بيتى ، أهذا جزائى ؟ اننى أعلم أن هذا التعدى على الحرمات ليس من أعمال الفتوة أو الشهامة أين ابنتى ؟ أريد أن أعرف قبل أن يطلع النهار ويطلع خلق من الناس على هذا الأمر ·

عندما قال الملك هذا الكلام وقف سمك العيار وأدى التحية وقال أيها الملك ان الفتيان لا يكذبون حتى ولو أدى هذا الى الاطاحة برءوسهم ولقد قمت أنا بهذا العمل ، حضرت الى قصر الملك ولم ألمسها أو أنظر اليها قبل أن أشهد الله على قبولها الأخوة بيننا وقد أصبحت لى أختا في الدنيا والآخرة ، ولقد أقدمت على هذا العمل لاننى فكرت في نفسى بأنها ليست في مأمن من كيد مهران ومكره فخفت وحضرت وحملت الفتاة وحينما أنزلتها من فوق السطح ، قلت أحملها الى قصرنا حتى اذا حان يوم عقد قرانها أخرجوها من بيت أخيها · ولكن أدهم غلام الوزير كان يراقبنى اذ كان قد حضر لنفس هذا العمل ولما دليتها وعدت الى الأرض رأيت الوهق مقطوعا وقد سرقت الأميرة وقد قبضت الآن على أدهم والفتاة في منزل الوزير ·

تعجب الملك وقال ما هذه المحنة التى ألحقها بى هذا الوزير وهذه الأميرة ؟ لماذا يتعقب ابنتى ؟ ماذا يريد منى بحيث يفعل ويثير الدنيا ويقعدها بالفتنة وتشريد الناس وتهجيتهم ؟ وأخذ يتساءل على هذا النحو ثم أخرج الثعلب وسمك وقال لهما عودا الى أن أنظر في هذا الموضوع غدا وأرى فيه رأيا ·

عاد الثعلب وسمك الى منزل العيارين وأخذا يحدثان خورشيد شاه بما دار بينهما وبين الملك فلما أشرقت شمس اليوم التالى جلس الملك فغفور على عرشه وجاء مهران الوزير والسباع الى مجلسه وجلس كل منهما في

مكانه فالتفت الملك وهو غاضب حانق الى مهران الوزير وقال ، « يا مهران لقد ظننت أنك وزير لى تصون ملكى وتدبر أمرى وشئون ملكى ولكنك تذهب فى الليل بنفسك الى البيوت وتسرق بنات الملوك ، ان كل من يذهب الى بيت أحد فانه يسرق الذهب والأقمشة ولكنك تسرق البشر الأحياء ، لماذا سرقت ابنتى ؟ ماذا تريد أن تفعل بها ؟ ما هذه الوقاحة التى تقدم عليها ؟

ارتعد مهران الوزير من كلام الملك وقال أيها الملك العظيم سمك هو الذى سرق ابنتك وقد لحقه غلامى أدهم وأخذها منه وحملها الى قصرى . ألم يكن من الخير أنه لم يتركها لكى تحمل الى قصر العيارين وكان العار الذى سيحدث أكبر وأعظم ، ولكن الذنب ذنبى لأن الآخرين يفعلون مثل هذه الأفعال وأتحمل أنا الوزر والظلم ، ثم انهم قتلوا ابنى على هذا الوضع المشين ان تلك الجرأة وعدم الاحترام اللذين يقترفانهما معى كأنهم اقترفاهما معك أنت . وبعد هذا يأتون الى قصرك بالليل ويأخذون الأميرة ويتعدون عليك بتطاولهم على أسرتك ، ولولا غلامى أدهم لكانوا سرقوها وكنت أعتقد أننى أقوم بخدمة جليلة ولكن ظهر أنها ليست كذلك وسوف لا أقدم عليها مرة أخرى . اننى أعلم أنك هكذا وأن العيارين كما هم ، ولن يطول الوقت حتى يفلت الملك من يديك بعد أن يذاع هذا الأمر وينتشر ، ويقول الناس ان الملك فغفور لا يقدر على ستين رجلا من العيارين وستهاجمك الجيوش من كل ناحية وآنذاك تكون العاقبة وخيمة ولهذا يجب عليك أن تتدبر أمرك وتتخلص من شر هؤلاء العيارين حتى لا تسوء سمعتك أكثر من هذا ، اننى أقول هذا لأننى أريد صلاح أمرك بينما تظن أننى أسعى للاضرار بك وقد خلصت الأميرة من يد حفنة من اللصوص والأوباش كى لا تحدث فضيحة ثم تقول لى ماذا تريد أن تفعل بالأميرة ؟ لقد فعلت ما رأيت أنه الصواب فاذا لم أعد صالحا فابحث عن وزير أفضل لكى يدبر أمرك أحسن منى » .

مشورة مغرضة :

تعجب الملك من كثرة ما ذكر الوزير وقال وما التدبير ؟

بعد مدة رفع مهران الوزير رأسه وقال أيها الملك اننى أرى تدبيرا لهذا الأمر لو سمحت قلته اذ لا سبيل للخلاص من شر العيارين الا على هذا النحو . قال الملك هات ما عندك .

قال الوزير مهران سيىء الفعال ابن الحرام ، « أيها الملك مر باخفاء مائتى غلام تركى بسلاحهم فى غرف القصر ، وفى يوم عقد قران خورشيد شاه ارسل أحدا يستدعى جماعة العيارين وفرخ روز وخورشيد شاه دون سلاحهم وحين يفرغون من تناول الطعام ويستعدون لمجلس الطرب يخرج عليهم الغلمان من مكامنهم ويعملون فيهم السيف ويقطعونهم اربا اربا

وتستريح المدينة من شرهم وتبقى أنت والأميرة فى سلام وتدبر ملكك كما تريد • فقال فغفور ، مع كل ما فعلت فقد أحسنت التدبير •

تحدثا فى هذا ثم جلسا يستقبلان الناس كالعادة حتى انفض المجلس وحينما عاد الوزير الى قصره ذهب الى الأميرة وأدى التحية وقدم لها كل ما فى استطاعته من هدايا وأعادها الى قصر أبيها • وفى اليوم التالى كان موعد انتهاء العشرة أيام فأعد الملك مجلسا واستدعى كل أمراء الدولة والخاصة من الأعيان وأرسل الدعوة لجماعة العيارين مع سمك وخورشيد شاه وفرخ روز والثعلب الفيلم ، فذهب الحجاب والخدم وقالوا لهم ان الملك يقول ان هذا اليوم هو يوم عقد القران والفرح فتعالوا دون سلاح لأن السلاح لا لزوم له بيننا •

خلع الجميع سلاحهم وذهبوا مجردين منه ، فلما وصل خورشيد شاه مع الآخرين أمام عرش الملك أدوا التحية وجلس خورشيد شاه على يمين الملك على العرش وقام أخوه فرخ روز على رأسه ليكون فى خدمته وجلس الثعلب وسمك أما العيارون الستون فمن كان له حق الجلوس فقد جلس ووقف الباقون بينما غرق الغلمان فى دروعهم الحديدية وكمنوا فى الحجرات • بعد ذلك مدت الموائد فتناول الجميع طعامهم ، فلما فرغوا منه غسلوا أيديهم ثم أعد مجلس الطرب فأخذوا يستمعون للغناء •

مذبحة العيارين :

أمر الملك حاجبا أن يذهب ليدعو أهل المدينة والأفاضل والعلماء والأعيان ، فخرج الحاجب من القاعة وجلس على باب المجلس لأنهم كانوا قد اتفقوا معه على هذا • فلما مضت نحو ساعة كانت قد دارت عليهم خلالها كئوس الشراب مرتين أو ثلاثا خلع مهران الوزير عمامته متظاهرا بحرارة الجو ثم أخذ يتحسس لحيته فخرج الغلمان من مخابئهم وانهالوا على العيارين بالسيوف •

حينما رأى سمك هذا قال : « وا أسفاه لقد وقعنا فى الفخ ولقد حدث ما كنت اخشاه وأفكر فيه ، وكان قد أخفى خنجرا بين فخذيه فاستله واندفع فى الغلمان مخاطبا نفسه بقوله يا سمك لا يمكن أن تهلك هكذا ببساطة اذ لا شك سوف لا تخرج من هنا حيا فانتقم لدمك على الأقل » ، وكان يفكر فى هذا وهو يطعن ويقتل بينما جلس خورشيد شاه مطأطئا رأسه يقول لفرخ روز أرأيت ما فعلوا بنا ؟ أوقعونا بالمكر فى الفخ وقضوا علينا ، هذا ما دبره ابن الحرام مهران الوزير ، ويسب ويلعن ويهز رأسه ويقول لننظر ماذا سيحدث ثم طأطأ الاثنان رأسيهما ، وكان الغلمان يقتلون العيارين لأنهم كانوا بغير سلاح كما أسروا عشرة منهم وتمكن سمك من قتل

عشرة غلمان ولكنه كان قد أثخن بالجراح ونزف كثيرا من دمه فلما رأى ألا فائدة من القتال ولم يبق أحد من العيارين استسلم وقال فلائق بنفسى وسط القتلى لعلنى أجد وسيلة للخلاص والا فاننى سأموت . قال هذا وسقط وسط القتلى منكفئا على وجهه .

عـودة للسجن :

أمسك الغلمان بخورشيد شاه وفرخ روز والثعلب وقيدوهم وقالوا أيها الملك ماذا نفعل بهم ؟ فقال الملك فغفور لوزيره مهران ماذا نصنع ؟

أراد الله ألا يحين أجلهم فانطق لسان الوزير بقوله « يجب سجن خورشيد شاه وفرخ روز لأننى أظن أن أجلهما لم يحن بعد ، ونجعلهما مع الثعلب فى السجن لأنهم لا يستطيعون شيئا الآن .

أمر الملك باخلاء المجلس من القتلى ، وقال احملوهم جميعا الى الصحراء وادفنوهم . كما أمر بسجن خورشيد شاه وفرخ روز وتعيين الحراس عليهما كما حملوا الثعلب الفيلم والعيارين العشرة الى السجن وقيدوهم وتركوهم للحراس . وقال مهران الوزير احملوا هؤلاء القتلى الى الصحراء وذروهم تأكلهم الكلاب فحملهم الخدم الى هناك وكان سمك من بينهم وأضاف مهران اذهبوا الى قصر العيارين وانهبوه . فتوجهت جماعة الى هناك وأخذوا فى نهب القصر فرأوا أدهم مقيدا فحلوا وثاقه ونهبوا كل ما وجدوه ثم سووا القصر بالأرض .

يقول صاحب الأخبار ومؤلف الكتاب انهم حينما حملوا القتلى من قاعة المجلس وألقوها فى الصحراء بنـاء على أمر مهران الوزير لتنهشـهم الضوارى كان سمك من بينهم ولكنه كان قد فقد قواه لكثرة ما نزف من دماه وتركوهم هكذا حتى حل الليل .

انقـاذ سمك :

تشاء ارادة الله أن كان بتلك المدينة رجل نباش يقال له صبيح قال لنفسه تلك الليلة « فلأذهب وأنظر فى هؤلاء القتلى لعل معهم ذهبا فهـم لا يخلون أبدا من الذهب وكذلك الملابس والعمائم والأحزمة والمنـاطق والخناجر وما شابه ذلك لعلى آتى بشىء منها » .. قال هذا وخرج من منزله الى حيث كان القتلى فأخذ ينظر فى كل منهم ويفتش فى وسطه وساعده ويأخذ كل ما يجده الى أن وصل الى سمك ، وحين وضع يده عليه أحس سمك بحرارة يده ففتح عينيه وتحرك وقال أيها الرجل الحر من أنت وأين أنا ؟ فقال صبيح أيها الرجل الحر أنا صبيح النباش . فلما سمع سمك اسمه عرفه فقال له يا صبيح ان كانت بك مروءة فأعطنى شربة ماء لوجه

الله غفر لك ورعاك ... فذهب صبيح وغاب مدة ثم عاد ومعه كوز ماء وجلس بجوار سمك وأخذ يصب الماء في حلقه ، فلما نزل الماء في حلق سمك سرى الدفء في جسده وعادت اليه بعض القوة والعافية فقال لصبيح أيها الرجل الحر أجلسني . فأجلسه . فقال يا صبيح ان مروءتك وشهامتك هي أن تؤمنني وتحملني من هنا الى بيتك وتعالجني حتى أبرأ وسوف أقدم لك كل ما أستطيع من خير وسوف يجزيك الله خير الجزاء . فقال صبيح سمعا وطاعة ، وحمل سمك على ظهره حتى وصل الى بيته .

كان لصبيح امرأة صالحة حسنة المحضر اسمها سماح قالت يا صبيح من هذا ؟ فقال يا امرأة منذ سنين وأنا أفعل ما يشين ولا يرضى الله وسوف أقوم بعمل لوجه الله ، ان هذا الرجل من جماعة العيارين الذين قتلهم فغفور غدرا وهو متعب من كثرة الجروح التي أصابته وسوف أقوم على علاجه حتى يشفيه الله فيرحمني به . فقالت زوجته وماذا يمكن أن تفعل أحسن من هذا ليت كل أعمالك كانت على هذا النحو .

قامت المرأة وسخنت بعض الماء ثم أحضرته الى سمك لكي يغسل به الدم من على جسده ، فقال سمك لقد قبلتك اختا لي فاقبليني أخا لك . فقبلت سماح أخوته . فقال لها : يا أختي ضعي يدك في وسطي وستجدين بعض الذهب فخذيه». وضعت سماح يدها في وسطه وحلت من عليه صرة كان بها مائة دينار فقال لها « اختاه انفقيها على علاجي كي يخف العبء عنكم » .

قامت سماح بعد ذلك بغسل الدماء من على جسده ثم ضمدت جراحه . وقال صبيح لزوجته « انهضي وأعدي له حساء لحم » . فقال سمك « يا أخي ما يلزمني هو افراخ حمام تسلق في الماء ثم يقطع لحمها ثم تطبخ في حسائها حتى تنضج ثم يصب هذا في حلقي حتى يمنحني بعض القوة . فقال صبيح سمعا وطاعة سأفعل كل ما تريد » .

حينما أضاءت الدنيا خرج صبيح من منزله وعثر على بعض افراخ الحمام فاشتراها وحملها الى بيته حيث قامت سماح بسلقها واطعام سمك منها فاستعاد بعض قوته وقال « يا أخي هل تستطيع أن تأتيني بجراح أمين كي يعالجني ؟ قال صبيح يمكنني ذلك . ثم خرج من بيته وكان هناك جراح اسمه ذهب ماهرا وشجاعا ، بحث عنه صبيح وأتى به الى سمك .

حينما نظر ورأى سمك العيار عرفه لأنه سبق أن رآه كثيرا ، وأدرك سمك في الحال أن ذهب يعرفه ، فخاطبه بقوله يا ذهب كن فتى واحفظ سري . لأن كتمان السر والأمانة من الأمور المسلم بها للجراحين ، ولا أقول هذا من أجلك بل لانهم يعالجون الخاصة والعامة ويشفقون عليهم ويطلعون على الحسن والسيء ولا يذكرون ذلك لأحد أبدا ، وهذا كله أفضل من

الفتوة وأحسن وقد ذكرت هذا لأن عملكم فتوة متعارف عليها لدى الجميع وأنكم رجال تتصفون بالشهامة كذلك ، وأنا الآن فى أمانك فاشفق على وترفق بى » . فأقسم ذهب الجراح بقوله « بالله العادل الخالق أن أحفظ سرك ولا أبوح به ولا ألحق بك أى أذى ولا أتوانى عن الشفقة عليك وأبذل قصارى جهدى وعلمى من أجلك » .

حينما أقسم ذهب وضع سمك يده فى ساعده وأخرج عشر حبات من الجواهر قيمتها ألف دينار ووضعها فى يد ذهب الجراح وقال له احتفظ بهذه أمانة لديك لانها ليست لى انها ملك الشعلب الفيلم . فقال ذهب الجراح يا سمك ليس لى بها حاجة فدعها فى ساعدك الى أن أعالجك وحينما تتحسن صحتك فقدمها والا فلا لزوم لها . قال سمك يا ذهب احتفظ بها . فأخذها ذهب وأخذ فى علاج سمك حتى انقضى على ذلك نحو شهر .

عودة للعمل :

حينما تحسنت جراح سمك نظر الى نفسه فغمره الفرح والسرور وأخذ يتحرك ولم تكن جروحه قد التأمت بعد جيدا ، فانفتحت ثلاثة جروح وسال الدم منها وحينما جاء الجراح وسأل سمك عن السبب (١) ..... قال سمك سمعا وطاعة ثم انتظر عشرة أيام أخرى عالجه ذهب أثناءها حتى أصبح فى غاية الصحة والعافية فذهب متخفيا الى الحمام فاستحم ثم عاد الى بيت صبيح وجلس هناك ثم قال له أيها الرجل الحر آتنى بوهق وخنجر وصدرية وخفين وكل ما يلزم لعملى هذا .

كان لدى صبيح مايلزم من أدوات فرتبها سمك وبقى الى أن هجم الليل المظلم على النهار المضىء فانهزم النهار وتحول الى ليل دامس . وحان وقت عمل العيارين فنهض سمك وحمل عدته وأدواته وخرج من بيت صبيح ووقف بالباب يفكر أين يتجه ، فقال لنفسه احتاج الى مكان يكون به مال كثير ، ومن المصادفات أن دكان سعيد الجواهرى شريك مهران الوزير كان يقع على طريقه ، فقال لقد وجدت المكان الذى يتوفر فيه المال الكثير وكله لعدوى مهران الوزير الكلب ابن الحرام .

دار سمك حول الدكان الى أن عثر على مكان قام بعمل نقب فيه ثم دخل منه الى الدكان وحمل عشر بدرات من الذهب عاد بها الى بيت صبيح دون أية مشقة فلما رآه صبيح قال له من أين لك هذا الذهب ؟ قال سمك ليس لك أن تسأل لأن الفتيان لا يسألون عن شىء الا اذا أخبروا به ولهذا

(١) ساقط فى الأصل .

أقول لا تسأل لأن لك نصيبا من العمل تطبيقا للمثل « كل التمر وأنت تسوق الحمار » هذا كله لك فهل تريد الذهب أم مكان احضار الذهب ؟ هذا نصيبك فخبئه اينما شئت أما صاحب الذهب فانك تعرفه ٠

شكره صبيح وبقيا حتى انقشع عالم الظلام بطلوع النهار وجاء ذهب الجراح وسلم عليهما فنهض سمك وقبله وأعطاه صرتين من الذهب واعتذر اليه وقال له ألف دينار ثمنا للدواء وألف لقاء تعبك فشكره ذهب ثم أخرج صره الجواهر من على ساعده وقبلها ووضعها أمام سمك ثم حمل البدرتين وخــرج ٠

ما أكثر الأبرياء :

كان من تقدير الله أن مر ذهب فى طريق عودتــه على دكان سعيد الجواهرى وكان الوقت صباحا وقد رأى الناس النقب فى الدكان فتصايحوا وأخبروا سعيد الجواهرى الذى فتح دكانه وعد أكياسه فقال لقد نقصت عشر صرات ، وأخذ يصيح بينما الناس يتحدثون كل يروى رواية فواحد يقول من الذى فعل هذا ربما كان العيارون ؟ فيرد آخر قائلا « لقد قضوا على العيارين ولو كانوا قد بقوا فانهم لا يسرقون وهذه سرقة عظيمة يعلم صاحبها الطريق اليها » ٠ وقال ثالث لقد أحسنوا صنعا فقد أخذوا ذهب شخص لديه الكثير غيره ويجب أن تكون السرقة من مثل هذه الأماكن ٠ وكل واحد يقول رأيــا ٠

حينما مر ذهب الجراح من هذا المكان ومن وسط المتجمعين وازدحامهم وتدافعهم أدى هذا الى وقوعــه على الأرض وسقوط صره ذهب من كمــه وتمزقها وتطاير الذهب منها على الأرض ، فأمسك الناس به وجمعوا الذهب وصاح سعيد الجواهرى « أرونى هذا الذهب » ٠ فلما عرضوه عليه قال هذا ذهبى اقبضوا عليه ٠

أمسكوا بذهب الجراح وقيدوا يديه خلف ظهره وساقوه الى قصر الملك ، وسار خلفه جمع غفير من الناس وهم يتحدثون عن السرقة فمن قائل ما أحسن هذه المصادفة التى أظهرت الذهب ويقول آخر لو كان هذا الذهب لغير سعيد لما ظهر ، ما أمهر من سرقوه وما أعجب ما ظهر ٠ وقال ثالث ان هذا العمل لا يتــأتى من هذا الرجل فهو حجام (١) ولا يعــرف عمــل الأنقاب ٠ وقال أحدهم من الممكن أن غيره قام بهذ االعمل وحين شاهده

---

(١) الحجم لغــة المص والحجام هو الذى كان يعالج عن طريق عمل جرح مص الدماء الفاسدة بفمه ولكنها هنا بمعنى الجراح ٠

أعطاه هذا المبلغ • وكان الناس يتحدثون بكل رأى حين وصل صبيح وسمع هذه الآراء الى أن أخذوا ذهب الى قصر الملك وأوقفوه أمام عرشه •

قال سعيد الجواهرى أيها الملك العظيم بالأمس جاءوا الى دكانى ونقبوه وأخذوا عشر بدرات بكل بدرة ألف دينار وفى الصباح ظهر بعض هذا الذهب فى يد هذا الجراح • فقال مهران الوزير ، أيها الرجل من أين أتيت بهذا الذهب ؟ قل الصدق حتى نؤمنك على نفسك •

قال ذهب لقد وجدت هذا الذهب ملقى على الأرض فأخذته لكى أذهب الى البيت ولكن لم يكن لى حظ فيه فسقط منى ووصل الى صاحبه • فقال مهران الوزير انه يكذب اطلبوا الجلاد لكى يضربه •

حملوا ذهب الجراح خارج المجلس وشدوه الى الفلقة(١) وأخذوا فى ضربه فقال ذهب لنفسه ، أيها الجسد انهم لن يضربوك بأكثر من العصا فاحتمل واستسلم للضرب ولا تكشف هذا السر لأنه ليس من الرجولة والفتوة أن تشى برجل لتنجو من مائة جلدة أو حتى ألف جلدة فاحذر واحتفظ بالسر حتى ولو قتلوك ضربا ، فان الموت بالعصا أفضل من الخيانة والقضاء على روح رجل خاصة اذا كان مثل سمك • قال هذا واستسلم للضرب ، وكان الجلاد يضربه حتى تقطع جسمه وسال منه الدم ، ومع هذا لم يقر أو يستسلم سوى أنه كان يقول لقد رأيت الذهب فى الطريق • فلما تجاوز الأمر حده ولم يقر أبلغوا الوزير مهران فقال ألقوه فى السجن حتى أخبركم ماذا تفعلون به •

حملوا ذهب الجراح الى السجن الذى كان الثعلب الفيلم مسجونا به • فقال له الثعلب يا أخى ماذا حدث لك ؟ ولأى سبب سجنوك ؟ فذكر له ذهب كل ما جرى من أحداث • فقال له يا أخى اطمئن فطالما أن سمك سالم فانه سوف يخرجنا جميعا من هنا •

حينما وقف صبيح النباش على كل هذا عاد الى منزله وروى ما سمع أو رأى لسمك عن ذهب الجراح ، ولكنه أشاد بفتوته التى أبداها ، ثم قال لصبيح « يا أخى الا تعلم أين يسجنون الثعلب وبقية الفتيان وكذلك أين يسجنون خورشيد شاه وفرخ روز ؟

قال صبيح لا أعرف كم بقى من العيارين على قيد الحياة ولكننى أعرف أنهم لم يقتلوا خورشيد شاه وفرخ روز والثعلب وبعض الأشخاص

---

(١) قطعة من الخشب مربوطة من طرفها بحبل كانت توضع القدمان بينهما وتلف الخشبة حتى تشد الحبل جيدا على القدمين فترفعا وتضربا وكانت مستعملة الى وقت قريب فى الكتاتيب فى قرى مصر •

الآخرين والقوهم فى السجن القائم بالمكان الفلانى • قال سمك يا أخى سوف أحاول الليلة وأذهب الى هناك لعلنى أستطيع أخراجهم فهل لديك مكان أخفيهم فيــه ؟

قال صبيح عندى مطمورة(١) مجهزة تحت الأرض • قالا هذا وظلا فى البيت حتى أقبل الليل •

سمك ينقذ رفاقــه :

عندما تحول النهار الى ظلام وسكن الخلق والأنــام ، نهض سمك وحمل ما يلزمه من خنجر ووهــق ومبرد ومقراض وكل ما يحتاج اليــه وتوجه الى الدار التى تستخدم سجنا وأودعوا فيها الثعلب وجماعة العيارين وذهب • دار سمك حول السجن دورة الى أن عثر على مكان مناسب فألقى بوهقه وشده ثم تسلقه الى قبة المبنى التى رأى بها نافذة صغيرة نظر منها فرأى السجناء فأخرج خنجره ووسع تلك الكوة ثم ربط انشوطة الوهق فى القبة وأحكمها ثم أمسك بالوهق وتدلى الى الداخل وحين نظــر رأى الثعلب وبقية العيارين فحياهم وألقى عليهم السلام ، فردوا عليه شاكرين ممتدحين له وقال له ذهب ، يا ســمك أغثنى اذ لم تعــد لدى طاقة على تحمــل أثر الضرب أكثر من هــذا فمن كثرة ما ضربت بالعصى من أجلك لا يمكننى البقاء فاحملنى من هنا قبل أن تخرجهم •

قال سمك يا ذهب هل لديك مكان تختبىء فيه أم تأتى معى ؟

قال ذهب ، يا سمك لدى مكان اذا اختبأت به عاما كاملا لم يعرف أحد الطريق الى •

ففك سمك القيد من رجليه وقال له اذهب حيث شئت •

قال ذهب ، أين أذهب دلنى على الطريق ؟

قال سمك يا ذهب أصبر ساعة حتى أفك قيودهم ونذهب معا •

وعندئذ صاح ذهب وقال « يا سمك انقذنى فلم يعد لدى قدرة أكثر من هذا ، بحقك أخرجنى من هنا فتعجب سمك من أمره لأنه كان قد بلغ حد الموت ، ولهذا قام بربطه فى طرف الوهق ثم صعد الى السطح وسحبه اليه ومن هناك أنزله الى الأرض وقال له ، انج بنفسك وسر بحيث لا يراك أحــد •

---

(١) المطمورة هى الكلمة العربية المرادفة لكلمة سرداب وهى الحفيرة تحت الأرض قد هيىء خفيا •• لاخفاء حبوب أو مال •

وبعد أن أخرج ذهب الجراح عاد مرة أخرى ونزل الى حيث كان أستاذه الثعلب تحت القبة وأعمل مبرده ومقراضه وفك القيد من قدميه ، ثم فك قيود الآخرين الذين فرحوا وسعدوا وشكروا سمك الذى قال اننا اذا خرجنا جميعا بواسطة الوهق فان ذلك سيستغرق وقتا طويلا لذا يجب البحث عن طريق للخروج ، ثم توجه الى باب السجن ليفتحه ولكنه وجد الاقفال القوية على جانبيه من الداخل والخارج لأنه لم يكن أحد يقوم على حراستهم • فلما رأى استحكام الباب أخرج خنجره وفى لحظة كان قد فتح فيه ثقبا كبيرا يستطيع أى رجل أن يخرج منه بسهولة،فخرجوا جميعا وتقدمهم سمك حتى وصلوا الى بيت صبيح فقال له سمك يا أخى لقد قمت بما على فابحث عن مخبأ لهم يقيمون به •

اتجه صبيح الى داخل البيت وفتح بابا فظهر سلم وعندئذ قال لهم اهبطوا هنا ، فنزل سمك والعيارون العشرة الذين بقوا على قيد الحياة وهم سادر ، وجوهر ، وعسكر ، وهادى ، ولاحق ، ومضرس ، وغلاب ، وسورى ، وفائق ، وحبيب الى تلك المطمورة فوجدوها متسعة ولكن رائحة كريهة تتصاعد منها ، فبحث سمك عن مصدرها فرأى بعض الملابس الجديدة والقديمة التى كان قد جمعها صبيح وكلها ملطخة بالدماء فعرفها سمك وقال لصبيح أحرق هذه الملابس أو ادفنها فى مكان آخر لأننا لانستطيع البقاء هنا مع وجود هذه الرائحة ، فحمل صبيح الملابس وأخرجها •

جلس العيارون مستريحين وأعد لهم صبيح النباش الطعام وقدمه لهم فطعموا وبقوا فى مخبئهم •

استمرار التآمر :

يقول مؤلف الأخبار وراوى القصة صدقه بن أبى القاسم انه حينما دبر مهران الوزير تلك الحيلة لقتل جماعة العيارين وأرسل الثعلب والرجال العشرة الى السجن لأن أجلهم لم يكن قد حان بعد • كما سجنوا خورشيد شاه وفرخ روز أرسل فى المساء من استدعى السباع البطل وشاوره فى الأمر ثم قال له « أيها البطل لقد عاهدتك على أن أجعل الملك لك ، وأضع الأميرة فى أحضانك وقد قمت بما قمت به وقضيت على الأعداء ، والآن يجب أن نجد الوسيلة التى نقضى بها على الملك فغفور • ولكن اذا حدث هذا فاننا سنلطخ أسماءنا وسيذمنا العالم كله ولا أعلم ماذا نفعل ؟

قال السباع « الرأى كله للوزير ، ومن الخير — اذا رأيت — أن تطلب يد الأميرة لى حتى اذا أصبحت لى فان الملك نفسه سيؤول الى وآنذاك يصبح القضاء على الملك ميسورا •

قال مهران الوزير أيها البطل أن الملك لن يزوجك الأميرة ولا يمكن أن أتحدث معه بشأنها أكثر من هذا ، ولو كان الأمر كما تقول لكان سهلا ولكننى فكرت فى طريقة أخرى أريد رأيك فيها وماذا ترى بشأنها ؟

قال السباع ، قل :

قال مهران الوزير « أيها البطل لقد رأيت أن أكتب رسالة الى ملك منغوليا — أرمن شاه — عن لسانك ولسانى — لأنه يكن عداوة شديدة للملك فغفور لأسباب عديدة ، أولها الأميرة التى كان قد خطبها • وقال له الفغفور أرسل أبنك لكى يجيب على أسئلة المربية ويتزوج الأميرة • وسوف أذكر فى الرسالة أن الملك أصبح لا رأى له فى المملكة ولا تدبير لـه وأن كل ما يفعله مكروه مذموم وقد رأينا — أنا مهران الوزير والبطل السباع — أن يرسل أرمن شاه ملك العالم ابنه قزل ملك على رأس جيش جرار الى هذه الولاية لكى نشتت جيش الملك فغفور أيدى سبأ ، أو ندخل من نستطيع من رجاله فى بيعتك • وحينما ندخـل بعضهم فى تبعيتك نأسر البـاقين ونقيدهم ونرسلهم اليك مع الملك فغفور ، وبعد ذلك نجعل ماه برى ابنة الملك فغفور التى هى أجمل وأبهى من قمر السماء زوجة لابنك قزل ملك لأنه ملك وابن ملك • ولتعلم أن كل هيبة فغفور كانت بسبب المربية التى زالت الآن ، ولكن كل هذا بشرط أن تجعل ملك الصين للسباع البطل » • وحينما يتم هـذا ويأتى قزل ملك نسلم اليه الملك فغفور مقيـدا ونخفى الأميرة ونقول انها ماتت وبعد عودة قزل ملك يصبح الملك لك وآنذاك أزوجك الأميرة •

قال السباع أيها الوزير « نعم الرأى والتدبير فقد سلكت الطريق السليم » •

عندئـذ كتب مهران الوزير رسالة ضمنها كثيرا من المكر والحيـلة وملأها بكل ترغيب وزينة وما يستطيع من الأساليب الجميلة وعرض فيها على أرمن شاه كل الأحوال ، وأضاف فى آخرها قائلا « عندما يصل الأمير قزل ملك نكون نحن — عبيده — قد دبرنا الأمر وأدخلنا كل الرعيـة من خاص وعام فى بيعته وطاعته » •

فرح السباع وأثنى على الوزير الذى ختم الرسالة بخاتمه ثم أرسل من استدعى غـلامه أدهم وحينما أقبل وأدى التحيـة عرض عليه مهران الوزير المهمة ، وشرحها له بما استطاع من دهاء ومكر وخسة ، وقال له عليك أن تأخذ هذه الرسالة الى منغوليا وتسلمها الى ملكها أرمن شاه •

أدى أدهم التحية ، وقال سمعا وطاعة ، وأخذ الرسالة ، وخرج يعد للطريق العدة ، ثم انطلق فى وجهته يواصل الليل بالنهار حتى وصـل

مدينة منغوليا فى أقصر مدة ، فحملوا الى أرمن شاه الخبر ، بأن رجلا من الصين قد وصل ، فذهب الحاجب اليه وقاده الى مجلس أرمن شاه فسلم أدهم عليه ، وأخرج الرسالة وقبلها ثم تقدم لطرف العرش حيث وضعها ٠

الفتنة نائمـــة :

كان للملك وزير اسمه شهران ، أخذ الرسالة ونقل معناها للملك الذى سر بها فى البداية وكان الأمير قزل ملك يقف خلف أبيه وحينما سمع اسم الأميرة غمر الفرح قلبه ، لأنه كان يتمنى زواجها منذ مدة ولكنـــه لم يكن يستطيع الحديث عنها لخوفه من مربيتها ، فلما علم أن المربية قتلت قال يا والدى اننى ــ عبدك ــ يمكن أن أذهب وأقوم بهذ االأمر ، وآتى بخورشيد شـــاه والملك فغفور مقيدين على عتبة هذا المجلس ثم أتزوج ابنته الأميرة ٠

قال ارمنشاه لوزيره شهران ماذا ترى فليس هذا بالأمـــر الهين اليسير ، وخلية النحل لا يجب أثارتها بكلام من مهران الوزير ؟

كان عشق الأميرة قد اشتغل فى رأس قزل ملك فأدى التحية وقال : « يا أبى العظيم اذا صدق كلام الوزير مهران فهو خير ، والا فاننى سوف استولى على هذه الولاية بحد السيف ولا خوف منهم ، لأن مقاومتهم لنا كانت بسبب المربية الساحرة وأنا عازم على هذا وسوف أحصل على ابنة الملك فغفور واتزوجها ٠

قال أرمن شاه ، اننى سوف لا أثير فتنة وأجعل العالم فى محنة بسبب فتاة فان كانت من نصيبك فسوف تأتى اليك دون تعب واذا كان مهران الوزير والسباع سيقومان بالعمل ويتمانه ثم نذهب نحن ونحصل على ثمرته بسهولة ويسر فان الملوك سيلوموننا حين يبلغهم ذلك ، أما اذا أقدم مهران الوزير والسباع على هذا العمل فتلزمهما الحجة والذريعة لتبريره ، وسوف يلحقهما الخزى والعار ٠

قال قزل ملك « الأمر كمـــا تقول ولكننى سأذهب لخطبة ماء برى وحينما اقترب من الصين أرسل رسولا كالعادة أطلب الفتاة وانتظر الجواب فان كان مهران الوزير قد أنجز ما وعد فاننا نكون بعيدين عن هذا الأمر وهذا حسن والا فاننى أتذرع بالأميرة وأقوم بالعمل فى فترة وجيزة ٠

قال أرمن شاه « يا بنى ليس هذا من الخير فى شىء ولكننى لن أستطيع منعك طالما أن هذه الرغبة قد استولت عليك ولن أثنيك عن عزمك » ٠ وفى الحال أمـــر وزيره أن يختـــار ثلاثين ألفا من الفرســـان

بقيادة بطلين أحدهما اسمه قطران والآخر اسمه قطور وكانا شقيقين ، ولما ضرب قزل ملك خيامه خارج المدينة استعدادا للرحيل أمر أرمن شاه أن يبعثوا ردا على خطاب مهران الوزير كان مما جاء فيه :

« لقد أعجبنا رأى مهران الوزير الكبير ونشكره عليه وقد زادت محبته فى قلوبنا وكذلك البطل السباع فهو منا وتمت الموافقة على ما طلبه واستجابة لكلامكم ارسلت ابنى قزل ملك ليقوم بما يجب وينجز الأمر والســــلام » ٠

ثم ختم الرســالة بخــاتمه وسلمها الى أدهم وخلع عليه وأعــاده فسار أدهم وقزل ملك يتبعه على رأس ثلاثين ألف فارس الى أن وصلوا الى حدود الصين فلما تخطاها قزل ملك أطلق يد السلب والنهب وأمر بالقتل والحــرق ٠

معظم النــــار :

ذات يــوم فاجــأ المتظلمون مجلس الملك فغفور وهــم يصيحون ويستنجدون من ظلم جيش منغوليا فقال فغفور لوزيره مهران أنظر ماذا يفعل جيش أرمن شاه فقد أطلق يد البطش والظلم والفتنة ولا أعلم من أين ظهرت جرأتهم هذه ؟ ولكننى أعرف أن أرمن شاه أرسلهم ، فهل يريد خراب الدنيا ويقبر مائة ألف رجل ؟ نحن لا شأن لنا به وقد تركناه فهل من أجل كلام طلب به الأميرة ولم نعطها له غضب وثار بينما نحن لم نذكر اسمه على ألسنتنا ولكنه الآن يريد الاستيلاء على ولايتنا ولا أعلم كيف فكر فى هذا الأمر ؟

فى ذلك الوقت كان أدهم قد عاد حاملا الرد على الرسالة وشرح الأمر للوزير مهران فقال الوزير مهران أيها الملك يجب علينا أن نبعث رسولا ليتبين الأمر ويعرف لأى غرض أو مصلحة جاءوا وماذا يريدون وآنذاك نتدبر أمرهم ٠

قال فغفور نعم ما تقول ٠ من نرسل من أبطال الجيش بحيث يحسن الكلام ؟

قال مهران الوزير ، « ان بطل جيشنا هو السباع ولا يجوز ارساله » ٠ وقد ذكر مهران هذا لأنه كان قد عاهد السباع على أن يجلسه على العرش ولهذا دافع عنه ٠ ثم قال أيها الملك نرسل بطلا آخر وكان هناك بطل اسمه كرمون بينه وبين مهران الوزير عداوة لأنه كان لايطيعه فاختاره ، وقال فلنرسله لهذه السفارة وجعل معه مائتى فارس وأمر الملك أن تكتب معه رسالة جاء فيها ٠

« هذه رسالة منى أنا الملك فغفور الى أرمن شاه ملك ولاية منغوليا ، انا نريد أن نعرف السبب فى العداوة والضغينة بيننا ومن هو السبب فيها ؟ واعلم وتأكد أنه حتى عهد أبى كان كل ملك فى منغوليا يدفع الخراج لملك الصين ، فلما استقر والدى على العرش فان فيروز شاه أبو أرمن شاه الذى كان ملكا لمنغوليا أقام صداقة مع والدى ولهذا لم يطلب منه الخراج ، فلما جاء دورنا فاننا لم نطلب شيئا احتراما لسنة أبى وسلكنا طريق الصداقة حتى هذا الساعة التى جاء فيها الجيش الى ولايتنا وأطلق يد الظلم والجور فما معنى هذا ؟ لست أدرى من أين نبعت هذه الجرأة ؟ فلعل بطلا ظهر ولم نسمع باسمه ودفعه غرور البطولة لمحاربتنا ظانا أن لن يصيبه أذى منا ؟ هل طلبت منكم خراجا ؟ ولكنك قد تعيد التفكير ـ وهذا جائز الآن ـ وقد أرسلنا الرسول وأخذنا عليكم الحجة ليكون معلوما والسلام ٠

فلما أتم مهران كتابة الرسالة عرضها على الملك الذى شكر مهران بالثناء عليه لأنه لم يكن يعلم ماذا يضمر ابن الحرام سيىء الفعال هذا فى قلبه ٠ فختم الرسالة وسلمها الى كرمون الذى حملها وانطلق فى طريقه ٠

أسرع مهران بكتابة رسالة سرية الى قزل ملك قال فيها « أيها الأمير يجب عليك أن تعذب كل رسول يأتى اليك من عندنا لأن الخوف منك ورهبتك قد حلت فى القلوب ولم يعد أى شخص يستطيع النوم خوفا منك وسوف يرسل الملك فغفور الرسل ليجمع الجيش ولكننى سأحول دون ذلك وسوف آخذ العهد على الأمراء الذين هم الآن فى مقر الملك ، وكل من أرى أنه لايصلح معنا ولا ينضم الينا فسوف أرسله كرسول اليك وأنت تعرف ماذا تفعل به ، واننى أعد كل شىء هنا حتى اذا ما وصل الأمير يكون الأمر قد تم دون جهد أو تعب ٠

بعد أن ختم الرسالة كان هناك رجل اسمه الراوندى يعمل فى خدمة مهران الوزير يعرف المسالك والدروب جيدا حمل الرسالة وانطلق الى مقصده حتى أنه وصل قبل كرمون وتوجه بغبار الطريق الى مجلس الأمير مباشرة وقال قولوا للملك أن رسولا وصل يحمل اليك رسالة ٠

أخبر الحجاب الأمير ، وقالوا له انه يحمل رسالة فأمر الآمير بادخال الراوندى وحين دخل أدى التحية ووضع الرسالة أمام قزل ملك ٠ وكان له كاتب ذو عقل وفضل اسمه شاكر استدعاه وأعطاه الرسالة ليقرأها فلما عرف محتوياتها ذكرها لقزل ملك الذى قال هكذا سوف أعمل وأتشدد وأقسو حتى النهاية ٠

قال شاكر أيها الأمير لايجب أن تكون هكذا واحذر من أقوال مهران الوزير ورسائله ولا تلطخ سمعتك لأنه لايوجد ملك أهان الرسل وآذاهم، ثم انك ذاهب لتصبح صهر الملك فغفور وكل من يذهب للمصـــاهرة لا يسلك هذا المسلك ويخرب الدنيا وتكون عليه لعنة الناس وكراهيتهم ، والملوك لا يفعلون هذا ، ومن الجائز أن مهران الوزير يدبر مكيدة ولهذا يجب أن نحصل فى السر على وسيلة لنعرف ماذا يجب أن نفعل ، ولنكتب رسالة الى مهران الوزير بانك ذكرت لنا أن الأميرة فى أسرى وســوف أقدمها لك ، وقد حدث تقصير ودخل الشك فى قلوبنا لأنك قلت مرة أخرى أن الأميرة ليست عندى ولهذا لم نعد نعتمد على كلامك ، فاذا كان ما ذكرته صحيحا وستنفذه ولن تستطيع ارسال الأميرة فهذا جائز ، ولكن لما كنت ستنضم الينا وتلحق بنا فأرسل الينا أموالك وخزائنك وكل ما تملك حتى يمكن أن نعتمد على قولك ٠

قال قزل ملك « نعم ما ذكرت ، رد به عليهم » واثنى على شاكر وقال له اكتب رد الرسالة الآن وأذكر فيها ما قلت ٠ فكتب شاكر الجواب وشرح الأمر كما يجب ثم ختم الرسالة وأعطاها للراوندى وأعـــاده مع خلعة له ٠

بعد أن ذهب الراوندى وصل البطل كرمون فى اليــوم التـــالى فأخبروا قزل ملك أن رسولا من قبل الملك فغفور قد أتى ، فأمر قزل ملك أن يعدوا المجلس على عادة الملوك ورسومهم ، ثم قال لهم أدخلوا الرسول بحيث يرى جيشــــنا ٠ فذهب شخص وأتى بكرمون من الطريق الى مجلس الأمير ٠

حينما دخل كرمون المجلس نظر فرأى سرادقا مزينا بالأطلس الأحمر وقد شد الى أوتاد ذهبية ونصبت الأعمدة وشيد العرش الذى كان يجلس عليه قزل ملك وجلس عن يمينه شاكر صاحب قلمه واصطف الغلمان والخدم والحجاب جميعا فى أماكنهم ٠

أدى كرمون التحية ودعا وأثنى ومدح الأمير فأمر قزل ملك أن يجلسوه على كرسى ذهبى ، وفى الحال انطلق المطربون فى الغناء وبدأوا فى تقديم الشراب وقال شاكر أيها البطل اذا كنت تحمل رسالة فاذكرها وان كنت تحمل خطابا فقدمه ، فنهض كرمون وأدى التحية وقبل الخطاب ووضعه أمام قزل ملك فأخذه الأمير وسلمه الى شاكر ليقرأه ، فلما سمع كل هذا التهديد الذى ذكره فغفور شاه فى الخطاب لم يقل أى شىء ثم التفت الى شاكر صاحب قلمه وقال له « اكتب ردا على هذا الخطـــاب الآن ٠ فقال شاكر « ماذا أكتب » ؟

الرد ما ترى لاما تسمع :

قال قزل ملك أكتب ان أحوال آبائنا ودفعهم الخراج أو أخذه منهم فشيء لا نعلمه ، فقد كانوا ما كانوا وذهبوا ، ولكننا نعيش الآن وبافون واذا لم تطلب الخراج من أبي فقد كان أمرا يخصك انت ، واذا طلبت الخراج أو أعطيته ، أو أنه أجابك بحد السيف فهذا قد ذهب وانقضى . ولقد كانت قوتك للآن مردها للمربية الساحرة التى جعلت الملوك يخضعون لك لأنها بسـحرها كانت قد أسرت بعض الأمراء ، والآن وقد ذهبت الساحرة فمن ذا الذى يقرك ملكا على كل الدنيا ؟ ولقد جئت على رأس جيش مجهز وكتبت رد خطابك هذا وأنا فى الطريق اليك فيجب عليك حين يصلك خطابى أن ترسل الى ابنتك ماه برى مع تحف كثيرة وأموال وفيرة وخـراج عشر سـنوات حتى أعود من طريقى والا فاستعد للحرب لأننا منتظروكم فى سهل الحمر الوحشية الى أن تجيئوا .

وكان سهل الحمر الوحشية هذا مكانا فسيحا ذا عيون جارية وأعشاب ناضرة وافرة ، فلما عرف شاكر من الأمير ماذا يكتب ردا على خطاب الملك كتب خطابا فى الحال ضمنه أضعاف ما ذكر الأمير مائة مرة ، وختمه وسلمه مع خلعة له وأعاده فعاد فى الحال .

كان من ارادة الله أن سمك والثعلب وذهب الجراح وهؤلاء العيارين الذين أنقذوا من القيود والسجن تصادف خروجهم مع قيـام الضجة والضوضاء التى أثارها قدوم المطالبين بالانقاذ من ظلم قزل ملك ، كما قامت فى قصر الملك فغفور ضجة أخرى أبلغوه أن سببها كسر السجن وهرب العيارين . فقال الملك فغفور من الغم والحزن الذى كان فيـه « وهل هذا وقت العيارين ؟ لقد دهمنا غم أعظم جعلنا لا نهتم بهم ، وقد أدركت الآن مدى حزنى على دمائهم التى أريقت ظلما وعدوانا .

بقى سمك والثعلب والآخرون فى مطمورة بيت صبيح النباش بينما كانت الدنيا مضطربة هائجة ، وفى هذه الاثنـاء عاد الراوندى يحمل رد خطاب مهران الوزير ، فلما قرأه مهران أرسل شخصا يستدعى السباع فلما جاء قرأ عليه الرسالة مرة أخرى . فقال السباع « وما التدبير يا مهران ؟ افعل ما فيـه المصلحة . فقال مهـران ، يجب أن نجـد وسيلة لارسال كل ما يتعلق بنا من خزائن وأموال ونساء الى هناك حتى يتأكدوا أن ما قلناه صدق ومتى جاءوا سلمنا لهم الملك فغفور وآنذاك يصبح الملك لك خالصا .

قال السباع « هكذا يجب أن نفعل » . ثم انشغل مهـران الوزير والسباع فى الاعداد لهذا الأمر حتى يروا ماذا تسفر عنه الأحداث .

في الناحية الأخرى كان سمك وجماعته في المطمورة وقد مر عليهم أسبوعان أو ثلاثة • فقال سمك للثعلب والآخرين « لقد أخطأنا في حق المروءة والفتوة » •

قال الثعلب يابني اننا عاجزون عن أمرنا فماذا نستطيع أن نقدم للآخرين ؟ لقد كافحنا ما استطعنا وكنا بجانبهم حتى الرمق الأخير ، وقد وهبني الله الحياة وكان انقاذنا على يديك فلعلهم ينجون أيضا •

قال سمك أيها البطل أن تلميذك سمك سيقوم الليلة بعمـــل يخلصهم أيضا من الأسر فاحتفظ بهمتك وروحك العالية •

قال هذا وبقوا حتى انقضى النهار وحل الظلام فنهض سمك العيار وحمل سلاحه وخنجره ووهقه ومبرده ومقراضه وما يلزم لرجال الليل وخرج من المطمورة واتجه الى الطريق وسار حتى وصل الى القصر الذى كان به خورشيد شاه وفرخ روز سجينين وكان قد عرف عنوانهم من صنبيح ، فلما صار بجوار القصر سمع أصوات الحرس تتصاعد من أركان السجن الأربعة ، كما كان هناك كلب ينبح على جانب من السطح ، فتحير سمك في هذا وقال ان أمر الحرس سهل ولكن أمر هذا الكلب الذى ينبح من على السطح أصعب •

أخذ سمك يحبو على يديه ورجليه كالكلب حول القصر ويقول لنفسه ما العمل ؟ وكان نباح الكلب يتصاعد وسمك يدور الى أن وصل الى مجرى ماء يخرج من القصر فقال سمك لقد وجدت مكانا صالحا ، يجب أن أنقب هنا ، قال هذا وأخرج خنجره ووسع مجرى الماء حتى استطاع أن يدخل منها بسهولة •

انقاذ الأميرين :

دخل سمك الى القصر فوجد نفسه في « المرحاض » وكان بابه مغلقا ونظر فرأى الجدار من الآجر فانتزع واحدة وأخذ يوســع مكانها حتى أصبح النقب كبيرا يمكن المرور منه وتطلع فرأى منزلا متسعا وبابا مفتوحا أمام القاعة ، وأنصت ليرى ان كان هناك أحد أم لا فجاءه صوت خورشيد شاه وهو يتحدث مع فرخ روز ويقول له أيها الأمير من ذا الذى يهتم بنا أو يخرجنا من هذا المكان وينقذنا ؟ لقد قتلوا كل العيارين وأخذوا الثعلب وبعض العيارين الآخرين ومن الممكن أن يكونوا قتلوهم أيضا • ولو كان سمك موجودا لأخرجنا من هذا المكان ولكنهم قتلوه في ذلك اليوم فلعل الله أن يهبنا الفرج •

كانا فى هذا الحديث حينما دخل سمك وسلم عليهما • وقال الأمير « أيها الرجل الحر من أنت الذى تذكرتنا فى هذا الوقت ؟ قال سمك أيها الملك أنا عبدك سمك • فحينما سمعا اسمه فرحا وقالا أيها البطل كيف نجوت وقد رأيناك تسقط صريعا ؟ أننا كنا نتحدث عنك منذ ساعة •

قال سمك لقد سمعتكما وليس هذا وقت الكلام فالوقت متأخر •

أخرج سمك مبرده وقطع القيد الذى فى أيديهما ثم قرضه بالمقراض فتحررت أيديهما وأرجلهما فلما وجدا أنهما أصبحا بغير قيود فرحـــا واثنيا على سمك وشكراه ، ثم خرج ثلاثتهم من ذلك النقب وساروا فى طريقهم وفجأة ظهر أمامهم شخص ونظر اليهم فعرفهم وتقدم اليه سمك ليمسك به ولكنه جرى من أمامهم فتبعه سمك عدوا ولكنه أخذ يدخل من حارة الى حارة حتى وصل الى مكان مرتفع صعده ثم اختفى بعد ذلك •

لحق خورشيد شاه وفرخ روز بسمك وقالا أيها البطل هل رأيت أحدا ؟ قال : لا لقد هرب ولم أعرف من هو » • ثم ســـار ثلاثتهم فى طريقهم • فقال خورشيد شاه يا سمك هل لديك أخبار عن الثعلب الفيلم وبقية الذين أمسكوهم ؟ قال سمك أيها الأمير ان الثعلب والعشرة الآخرين فى سلامة تامة هم جالسون فى بيت صبيح النباش منذ أن أخرجتهم من السجن • وأخذوا يتحدثون فى هذا وذلك الشخص يتتبعهم وينصت اليهم •

عـــدو لا ينـــام :

يقول مؤلف القصة وراوى أحداثها ، أن ذلك الشخص كان أدهـــم غلام مهران الوزير والذى كان قد أحضر رسالة قزل ملك الى مهـــران الوزير التى يقول فيها « أرسل الأميرة كما وعدت وقلت اننى سأرسلها ولم ترسلها » ، وكان مهران قد تشاور مع السباع وقال اننا يجب أن نأتى بالأميرة ونخفيها وننتظر ماذا سيحدث خوفا من أن يرسلها فغفور اذا طلبها قزل ملك وتبقى أنت دون الوصول الى أملك ونيل مقصودك ، ولهذا اتفقا على أن يخطفا الأميرة وكان أدهم يخرج كل ليلة يطوف حول قصر الملك لعله يجد وسيلة للوصول الى الأميرة ليحملها اليهما ، وفى تلك الليلة حينما رأى سمك وخورشيد شاه وفرخ روز عرفهم وهرب منهم ثم عاد وتبعهم الى أن عرف أن الثعلب والعيارين فى بيت صبيح النباش ففرح وقال ان لم أستطع الوصول الى الأميرة فقد وصلت الى معـــرفة مكان أعداء الوزير •

عاد مسرعا الى قصر مهران الوزير ودخل عليه وأدى التحية اليه ، فقال له الوزير ماذا فعلت ؟ قال أيها الوزير لا أستطيع الوصول الى

الاميرة بأية حال ، ولكننى أتيتك بنبأ آخر ، اذ أخرجوا خورشيد شاه وفرخ روز من السجن • فنهض الوزير من مكانه وقال كيف كان ذلك ؟ من الذى أخرجهما ؟

قال أدهم « أخرجهما سمك العيار » •

ارتعد الوزير حينما سمع اسم سمك وقال « يا أدهم ماذا تقول ؟ سمك حى ؟ ألم يقتلوه فى مجلس الملك ؟ كيف عادت اليه الحياة » ؟

قال أدهم « لقد عرفت مكانهم أيضا ، انهم فى بيت صبيح النباش ، كل العيارين وخورشيد شاه وفرخ روز والآخرين » •

فرح الوزير وقال يجب القضاء عليهم لأنهم جماعة خطرة ذات جرأة وبأس • وبقى يفكر فى أمرهم حتى أنبلج الصبح وتنفس النهار •

ذهب مهران الوزير الى مجلس الملك وفى الحال جاء حارس السجن وقال أيها الملك لقد حطموا السجن وأخذوا السجناء • فقال مهران « أيها الملك فى المرة السابقة أخذوا الثعلب وجماعته ولم نبحث عنهم أو نطلبهم الى أن تطاولت أيديهم وأخذوا خورشيد شاه أيضا وكل هذا من عمل سمك ابن الحرام هذا خاصة فى هذا الوقت حيث يزحف علينا جيش جرار وهناك اناس مجهولون يفعلون فى مدينتك ما يشاءون ، مرة يأخذون الأميرة من قصرها ، ومرة يقتلون ابنى فى الميدان ، وأخرى يقتحمون السجن ويأخذون السجناء ، واذا وقف جيش الأعداء على هذا فانهم سيحتقروننا ويصغرون من شأننا ويقولون أنهم لا يستطيعون القضاء على عشرة رجال وسيأتون للقضاء علينا ويخربون ولايتنا ويخرجون الملك من أيدينا ولهذا يجب القضاء على هذه الجماعة قبل أن يصل جيش الأعداء » •

قال الملك وأين هم ؟

قال الوزير « انهم فى منزل صبيح النباش منذ أن أخرجهم الثعلب من السجن وهم يقيمون هناك ولهذا يجب ارسال كتيبة (١) والقضاء عليهم » •

قال الملك ، أرسل كل ما يلزم •

قال الوزير هل يذهب السباع ؟ فوافق الملك على ذهاب السباع مع مائتى رجل لكى يأسرهم ومن ثم أخذوا فى الاعداد للذهاب اليهم •

---

(١) الكتيبة كانت من ١٠٠ الى ١٠٠٠ جندى •

الفــرار الفــرار :

في الجانب الآخر كان سمك قد وصل الى بيت صبيح مع خورشيد شاه وفرخ روز ونزلوا الى تلك المطمورة فوقف الجميع لاستقبالهم وشكروا سمك وأخذوا يتحدثون كل عن حاله ، فلما أشرقت الشمس وأضاءت ذهب سمك الى سماح وقال يا اختاه انهضي واذهبي الى باب الملك لأنني أحس في قلبي أمرا ، وقفي على كل الأمور هناك وماذا يفعلون ويديرون ؟ فجاءت سماح الى باب قصر الملك وأخذت تتسمع ، وعرفت كل ما يقولون حتى وصلت الكتيبة التي ستذهب للقبض عليهم فعادت سماح الى جماعة العيارين وقالت لهم « فيما أنتم جالسون وقد عرفوا أحوالكم والجيش قادم للقبض عليكم » ؟ فنهض الجميع من أماكنهم وقالوا وما التدبير ؟ وكان كل واحد يقول شيئا الى أن قال ذلك الشاب الوسيم ذو الذهن المتوقد وهو سمك « أيها الفتيان لدى فكرة واحدة لا أكثر والا فاننا جميعا سوف نهلك فعلى مقربة من هنا محلة بها شعب (١) كبير يقال له شعب الصخر لأنه شق في وسطه وليس له سوى طريق واحد من ناحية واحدة فان شئتم ذهبنا اليه واحتمينا به ولن تقدر علينا هناك حتى جيوش الأرض كلها لأنه آمن من كل ناحية يحيط به الصخر من كل جانب .

أثنى الجميع عليه ، وقالوا ما أحسن ما تذكرت هذا الشعب الآن .

ثم حمل خورشيد شاه وفرخ روز والثعلب وسمك والآخرون سلاحهم وخرجوا ، وخرجت سماح في اثرهم واختفت في أحد الأمكنة . وحين خرجوا وصل السباع في نفس اللحظة مع مائتي جندي وأحاطوا بالبيت وأثاروا الضوضاء والصخب وحينما اقتحموا المنزل لم يجدوا به أحدا فتعجبوا وسألوا الناس هل رأيتم أحدا خرج من البيت ؟ قالوا لقد رأينا قوما خرجوا في هذه اللحظة من البيت وذهبوا الى شعب الصخر ، فذهب السباع وجنوده الى مدخل ذلك الشعب .

حصار في الشعب :

حينما وصلت كتيبة الجند كان خورشيد شاه وفرخ روز قد سدا مدخل الشعب وقالا هذا ما وقع علينا من العمل ، وكان فرخ روز ماهرا في الرماية الى حد الكمال فقال أيها الأمير اسمح لي بالاطلاق حتى يعلم هؤلاء القوم اننا لم نجيء هنا عن جبن . قال هذا وأفرغ ما في جعبته من سهام ثم تناول واحدا منها وضعه في القوس وجلس على ركبته وأطلقه

---

(١) الشعب هو الشق في الجبل أو ما شابه ، ويكون ضيقا بعرض بطحة رجل أو ما قارب ذلك .

على فارس كان يقف فى مواجهته فنفذ منه السهم وأصاب آخر فألقاهما أحدهما على الآخر • وظل يقتل رجلا فى كل سهم يطلقه حتى انتهى النهار وهو يطلق السهام فقضى على خمسين رجلا • وكان مائة ألف رجل وامرأة وطفل ينظرون اليه ويتفرجون عليه وهم يشيدون به وبالسهام التى كان يطلقها ولم يخطىء واحد منها • وكان واحد منهم يقول ما أعظمه من شاب شجاع وقال واحد انه خورشيد شاه الذى روض الحصان الجامح وصرع العبد الزنجى بعد أن أظهر مهارة فى المصارعة • وقال آخر انه فرخ روز الذى أسرته المربية وقد حصلوا على مكان جيد فماذا كانوا يستطيعون عمله وهم قلة والجند كثرة ؟ وقال بعضهم اذهبوا جميعكم لمساعدتهم فانهم رجال طيبون حسنو المحضر ولم يسيئوا الى الملك فغفور أو قومه • فلما أقبل الليل وأظلم عاد السباع الى الوزير مهران بينما اجتمع النعلب والآخرون على مدخل الشعب وأخذوا يهنئون فرخ روز ويمدحونه •

قال الثعلب « يجب أن ندبر ما نحتاجه من ماء وطعام حتى نحافظ على هذا الشعب » •

قال سمك « يا والدى لماذا تحزن على الرزق ؟ لقد أنقذنا الله من كثير من المحن والمهالك وسوف يرزقنا من حيث لانعلم » •

وبينما كانا فى هذا الحديث اذ جاء بعض شباب المدينة وأعيانها حاملين اللحم والحلوى وقرب الماء والمشاعل ، وكان الشباب فى سلاحهم لكى يعاونوهم ويصبحوا من رجال خورشيد شاه وأتباعه • وحين أشرقت شمس اليوم التالى كان من التحق بهم لمساعدتهم نحو أربعمائة رجل فى كامل سلاحهم وهم يحملون كثيرا من الماء ومزيدا من الطعام والزاد •

حين أصبح الصباح تجمع جيش الملك مرة ثانية على مدخل الشعب تصاعدت أصوات طبول الحرب وأبواقها واصطف نحو ألفين أو ثلاثة آلاف من المقاتلين • فقال خورشيد شاه اليوم ستكون نوبتى فى الدفاع لأن المكان ضيق ولا نستطيع القتال جميعا ، كما أننا لن نستطيع الخروج ، ثم أمسك الأمير بسهامه وقوسه وأبدى فى ذلك اليوم مهارة فى الرمى جعلت كل الرجال يتعجبون منه اذ كان كل من يتقدم من جيش الملك كان خورشيد شاه يرديه بسهم حتى غابت الشمس • فكان قد قتل كثيرا من جند الملك ، وكان سمك واقفا بالقرب من خورشيد شاه. وفرخ روز يشاهد ما يجرى وفجأة وقعت عيناه على أدهم غلام الوزير مهران • فقال ان كل هذه المآسى والمحن أثارها هذا الملعون • ولم يكد يتم كلامه حتى كان فرخ روز قد رماه بسهم أصابه فى صدره فسقط على الأرض وأسلم روحه دون اذن هذه المرة من وزيره مهران •

وكان أدهم يقف بالقرب من السباع الذى رأى ما حدث فاستولى عليه الخوف وأثنى على رامى السهم ولكنه عاد ووقف فى الخلف حتى لايصاب بـدوره •

بعد ذلك جاء مهران الوزير الى هذا المكان ليشاهده ويرى ما يحدث فرأى خلقا كثيرا ، وقد تجمعوا فتقدم الى السباع وسأله « أيها البطل هل مات أحد من تلك الجماعة » ؟

قال السباع ؟ لا » لأن الطريق ضيق وبالأمس كان فرخ روز هو الذى يقاتل واليوم فانه خورشيد شاه ولا يستطيع أحد أن يتقدم اليهم ونحن نطلق عليهم السهام ولكنها لاتصل اليهـم أو تصيبهم لأن مدخـل الشعب ضيق » •

قال الوزير مهران « أيها البطل انك لن تستطيع أن تفعل شيئا مع هؤلاء القوم لأنهم جلداء ذوو حمية ، وقد تجمعوا فى مكان حصين • ولقد قاتلتهم يوما فمات خلق كثير من جانبنا ولم يمت واحد من جانبهم واذا استمر الأمر على هذا فسوف ينتقمون منا ويجب أن نحافظ على سمعتنا وهيبتنا ونهلكهم بالحيلة والمكيدة • عليك أن تأمر باحضار أحمال من الحطب تلقى على مدخـل الشعب ثم تشعل حتى يهلكوا فى الشعب ويحترقوا عطشـا وجوعا ويهلكوا من حـرار الشمس ولفح النيران ، والا فانهم سيحصلون على الماء والطعام أثناء الليل كما سيحمل اليهم أهل المدينة مايحتاجونه من سلاح ثم يقاتلون هكذا أثناء النهار ولن نستطيع أو يستطيع أحد الانتصار عليهم » •

قال السباع «هكذا يجب أن نفعل» وظلوا فى أماكنهم وأرسلوا من يجلب لهم الحطب •

انى أرى فى المنام :

كان القوم فى الشعب بعضهم جالس والآخر نائم ، وكان سمك من بين النائمين ولكنه استيقظ فجأة من نومه وقال « أيها الأمير لقد رأيت فى المنام اننا جالسون في خميلة جميلة وحولنا نحو مائة شاة سمينة ترعى ، وفجأة جاءت الأفاعى واتجهت صـوبنا فخفت وابتعدت من أمامها وكان معى من تلك الخراف ثلاثة ولا أعلم أين ذهبت البقية » •

قال خورشيد شاه « يا أخى يبدو أن بلاء سيقع وسننجو أنا أنت وفرخ روز والثعلب أربعتنا فاذا حل البلاء حل بهولاء الفتيان ونكون نحن قد خرجنا لعلنـا نستطيع بوسـيلة أو بأخـرى أن ندفعه عنهـم ولا نتركهم فيه •

قال سمك العيار « ليس من الشهامة أن تترك قوما فى بلاء وتنجو بنفسك ، ولما كانوا يفتدوننا بأرواحهم فسوف نبقى معهم الى آخر رمق فى أرواحنا ٠

قال خورشيد شاه « اذا كنا سنذهب انقاذا لأرواحنا فاننا سنذهب لصلاح شأنهم أيضا ، لا أن قوما فى راحة وقوما فى بلاء ، ونأمل أن نصلح أمرهم وننقذهم ٠ قالوا هذا وخرج أربعتهم وشاهدوا أن أعداءهم قد أحضروا الكثير من الحطب والقوة على مدخل الشعب وجاء النفاطون وأشعلوا فيه النيران ٠

قال خورشيد شاه « يا سمك الأفاعى التى شاهدتها فى رؤياك هى هذه النيران » ثم أخذوا يشاهدون ما يأتى به القوم من حطب يلقونه على النيران حتى فاقت الحد والوصف وجعلت من كان بالشعب يتألم من شدة تأججها وحرارتها ٠ فتجمعوا فى نهاية الشعب الذى كان طويلا واسعا من الداخل وكان السباع يقف على بعد يشاهد ما يجرى ويقف فى مواجهة خورشيد شاه مع الآخرين ٠ فالتفت سمك الى الثعلب وقال له « يا أستاذ ليكن ما يكون فسوف أضحى بروحى وأقتل السباع لأنه متعطش لدمائنا وعزم على اهدارها ، وهناك شىء يدفع ابن الحرام هذا على الوقوف هذا الموقف المتشدد ولا يمكن أن يكون هناك شىء آخر غير أن مهران الوزير دبر أمرا ويقومان بكل هذا للوصول اليه ، ولهذا أمسك بيدى يوم الميدان ومنعنى من قتل مهران ٠

قال الثعلب لسمك « أيها البطل انك تعلم أن الجيش كثير العدد وان مشاكلنا ومصاعبنا تحل وتختفى على يديك ، ومن الصعب الذهاب بمفردك هكذا وسط الجيش ٠

سمك يقع فى الشبك :

قال سمك « لاتحزن فالعيارة لاتكون مع قلب ضعيف ولو أن لى أجلا فان أهل الأرض جميعا لايستطيعون عمل شىء لى ٠ قال هذا وأخرج خنجره واندفع بجرأة وسط الجند ولم يكد الناس يتنبهون حتى كان قد أغمد الخنجر فى صدر السباع بقوة حتى أخرجه من صدره فسقط السباع مضرجا فى دمائه ولما رأى الجند هذا أحاطوا بسمك ليمسكوا به فقتل منهم سبعة آخرين وحين أمسكوا به قال أحدهم يجب قتله ٠ وقال آخر يجب احراقه لأنه مثير للفتن خطير ، وبينما هم فى جدلهم اذ وصل مهران الوزير لكى يتحدث فى شأن من شئونه مع السباع فلما رأى هذه الضجة من الضوضاء قال ماذا حدث قالوا أيها الوزير جاء سمك فجأة وطعن

السباع فأرداه قتيلا كما قتل جماعة آخــرين قبــل أن يمسكوه وهم يريدون قتله ٠

حينما سمع الوزير اسم ســمك تملكه الرعب وســأل ، وهل أمسكوا به ؟ قالوا نعم ٠

قال مهران الوزير « لايجب قتله فى مقابل السباع لأنه حينما قتل ابنى لم أقتله أيضا لقاءه بل قيدوه واحملوه الى الملك لأنه ليس وحده وحين نضربه فسيقر أين البقية ٠ ولهــذا قيــدوا سمك وحملوه الى قصر الملك ٠

كان الملك فغفور قد ذهب الى مجلسه ، فتقدم مهــران الوزير وأدى له التحية وقال « أيها الملك العظيم لقد أمسكنا بسمك » ٠

قال الملك فغفور ، كيف ؟ فأعاد مهران ذكر ما سمعه ٠ فاستطرد الملك قائلا ابقوا عليه حتى يطلع النهار فننظر ما نحن به فاعلون » ٠

أخذوا سمك وأوكلوا به أحدا لحراسته وتفرق الجميع وعادت تلك الجماعة التى كانت عند الشعب الى ثكناتها ٠ فلما طلع الصبح وأضــاء ذهب الملك فغفور الى مجلسه وجاء الأمــراء الى حضرته ، وقدم مهــران كعادته ، فطلب منه الملك ذكر ما حدث بوضوح وتفصيل ، فأعاد مهران ذكر ما فعله ســمك ٠ عندئذ قال الملك أحضروا ســمك ، فأحضروه الى المجلس فقال مهران أيها الملك يجب أن نضربه قبل أن نستجوبه ٠ وكان يتكلم عن ضغينة وعداوة ولهذا استدعوا الجلاد وشدوا سمك فى الفلقة وضربوه نحو عشرين جلدة حتى تقطع جلده وسال منه الدم وكان سمك يصيح ويقول لماذا يجب أن أضرب ؟ ان الضرب للصوص واذا كنت قد قتلت أحدا فاقتلونى ٠

فقال مهران « يا سمك انك تستحق مائة عقوبة كهذه جزاء ما فعلت ، أصدقنا القول أين خورشيد شاه وفرخ روز وأبوك الثعلب والأخرون ؟

قال سمك لنفسه « قل الصدق ، وأننى لا أعلم مكانهم لعلنى أنجو بقولى الصدق » ثم قال أيها الملك مرهم أن يفكونى لكى أقول ما حدث ٠ فأمر الملك ففكوه وأحضروه أمام عرشه فقال أيها الملك بالأمس رأيت فى نومى أننى كنت فى خميلة جميلة ٠٠ وأكمل رؤياه على الملك كما قصها على خورشيد شاه ٠ والآن وقد خرجت أنا وخورشيد شــاه وفرخ روز والثعلب الفيلم وبقى الآخرون فى الشعب وحينما خرجنا من الشعب أحضروا الحطب ووضعوه على مدخله وأضرموا فيــه النار وقد اندفعت وسط الجموع وقتلت السباع لأنه كان يسعى لهلاكنا باستمرار ثم وقعت

فى أيدى الجند ولهذا لا أعلم أين ذهب الباقون انهم ليسوا فى شعب الصخر » ·

قال مهران الوزير متهكما « لقد أظهرت مروءة وألقيت جماعة فى الهلاك ونجوت بنفسك ، ولهذا فشهامتك ورجولتك لا شك فيهما · ثم أخذوا فى ضرب سمك مرة أخرى فشده الجلاد الى الفلقة وضربه كثيرا فقال سمك « أيها الوزير اقتلنى ضربا بالعصى وماذا ستكون العاقبة ؟ انك لن تصل الى مرادك والملك غافل عن أمرك » ·

بهذه العبارة التى ألقاها سمك أنقذ نفسه فقد خاف الوزير وظن أنه ربما كان يعرف شيئا عن تلك الاتصالات وربما تكلم · وجاءت نفس الفكرة للملك فغفور فقال فى نفسه ما هذا الذى ذكره ؟ ثم أمر أن يقيدوه ويحافظوا عليه حتى ينظر ماذا يصنع به ، ولكن سمك كان من شدة الضرب قد فقد وعيه وغاب عن رشده ·

ونجيناهم من عذاب غليظ :

يقول مؤلف الأخبار أن تلك الجماعة التى حوصرت فى شعب الصخر حينما رأت أن النار حمى وطيسها وتأجج لهيبها لجأت الى نهـاية الشعب وكان مسدودا فقالوا لبعضهم يجب أن ننقب نقبا ولا شك أننا سنصل الى مكان نخرج منه · قالوا هذا وأخذوا جميعا فى العمل وفجأة ظهرت لهم فتحة ورأوا درجا ، فتقدم الفتيان العيارون وهبطوا على ذلك الدرج الذى كان نحو عشر درجات ، فلما نزلوا وجدوا قصرا واسعا ، وأربع قاعات يواجه بعضها بعضا وفى وسط القصر حوض للأسماك وعين ماء جارية تأتى من ناحية وتخـرج من الناحية المقابلة ، وكان مجرى الماء واسـعا فتعجبوا وداروا حول القصر كله فلم يجدوا غير الماء فقالوا لقد نجونا فى النهاية من عذاب النار وعلينا أن نسد الفتحة التى أتينا منها حتى لا يعرف أحد مجرى الماء هذا ونحتاج الى من يجيد السباحة ليسبح فى هذا المجرى وينظر الى أين يذهب ·

نزل صبيح النباش فى الماء وتقدم الى مسافة اطلاق سهمين وكان المجرى متسعا وفجأة لاح له ضوء فلما نظر رأى سلما خشبيا صعد عليه فشاهد حديقة يانعة وارفة الظلال باسقة الأشجار فقال فى نفسه لقد نجونا من الهلاك ولكننا لانستطيع السير فى هذه الحديقة بالنهار حتى لا يرانا أحد ونقع فى بلاء جديد فاختفى حتى حل الظلام ثم أخذ يتجول فى الحديقة كى يعثر على طريق لأن الحديقة واسعة فسيحة · وفجـأة ترامت الى سمع صبيح أصوات غناء ، فاتجه اليـه فرأى ضوء الشموع وماه برى وبهجة الروح تشربان بينما وقف لالا صالح وبعض الجوارى ،

فأخذ صبيح يراقبهم حتى تفرقت الجوارى وبقيت الأميرة وبهجة الروح ولالا صالح ، فقال صبيح وما العمل ؟ اذا أظهـــرت نفسى فقد يهلكونى ويفشوا هذا السر ، ولابد سيأخذوننى ولن يؤمنونى على روحى وفجأة نهضت الأميرة وسارت فى طريقها الى القصر ٠

رب صـــدفة :

تشاء الاقدار أن يكون مرور الأميرة عن طريق مجلس أبيها والذى كان سمك مقيدا على بابه يئن من آلامه فوصل أنينه الى سمع الأميرة فقالت يالالا أنظر من هذا ؟ فتوجه لالا صالح الى المجلس فوجد سمك ملقى هناك فقال أيتها الملكة انه سمك العيار ٠

قالت الأميرة أحضره الى فعاد لالا صالح الى سمك وقال له انهض لكى آخذك الى الأميرة ٠

قال سمك « يا لالا فك يدى ورجلى » ، ففك لالا يديه ورجليه ٠

قال سمك ، لا أستطيع النهوض ٠ فأخذ لالا بيده وذهب به الى الأميرة فحياها وكان شغفها بخورشيد شاه قد بلغ مداه ، فحين رأت سمك فرحت لأنه صديق حبيبها فقالت يا سمك كيف وضعت فى القيد وما هى أحوال خورشيد شاه ؟

قال سمك ، أيتها الأميرة لا طاقة لى على الحديث من حرارة البيت وآلام الضرب فدعينى ساعة استريح ويهب على النســـيم العليل حتى أستطيع الكلام ٠ فأخذت الأميرة يده وقالت يا أخى لنذهب الى الحديقة ٠ قالت هذا وخرجت الى الحديقة مع الخادم وبهجة الروح المطربة وجلست فى مكانهـــا وقالت يا ســـمك حدثنى عن أحوالك كيف كانت وأين خورشيد شاه ؟

أخذ سمك فى الحديث منذ بداية الأمر وأخذهم بالمكر والحيلة أثناء تلك الوليمة ، ثم القاءه نفسه وسط القتلى ومجىء صبيح النباش اليه حتى تلك الساعة التى أخذوه فيها الى الملك ، روى ذلك كله ٠ فتعجبت الأميرة من هذه الأحداث ثم سألته ماذا تعلم من أخبار خورشيد شاه ؟

بينما كانا فى هذا الحديث اذ عطس صبيح النباش من خلف احدى الأشــجار فقال لالا من ؟ ٠

فقال سمك ان أى غريب لايجرؤ على المجىء الى هذا المكان ، ثم أردف قائلا ، أظهر نفسك ٠ وعندئذ تقدم صبيح وأدى التحية فلما رآه سمك

فرح به ونهض واحتضنه ، وقال له اجلس يا صبيح وحدثنا عن الأحوال فجلس صبيح وذكر أحوالهم كما وقعت ٠

قال له سمك يا أخى يجب عليك الذهاب والبحث عن خورشيد شاه لأننى محطم ولكن يجب أن ترجع بسرعة ٠

خرج صبيح من الحديقة وسار فى طريقه حتى ذلك المكان الذى كان مسرحا للمعركة فرأى على مدخل الشعب نارا كالجبل تضطرم ، ولم يكن هناك أحد من الناس فعاد وذهب الى كل مكان يعتقد أنهم فيه فلم يعثر على أحد منهم وأوشك النهار على الطلوع فعاد الى الحديقة ورأى سمك نائما وقد عولج جسمه بشمع الزيت حتى أصبح وكأنه لم يضرب اطلاقا ففرح وأيقظه ثم قال له ، « أيها البطل سمك ذهبت الى كل مكان ظننت أنهم قد يكونون به وطلبتهم لدى كل صديق أو معرفة ، فلم أعثر عليهم » ٠

قال سمك ، عد أنت الى جماعة الفتيان وطمئنهم بأنى فى خدمة الأميرة وسوف أعد العدة وأخرجهم من المخبأ الذى هم فيه ٠

قال صبيح ، أيها البطل يلزمنا الطعام ٠

قالت الأميرة ، « يا لالا صالح ، اذهب الى المطبخ واحمل كل ما تجده واحضره ٠ فذهب لالا وأحضر الطعام فقال سمك خذ هذا وستعد الأميرة غيره واحضر الليلة بكل ما يلزم لكى تذهب للبحث عن خورشيد شاه ٠

أخذ صبيح ذلك الخبز واللحم والحلوى وحملها الى العيارين فى مخبئهم ٠ وعندئذ قال سمك للأميرة هيئى الطعام وسأذهب أنا للبحث عن خورشيد شاه ويجب أن تكونى الليلة فى الحديقة حين أعود ٠ ثم انصرف فعادت الأميرة الى القصر وأخذت تعد ما يلزم ٠

بعد أن طلع النهار ذهب الملك فغفور الى مجلسه وجاء اليه الأمراء وحضر مهران الوزير وأدى التحية وجلس فى مكانه وأخذوا يتحدثون فى كل أمر ويعدون لمواجهة جيش منغوليا وقالوا ، فلنبعث برسول أولا ثم نحسب حسابنا بعد ذلك ٠

قال مهران « أيها الملك قبل أن ندبر للحرب عدتها يجب أن نقتل هذا الكلب ابن الحرام لأن سمك لو بقى حيا فان ملكنا سيضيع ، ويجب أن نبحث عن خورشيد شاه وفرخ روز والثعلب الفيلم الى أن نجـدهم ونأمن شرهم ثم ننشغل فى الاعداد للحرب » ٠

قال الملك فغفور ، « حسنا إذ ذكرتنى بسمك فحينما كنا نضربه قال كـلا ما أريد أن أعـرف من أين نقله لأنه لا يكذب أبدا ، وعندئذ استغرق مهران فى التفكير الى أن قال الملك « اذهبوا وأتونى بسمك »

فلما دخلوا القصر لم يجدوا أحدا فعادوا للملك قائلين « لقد أخذوا سمك ولا أثر له هنا » • فقال الملك « ماذا تقولون » ؟ انظروا هل يوجد أى نقب أو ثقب أو أنهم فتحوا باب القصر ؟

أحضروا حراس الأبواب والحفظة والحجاب وقالوا لهم من دخل ومن خرج ؟ قالوا « لم نر أحدا والأبواب مغلقة ولا نعلم كيف حدث هذا • فرأى مهران الوزير الفرصة المناسبة للكلام فتحدث وقال « أيها الملك ترى أن سمك يكذب ويضع الناس فى الشك ويهرب بالحيل والمكر » • وبهذا استعاد الوزير الثقة فيه بهذا الكلام •

الاستعداد للحرب :

بينما كانوا فى هذا الحديث اذ قدم كرمون البطل ودخل المجلس وأدى التحية فلاطفه الملك ثم أخرج كرمون الرسالة ووضعها أمامه فأعطاها الملك لوزيره فأخذها وقرأها وذكر مضمونها وكان مذكورا بها ذلك التخويف والترهيب • فصمت الملك فغفور ، ثم قال ، « أيها الوزير ما هو التدبير » ؟ قال مهران ، أيها الملك لقد تجاوز الأمر الحد واقترب وصولهم ولا نستطيع أن نبقى عاجزين بعد سنوات عديدة كان يجب أن يدفعوا لنا فيها الخراج ولكننا لم نشأ أو نرغب واليوم فانهم يتظاهرون علينا بالتفوق ، ولو كان الأمير قادما لخطبة الأميرة لاعطيناها له ولأصبح الطرفان طرفا واحدا ، ومع كل هذا فلو أعطيناه الأميرة فسيقال اننا خفنا ولهذا يجب أن نرسل الجيش لأنهم على استعداد للقتال وقد واعدونا فى سهل الحمر الوحشية • وعندئذ أمر الملك فغفور بعقد المجلس وحضر الخاصة والعامة فأعاد حديث مجىء ملك منغوليا ورغبته فى الحرب وقال اعلموا أن أرمنشاه لو جاء بنفسه لخرجت بنفسى لقتاله ولكنه أرسل جيشه فمن القبيح أى أذهب ولهذا نحتاج لبطل يتولى هذا الأمر ويرد جيشهم على عقبه » •

حين قال الملك هذا الكلام كان للسباع ولد اسمه ضرغام وكان قد لبس السواد حزنا على أبيه ، نهض واقفا وقال ، أيها الملك العظيم ، كان أبى مقدما فى كل أمر وكان هذا تشريفا من الملك فاذا أمر فاننى أستطيع مع هذه الجماعة من الجيش أن أرد على جيش الأعداء » • فاثنى الملك عليه وقال ، كم تحت أمرك من الجند ؟ أجاب ضرغام « يمكن أن يصلوا الى عشرين ألف فارس وراجل » • فخلع عليه الملك وأخرجه من ملابس العزاء ، وأعطاه علما عليه صورة أسد ومنح جيشه كثيرا من العتاد وما يحتاج اليه •

وكان هناك بطل آخر اسمه مليك ، تقدم وأدى التحيـــة وقال ، أبقى الله سيدى ان عبدك سوف يخرج ليؤازر ضرغام • فسأله ، كم لك من الجند ؟ قال عشرة آلاف فارس • فأعطاه الملك خلعة وعلما عليه رسم ذئب وأمر بتجهيز جيشه •

وكان هناك بطل ثالث اسمه سمور ، ينتمى الى أصل كريم ويمت بقرابه الى الملك فغفور نهض وقال ، أيها الملك ان عبدك قد عزم على الحرب أيضا • فخلع عليه الملك وسلمه علما عليه صـــورة تنين • بعد ذلك قال البطل كرمون ، ان عبدك سيخرج أيضا • فأعطاه الملك خلعة وسلمه علما عليه صورة صقر • وكان تحت أمرته خمسة آلاف فارس أعطاهم الملك جهازهم وسلاحهم وكل ما يلزمهم • وبهذا اجتمع أربعة أبطال تحت قيادتهم أربعين ألف فارس عزموا على القتـــال ، وخرجوا لضرب خيـــامهم خارج المدينة فأدى هذا الى قيام ضجة وصخب فيها •

يحدثنا راوى القصة فيقول ، انه فى تلك الليلة التى ذهب فيها سمك من عند الثعلب وخورشيد شاه وفرخ روز وأقتحم الجيش وقتل السباع ثم قبضوا عليه ، حزن خورشيد شاه والآخرون وقالوا لا مجال لنا فى البقاء • وساروا فى طريقهم متجهين الى أطراف المدينة حتى حدث ضجيج خروج الجيش منها • فقال خورشيد شاه وفرخ روز للثعلب ، أيها البطل نحن نعلم أن كثيرا من الفتيان هلكوا فى ذلك الشعب ، وكان سمك هو الذى يدبر أمرنا ، فلما أخذوه فانهم سيقتلونه لاشك لأنهـــم يحقدون عليه ، ولم يعد لنا فى هذه المدينة أى مأوى ولهذا يجب أن نخرج من هنا مع الجيش ولكن ينقصنا السلاح والعتاد ولا نستطيع أن نخرج مشاة غير مدرعين •

قال الثعلب « اذا كان الأمر كما تقولون فان لى صديقا يجب الذهاب اليه لكى يدبر لنا ما نحتاج اليه » • قال هذا وكان الليـــل قد أرخى سدوله ، فتقدمهم وسار أمامهم الى أن وصلوا الى بيت ذلك الصديق وكان أسمه زيد فدق الثعلب بابه فنزل زيد وفتح وحين رأى الثعلب أخذه بين أحضانه وسأله عن أحواله وأدخله ومن معه من ضيفن (١) الى البيت ، ولاطفهم وأجلسهم فى أحسن مكان وأتاهم بشىء من الطعـــام فى الحال وأطعمهم اياه فلما انتهوا تحدثوا فى كل شىء وزيد مشغول باستضافتهم واكرامهم الى أن أصبح الصباح •

---

(١) الضيفن هو الذى يأتى مع الضيف بلا دعوة يقـــال ضفن معه يضفن ضفنا •

كان خورشيد شاه جالسا الى نافذة منزل زيد ينظر الى الطريق حين رأى جمهورا البطل الذى يمت له بصلة القرابة وكان قد جاء معه من حلب ثم تركه مع ثلاثة من رجاله يوم ذهابه الى منزل الفتيان . فقال لزيد أيها الرجل الحر ناد ذلك الرجل الجالس هناك . فأرسل زيد شخصا استدعى جمهور قائلا له ، أيها الرجل الحر ان شخصا فى هذا البيت يطلبك . فتقدم جمهور حتى جاء الى بيت زيد وحين نظر رأى خورشيد شاه وفرخ روز فحياهما واحتضنهما ثم انحنى على قدمى خورشيد شاه وقبل فرخ روز مرة أخرى وبعد ذلك تحدثوا عن أحوالهم فذكر لهم جمهور ما مر به من حزن وغم على فراقهما وروى له خورشيد شاه ما عاناه من ألم وعذاب حتى تلك الساعة التى رآه فيها ، ثم قال له يا جمهور لقد علمت أحوالى ورأيتها ويجب عليك أن تذهب الى أبى مرزبان شاه تحدثه عن أحوالى وتحمل اليه كتابى ، قال جمهور « سمعا وطاعة » .

طلب خورشيد شاه دواة وقلما وورقا ، فأحضرها زيد له . وشرح خورشيد شاه فى رسالته كل ما كان ينفعل به فؤاده منذ أن ترك أبناه وما وقع له ولفرخ روز فى بلاد الصين الى تلك الساعة التى التقى فيها بجمهور ، ثم قال له « واعلم واستفسر عن كل شىء من جمهور فاننى لا أستطيع أن أفصل كثيرا ، واذا وقف أبى على حقيقة حالى، فانه لن يطيقها لأن من بين ذلك أننى وصلت الى درجة أننا لا نملك أنا وأخى الا ما علينا من ملابس ، فاذا أراد أن يرانى مرة أخرى فليرسل جيشا جرارا لعلنى أستطيع أن أرى وجه أبى مرة أخرى قبل الموت . وعليه أن يسرع فى ارسال الجيش ، واقرأ على والدتى السلام وقل لها أن تمدنا بدعواتها . وقبل لى أختى قمر الملك وأبلغ سلامى الى هامان الوزير وكل أمراء الدولة والأبطال والأصدقاء ، الله الله يجب ألا يحدث تقصير فى ارسال الجيش والسلام » .

وضع خورشيد شاه ختمه على الرسالة وسلمها الى جمهور وقبل عينيه ووجهه وودع كل منهما الآخر . وعاد جمهور الى نزل القوافل وحمل هو والثلاثة الآخرون الذين بقوا معه ما تبقى لديهم من مال وزاد وتوجهوا الى حلب .

وضاقت عليهم المدينة :

بعد أن خرج جمهور من عند خورشيد شاه التفت الثعلب الى زيد وقال له « يا أخى يلزمنا سلاح لكى نخرج الليلة مع الجيشين لأنه لا موجب لبقائنا فى هذه المدينة » . فقال زيد ، سمعا وطاعة فكل ما نملك فداء لك » . ثم قام فجهز ثلاثة خيول أصيلة ، وثلاث مجموعات من الأسلحة

ومع صرة فيها ألف دينار أحضرها ووضعها أمامهم ، فلبسوا سلاحهم بحيث لايعرفهم أحد وخرجوا من بيت زيد راكبين خيلهم واندسوا وسط الجيش وخرجوا من المدينة ٠

نعود الى الحديث عن البستان والأميرة وسمك وهؤلاء الفتيان وما حدث لهم فيقول مؤلف القصة وراوى أحداثها ، ان سمك كان قد ذهب الى كل مكان يظن أن خورشيد شاه وفرخ روز والثعلب قد ذهبوا اليه فلما لم يجدهم وأخذ النهار يطلع عاد الى البستان حتى يوفى بوعده ، فوجد الأميرة مع بهجة الروح ولالا صالح فى انتظاره كما سبق أن وعدهم٠ فلما وصل اليهم حياهم ثم قال « أيتها الملكة لقد بحثت عن خورشيد شاه ورفيقيه فى كل مكان ظننتهم فيه فلم أجدهم ، وكانت الأميرة قلقة على خورشيد شاه ، فحزنت وقالت يا أخى أين يمكن أن يذهبوا ؟

وبينما كانوا فى حديثهم اذ أقبل صبيح النباش وقال أيتها الملكة لقد نفد الطعام فجهزى طعاما غيره فانهم أربعمائة رجل ، فأعدت الأميرة أربعمائة من (١) من الخبز و١٤ خروفا مشويا ونحو مائة من من الحلوى وأمرت لالا صالح فأحضروه كله الى البستان وحمله صبيح مع بعض الفتيان الى ذلك المكان ، ثم قالت الأميرة ماه برى يا صبيح سأهيىء لكم الطعام كل ليلة على هذا النحو هنا وأنت تحمله اليهم الى أن يخرجوا ٠

جلس سمك أمام الأميرة وأخذا يتحدثان فى موضوعات شتى وعلى غير انتظار هب سمك واقفا وقال أيتها الملكة لقد تذكرت مكانا ذهبوا اليه ٠ قال هذا وخرج من البستان وسار فى طريقه حتى أتى بيت زيد ودق قائلا يا أبتاه أسرع وافتح ، فجاء زيد وفتح الباب واذا بسمك ففرح به واحتضنه وقبله وقال له ، « أيها البطل كيف أنت لأن الثعلب حدثنا عن أحوالك وقد حزنت حزنا شديدا ، ولكن الحمد لله على سلامتك ٠ فشكره وقال « يا زيد هل الثعلب وخورشيد شاه وفرخ روز هنا ؟ فرد زيد ، كانوا هنا بالأمس وذهبوا فى الصباح بعد أن طلبوا ثلاث مجموعات من السلاح وثلاثة خيول هيأتها لهم وخرجوا بها مع الجيش فاطمئن فانهم سالمون » ٠

عاد سمك وأخبر الأميرة وكانت متيمة بالأمير والهة بحبه ٠ فلما صعدت مشاعر الفراق الى رأسها انهارت وقالت يا أخى هيىء الوسيلة واحملنى الى خورشيد شاه فأنا أعرف أنك سوف تذهب اليه ٠ قال سمك ، أيتها الملكة اننى لا أعلم أين ذهبوا فقد خرجوا مع جيش أبيك ، ويخشى

---

(١) المن وحدة وزن لازالت مستعملة فى ايران وتختلف من منطقة لأخرى وهى تمن ٢ الى ٤ كيلو وأصلها كلمة بابلية ٠

بك البقاء هنا حتى أذهب وأعرف أحوالهم وما أصابهم ، وبعد ذلك أحملك اليهم والا سنصبح نحن الاثنين حيرى لا قرار لنا وليس هذا فى صالحنا ، فلتبقى هنا سالمة فى هذا المكان لأن الحزن عليهم قد ملك على قلبى ولا أريد أن أتحمل غمك أيضا حتى يمكننى البحث عنهـــم ، ثم اننى اذا حملتك اليهم فلابد أن أباك سيبحث عنك • وتولى أنت أمر هذه الجماعة وأذهب أنا الى لقائهم وأهيىء ما يلزم بعد ذلك لاحملك اليهم •

كان سمك يتحدث بهذا الحديث مع الأميرة بينما كان صبيح يقوم بنقل الطعام الى جماعته • فقال أيها البطل الى متى سنبقى فى ذلك القصر وكيف نتصرف بعد أن تخمد النيران ويبحثون عنا ويلحقون بنا الأذى فقال سمك لاتفكر فى هذا فاننى سأعد كل شيء وأخرجكم من ذلك المكان وأكف عنكم يــد الجيش •

التفت سمك الى الأميرة وقال ، أيتها الملكة يجب عليك القيـــام ببعض الأعمال حتى يطمئن قلبى ويستريح فؤادى • أولهـــا أن تهيئى احتياجات هؤلاء الأحرار من الرجال وتحافظى عليهم • وثانيا أن تدعى المرض وتتظاهرى به حتى يخبر لالا صـــالح الملك بذلك فيأتى اليك فتقولى له يا أبى أن قلبى يستولى عليـــه الرعب من هؤلاء العيــارين ، وأنا أخشاهم فى كل لحظة وقد سمعت أنهم فى شعب الصخر ، وليس لهذا الشعب غير منفذ واحد وهم لايستطيعون الخروج منه بسبب النيران الموقدة أمامه وأخاف أن يخرجوا ويصيبنى منهم أذى فلتأمر أن يقيموا على منفذ هذا الشعب حائطا من الصخر والجص فيسدوه سدا ، فاذا قال أبوك فلننتظر حتى تخمد النيران وأرسل جيشا يقضى عليهم فقولى له ، ألم يذهب الجيش الى هناك وبقى يوما على منفذ ذلك الشعب يقاتلهـــم وقتل منه الكثير • ولم تكن هناك فائدة ؟ لهذا أريد أن تجعلوا على المنفذ حائطا بالصخر والجص حتى يموتوا عطشا وجوعا عقابا لهم ، ولا شك أنك ستأمر فى هذه الساعة بسد الشعب » قالت الأميرة سأفعل ذلك » •

ان كيدهن :

ودع سمك الأميرة وخـــرج • فعادت الى القصر والقت بنفسها على فراشها وأخذت تتوجع وتبكى وبعثت تطلب لالا صالح وأرسلته الى أبيها قائلة له إن ماه برى مريضـــة • فجاء الملك مسرعا الى فراشها فرآها مستلقية على تلك الحال وقد وضعت وسادة المكر تحت رأسها والفغفور لا علم له بما فى نفسها ، فجلس بجوارها ووضع يد الأبوة الحانية على رأسها وقال ، يا روح أبيك ماذا بك ؟ فبدأت الفتاة بصوت ناعم هادىء حديثا ماكرا وقالت « يا أبى ان الفزع والرعب يستوليان على مشاعرى

من هؤلاء العيارين وأخاف أن يخرجوا يوما ما من هذه الحارة ، ويلحقوا بى ضررا أو يصيبوننى بأذى وأريد أن يأمر أبى كى يسدوا منفذ الشعب بالصخر والجص حتى يموتوا جوعا وعطشا » .

قال الملك فغفور يا ابنتى هذا أمر سهل وحين تخمد النيران أرسل فرقة من الجيش وأبيدهم جميعا . « فقالت لا رأيد يا أبى فالأيام تمر وأرغب فى موتهم معذبين .

فطمأنها الملك وقال « سوف أفعل هذا فى الصباح » . ثم خرج من عند الأميرة وحين طلع النهار ذهب الفغفور الى مجلسه وأمر فى الحال أن يذهب مهرة البنائين ليسدوا الشعب بالصخر والجص وبينما كانوا يقومون بهذا العمل كان لالا صالح مشغولا ـ من الناحية الأخرى ـ بامدادهم بالطعام وما يحتاجون اليه وتسليمه الى صبيح الذى كان يحمله الى العيارين والملك فغفور غافل عن هذه الحيلة .

يقولون انه حينما كان الجيش يخرج من المدينة أرسل مهران الوزير فى الحال كتابا فى السر الى قزل ملك وقال ، « أيها الأمير ، من مكانى هنا أجبرت الفغفور على ارسال الجيش فخذه بحزم وحاول أن تقهره وسأجتهد فى حمل البقية هنا على بيعتك وسأحاول أن أبعث اليك بزوجتى وأبنائى مع الأميرة لتعلم أنه يمكن الاعتماد على قولى ، ولقد كان السباع هو الذى اتعاون معه ، ولكنه قتل على يد عيار اسمه سمك ولهذا أصبحت أعمل وحدى حتى يتم الأمر على نحو من الانحاء » .

سلم هذا الكتاب الى الراوندى وأرسله وكان الجيش فى الطريق فاندس سمك فى وسطه حتى وصل الى سهل يسمى « سهل الحمر الوحشية » وظل يبحث عن خورشيد شاه وفرخ روز والثعلب ولكنه لم يجد لهم أثرا أو يسمع عنهم خبرا .

ان جنحوا للسلم :

حين وصل جيش الفغفور الى قرب معسكر قزل ملك قال سمور وضرغام وأسمر وكرمون أربعتهم أن هذا الأمر يثير تعجبنا ولذا يجب أن نرسل أحدا يتعرف لنا الأخبار ، فقال سمور هذا على ، سأذهب متخفيا وأعلم حقيقة هذا الأمر وأقول ما يجب قوله وأستمع لما يقال « فقال الجميع أصبت الرأى ، فرد سمور بقوله سأذهب الآن . وخرج فى طريقه الى هناك مع خمسين فارسا حتى وصل الى أطراف معسكر قزل ملك .

وصلت الأخبار الى معسكر قزل ملك أن البطل سمور فى طريقه ربما كرسول من جيش الفغفور فقال شاكر صاحب القلم « أيها الأمير ان سمور

بطل عظيم وابن أصل ويمت بقرابة الى الملك فغفور فكرمه وعزه » . فأمر قزل ملك باستقباله فأدخلوه الى مجلس قزل ملك باجلال واعظام وجاء أمراء الدولة لاستقباله واكرامه ، فأدى سمور التحية وأخذه قزل ملك الى جواره وأجلسه عن يمينه على العرش وسأله عن الطريق وعن أحواله ، وأتى السقاة بالشربات فشربوا ثم مدوا الموائد فطعموا ثم رفعت فغسلوا أيديهم وبعد ذلك أعدوا مجلس الطرب وداروا بالشراب .

أدى سمور التحية وقال أيها الأمير العظيم « ان عبدك يريد أن يعرف لماذا تحملت المشقة وعزمت على حرب تقضى على المودة والمحبـــة ؟ فمنذ خلقت الدنيا لم تكن هناك عداوة بين الصين ومنغوليا الا مرة سمعتها عن أبى قال انه منذ نحو خمسمائة عام أو أكثر وقعت خصومة بين ملكين من أجل جارية أدت الى الحرب بينهما وكان النصر لملك الصين ، فأخـذوا ملك منغوليا وفرضوا عليه الخراج ثم صفحوا عنه ، وقد سمعت أنه عاش سنتين أعطى أثناءهما الخراج فلما مات كان له ولد أرسلته ملكة الصين الى منغوليا وجعلته ملكا عليها وسقط الخراج وكتبوا كتاب لعنة وكراهية للحرب والعداوة وظلوا محافظين على هذه القاعدة الى الآن ولم يتركوا عادة الملوك السابقين وبقى جميع الملوك على هذه الحال خاصة أبيك حين جلس على العرش حيث قامت بينه وبين الفغفور صداقة قوية فلماذا تنشب هذه الحرب ؟

هاج قزل ملك عندما سمع كلام سمور ، لأن الراوندى كان قد وصل يحمل رسالة الوزير مهران ونقل اليه كلاما طيبا منه ونظر سمور فاذا بقزل ملك يحدثه حديثا غير ودى وقال له ، أيها البطل اننا لا نحبذ الحرب فقد جئنا لخطبة الأمـيرة وقد سمعت ممن يوثق فيهم ويعتمد عليهم أن أميرا من حلب جاء لخطبة الأميرة وقد أعطاها الملك له ، ألم يعد فى الصين ومنغوليا رجل حتى يأتى غريب ويأخذ الأميرة ؟ لقد أردت أن أكتب من ولايتى رسالة أخطبها فيها ولكننى فكرت فى أنهم حين يأتون بالرســالة ويعودون بالرد يكون هذا الأمير قد ذهب بالأميرة وبهذا جئت مع الجيش لكى يهبنى الملك الأميرة والا فاننى سآخذها بالسيف .

هل الزواج بالحرب ؟

حين سمع سمور هذا الكلام ، قال أيها الأمير « هكذا لا تكون الخطة بل يجب أن تكون بشكل أفضل من هذا فما هو الهدف من قيادة جيش وتخريب ولاية وتحريض الجند على السلب والنهب ؟ ان هذا ليس السبيل لخطبة الأميرة أو طلب المصاهرة لأنهم أعطوا الأميرة لخورشيد شاه لاجابته على مســائل المربية ، ثم روى قصـــة خورشيد شاه على أسماع قزل ملك

مما جعل الجميع يتعجبون ثم قال ان الوزير مهران دبر مكيدة أدت الى القبض على خورشيد شاه وأخيه فرخ روز مع اثنين أو ثلاثة آخرين ووضعوهم فى القيود والقوا بهم فى السجن ولكنهم هربوا من محبسهم وتشردوا ولم يعد خورشيد شاه الآن صهرا للملك فغفور كما أن الملك لا يعلم أنك جئت لخطبة ابنته والا لكان ارسلها لك ، ومع كل هذا فان التقصير تقصيرك لأن جيشك أطلق يد الظلم والتعدى مما جعل الشاكين والمتظلمين يذهبون الى الملك فغفور ، ولما وقف على حالهم أرسل الجيش ، ولهذا قال علينا أن ننتظر هنا ولا نتحارب الى أن نكتب رسالة اليه ونقف على رأيه فان أرسل الأميرة فخير ، وان لم يرسلها وأمر بالحرب فآنذاك نحارب » ٠

استحسن قزل ملك كلام سموز وقال هكذا سأفعل ٠ ثم أمر فأتوا بخلعة فاخرة ألبسوها لسموز الذى عاد الى معسكر جيشه ٠

ما أجمل اللقاء :

يقول مؤلف الأخبار ورواى القصة أن سمك حين وصل الى معسكر الجيش أخذ يبحث فى كل مكان عن خورشيد شاه وفرخ روز والثعلب فلم يعثر لهم على أثر فخرج من المعسكر وأخذ يتجول حوله وينظر فى كل ناحية ٠ وكان هناك تل رأى ثلاثة من الفرسان يقفون عليه فقال سمك لا شك أن هؤلاء الثلاثة أحدهم خورشيد شاه والثانى فرخ روز والثالث هو الثعلب ثم قصدهم فلما اقترب منهم لمح الثعلب سمك وهو قادم اليهم فعرفه وفرح فرحا عظيما وقال أيها الأمير لقد جاء سمك فنظر خورشيد شاه وفرخ روز فشاهدا سمكا فعظمت فرحتهم بلقائه ٠

حين وصل سمك اليهم ترجل ثلاثتهم عن خيلهم واحتضنوه فقال سمك يا أحرار الرجال أى مكان هذا الذى تقفون فيه ؟ انكم تشبهون شخصا ينظر الى معسكره وقد اضطربت الدنيا واصطف الجيشان ٠ ان الجميع يبحثون عنكم وأنتم هنا ، ليس هذا حسنا ٠

قالوا وما التدبير ؟ والى أين نذهب ؟ قال سمك تعالوا معى فقد ظننتكم أكثر حكمة من هذا ٠ وتقدمهم سمك وسار أمامهم لانه كان يعرف المكان جيدا حتى وصل الى عين ماء كانت تعرف باسم « عين الأفاعى » وكان حولها خميلة وارفة الظلال نضيرة وتقع على جانب الطريق ٠ فقال لهم ، ابقوا هنا فان أحدا لا يمر بهذا المكان الى أن أنظر فيما ستصير اليه الأمور ، فسأله الثعلب قائلا هل تعلم ما آل اليه مصير هؤلاء الفتيان فى شعب الصخر وكيف نجوت من يدى مهران الوزير ذلك اللعين ؟

آخذ سمك فى الحديث فذكر ما وقع وأحوال هؤلاء الفتيان الذين كانوا فى شعب الصخر كما سمعها من صبيح النباش ثم ما قام به من أجلهم رواه كله فاثنوا عليه ثلاثتهم وبعد فترة من الوقت قال الثعلب يا بنى سنبقى فى هذا المكان ولابد لنا من شيء نأكله ولو أنك تلوم وتقول لا يجب أن تحزن على رزقك ولكن لابد للانسان من قوت » ·

قال سمك انك تذكر جيدا ما كنت قد قلته أثناء وجودنا فى شعب الصخر » ·

بعد هذا وضع الثعلب ذلك الذهب الذى كان زيد قد أعطاه لهم أمام سمك فأخذ منه حفنه وتوجه الى المعسكر وأخذ ينظر فى كل جانب فرأى بالمصادفة قافلة تتجه الى المعسكر فتقدم سمك الى أصحابها وسألهم ما هذا ؟ قالوا دقيق وعسل وسمن ولحم · ففرح سمك ورأى أن مشكلته قد حلت وجاءه الفرج · فقال أيها الأخوة ويا أحرار الرجال هل هى للبيع فأشترى ؟ قالوا نعم نحملها للبيع ، فابتاع سمك عشرة أحمال من كل صنف دفع ثمنها حسبما طلبوا فيها من ثمن ثم قال لهم أنا تاجر أبيع للجيش وأشترى لكى أحصل على بعض الربح فخذوا ما تشاءون من الذهب فأخذوا ما يعادل ثمن بضاعتهم · ثم أمرهم أن يتوجهوا بها معه · وسار ومعه الأحمال حتى جاء الى الخميلة فنظر الثعلب وقال أيها الأميران أنظرا رب البيت كيف يحضر حوائج المنزل · فنظرا وشاهدا سمك وقد ساق أمامه الأحمال فاثنى عليه خورشيد شاه وشكره ·

حينما وصلوا الى مكان الثعلب قال الباعة افرغوا الأجولة ، فقال سمك يا أحرار الرجال خذوا منا ثمن الأجولة لاننا لم نبع ما بها بعد كما أن خدمنا لم يصلوا حتى يفرغوها · فأخذ الباعة ثمن الأجولة كارهين وعادوا ·

قال الثعلب أيها البطل « أين سنجعل كل هذه الأحمال الا اذا كنا سنستوطن هذا المكان ، فأجابه سمك « يجب أن نبقى هنا مدة حتى أرى ما ستصير اليه الأمور ولابد لنا من الطعام والشراب وقد أصبح لديكم كل شيء فابقوا هنا حتى أتجول حول الجيش وأعرف الأخبار · وتركهم فى ذلك المكان وذهب وأخذ يحوم حول معسكر الجيش ويراقب ما يجرى ويتصنت الى ما يقال ليدبر أمره وماذا سيصنع ·

أما فى الجانب الآخر فحين عاد سمور البطل من لقائه مع قزل ملك قص على قواد الجيش ما دار فى المعسكر الآخر · فقالوا يجب أن نكتب رسالة ونعلم الملك بها حتى يأمر بما يرى · ثم كتبوا ما سمعوه من سمور وشرحوا ما يريده قزل ملك فى الرسالة ثم ختموها وقالوا يلزمنا واحد ليحمل هذه الرسالة ويسلمها للملك فغفور ويأتى لنا برد منه ·

اختاروا جمازة (١) نجيبه وأرسلوها مع صاحبها الذى انطلق بحيث لا تدركه الرياح الى أن وصل الى مدينة الصين واتجه مباشرة الى مجلس الملك وقبل الرسالة ووضعها أمام الملك فأمر أن يحضروا مهران الوزير ، فلما جاء أعطوه الرسالة ليقرأها ويذكر ما بها وكان مذكورا فى أولها طلب خطوبة الأميرة لانه كان يجب ايضاح هذا الأمر ثم ذكر ما كان قد جرى بعد ذلك •

أحنى الملك رأسه وأخذ يفكر ثم رفعه وقال « لقد عقدت على الأميرة لخورشيد شاه وأعطيتها له فماذا أفعل » ؟

قال مهران الوزير ، أيها الملك لا تشغل بالك فان خورشيد شاه لم يعد ينفع صهرا لأنه لو كان صهرك ووجدته أهلا لك لما وجب وضعه فى الأغلال والقاوه فى السجن ، وحين أجهزنا على العيارين كان يجب تكريم خورشيد شاه وتعظيمه واعطاء الأميرة له حتى كان يقوم بالرد على الأعداء اليـــوم •

قال الملك يا مهران « ان الذنب ذنبك لأنك أنت الذى القيته فى السجن ، لقـد دبرت أنت كل شىء واليوم تقول ما كان يجب أن يحدث ذلك •

قال مهران الوزير « أيها الملك لا يجب الحـديث عما مضى ، ولكن أعمل ما يلزم اليوم لأن الله يعلم ما آلت اليه حال خورشيد شاه خاصة وأنه مع حفنة من الأوباش العيارين الكاذبين المملقين • وهيهات يستطيع العودة الى أبيه لكى يصلح أمره ويعود مرة أخرى الى هذه الولاية أو لا يعود أبدا ، والآن فان قزل ملك صهـر حسن ولم يتقدم لخطبـة الأميرة لأن المربيـة الساحرة كانت على قيد الحياة فلما قتلت وعاد الأمراء الى أوطانهم ، واذا رجع أحدهم لطلب يد الأميرة فقل له لقد أعطيناها لأبن أرمنشاه • وقد كانت بينك وبينه صداقة فلنجعلها قرابة ، وسيقوم الأمير بالخدمة والرد على الخصوم وتنتهى هذه الحرب والفتنة •

قال الفغفور « يجب أن تســأل البنت حتى تقـول رأيها ، فانهض واذهب اليها وقل لها ما يجب أن يقال » •

نهض مهران الوزير وذهب الى حجرة ماه برى وكان لالا صالح واقفا فتقدم الى الوزير وحياه فقال له الوزير مهران « قل للملكة الدنيا الأميرة ماه برى أن الوزير مهران فى الانتظار » وكانت الأميرة جالسة مع بهجة الروح المغنية تستمع الى الألحان العذبة وتتذكر تلك الأيام التى أحضرت فيها بهجة الروح خورشيد شاه متنكرا وجلس يغنيها ، وكان حبه يزداد اشتعالا

(١) الجمازة الناقة النجيبة سريعة العدو •

فى قلبها وعندئذ قالت يا بهجة الروح ضعى البربط جانبا الى أن يذهب الوزير لأنه ليس من اللائق أن يدخل ونحن على هذه الحال ثم أمرت فادخلوا الوزير ٠

هكذا الوفاء والحب :

حين دخل مهران أدى التحية وقال « ان أباك يقول انك تعلمين أن عددا من الأمراء قد تقدم لخطبتك حتى الآن ، وكانت المربية تأسرهم وتسجنهم وحين قدم خورشيد شاه وقتل المربية ونجاهم من الأسر عادوا الى ولاياتهم ولابد سيتقدم اليك خطاب من كل ولاية ويضمرون لى العداء ويحاربونني ان لم تتزوجى منهم ، والآن فان قزل ملك بن أرمنشاه قد جاء لخطبتك وهو راغب فى الزواج منك ، وقد أصبح خورشيد شاه شريدا فى هذه الدنيا هائما على وجه لا نعلم من أمره شيئا ولا شك أنه حين يصل الى أبيه فسوف يعود بجيش آخر ولهذا وقبل أن تحدق بنا الجيوش من كل صوب وحدب ، عليك أن تقبلى أن نزفك الى قزل ملك لكى تقوم بيننا الصداقة والمودة والقرابة حتى اذا داهمنا جيش من أحدى الولايات كان لنا عونا وظهيرا » ٠

حين سمعت ماه برى حديث مهران الوزير ثارت وغضبت وقالت يا سيىء الفعال يا ابن الحرام يا هرم ، لقد أثرت كل هذه الفتن فى الدنيا وتسببت فى موت آلاف من الناس والآن تريد أن تزوجنى لاثنين ؟ أيها الجاهل القذر ، لقد زوجنى أبى من خورشيد شاه ، فان كان قد اختفى فاننى صابرة حتى يعود ، وان لم يظهر فاننى لا أريد زوجا آخر ٠ فقل لأبى اذا كان لابد من الحرب فحارب ولا تزوج ابنتك لزوجين » ٠

قال مهران الوزير « ايتها الفتاة ردى على أبيك بأحسن من هذا ، لأن اطاعة أمر أبيك أفضل لك ، وليس من المستحسن القاء أبيك فى التهلكة ، أهذا كل الذى ذكرتيه من أنك ستجلسين حتى يرجع خورشيد شاه ، واذا لم يرجع فانك لن تتزوجى ولن تتزوجى ٠ وأضاف مهران الوزير « هذا كلام خاطىء فان لأبيك عليك حكما وحقا وسيحزن عندما يعلم أنك تميلين الى خورشيد شاه ويغتم لذلك » ٠

قالت ماه برى « يا رجيل يا عديم الأصل ، أنا ماذا فعلت حتى يحزن أبى منى لقد زوجنى وأنا مرتبطة بهذا باقية عليه ، فاذا عاد خورشيد شاه فبها واذا لم يعد فسأبقى هكذا ولو أنه قتل خورشيد شاه فى تلك الساعة التى قبض فيها عليه لتزوجت مرة أخرى ، فأى عيب فيما أقول ؟ يجب أن يفرح أبى لهذا ، والآن وقد أنقذ الله خورشيد شاه من السجن فان عاد الى فطوبى ، وان لم يعد فلا كان من ينظر فى من بعده فى هذه الدنيا » ٠

كانت الأميرة كلما قالت رأيا أوجد له الوزير مهران مخرجا حتى استطارت الفتاة فقالت « أيها الجاهل ، ان أبى حين وضع الملك فى يديك كنت أظنك تدبر هذه الفتن والمحن وكنت فى شك من ذلك والآن أصبح الظن يقينا ثم قالت للالا صالح « خذ سيىء الفعال هذا والقه بعيدا عن هنـــا » .

تقدم لالا وقال له انهض ثم أخذ الوزير من ساعده وأخرجه من الباب بشكل جعل عمامته تسقط من على رأسه .

حزن مهران الوزير واغتم وسار حتى جاء الى الملك فغفور وأخذ فى البكاء ، فقال الملك « ماذا حدث ؟ » فأعاد الوزير ذكر ما سمعه من الأميرة وبصورة أقبح وأقذع مما قالته حتى جعل الملك وكأنه جالس على نار موقدة وخرج عن صوابه واغتم غما شديدا لردها وقال ياوزير ما التدبير ؟ وماذا أفعل بهذه الفتاة التى لا ترضى بالزواج ، مع أنها تقول الحق لأننى زوجتها من خورشيد شاه وعقدت له عليها » ؟

أول صندوق كان لأميرة :

قال الوزير اللعين « اذا استسلمت لما قالته الفتاة فلن يعقد العقد ، وان لك عليها سلطانا وأمرا نافذا ولا يجب أن تطعها فقد كانت الى وقت قريب فى طاعة المربية لأنها كانت ساحرة والآن اذا سمعوا أن الفتـاة لا تطيع أمرك فهذا أمر قبيح فارسل خادما حتى يجرهـا ويأتيك بها ثم قيدها وضعها فى صندوق (١) ثم أرسلها مع حراس الى قزل ملك حتى تكون قد أديت ما يستحق من حرمة ومن واجب وآنذاك سيقولون ان الملك فغفور قيد ابنته وأرسلها الى قزل ملك لأنها لم تطعه وسوف يتحدثون عن عملك هذا ما بقيت الدنيا .

ذهب الخدم الى قصر الأميرة بنـاء على أمـر الملك وأمسـكوها من ضفائرها وأحضروها الى أبيها فقال لها « أيتها المدللة العنيدة هل أصبح لك رأى حتى تقولين لا أريد أن أتزوج هذا وأتزوج ذاك ؟ لولا انه جاءك خاطب لا أستطيع رده لكنت قد قتلتك » ثم أمر بها فقيدت وقال لمهران الوزير « جهز خمسين حملا من الخزانة لجهاز الفتـاة . فجهزها مهران وعرض ذلك على الملك وكان له غلام اسمه سنجر ، اختاره لكى يرافق الفتاة فأخذ يعد نفسه للسفر .

يقول الراوى صاحب الحديث ، انه حين ترك سمك خورشيد شاه والثعلب ليذهب الى المعسكر ، أخذ يدور فى كل ناحية ثم قال يجب على

(١) شاعت فى الستينات عمليات اختطاف الجواسيس والعملاء ونقلهم فى صناديق ويتضح أنها عادة قديمة .

أن أذهب للمدينة ، ثم توجه اليها وحدث أن الأميرة عندما حملوها الى أبيها على هذا النحو المخزى بقيت بهجة الروح تبكى فى الحديقة حتى ترى صبيح وتخبره بما وقع وترسله فى طلب سمك ، ولكن حينما حل الظلام دخل سمك فجأة الى الحديقة فرأى بهجة الروح نائحة باكية فقال « ماذا أصاب الأميرة ؟ وأين هى وأنت وحدك فى الحديقة » ؟ .

قالت بهجة الروح « يا بنى ماذا تريد أسوأ من هذا ، لقد أرسلوا ماه برى الى قزل ملك . فقال سمك « يا أمى كيف حدث هذا » ؟ فأخذت بهجة الروح فى الحديث عما جرى منذ مجىء الوزير حتى تلك الساعة التى وصل فيها سمك الى الحديقة .

بينما كانا فى الحديث وصل صبيح فسأل « ماذا أصابكما ؟ فروى له سمك ما حدث ، ثم قال أين هذا كله من فعل مهران الوزير اللعين ؟ لقد صدقوا حين قالوا ان كل ما تتعلمه ينفعك ، فسوف أعمل فيه عملا — ان عشت — يتحدثون عنه ما بقيت الدنيا ، ومع هذا فقد حان موعد خروجكم فهذا وقت العمل .

قال سمك « يا أمى اننا سنلجأ الى حيلة لكى نستخلص الأميرة من أيديهم ، فهل تعلمين فى أى يوم سوف يأخذونها ؟

قالت بهجة الروح « سيأخذونها فى هذين اليومين » .

انقاذ العيارين :

وقال صبيح « أيها البطل سوف أحضرهم الآن ولكنهم جماعة لا سلاح معهم ، ثم أين سنذهب ونتمكن من البقاء » ؟ .

قال سمك « أخرجوا أنتم دون صخب أو ضوضاء حتى أقول لكم ماذا يجب عليكم أن تفعلوه » .

ذهب صبيح ثم عاد بعد نحو ساعة وقد أحضر العيارين الى الحديقة عند سمك وكانوا أربعمائة رجل دون ضوضاء أو صوت فسلموا ووقفوا فقال سمك « يا بهجة الروح هل تستطيعين تدبير أى سلاح لهم ؟

ذهبت بهجة الروح وأتت بما كان فى قصر الأميرة من سلاح وأعطته للفتيان فقال سمك أيها الفتيان عليكم بالتوجه الى بداية الطريق وهو مكان فسيح على أطراف المدينة ولتتلطفوا ولا تشعروا بكم أحدا ثم قص عليهم أحداث الأميرة وأضاف « ولهذا يجب علينا ان نذهب الى أول الطريق ونقطعه عليهم حين يصلون الى هناك وننقض عليهم ونخلص الأميرة منهم

لانه من المؤسف بعد كل هذا التعب والمشقة التى تحملناها أن تؤخذ الأميرة من بيننــا .

قالوا جميعا « أيها البطل لو كانت لنا خيل لكان أفضل » فقال سمك « ستكون لكم خيل لأنهم يحضرون قطعان خيل الملك للمدينة وسأراقبها لعلى أستطيع أن أستولى عليها » .

وأعدوا لهم الخيــل :

ذهب الفتيان سالكين طرقا غير معروفة وجاء سمك متنكرا وجلس على أول الطريق وأخذ يترقب ذلك أن كل من يوافيه حظه تأتى أموره طبق ما يريد ، وكان من ارادة الله أنهم كانوا يحضرون خيول الملك الى المدينة فتقدم سمك اليهم وصاح فيهم أين تذهبون ؟ فقال رعاة تلك الخيول « ان الملك طلبها ربما لأنه يريد وسمها » .

قال سمك « لقــد أرسلنى منذ الأمس لأنتظركم على الطريق كى لا تدخلوا بالخيل الى المدينة لأن وقتــه مشغول باعداد ابنته وتجهيزهــا ليرسلها الى قزل ملك ولهذا فان عليكم أن تبقوا الخيل هنا حتى أعود وأرى بماذا يأمر الملك لأن الملوك لا يستقرون على رأى » .

كان على مقربة من ذلك المكان ميدان قام الرعاة بجمع تلك الخيــل فيه وعاد سمك العيار فى طريقه حتى جاء الى هؤلاء الفتيان وقال « أيها الاخوة لقد أصلح الله أمورنا وأرسل لنا خيلا أكثر مما نحتاج دون تعب ، فقد أتوا بخيل الملك الى المدينة وقد أبقيتها فى الميدان فاذهبوا الآن واقتلوا رعاتها وليختر كل منكم فرسا وينتقيه » .

قالوا أيها البطل سمك أين نــذهب بخيل عارية ؟ تلزمنــا سروج والجمــة .

قال سمك لا يمكن انجاز كل الأعمال مرة واحدة ، اذهبوا واحصلوا على الخيل الى أن أذهب وأجد وسيلة أحصل بها على السروج والألجمة . فذهب الفتيان لكى يستولوا على الخيل .

جاء سمك الى بيت زيد وذكر له أحوال هؤلاء الفتيان وأطلعه على شكل خيل الملك وقال له «والآن تلزمنا الآلة لها والعدة» . فقال زيد العيار « أيها البطل على هذه الحال التى ذكرتها فانه يمكن تدبير ذلك من مخازن الملك فاذهب وأت بها لتحملها » .

فقال سمك سوف أفعل هذا وسأذهب الآن وأذكر هــذا للفتيان وأجعل موعدا مع بعضهم ليأتوا ويأخذوا السروج والألجمة اللازمة . قال

هذا وذهب الى ذلك المكان الذى كانوا فيه ونظر فى الميدان فوجد الرعاة قد قطعت رءوسهم جميعا وقد اختار كل واحد من الفتيان حصانا كريما فاصطحب سمك بعضهم الى مخزن الملك وشرح لهم مهمتهم وقال لهم ستحضرون الليلة مائة رجل على مائة فرس الى هذا المكان وهو مخزن سلاح الملك فقالوا جميعا سمعا وطاعة قالوا هذا وظلوا حتى أقبل الليل ٠

نهض سمك العيار وخرج زيد معه وكان قد مضى ردح من الليل وسارا فى طريقهما حتى وصلا الى باب مخزن سلاح الملك ولم يكن به أى من الحرس فقام سمك وزيد فى ساعة بعمل نقب وأخرجوا منه عددا من السروج واحزمتها وكل ما يلزم للخيل حتى جاء صبيح النباش مع رجل فوضعوا السروج على الخيل وحملوا مازاد منها أمامهم ، وقال سمك يا صبيح اذهب مع هؤلاء الأحرار من الرجال الى السهل الفلانى ومعكم أدواتكم واكمنوا هناك حتى يأتوا بالأميرة وأن رأيتم عدوكم فادغروا عليه وخذوا الأميرة وسأكون أنا مرافقا لهم ٠

قال سمك هذا وأرسلهم الى مكمنهم وعاد هو الى بهجة الروح وسألها عما يعملونه مع الأميرة فقالت لقد قيدوها ووضعوها فى صندوق وسوف يحملونها مساء الغد ٠ فسألها سمك هل تعلمين من سيرافقها ؟ فأجابت بهجة الروح « سيكون معها سنجر البطل على رأس أربعمائة فارس ومعها من الخدم لالا صالح » ٠

أخذا يتحدثان فى كل أمر حتى أضاء النهار فخرج سمك وأخذ يراقب ما يجرى حتى حل الظلام فتصاعدت دقات طبول الرحيل وخرج سنجر البطل مع قواته والفتاة الى الطريق ، فاندس سمك فى وسطهم وأخذ ينظر حتى مروا على موقع الكمين الذى حدده لهم سمك فلم ير أحدا فحزن وقال وا أسفاه أين ذهب هؤلاء الفتيان ؟ هل ضلوا الطريق ؟ وكان يفكر فى كل احتمال ويسير مع الموكب حتى حل الليل فتوقفت القوات لتستريح ٠

قال سمك لنفسه اذا وصلت هذه الجماعة الى معسكر الجيش فان مهمتنا تصبح صعبة وتذهب الأميرة من أيدينا ويضيع تعبنا ولا أعلم ماذا حدث للفتيان فلأذهب وأذكر هذا لخورشيد شاه وأنظر ماذا يجب أن نفعل ٠

قال هذا وسار فى طريقه وأخذ يعدو كالريح حتى أنه وصل فى الليلة التالية الى ذلك النبع وتلك الخميلة فرأى الثلاثة فى النوم وقد جردوا خناجرهم وراحوا في ثبات عميق بينما أخذ خورشيد شاه سيفه فى يده ووضع فرخ روز قوسه تحت رأسه ٠ وتوجه سمك الى فراش الثعلب وأخذ خنجره من يده وسحب السيف من يد خورشد شاه والقوس من تحت رأس فرخ روز ثم صاح فيهم فقفزوا من نومهم وتلمسوا سلاحهم فلم

يجدوه فتحيروا فلما نظروا وجدوا سمك الذى تقدم الى خورشيد شاه والثعلب وقال أيها البطل الشعلب ، أعلم أنهما شابان وأميران ويحبان النوم ولكن ألا تعلم أنه لا يجب النوم خاصة فى مثل هذا المكان ثم قال « أيها الأمير أدرك أمرك فقد قمت بما على ولا أستطيع القيام بالعمل وحدى » ・ ثم حدثهم بما كان وقال ، « أيها الأمير الحق بهم فقد وضعوا الأميرة فى صندوق وهم يحملونها مع جيش الفغفور الى قزل ملك ولن يفعل أصحابنا شيئا والأميرة على وشك أن تضيع من أيدينا ولقد جاهدت قدر استطاعتى ويجب أن نعمل على الحيلولة دون أخذ الأميرة » ・

أدرك حبيبتك :

حين سمع خورشيد شاه هذا الحديث تقدم الى جواده وقفز على ظهره. وركب فرخ روز والثعلب جواديهما وكان سمك واقفا فأخذ يعدو أمامهم وقد انطلقوا بحيث طلع عليهم النهار وكانوا قد قطعوا سبعة فراسخ (٤٢ كيلو مترا) حتى وصلوا الى ربوة صعدوها ونظروا ・ فرأوا من بعيد جيشا وقد وضع صندوق ماه برى بينهم مع خمسين حملا من الخزائن ، فترجل خورشيد شاه وفرخ روز والثعلب وأحكموا أحزمة خيلهم ثم امتطوها وصاح خورشيد شاه « أيها الحقراء التابعين لفغفور الملك الذى دفعكم الى هذا العمل ألا تخافون وتستحون أن ينظر أحد الى ماه برى بينما خورشيد شاه حى ؟ الى كل من يعرفنى ومن لا يعرفنى فأنا خورشيد شاه بن مرزبان شاه ・

قال هذا وشهر سيفه بيده وصاح فرخ روز من ناحية والثعلب من ناحية ثالثة بينما ذهب سمك الى مرتفع ووقف ينظر وقد انطلق الثلاثة كأنهم ذئاب جوعى فى وسط قطيع من الحملان ولم تمض لحظات حتى كانوا قد صرعوا مائتين منهم فلما رأى سنجر البطل أن الأمر سينقلب الى الناحية الأخرى قال لأحد الخدم انطلق الى معسكر ضرغام وقل للبطل كرمون أننا حضرنا مع الأميرة وخمسين حملا من الخزائن الى المكان الفلانى وقد لحق بنا خورشيد شاه وأهلك أغلبنا ويجب أن ترسلوا لنا مددا لأننا نخشى أن يأخذ الأميرة والأموال ・ قال هذا وأمره بالاسراع ・

رأى سمك من فوق المرتفع أين يذهب هذا الرسول فجرى هابطا وتقدم الى هذا الفارس وقال أيها الرجل أين تذهب ؟ انتظر لأن لى معك حديثا ・ فظن هذا الفارس أنه يريده حقا فتوقف حتى جاء اليه سمك الذى تعلق به وجره من فوق حصانه ثم طعنه بخنجر حاد فى صدره طعنة خرجت من ظهره ثم خلع سلاحه وملابسه وارتداها وركب فرسه وتوجه الى مكان المعركة ・

نظر سنجر البطل فرأى سمك فظنـه ذلك الفـارس الذى كان قد أرسله فلما اقترب منه قال له ماذا فعلت هل أتيت بالمدد ؟ قال سمك ذهبت وشرحت لهم وضعنا ليرسلوا المدد ، فقالوا لا نستطيع الحضور الآن فاذا لم تكن لدى البطل طاقة لهم فليترك الأمر ويأتى الينا حتى نتدبر أمرهم معـا ٠

حين ذكر سمك هذا الكلام انطلق سنجر وتبعه جنده متوجهين الى المعسكر وبقى خورشيد شاه وفرخ روز والثعلب وسمك العيار مع صندوق ماه برى والخمسين حملا من الثروة وقد قف لالا صالح أمام البغل الذى كان يحمل الصندوق الذى به ماه برى ٠

حينما رأى الأمير الصندوق الذى به ماه برى أمر أن يخرجوا منه الأميرة وحين رآها فرح بها وسعد وقبل الجميع ثم قال ان بقاءنا فى هذا المكان ليس فى صالحنا فلا شك أن الجيش سيأتى الى هنا فيجب أن نبحث عن مكان نحمل اليه الأميرة وهذه الخزائن ويكون لنا ملجأ وملاذا ، حتى اذا جاء الجيش قاتلنا ونحن فى اطمئنان عليهم ٠

قال سمك أيها الأمير لقد تذكرت مكانا آمنا وهو واد محكم فيه رجل كامل الفتوة ولديه جيش مجهز وهو فى حفظ الأمانة لا نظير له واسمه «الأحمر شيخ الرعاة» وجيشه لا يعد ولا يحصى وكله من الفتيان فيجب أن نذهب الى ذلك المكان والا فانه فى هذه المائة فرسخ التى حولنا لا يوجد أى ملجأ آخر ٠

قدم الثعلب الشكر لسمك وقال له « ما أفضلك من رجـل عاقـل وما أحسن ما فكرت فيه ، فأنا نفسى لم أتذكر أنه على مقربة منا يوجد مثل هذا المكان ويجب علينا الذهاب الى هناك ، فلا يوجد مكان أحسن منه » ٠

تقدمهم سمك وأخذ فى السير وفجأة رأوا تصاعد غبار فقال خورشيد شاه لعله جيش الفغفور جاء لانقاذ الأميرة فقال سمك خذ أنت لالا صالح وهذه الأموال والأميرة وأسرع على الطريق الى ذلك الوادى حتى نقطع نحن الطريق على الجيش ، وكانوا مازالوا فى حديثهم هذا حين ظهرت من وسط الغبار جماعة العيارين الذين عرفهم سمك فقال « أيها الأمير أنهم رجالنا » ، ففرح الأمير بوصولهم وحين رأى العيارون من بعيد خورشيد شاه وفرخ روز والثعلب وسمك مع الأميرة ولالاصالح والأموال ترجلوا جميعا وأدوا التحية فقال سمك « أيها الأبطال لماذا تأخرتم ؟ لو أننى اعتمدت عليكم لما أتينا بالأميرة والأموال ولضاعت جهودنا ٠

قالوا حينما خرجنا من مكمننا كان الجيش قد مر قبلنا فبقينا حتى بعد عنا ثم سرنا نبحث عنكم سالكين طرقا غير مطروقة الى أن التقينا بكم ٠

فقال سمك يا أحرار الرجال لعل الخير فيما حدث » • قالوا هذا وساروا فى طريقهم •

قال خورشيد شاه « ان الله وفقنا فى عملنا والسبب هو ابن الحلال هذا ــ سمك ــ الذى صمد صمودا قويا فى هذا الأمر » •

ضيوف على الأحمر :

قال سمك ، سأتقدمكم وسيروا أنتم خلفى وتقدمهم وتبعوه حتى وصلوا الى وادى الخنزين وكان على مدخله يجلس الأحمر شيخ الرعاة وحوله أتباعه عن يمينه وعن يساره بعضهم جالس وبعضهم واقف فتقدم سمك وأدى التحية وكان سمك معروفا لأن الفتيان أينما ذهبوا يعرفون خاصة وأن الأحمر كان قد رأى سمك قبل هذا وعرفه لأنه كثيرا ما ذهب اليه فى واديه ، فلما دخل سمك وحيا ورآه الأحمر نهض واحتضنه وقبله فدعا له سمك وأثنى عليه ثم قال « يا فتى الدنيا ويا أعظم الرجال لقد جئت ملتجئا لائذا بك ، فماذا تقول وبما تأمر ؟ أتقبل هذا أم أعود ؟ فقال البطل الأحمر « أيها البطل انك تعرفنى وسمعت عن شهرتى ومن أنا فى الحفاظ على المستجير بى وكيف أحطم الدنيا ولا أسلمه أو أتخلى عنه واعلم أنك سمعت عن هذا كثيرا ولو أن شخصا آخر قال هذا وهو لا يعرفنى لكان جائزا » •

أثنى سمك عليه كثيرا وقال أيها البطل اننى لست وحدى فمعى خورشد شاه بن مرزبان شاه ملك مدينة حلب والشام والشامات وأخيه فرخ روز وأستاذى الثعلب الفيلم مع أربعمائة رجل عيار جئنا الى حماك • فقال الأحمر وماذا حدث حتى تطلب مثل هذه الجماعة الأمان ؟ فحدثه سمك بما كان من أوله كما سمعه من خورشيد شاه وما قام به هو نفسه الى تلك اللحظة التى وصلوا فيها اليه مما جعل الأحمر وجماعته يستغرقون فى الدهشة والتعجب ، وقال أيها البطل سمك « لو كان فى مكان الأربعمائة رجل أربعة آلاف رجل وكلهم أتباعك وكانوا جميعا لصوصا وقد أراق كل منهم ألف دم لوضعتهم جميعها فى عينى ، خاصة وفيكم أمير مثل خورشيد شاه وجماعة كلهم أصدقاء خصوصا وأنت لى ابن والثعلب الفيلم لى أب •

كانوا مازالوا فى هذا الحديث حين وصلت تلك الجماعة فنهض الأحمر واستقبلهم وقبل أن يسلموا عليه قال يا أحرار الرجال لقد قبلتكم وأنتم ضيوفى • ثم سلم عليهم وأجلس الأمير بجانبه وأكرم فرخ روز ولاطف الثعلب ورحب بكل الجماعة ثم أرسل الأميرة والخمسين حملا من

الخزائن الى داخل الوادى وانزلها فى مكان لائق نزل فيه خورشيد شاه مع الآخرين أيضا وأجلسهم الأحمر ثم تناولوا الشراب وأخذوا يتحدثون فى كل أمر .

قال الثعلب يا سمك : أسفا على كل ذلك الدقيق والعسل والسمن الذى تركناه عند النبع . قال سمك « يا أبى أتتحدث أيضا عن الطعام ؟ ستحتاج يوما الى الأكل منه واذا كنا قد تركنا عشرة أحمال من الحاجيات فقد منحنا الله خمسين حملا من الذهب والملابس والجواهر ، كما وصلتنا الأميرة التى نتحمل كل هذه المصاعب من أجلها كما أننا وصلنا الى رفقة الأحمر شيخ الرعاة الفتى وكل هذا من أنعم الله علينا . فأثنى الجميع عليه وعلى بلاغته وطلاقة لسانه .

خيـــانة حـــاقد :

بعد أن استراحت جماعة العيارين مع خورشيد شاه فى الوادى شاءت ارادة الله أن كان فى ذلك الوادى رجل مفسد غماز كان الأحمر قد كلفه بعمل فلم يقم به فحبسه وجلده وأذله ، ولهذا فقد أضمر الحقد فى قلبه وصمم على الانتقام ، فلما رأى هذه الأحوال قال لنفسه لأذهب الى الملك فغفور وأذكر له هذا حتى يرسل جيشا يهزمهم ويأسر الأحمر وأكون قد انتقمت منــه .

فكر فى هذا ثم انطلق فى الطريق حتى وصل الى مدينة الصين وتوجه الى باب القصر الملكى وقال لحجابه قولوا للملك أن شخصا جاء من وادى الخنزير ولديه أشياء يريد أن يقولها . فأخبروا الملك . فقال أدخلوه فلما دخل أدى التحية وقال « أيها الملك أن ابنتك والأموال التى كنت قــد أرسلتها الى قزل ملك انقض عليها خورشيد شاه فقتل الرجال جميعاً وأتى بالأميرة والأموال الى وادى الخنزير لدى الأحمر شيخ الرعــاة وقد قبــل الأحمر حمايتهم وأهدر حقك وحرمتك وخرج عليك ، فلم يعجبنى هذا وجئت لأعلم الملك لكى يفعل فيهم ما يستحقون من جزاء » .

حينما استمع الملك الى هذا الرجل وعلم بالأمر استولى عليه الحزن فقال مهران الوزير « أيها الملك لقد ارتكبوا اثما عظيما وذهبوا الى مكان حصين ، الأمان من مكر سمك ، الذى أعلم انه المدبر لكل هذه الأعمال » . فقال الملك ، « أيها الوزير ما هو التدبير وكيف أعالج هذا الأمر » ؟

مهران الوزير يعمل كسفير :

قال مهران الوزير أيها الملك ، إن الأحمر ليس رجلا بسيطا فلديه جيش عظيم وهو رجل شهم بين الفتيان يحمى اللاجىء ويصون الأمانــة ،

كما أنه في مكان حصين ، فاذا عصى فان جيـوش الأرض لا تستطيع أن تفعل معه شيئا • ومع أنه من أتباع الملك ولكنني لا أعلم هل مازال في طاعته أم خرج عليه ، ولا أعرف ان كان سيعصى الملك من أجل هذه الجماعة التى مع خورشيد شاه ؟ وعلى أية حال فعندى طريقة لا نستطيع غيرها وهى أن تكتب رسالة للأحمر مع خلعة جميلة وتقول له « أيها البطل ، تعلم أن لنا حقوقا كثيرة متبادلة كما كانت لآبائنا حقوق متعددة ، ولا شك أن لك منى مثلها ولقد سمعت أن خورشيد شاه وأخاه فرخ روز مع الثعلب وسمك العيار وجماعة قد قطعوا الطريق وقتلوا سنجر البطل وخلقا كثيرا وأخذوا ابنتى مع بضعة أحمال من الخزائن وجاءوا اليك ، وقد تعهدت بحمايتهم وهذا ليس من الصالح ، فأعلم وتأكد أننى أعطيت ابنتى الى خورشيد شاه ولكن جدت مشاكل لا مجال لذكرها ، ثم وصل الأمر الى أن انضم خورشيد شاه للعيارين وأراد القضاء على ، فأرسلت اليهم جيشا فاحتموا بشعب الصخر فأهلكناهم باشعال النار ، ولكن لما كان الأمير قزل ملك قد أراد القضاء علينا وجاء الى ولايتنا فقد أرسلت اليه الفتاة كى يصبح قزل ملك لنا ظهيرا • والآن وطالما أن خورشيد شاه موجود وفى سلامة وقد وصلت اليه الأميرة أيضا فليباركهما الله • وأنت تعلم أن قزل ملك ومعه البطلين قطران وقطور على رأس ثلاثين ألف فارس قد جاءوا لقتالنا ولأن خورشيد شاه أصبح صهرنا فليرد على العدو الذى جاء لخطبة الأميرة فان أسره ، فانه سيصبح ملك الصين ومنغوليا ويكون هو العريس • وعندما يخرج للحرب فارسل الفتاة الينـا حتى نعدها للزفاف بعد أن يفـرغ الأمير من الحرب » • وبغير هذا لن نستطيع أن نخرج الأميرة من أيديهم ، واذا أرسلها اليك فان من ينتصر منهما على الآخر تقدم اليه الفتاة حتى لا يصيبك أذى •

قال الملك فغفور « أيها الوزير نعم ما رتبت وأصبت الرأى ، أسرع بكتابة الرسالة » • فكتب مهران الرسالة وقرأ على الملك كل شىء فأثنى عليه ثم وضع مهران أختام الرسالة ثم قال يلزمنا معتمد ليذهب وينجز هذه المهمة • فقال الوزير أيها الملك أن هذا العمل لا يستطيع أحد أن يذهب به سوى أن أقوم به بنفسى ، أذهب وأتحدث وأسمع وأقوم بما فيه المنفعة • قال الملك « فليكن هذا • ثم أمر فاعدوا بضعة أثواب ومائة صرة من الذهب وبضعة أحمال من النفائس والطرائف وخلعة للأحمر وأخرى لخورشيد شـاه •

سار مهران الوزير مع مائة فارس حتى وصلوا الى وادى الخنزير فرأى عرشا مقاما وقد جلس عليه الأمير خورشيد شاه وعن يمينه فرخ روز وعن يساره الأحمر شيخ الرعاة ، وكان سمك قد ذهب الى المدينة فى أمر من الأمور • أما الثعلب والآخرون فقد جلس كل منهم فى مكانه وحينما

رأى الأحمر الوزير مهران عرفه لكثرة أعمـاله السيئة وفعاله ، فتقـدم لاستقباله واحتضنه وسأله عن أحوال ملك الصين وعن الأبطال ثم أخـذ يده وقدمه الى خورشيد شاه •

عندما رأى مهران الوزير خورشيد شاه أدى له التحية وقبل الأرض أمامه وأثنى عليه فأشار الأمير فأجلسوه وفى الحال أمر باحضار ماء الورد فشربوا فلما مدوا الموائد وتناولوا طعامهم وفرغوا منه أدى مهران التحية وقبل الأرض وقال « أيها الأمير العظيم لدى رسالة من الملك فغفور أتأذن لى أن أؤديها ؟ قال الأمير تحدث •

قال مهران الوزير « ان الملك يقرئك السلام ويقول أن الأمير يعلم أننى وعدته بابنتى ، وقد وفيت بوعدى وقبلت مصاهرته • فلما وقعت حادثة العيارين وحبسته فقد كان ذلك للقضاء على العيارين لتتطهر الدنيا من شرهم ثم نعقد العقد • ولكن الأمر انقلب والتحق الأمير بهم وحوصروا فى شعب الصخر وأشعلت النيران وظنوا أن الأمير هلك فى وسطها • فلما أراد جيش منغوليا مهاجمتنا لم أشأ أن أحاربهم ورأيت ان الوسيلة هى أن أرسل الفتاة الى قزل ملك ومنع هذه الحرب حتى لا يهلك خلق كثير • والآن وبالفرحة لعدم اصابة الأمير بأى أذى ، وسماعى بأخباره ، فقـد أخرجت الصدقات شكرا لله ويجب أن يتعـاون الأمير مع البطل الأحمر ويذهبا كمدد للجيش الواقف فى مواجهة جيش منغوليا ويردوا الأعداء ، والآن أعد الينا الفتاة حتى نأخذ فى الاعـداد والتجهيز لها حتى اذا انتهى الأمير من الحرب زوجناكها •

قال الأمير فى نفسه لقد جربنى الفغفور فى كل أمر ورأى ، وهو يريد أن يجربنى فى مواجهة الأعداء ويلقينى تحت أقدام الفيلة ، وكل هذا من تدبير ابن الحرام هذا مهران المشئوم الذى وضع هذه الفكرة وجاء ليحمل الأميرة بالحيلة ، وليأخذ حذره لكل أمر •

حينما كان سمك فى المعسكر يستطلع الأخبار ، أنهى مهران اللعين كلامه ، فصاح فيه الثعلب وقال يا سيىء الفعال لقد أشعلت كل هذه الفتن فى البلاد كلها وحركت الثورات وأهلكت خلقا كثيرا والآن جئت بالمكر والحيلة لكى تعرضنا مرة أخرى لضرب السيوف وتأخذ الفتاة من أيدينا لترسلها الى قزل ملك أن الفتـاة معنا ونحن هنا قاعدون ، وعلى كل من يعادينا أن يأتى الى هنا ويأخذهـا منا بحد السيف كما أخذناهـا بحد السيف ، فاذا استطعنا أن نجيبه اجبناه واذا عجزنا عن صدهم ورأوا هذا فينا فليفعلوا بنا ما يشاءون • يا مهران أتظن أنك هناك فى قصر الملك وتريد أن تعرضنا للقتل مرة أخرى ؟ لولا أنك جئت رسولا ولأنه لا يجب الاعتداء على حرمة الأحمر البطل لأمرت فقطعوك اربا اربا أنت ملعون كلب •

حينما سمع مهران كلام الثعلب اعترته الحيرة ولكنه لم يخجل ، وأخذ الأمر كأنه لم يكن يحدثه والتفت الى الأحمر وقال ، أيها البطل ان الثعلب معذور في كل ما يقوله لأنه متألم منا ، ولكنني أحمل رسالة من الملك فرد عليها • ثم أخرج الرسالة ووضعها أمام الأحمر وقدم اليه ذلك المال والخلعة وكل ما أحضره اليه وكذلك ما أحضره لخورشيد شاه • فنظر الأحمر الى الأموال ثم أخذ الرسالة وسلمها الى كاتبه ليقرأها ويذكر له مضمونها • بعد ذلك التفت الى مهران الوزير وقال « سمعا وطاعة » انني من عبيد الملك وخدامه ولكن ملك الدنيا يعرف أنني أقف مع كل من يلتجىء الى حماى واذا جاء الملك فغفور الى هذا المكان وحارب خورشيد شاه فانني سأكون بجانب خورشيد شاه •

قال الثعلب ، « أيها البطل نحن لن نسلم الفتاة من أيدينا بناء على رسالة مهران وكلامه ، وسنحتفظ بها هنا ولا نخشى الحرب ولا نريد أن يمدونا بشيء ، فسوف التحق بجيشه ونرد عدوه كما يحب ويتمنى • أيها البطل الأحمر ان هذا اللعين قد قلب أوضاعنا ولا اعتماد على قوله ، وكل جهـد يبذل أو عمـل ينجز يجب أن يكون على صواب ونحن لن نسلم الفتاة » •

قال الأحمر أيها الثعلب البطل سأقول شيئا وعلى هذا يجب أن نعمل حتى يطمئن قلبك ويسعد ويكون معنا ، فلتعلم أن على رأس هذا الوادى قلعة يسمونها القلعة الشاهقة مستحفظها هو (المقوقر) وهو رجل ذو أمانة ، يدين لى بالولاء لأننى أعطيته مفتاح القلعة فلنرسل الأميرة الى هناك حتى اذا انتهينا من الحرب فآنذاك نعد العدة للزفاف • ويجب أولا أن نرسل معتمدا الى الملك يأخذ عليه العهد والميثاق بألا يخرج من المدينة ولا يخوننا ولا يسلك سبيل السوء ولا يقبل به • فقال الجميع هكذا يجب أن تفعل وقال الوزير مهران هذا صواب •

بعث الأحمر واحـدا من معتمديه اسمه قرن ، واختاره ليذهب مع الوزير ويأخـذ القسم من الملك فغفور وسار الوزير مع قرن ، وأرسـل مهران أثناء الطريق من سبقه الى الملك ليخبره بما اتفق عليه • فلما وصلا الى ولاية الصين توجه مهران الوزير من الطريق الى لقاء الملك مباشرة • وكان قرن برفقته فأديا التحية وجلسا وأخذ مهران فى الحديث وشرح كل ما دار بينه وبين الأمير والثعلب والآخرين وفكرة ارسال الفتاة الى القلعة الشاهقة ومجىء قرن لكى يأخذ القسم من الملك كما طلب الأحمر ، فلما انتهوا من أداء القسم ، قال مهران أن الوقت متأخر ولا نستطيع تنـاول الشراب وأمر أن ينزلوا قرن فى مكان يناسبه •

خورشيد شاه يصل الى ما تمناه :

فى اليوم التالى أمر مهران الوزير أن يذهب الجميع الى مجلس الملك وحضر هو وأمراء الدولة ثم أرسل من استدعى قرن الى المجلس وقضوا ذلك اليوم بتناول الشراب مع الملك الذى قال للوزير مهران وبحضور قرن، جهز جيشا بكل ما يحتاجه من خيام وفراش ومطبخ وطبل وأعلام وسروج مطهمة ومظلة محلاة بالجواهر وسرادق وخزائن وافـرة لكى نرسلها الى خورشيد شاه لأنه لا يمكن الحفاظ على جيش دون أموال • ثم أكتب رسالة الى أبطال الجيش خاصة ضرغام وسمور الذى هو من أقاربنا قل فيها ، « اعلموا وثقوا أنه قد بلغنا أن خورشيد شاه على قيـد الحياة ولم يصبه سوء ، وكنت قد أرسلت الفتاة الى قزل ملك ولكنه اعترض طريقها وأخذها، وكان هذا حقه فقد ساعده الله ووفقـه • ولقد سلمنا له أيضـا فى كل ما يفعله أو يأمر به فكأننا فعلناه وأمرنا به ، لأن خورشيد شاه نائبنا فى الملك ويجب أن تطيعوه وتنفذوا أوامره وتعدوه ملكا عليكم وأن الأمر أمره فى كل ما يقول ، وتقفوا فى خدمته تكونوا معـه فى الحرب وتهزموا من أراد السوء لدولتنا ، لأن خورشيد شاه قد عزم على هذا وسيأتى مع الأحمر على رأس جيش جرار فيجب عليكم طاعته والخضوع له •

حين سمع مهران هذا الحديث من الملك كان لابد أن يدونه • فكتب ما أمر به الملك فى رسالة ثم قرأها عليه ووضع عليها الختم • واختار بطلا اسمه سام مع ألف فارس لحمل الرسالة والأموال والعتاد •

حين سار الفرسان مع قرن كتب مهران ابن الحرام رسالة الى قزل ملك ذكر فيها ما حدث وقال يجب عليك أن تعبىء للحرب حتى يخشاك كل جيش الفغفور ، وقد أرسلت الأميرة الى القلعة الشاهقة بالحيلة والمكيدة حتى اذا انتهيت من الحرب قدمتها اليك • ولكى يطمئن الأمير الى كلامى فقد أرسلت اليه زوجتى وأبنائى ثم ختم الرسالة وحملها الراوندى وذهب من طريق غير مطروقة دون أن يشعر به أحد •

حينما سار قرن البطل ومعه رسالة الملك وصل الى وادى الخنزير مع كل ما أرسله الملك فغفور وذكر لخورشيد قصـة العهد والميثاق . فأخـذ خورشيد شاه الرسالة وقرأها ثم التفت الى الأحمر وقال علينا أن نستعد للحرب ، فقـد ألقيت على كاهلنا • فقال الأحمر ، السمع والطاعـة • ثم استدعى الأمير لالا صالح وقال له اذهب وقل للأميرة ان أباك قد صفى قلبه لنا وأقسم على هذا ومنحك لى وأمرنا بحرب قزل ملك ولا مفر من الخروج ولا أستطيع حملك معى للحرب خاصة وأن أباك لم يسلمك لى وان كان قد منحنى أياك • فيجب عليك الذهاب الى القلعـة الشاهقة حتى نفـرغ من الحرب • فذهب لالا وذكر ذلك للأميرة •

قالت الأميرة « يا لالا ، اذهب الى الأمير وادعه للمجىء الى » • فذهب لالا للأمير وقال « ان ماه برى تريدك • فنهض الأمير وجاء الى الأميرة فرآها باكية ، فأخذ رأسها بين ذراعيه وقال لها « يا راحة القلب ومناه ليس من الصواب أخذك الى ساحات المعارك ، ثم انه تم الاتفاق مع أبيك على أن أرسلك الى القلعة الشاهقة وهى قلعة من قلاع أبيك فاطمئنى على أننى سأعود اليك عما قريب » • فقالت الفتاة « أيها الأمير ما شأنى وقلعة أبى أو غير أبى ، فلو أن الدنيا كلها قلعة فاننى لا أهتم بها لأنه لا يستطيع أحد أن ينظر الى بعين السوء ولو أنهم سلخوا جلدى ولحمى بالأظافر ووضعوه فى فمى لآكله فاننى لن أدع أحدا يمسنى الا أنت • وأنا لا أريد أن أبتعد عنك ، فاذا كان قلبك يريد هذا فالأمر لك وأنا أعمل بأمرك والا فاننى لا أريد هذا • قالا هذا ثم نهضا وتعانقا وأخذا فى البكاء •

بعد ذلك ودع خورشيد شاه الأميرة ورجع الى الأحمر وقال ، نحتاج الى معتمد يذهب مع ماه برى الى القلعة • فقال الأحمر فليذهب قرن • ثم أعد لذهاب الفتاة الى القلعة وتوجه قرن والفتاة ولالا الى هناك • فلما وصلوا الى أسفل القلعة رآهم الحارس فقال للمقوقر لقد وصل ثلاثة فرسان الى القلعة فأرسل المقوقر حاجبا لينظر من هم فنزل الحاجب من القلعة حتى جاء اليهم فلما رأى قرن عرفه وحياه • فقال له قرن أخبر مستحفظ القلعة أن قرن جاء من قبل الأحمر ومعه أمانة فتحمل المشقة وأهبط الى أسفل القلعة وتسلم هذه الأمانة • فعاد الحاجب الى المقوقر وذكر له ذلك ، فأرسل المقوقر رسالة تقول « أيها البطل ، أنك تعلم أنه ليس من الأصول ترك القلعة وعلى مستحفظ القلعة ألا ينزل الا لاستقبال الملك أو تسلم قلعة أخرى ، فيجب عليك المجىء الى القلعة وتسليم الأمانة •

حينما حمل الحاجب هذه الرسالة صعد قرن الى المقوقر فى القلعة ووضع أمامه رسالة الأحمر فتناولها وفض أختامها وأعطاها لكاتبه ليقرأها ويخبره بمضمونها وكان مكتوبا فى هذه الرسالة « منى أنا الأحمر الى مستحفظ القلعة الشاهقة حينما يصل كتابى هذا وتعرف ما به فأعلم أن خورشيد شاه بن مرزبان شاه ملك حلب مع ابنة الملك فغفور قد جاءا الى مع جماعة من أتباعهم لحادث وقع لهم مع الملك فغفور • الى ذكر الاتفاق على أن يذهب خورشيد شاه ويرد الأعداء ليزوجه من الفتاة • وقد أرسلت الفتاة لتبقى لديك أمانة الى أن يحين الوقت لنعطيها لخورشيد شاه أو نوصلها للملك •

حينما علم المقرقر بهذا قال « ياقرن أد الأمانة وعد » • فقدم قرن ماه برى ولالا صالح وعاد الى الأحمر وأخبره بما تم • عندئذ قال خورشيد شاه للأحمر يجب أن نذهب الآن • فأمر الأحمر باستعراض الجيش فكان

أثنى عشر ألف مقاتل . ثم خرج خورشيد شاه وفرخ روز والثعلب وجماعة العيارين مع سام البطل . وعندما ساروا قال خورشيد شاه ، نحتاج الى واحد يذهب ليخبر الجيش . فقال الأحمر ليذهب قرن لأنه يمكن الاعتماد عليه وقد جاء من عند الفغفور وهو يعرف الأوضاع .

فى الحال كتب خورشيد شاه رسالة شرح أحواله كما حدثت وقال أننا نخبركم بقدومنا حسب الأوامر للاشتباك مع العدو القريب منا . ثم سلم المنشور الذى سبق أن أرسله الملك مع قرن وبعثه أمامه فى طريقه الى المعسكر وخرج خورشيد شاه بالجيش ومعه الآخرين فى طريقهم الى معسكر جيش الفغفور .

نأتى الى حديث سنجر . هكذا يقول مؤلف الأخبار وراوى الأحداث أنه حين ذهب سنجر مع بعض فرسانه منهزما أمام خورشيد شاه وتوجه الى معسكر قزل ملك . فلما جاء الأبطال ورأوه قالوا ، أيها البطل ما هذا الوضـــع » ؟ وأين حملت الأميرة ، وأين الجيش والأمـوال ؟ قال سنجر ألا تعلمون أن خورشيد شاه قطع علينا الطريق واستولى على الخمسين حملا من الأموال التى كنت آتيا بها ، وحمل الأميرة وقتل منا خلقا كثيرا ، لقد أرسلت فى وسط المعركة فارسا لأخبركم فرددتم على أن أتركها وتعال ، لأننا لا نستطيع الحضـــور حتى يحين الوقت ونستطيع استعادتها ، فتركت المال والفتاة حين جاءتنى الرســـالة وحضرت لأرى ماذا تأمرون . والآن تسألون ماذا حدث ؟ ألم يأتكم الرجل واخترع هذه الكذبة ؟ انه حينما حدثنى شككت فى الأمر لأنه رجع بسرعة فائقة .

قال الأبطال يا سنجر كم كان مع خورشيد شاه من الفرسان حتى تمكن من القيام بهذا ؟ قال سنجر ماذا تقولون ؟ لقد كانوا ثلاثة خورشيد شاه وفرخ روز والثعلب ، وكنا أربعمائة شخص . فتعجب الأبطال من أن يفعل ثلاثة أشخاص فى أربعمائة شخص مثل هذا وقالوا لا نعلم الآن الى أين ذهبوا وأين هم ؟

بعد هذا كتبوا فى الحال رسالة الى الملك فغفور وأعلموه بما وقـــع واختاروا جمازة لهذه المهمة ثم قالوا يجب أن نرسل رجلا يتجسس ويعرف مكانهم فثلاثة أشخاص والأميرة وخمسون حملا من الخزائن أين يمكن أن يذهبوا ؟ لا يمكن أن يكون فى هذه الولايـة مكان لاقامتهم انهم غربـاء ولا يعرفون الطريق ، كما أن ولاية حلب بعـيدة ولا يستطيعون الذهاب اليها بهذه السرعـة ثم أرسلوا جاسوسـا للبحث عنهم وليعرف مقامهـم ومكانهم حتى يرسلوا جيشا ويقبضوا على خورشيد شاه ويستخلصوا منه الأميرة والأموال . فخرج الجاسوس وذهب فى طريقه .

فى الناحية الأخرى خرج سمك من وادى الخنزير فى طريقــه الى المعسكر ليعرف أحوالهم ويحتاط لهم ، فوصل الى عين جارية ورأى رجلا جالسا يتناول طعامه وحده فقال سمك لنفسه لا أشك أن هذا الرجــل جاسوس يبحث عنا فماذا أفعل به ؟ وماذا سأعرف منه ؟ وتقدم اليه وسلم عليه وجلس ولم يتكلم • فقال ذلك الرجل من أين جئت والى أين تذهب ؟ قال سمك أنا رجل من الخدم كنت أرافق ابنة الملك فغفور فلما خرج خورشيد شاه على حملتنا وقتل منا عــددا كبيرا حملوا الأمــيرة وذهبت الحملة منهزمة وكنت قد تعبت ، والآن فأنا ذاهب للمعسكر ولا أعــرف الطريق ولا كيف أسلك• قال ذلك الرجل أسلك هذا الطريق حتى المعسكر • فسأله سمك والى أين أنت ذاهب ؟ قال الرجل لقد أرسلونى للبحث عن خورشيد شاه ومعرفة أين حمل الأموال والفتاة وأعود لأخبرهم حتى يتعقبه الجيش ويستردوها منه • قالاهذا وذهب كل منهما فى طريقه •

فى الناحية الأخرى عندما خرج خورشيد شاه من الوادى وسبقه قرن الذى وصل خبر قدومه الى المعسكر ، فاستقبله الجيش بالترحيب والاكرام ، وأقام ضرغام الذى كان قائد الجيش قاعة استقبال • وأخبروا الأبطال ، فلما دخل قرن الى القاعة أدى التحية وجلس • وفى الحال أتوا بماء الورد والفاكهة والطعام فأكلوا ثم أخذوا فى الشراب ، فقام قرن وأخرج رسالة الأمير وقبلها ووضعها أمامهم فالتقط ضرغام الرسالــة وأعطاهــا للوزير ليقرأها فعرف ما بها • ونظروا فيها وقالوا نحن جميعا فى خدمة خورشيد شاه وهو قائدنا ، أين هو الآن » ؟ قال قرن سوف يصل غدا وفى صحبته الأحمــر وسام مع الجيش كثير العدد فخرجوا لاستقبالهــم وحدثت ضجة فى المعسكر •

شاء القدر أن يكون جاسوس قزل ملك موجودا هناك فسمع ما دار ، وعاد فى طريقه حتى جاء قزل ملك وذكر له ما سمع ودار ، وحين سمع ذلك تضايق وأخذ يفكر عندما دخل قطران الى المجلس ، وأدى التحية فرأى قزل ملك غاضبا وقال له أيها البطل هل رأيت ما فعل مهران الوزير لقد خدعنا وسلمنا لحد السيوف فقال قطران ، أيها الأمير أن مهران لم يكذب بدليل أن زوجته وابنتيه وصلوا فجر اليوم ، ثم سلمه الرسالة فعرف قزل ملك الأموال وسمع أن الأميرة فى القلعة الشاهقة فقال « يجب أن نستعد الآن للحرب ، وأمر أن ينزلوا زوجة الوزير وابنتيه فى مكان مريح •

فى الجانب الآخر فانه حينما خرج ضرغام وسنجر وسمور والراعى الأسمر وكرمون مع خمسة آلاف فــارس لاستقبال خورشيد شاه ورأوا مظلته ترجلوا جميعا وتقدموا خاشعين لتحيته•وكان فرخ روز واقفا فقبلوا ركاب الأمير ويد فرخ روز • وحين أقاموا سرادق خورشيد شاه ترجــل

واعتلى عرشه ووقف فرخ روز خلفه ، ووقف الجميع فى خدمته وأخذوا ينظرون اليه • وكانت هالة الملك تشع منه وأخذوا يدعون له ويعتذرون اليه • يحدثنا الراوى فيقول « كان سمك فى المعسكر فرأى حركة وسمع كل واحد يقول أن خورشيد شاه سيأتى • فتعجب سمك حتى جاء الى ذلك المكان ورأى ذلك المجلس والرجال الواقفين فى خدمته فسعد كثيرا ودخل المجلس وأدى التحية وحينما رأى خورشيد شاه سمك وقف له نصف وقفة واستدعاه وأجلسه أمامه • فقال سمك العيار أيها الأمير كيف حدث أن التحقت بهذا الجيش ؟ وكيف — بالسعادة — قدمت ؟ أين ماه برى ؟ فتحدث الأمير وشرح له كل الأحداث •

الأميرة فى القلعة أسيرة :

حينما سمع سمك أحوال ماه برى وارسالها الى القلعة الشاهقة أرسل آهة جعلت الجميع يقولون ماذا أصابك يا سمك ؟ فقال سمك « أيها الأمير ماذا تريد أسوأ من هذا ، لقد خلصت ماه برى من يد مهران وقزل ملك بمائة حيلة فسلمتها الى يدى ابن المربية الساحرة بسهولة ان المقرقر هو ابن الساحرة الشريرة ، وهو يحب الأميرة ولكنه لم يكن يجرؤ على ذلك خوفا من الملك • والآن فقد أودعتها لديه دون مشقة فى قلعة لم ير أحد فى الدنيا أحصن منها ولا أمنع •

حينما سمع خورشيد شاه هذا ، اغتم قلبه ونظر الى الأحمر ، أى أنك صنعت هذا ، وكانت الأميرة على علم بهذا وكانت تقول ليس من الصالح أن أذهب الى هناك ولكننا لم ننصت لها • فقال الأحمر أيها الأمير ، بالله العادل أننى لم أكن أعلم بهذا الا فى هذه الساعة حين تكلم سمك •

قال سمك العيار أيها الأمير اسمح لى أن أستريح بضعة أيام لأننى منـذ التحقت بخدمتك لم أذق طعم الراحة لأن الراحة لا تكون الا حيث يوجد الأمن والحمد لله أن الأمير يجلس الآن على العرش ثم أننى أريد أن أتفرج على الحرب وبعد ذلك — بسعدك واقبالك — سوف آتى بالأميرة حتى ولو كانت على أوج الفلك أو تحت طبقات الأرض لأن روحى العزيزة قد جعلتها من أجلك •

سر الأمير وأثنى عليه وقال له ، أنت لى أخ • ثم وضع يده فى ساعده وأخرج عشر حبات من الجواهر كان يحملها تذكارا من أبيه ووهبها له ، فقبل سمك الأرض وقال « أيها الأمير اننى واحد من عبيدك روحى العزيزة قد وقفتها عليك • وبعد هذا أخذوا فى تناول الشراب حتى حل الليل وأظلمت الدنيا وذهب خورشيد شاه للراحة وناموا جميعا حتى طلع نهار اليوم التالى •

أمر الأمير أن يعدوا للحرب ، فدقت الطبول ونفخ في الابواق واختفى الفرسان في دروع الحديد والفولاذ واتجهوا للحرب · وحينما سمع قزل ملك — في الجانب الآخر — دقات الطبول أمر أن يخرج الجيش الى الميدان واصطف الجانبان ، وتقدم المشاة أولا للقتال وكان مشاة خورشيد شاه ألفين يتقدمهم سمك العيار · وفي الجانب الآخر ثلاثة آلاف من المشاة والتحموا فقتل من الجانبين نحو ألفين ودخل نقباء الجيش وقالوا النوبة على الفرسان فاستريحوا أنتم · فارتد الفريقان الى أماكنهما ·

خرج فرخ روز من جانب خورشيد شاه وأطلق فرسه في الميدان وكان حصانه هذا أسبق من الريح ، وقد تزين فرخ روز بآلات الحرب وطلب منازلا بكل أنواع السلاح فخرج من جيش قزل ملك فارس اسمه شاهان أجرى فرسه في الميدان ، وكان حصانه في قوة الفيل مزينا بالسرج والآلة · وكان شاهان نفسه مدججا بأربع عشرة قطعة من السلاح · ووقف في مقابل فرخ روز وصاح عليه ما هو نسبك ؟ اذكره حتى اذا كنت تليق بي فبها والا عدت حتى يأتي خورشيد شاه بنفسه ·

صاح عليه فرخ روز وقال « أيها الحقير ألديك الجرأة على ذكر اسم خورشيد شاه ولديه ألف مثل ملكك يعملون حراسا له · أنا عبده فرخ روز هات ما لديك من فنون الحرب والرجولة » ·

قال هذا وهجما على بعضهما وتقارعا كثيرا بالحراب حتى تقصفت في أيديهما ، فسحبا سيفيهما ، وكانا كاملين في الضرب وظلا يتجالدان به حتى استطاع فرخ روز في النهاية أن يضربه ضربة جزله بها · فتصاعدت صيحات الفرح من جيش خورشيد شاه وارتفعت الحسرات في جيش قزل ملك ·

انطلق فارس آخر الى الميدان فصرعه فرخ روز فجاء ثان فصرع أيضا حتى قضى على أربعين رجلا فلم يجرؤ أحد على الدخول الى الميدان ·

قال قزل ملك مازلنا في أول يوم أهكذا تحاربون ؟ آتوني بدروعي وسلاحي فان الدور حل علي · وترجل ليلبس سلاحه ، فتقدم قطران البطل وأدى التحية وقال « أيها الأمير انني سأذهب لكي نكون — نحن عبيدك — في أماكننا عند اللزوم وعلى الأمير أن يستريح · قال هذا وانطلق بفرسه في الميدان فلاحظ خورشيد شاه من مكانه في قلب الجيش أن قطران قد دخل الميدان وهو في غاية الثورة · وقال له الأبطال أيها الملك أعد فرخ روز من الميدان لأنهم يقدرون قوة قطران بألف رجل عند النزال · فاغتم خورشيد شاه وقال لو أعدته فان قلوب جندنا سوف تضعف ويقولون انه خاف · واذا تركته فانني أخشى أن يصيبه مكروه » ·

كان سمك يقف أمام خورشيد شاه فأدى التحية وقال آيها الأمير انني لن أدعهما يتحاربان · ثم جرى في الميدان ووقف أمام قطران وقال له « أيجوز لرجل مثلك يقدرونه بعشرين ألف رجل أن يقف أمام صبي خاصة بعد أن حارب أربعين رجلا ؟ ولو أن هذا ليس عيبا ولكنه لا يعد فخرا لك · فقال قطران ما اسمك أيها الشاب فانك تحسن الكلام ؟ قال ، أيها البطل اسمي سمك العيار · فقال قطران « أيها الفتى اكراما لخاطرك فلن أقاتل · قالا هذا وعادوا ثلاثتهم ودقت طبول الراحة وذهب الجيشان للدعة والهدوء وأخذ الجميع يشيدون بفرخ روز ويثنون عليه » ·

حينما عادوا واستراحوا أمر خورشيد شاه فأقاموا مجلس الطرب ، وانشغلوا به حتى حل الظلام ، فبعثوا بالطلائع وكان كل واحد يتحدث عن فرخ روز فقالت جماعة منهم لا يوجد من هو مثل قطران وكان سمك العيار يقف وراء خورشيد شاه فقال أتقولون أن قطران رجل عظيم ؟ فلو سمح لي الملك لأحضرت قطران مقيدا هذه الليلة · فصاح الثعلب في سمك وقال ، لماذا تقول ما لا تستطيع القيام به · فقال سمك العيار ، يا أستاذي انه — بهمتك وبسعادة الأمير — فقد منحني الله عقلا بحيث أقول ما أستطيعه ، فسر الأبطال من كلامه وانقضت نحو ساعة ثم سأل سمك من أمير الطليعة هذه الليلة ؟ قالوا ، الراعي الأسمر · فقال ، حسنا · وبقي حتى أظلم الليل ·

سـمك يصـطاد فيـلا :

قام سمك وحمل خنجره ووهقه وما يحتاج اليه وذهب الى أطراف المعسكر فرأى الراعي الأسمر وقد ترجل عن فرسه ونام فسحب خنجره وقطع ركابه وحمله معه حين استيقظ الراعي الأسمر وأراد أن يركب فرسه لم يجد ركابه فتحير وتكدر وأخذ يتجول مع الطليعة · وحينما وصل سمك الى طليعة قزل ملك وجد أن أمير الطليعة كان قطور شقيق قطران ·

أخذ سمك ينظر في وسط المعسكر حتى شاهد قزل ملك جالسا على عرشه يتناول الشراب فانتظر حتى نام وخرج قطران وصاح في الحراس أن تنبهوا فقد نام الأمير · ثم ذهب الى خيمته لينام فأخذ ينتظر حتى راح في النوم

دار سمك حول خيمة قطران ونزع أحد أوتادها وانسل الى داخل الخيمة فرآه نائما كأنه فيل ضخم ، وقد ربط أمام باب خيمته حصانا كأنه جبل ، ولجامه في يد سائسه الذي استغرق في النوم ، فوضع قدميه على حلق السائس حتى مات ثم خلع ملابسه ولبسها وجلس مكانه وأخذ يمسح

بيده على الحصان حتى راضه وألف لسمك • وحين أدرك أن ساعة العمل قد أزفت وأن قطران قد غط فى نومه ذهب الى فراشه ونظر اليه ، وقال لنفسه ، انك لست ندا لهذا فلو استيقظ ولكزك لكزة واحدة لقضى عليك ، ولا أدرى كيف أحمله ، وأخذ يفكر فى هذا ثم فك الوهق من على وسطه وربط قدمى قطران فى سكون ثم أحكم ربطه على طرف السرير وجاء الى وسادته وربط يديه بالوهق فى الطرف الآخر للسرير ثم أخرج خنجره وجلس على صدر قطران •

استقيظ قطران ومع أنه كان ثملا الا أنه أراد الجلوس فلم يستطع ووجد نفسه مقيدا ورأى واحدا يجلس على صدره وقد شهر خنجره فقال قطران من أنت ؟ قال سمك أيها الجاهل ألا تعرفنى ؟ أنا سمك العيار ، اذا صحت قتلتك • فخرس قطران وكان سمك قد أعد قطعة من الأديم بللها بالدهن فوضعها فى فمه وأحكم ربطها حتى أصبح قطران عاجزا عن الكلام ، ثم أحكم ربط يديه ورجليه بمهارة ، ثم شق المرتبة التى كانت تحته وأخلاها من حشوها • ثم أدخل قطران فيها وأغلقها وبجهد جهيد ألقاه على الحصان ثم ركب هو الآخر وذهب الى طرف المعسكر وانطلق فى طريقه •

حصـــان أنقذ قطران ؟

من تقدير الله أن حصان قطران كان ذكرا فلما اقترب من الطلائع واشتم رائحة اناث الخيل أخذ يصهل ويرمح (١) وحاول سمك أن يوقفه أو يقوده الى مكان آخر فلم يستطع وكان الوقت وقت عودة الطلائع • فلما رأى سمك هذا ترجل عن الحصان وكانت هناك حفرة ألقى قطران بداخلها أما هو فأطلق ساقيه للريح وذهب •

وحينما كانت الطليعة فى طريقها للعودة ذهبت الى الناحية التى أتى منها الصهيل فرأوا حصان قطران واقفا فتعجبوا وقالوا ما هذا ؟ أنظروا ماذا حدث بحيث وقف الحصان هنا • فقال واحد ان الحصان يركز بصره على تلك الحفرة • وذهب شخصان أو ثلاثة الى الحفرة فرأوا مرتبة ملقاة • فقالوا ان لصا كان يحمل شيئا فلما رآنا ألقاه وذهب • فقال آخرون ولكن من أين جاء الحصان ؟ لعله أراد سرقته أيضا • وحينما حمل المرتبة وجدوها ثقيلة ففتحوها فرآوا قطران البطل ، فصاحوا وحزنوا لهذا الوضع وجاء قطور الى أخيه وفك قيده ولم يجرؤ أحد على سؤاله ماذا حدث • ولم يذكر هو شيئا بل ركب وذهب الى المعسكر ولكنه كان حزينا • وفى صباح اليوم

---

(١) ترمح الفرس اذا ضرب برجليه •

التالى أمر فدقوا طبول الحرب قائلا سوف أعمل اليوم فيهم عملا يتحدثون عنه ما بقيت الدنيا ٠

فى الجانب الآخر ذهب سمك العيار الى المجلس وكان خورشيد شاه قد جلس على عرشه فى تلك الساعة فرأى سمك وسأله فأخذ سمك يروى ما حدث ، فاستغرق الأبطال فى الضحك وقال سمك أيها الأمير ان ذلك الحصان أفسد على الأمر وكلما حاولت أن أقوده الى ناحية أخرى لم يتحرك حتى وصل الجند الى ٠ وكان الحصان قد أفحل(١) ، ولم يكن أصعب من صهيله وكان الخوف أن أضطر لقتله وكان الأبطال مستغرقين فى الضحك فقالوا « يا سمك يجب أن نجعلك لنا صاحبا اذا أتيت لنا بذلك الحصان وأحضرته لنا » ٠

وكانوا يتحدثون فى هذا ويضحكون حتى نزلت رايات الليل وارتفعت أعلام النهار ونزعت الدنيا أرديتها السوداء ولبست حللها الذهبية الحمراء وارتفعت الشمس الى عرشها وأمرت الرعية أن يلتحقوا بخدمة ملوكهم فارتفعت دقات طبول الحرب من معسكر قزل ملك وأخذ الجيش فى تحركاته وكانوا ثلاثين ألف فارس قد اختفوا فى دروع الحديد يتجهون الى ميدان القتال ٠ وكان سمك واقفا أمام خورشيد شاه فقال ، أيها الملك لقد أمر قطران بالتوجه الى الحرب بهذه السرعة انتقاما للأمس لأننى لم أستطع احضاره ، اننى أتحسر على ما وقع لى بالأمس ٠ فضج خورشيد شاه والحاضرون بالضحك ٠

أمر خورشيد شاه أن يخرج الجيش الى الميدان وركب خورشيد شاه وقد نصبوا فوق رأسه المظلة المحلاة بالجواهر وتقدم حتى وقف فى قلب الجيش وارتفعت دقات الطبول الحربية من الجيشين ، وامتلأت الدنيا بالضجيج ، ووقف النقباء وأخذوا فى تسوية صفوف الجيش ، حين عدى قطران بجواده فى الميدان وكان ذلك اليوم على نهد(٢) أصفر شيطانى الشكل سريع العدو ، مدرب على الحرب كأنه قطعة من جبل ، أو أنه من تراب وريح وماء ونار ٠

فرس وأى فرس لو رأيته فكــأنه جبل
وهل رأى أحد فى الدنيا روحا فى جبل ؟

كالفيل اذا ســكر أو الأســد ان ثار وزأر
مكر مفر كأفعى فى الفلاة تنطلق على عجل

---

(١) افحل أى طلب الاناث ٠
(٢) فرس نهد أى جسيم ضخم ٠

كان هذا الحصـــان مزينا بدرع أصفر وسرج محلى بالذهب ولجام مرصع بالجواهر وقد ركبه قطران وهو يرتدى درعا أصفر وخوذة عادية من الذهب المرصع بالجوهر وقد لف ساقيه فى قماش أصفر وحمل سيفين أحدهما معلق فى حمائله ، والثانى تحت ركابه وتمنطق بحزام مرصع بالجواهر ، وحول الحزام سهام مزينة طولها احدى عشرة قبضة ، وقد ارتدى ساعدين وساقين وتوشح بقوس شاشى الصنعة خوارزمى الأثر ووهق من جلد حمار الوحش قد علقه فى قربوص سرج(١)الحصان وعلق عمودا ثقيل الوزن فى مقدمة السرج وأمسك فى يده رأس رمح متل (٢) أصفر وقاعدته تجر على الأرض وكان يبدو بحصانه مزمجرا متوعدا وكان الحصان يقدح الصخر بحوافره فيحوله الى تراب ، واستمر زمنا يجول ويصول . ثم وقف أمام قلب جيش خورشيد شاه وصاح قائلا أيها الأبطال لماذا تخاذلتم ؟ من منكم امتلأت كأس عمره أو تخلى الحظ عنه فليأت ساعة الى الميدان ويجرب نفسه .

قال قطران هذا ، واذا بفارس من جيش خورشيد شاه يدخل الميدان ، وكان اسمه سنجام وهو يركب حصانا أبلق سيقانه تسابق الريح غارق من مفرق رأسه الى حافر حصانه فى دروع الحديد وكان كل ما يرتديه أحمر اللون . وتقدم الى قطران وهو يصيح فيه ويناديه قائلا ، أيها البطل ما كل هذا الصياح والصراخ ؟ هل جئت وحدك الى الميدان ؟ هات ما عندك من فنون النزال ؟ قال هذا فتقدم اليه قطران وصوب الرمح ليطعن به سنجام الذى تلقى الرمح برمحه وظلا ساعة يتطاعنان بالرماح ومع أن سنجام كان بطلا الا أنه لم يكن ندا لقطران ، وظلا مدة يتقاتلان الى أن صوب قطران رمحا الى صدر سنجام وطعنه طعنة نافذة صرع به سنجام ثم صاح قائلا ، أسعدوا أيها الرجال ان كنتم رجالا فأدخلوا الميدان وأبرزوا مهارتكم أين هو فرخ روز الذى أظهر ذات يوم كل هذه الرجولة ؟ أترسلون رجالا كهذا الى الميدان ؟

من تقدير الله أن فرخ روز كان مريضا بألم فى بطنه فنظر اليه خورشيد شاه وقال يا أخى ان قطران يريدك ، فقال فرخ روز « يا سيدى اننى متعب من ألم فى بطنى ولا أستطيع الحركة والا لما تركته يتكلم فاعذرنى » .

---

(١) قربوص أو قربوس السرج مقدمه المرتفع ومؤخرته .
(٢) متل ، شديد غليظ قوى .

طعنة اللسان أشد من طعنة السنان :

بعد هذا كان كل رجل يتقدم من جيش خورشيد شاه الى الميدان فان قطران يصرعه ، حتى صرع خمسين رجلا وكان كلما أطاح بواحد صاح أين أنت يا فرخ روز ؟ تعال الى الميدان وتعلم الحرب ومع أن فرخ روز كان مريضا الا أن طعنة اللسان كانت تؤلمه فارتدى سلاحه وتقدم للميدان ليقابل قطران • فقال خورشيد شاه ان فرخ روز مريض ولا يستطيع القتال • فقال سمك « أيها الملك اطمئن فاننى لن أدع فرخ يذهب للميدان » •

قال هذا وجرى حتى وصل اليهما وقال « أيها البطل قطران كما لم أدعك أمس تقاتله فاننى اليوم لن أدعه يقاتلك فأنت متعب لأنك قاتلت قبله » • فنظر قطران الى سمك وقال « أيها الحقير لقد كنت أنت الذى أردت أن تأخذنى على هذا الشكل المهين • ثم أضاف قائلا أيها الشاب لماذا هذه الشفقة على بحيث لا تتركنا نتحارب » • فقال سمك العيار « أيها الفتى ان الرجل يصل الى رجولته فى سن الخمسين ، وليس من العقل هلاكه فى لحظة فأحدكما مستريح والآخر منهك ، فلا مفر من أن يهلك الآخر سريعا فاذا استراح الاثنان فانهما يبديان فنونهما مدة فلعل الأمر ينتهى الى خير ويقوم النقباء بفصلهما أحدهما عن الآخر ثم ان الوقت متأخر فعودا حتى تستعدا غدا للحرب » •

أعاد سمك الاثنين ودقت طبول الراحة وعاد كلا الجيشان • فلما نزل الجيش جلس خورشيد شاه على العرش وأمر فأقاموا حفل طرب وأخذوا فى تناول الشراب •

فى الجانب الآخر ذهب قزل ملك الى مجلسه وأحضر الأبطال وخلع على قطران خلعة فاخرة وأثنى عليه وجلسوا للشراب حتى ارتحل النهار بضيائه وحل الليل بظلامه فخرجت الطلائع من الجانبين •

كان سمك العيار واقفا عند خورشيد شاه فأدى التحية وقال « أيها الأمير العظيم ـ بسعدك واقبالك ـ سوف أحضر قطران مقيدا الليلة • ثم خرج وسار حتى تجاوز الطليعة ثم أخذ يسلك طرقا غير مطروقة حتى لمح واحدا يتوجه الى معسكر خورشيد شاه وحين رأى سمك قفز فى حفرة كانت قريبة منه وكمن لسمك •

عياران يتعاونان :

قال سمك لنفسه ان فى هذا مؤامرة لأن ذلك الرجل مثلى متجه الى معسكرنا • ثم تغافل عنه كأنه لا يدرى من أمره شيئا • وكأنه ذاهب لقضاء

حاجة ثم القى بنفسه فجأة فوق ذلك الرجل وأمسكه وأخرج خنجره ليقتله فقال ذلك الشخص « أيها الحر من أنت وماذا فعلت لكى تقتلنى ؟ وماذا رأيت منى » ؟ فقال سمك « أيها الحقير ألا تعرفنى ؟ أنا سمك العيار تلميذ الثعلب القوى تابع خورشيد شاه فأصدقنى القول من أنت ومن أين جئت والى أين تذهب ؟ فاذا كنت تريد الابقاء على روحك فهذا سهل • فقال الرجل « يا سمك ، أتقسم على ألا تمسنى بسوء ولا تؤذينى لكى أخبرك بالحقيقة ؟ • فأقسم سمك على ألا يؤذيه ويؤمنه على حياته اذا لم يخنه ويخبره بالحقيقة » •

قال ذلك الشخص « اسمى لهيب من أتباع قطران وجئت لكى أحملك مقيدا اليه » • فقال سمك ، ومن أين نبعت فيك هذه العداوة ؟ من أين أنت ومن أين أنا ؟ وما هذا الحقد الذى فى قلبك على ؟ وماذا قدمت لك من سوء حتى تحملنى الى قطران ، وما فائدة ذلك لك ؟ قال لهيب يا سمك يا بطل الزمان لقد كنت أقف بالأمس أمام قطران فرأيته حزينا • فقلت « أيها البهلوان لماذا هذا الحزن ؟ فذكر لى قصتك وكيف كنت وما فعلت به وحملك اياه والذى لم يتم • ولم يقل لى ماذا كان السبب لأن ذلك غير معروف ولكنه اشتكى لى منك ثم قال « يا لهيب ان لك باعا فى العيارة وسير الليل ، فهل تستطيع الذهاب وتأتينى بسمك مقيدا ؟ فقلت « أيها البطل ، لى حاجة اذا قضيتها أتيتك بسمك مقيدا » ، فقال قطران وما هى حاجتك ؟ فقلت يا بطل العالم هناك واحدة لدى ملك منغوليا اسمها سكينة رأيتها ذات يوم فعشقتها فأطلبها من الملك وزوجها لى • فتعهد قطران أن يقوم بهذا الأمر ويزوجنى من راحة الفؤاد وأعطانى خاتما حتى اذا حملتك اليه أنجز لى ما وعد •

قال سمك العيار يا لهيب عاهدنى وأقسم لى أن تكون لى صديقا ومطيعا لكل ما أقول وأن تحفظ سرى ولا تفشيه لأحد ولا تفكر فى الخيانة ولا تأمر بها ولا تخرج عن طاعتى حتى أجعل سكينة بين يديك واعلم جيدا أن هذا العمل يتم على يدى أفضل مما يتم على يدى قطران •

فرح لهيب وأقبل على يدى سمك ورجليه يقبلهما ، وقال أنا عبد لك فماذا تأمر ؟ ثم أقسم بالله العادل الخالق وبالنور والنار والشمس وبخبز الرجال وبنصيحة الفتيان الا يغدر ولا يفكر فى الخيانة وأن يفعل ما يأمر به سمك وأن يكون صديقا لأصدقائه وعدوا لأعدائه •

سمك يدخل معسكر أعدائه برجليه :

احتضنه سمك وقال له أنت لى أخ • ثم قال يا أخى اربط يدى واجعل الشكيمة (١) فى رقبتى وجرنى الى قطران • وعندما يرانى فسيقول أضربوا رقبته • فتقول أنت ، أيها البطل أى داع للقتل ؟ رجل كهذا دعه الى الغد حتى نحمله الى الميدان ونعلقه هناك لكى يكون شاهدا ودليلا ويعلم الناس جميعا ماذا فعلنا بسمك وماذا سنفعل بالآخرين ، فيقول قطران يلزمنا أحد ليحترز عليه • فتأخذ أنت على عاتقك هذا الأمر وتقول لقد استطعت أن آتى به وأستطيع أن أحافظ عليه أيضا ثم احملنى من هناك الى خيمتك حتى نرتب الأمر من هناك كما يجب وسوف أجعل راحة الفؤاد بين أحضانك وتعاهد الاثنان على هذا •

قام لهيب بتقييد يدى سمك خلف ظهره ، وجعل الشكيمة فى عنقه وأتى به الى المعسكر ، وحينما رأوا لهيب وقد وضع الشكيمة فى عنق شخص قالوا له من هذا ؟ فكان يجيب بفرح وغبطة هذا سمك • فكان كل من يسمع هذا يقول لقد أقدم على عيارية مهولة ويقفنونه (٢) ، وحينما ضربوه على قفاه عدة مرات أسرع سمك ثم قال ، « يا لهيب لا تدعهم يقتلوننى ضربا على قفاى » • فصاح فيهم لهيب وأبعدهم جميعا حتى أتى الى خيمة قطران وسلم عليه وكانت الشكيمة فى يدى سمك ورقبته •

قال قطران « يا لهيب سبعا جئت أم ثعلبا » ؟ قال لهيب « أيها البطل بسعدك جئت أسدا وأتيت بسمك مقيدا » • فنظر قطران فرأى سمك فقال ، « يا أيها الحقير ، لقد أحسنت احضارك ، أم أنك حملتنى الى معسكركم ؟ ألم يكن ينوى أن يأخذنى بالحيلة أضرب عنقه بسرعة » •

قدم لهيب التحية وقال ، « أيها البطل ما الباعث على هذا الرأى أأقتله فى التو واللحظة ؟ أأقوم بعمل كهذا ولا يعلم به أحد ؟ غدا نضرب رقبته فى ميدان الاعدام ثم نعلقه حتى يعتبر الآخرون وتكون لنا من وراء ذلك شهرة • قال قطران ومن الذى يحتاط عليه ؟ قال لهيب لقد استطعت أن أوثقه وأتى به وأستطيع الاحتراز عليه فدعه لى فسوف أحافظ عليه من أجل شهرتى • فقال قطران : « أنت أدرى بهذا » • فأخذ لهيب يد سمك العيار وذهب به الى خيمته وفك قيده وجلسا •

---

(١) الشكيمة الحديدة التى توضع فى فم الحصان وحول فكه الأسفل ويربط بها اللجام •

(٢) يقفنونه أى يضربوه على قفاه •

منذ تلك الليلة التى حمله فيها سمك كان قطران لا يشرب الخمر خوفا منه ولكن حين رآه مقيدا فى يد لهيب قال « احضروا الخمر حتى نشرب على هذا لأننى كنت لا أقرب الخمر خوفا من سمك وقد ارتحت الآن » . فأحضروا الشراب فى الحال وأخذ قطران فى تناول الخمر وشرب كثيرا حتى ثمل ونام .

كان سمك ولهيب ينتظران الى أن نام قطران فنهضا ودخلا خيمته فوجداه ملقى فاقد الوعى فقال سمك « يا لهيب كيف نحمله » ؟ قال لهيب « أيها البطل أنت أدرى فأنا لا علم لى بهذا » فأخذ سمك يفكر ثم قال يا أخى هل يمكنك أن تحصل لنا على مهد ؟ قال لهيب « أيها البطل ان على باب خيمة قطران مهدين كان مهران الوزير قد أرسل بهما امرأته وابنته » . ولم يكد سمك يسمع هذا حتى خرج من الخيمة ورأى المهدين وقال « يا لهيب أبحث لنا عن بغلين فانك تعرف هذا المكان حتى أتولى أنا أمر قطران » .

ما ثقـــل وزنه :

ذهب لهيب لاحضار البغلين ، وقام سمك بوضع قطران فى المهد ووضع فيه كل ما وجد من ذهب وفضة . وجاء لهيب مع بغلين وضعا عليهما المهد ثم قال سمك « يا لهيب استدع ثلاثين عبدا لابسين السلاح وشاهرين السيوف لكى يصطفوا حول المهد ليرافقوا قطران حتى نصل الى المعسكر واذا سألوا ما الأمر ولماذا يجب ان نفعل هذا ؟ فقل لهم ان البطل أمرنى بقوله : « ان سكرت فأحملونى الى أطراف المعسكر وأجعل العبيد يحرسوننى حتى اذا أغار الجيش ليلا لا أكون فى وسط المعسكر » .

ذهب لهيب الى خيمة العبيد وأمر ثلاثين منهم أن يلبسوا أسلحتهم ويشهروا سيوفهم وقال لهم « ان البطل أمر بهذا . ثم أتى بالغلمان وجعلهم حول المهد وكان العبيد فيما بينهم يقولون ما هذا الأمر ، وساروا هكذا حتى خرجوا من المعسكر وعبروا من على يمين الطليعة والغلمان غافلين حتى وصلوا الى أطراف معسكر خورشيد شاه ونظر الراعى الأسمر الذى كان أمير الطليعة فرأى قوما قادمين شاهرين السيوف وفى وسطهم مهد ، وواحدا ممسكا بزمام البغلين . فتقدم نحوهم وتحقق ، فرأى سمك وفى يده الزمام وقد غطى المهد بجلباب وحوله ثلاثين غلاما ، وحين رأى سمك الراعى الأسمر تقدم اليه وحياه وقال « أيها البطل انه قطران وقد أنمته بكل اعزاز واكرام فى المهد ويحرسه ثلاثون غلاما وقد حافظوا عليه حتى يحضره سمك الى هنا ـ والآن عليك بالغلمان .

صاح الراعى الأسمر فى السرية أن أمسكوا هؤلاء الغلمان ، فالتف الجند حول الغلمان وأمسكوهم جميعا ثم سألوا سمك ومن ذلك الشخص الآخر فقال انه أخى . ثم ساروا جميعا مع المهد حتى وصلوا الى الايوان وكان النهار قد طلع وجلس خورشيد شاه على عرشه .

تقدم سمك ثم سلم ، فقال الملك « أيها البطل كيف كنت بالأمس ؟ فقال سمك « أمس ــ باقبالك ــ ذهبت الى قطران وقد أتيت به بكل احترام كما يأتون بالملوك فلقد أنمته فى المهد وقام العبيد بحراسته » ، فقال الملك وأين هم ؟ فخرج سمك وأدخل البغل والمهد عليه كما هو الى الايوان أمام عرش الملك ثم أزاح غطاء المهد فاذا بقطران نائم كأنه فيل ضخم قد ســـكر .

بعد هذا روى سمك قصة احضاره لقطران مع لهيب وكيف وقعت الأحداث فأخذ الأبطال يضحكون من أمر سمك ويثنون عليه . ثم تقدم سمك وأمسك بشاربى قطران وانتزعهما ففتح قطران عينيه من شدة الألم ووضع يده على شاربه ليرى ماذا حدث فقفنه سمك حتى أنه خرج من مكانه من شدة الضربة على قفاه وفتح عينيه جيدا فوقع نظره على خورشيد شاه ورأى تلك الهيبة والبهاء وعظمة الملوك فصمت وقال لنفسه أين أنا ؟ ثم صاح مناديا خدمه فقال له سمك العيار « أيها الحقير لقد ذهب خدمك وهم غضبى لانك أردت ضرب عنقى وأنا أحضرتك حتى اقتص منك لما فعلوه بى من ضربى على قفاى » .

نظر قطران فرأى سمك واقفا مع لهيب ، فقال يا لهيب ما هذا الأمر ؟ وأى حيلة صنعت ؟ فقال لهيب ، « أيها البطل لقد ارتكب سمك ما هو أسوأ من هذا بكثير وحين أمرت بقتله لم ير بدا من أحضارك وهو ليس براض عن هذا الا أن يحضر لك أخاك أيضا حتى يكون الى جانبك ولا يوحشك » . فنكس قطران رأسه .

أفتونى فى أمره :

التفت خورشيد شاه الى الاحمر وضرغام والراعى الأسمر وسام وسمور وكرمون وسنجر وباقى الأبطال وقال أنا غريب بينكم ولا أعلم ما بينكم وبين ملك منغوليا من خير أو شر وقد أتوا بقطران البطل سواء بالشجاعة ، أو بالمكر فاذا أردتم الابقاء عليه فبها واذا أردتم قتله فبها أيضا ، واذا كان يجب تقييده فغلوه وأبقوه واذا كان يجب اعادته فأعيدوه وأخلعوا عليه ، افعلوا ما فيه الخير والمنفعة وأنتم أعلم وأدرى .

أدوا جميعا التحية وقالوا أبقاك الله — فى الأزمنة السابقة علينا كانت منغوليا تدفع الخراج للصين ، وكانوا يأتمرون بأمرنا فلما حلت الصداقة قطعوا الخراج وكانت الدنيا فى هدوء وراحة ، ونرى الآن أنهم قادمون للحرب وليس من الجائز أن رجلا مثل قطران وهو بطل المنغول يقع فى أيدينا ونتركه يذهب من بيننا ، وقال الأحمر شيخ الرعاة ، « أيها الملك ، ان قطران ليس رجلا صغيرا حتى نتركه فان له شقيقين أحدهما قطور والآخر سليم ولابد أن يطلبا أخاهما ولهذا يجب تقييده وأرساله الى وادى الخنزير فى حراسة مائتى فارس وأن نشدد عليهم حتى يجعلوا عليه موكلا يتولى حراسته والحفاظ عليه » ٠

نعود الى حديث أرسال جيش الى وادى الخنزير ٠ فحينما أشرقت الشمس وارتفع نور الصباح وتقهقر الظلام جلس قزل ملك على عرشه وجاء امراء الدولة الى مجلسه ومضت ساعة ولم يصل قطران البطل ٠ فسأل قزل ملك لماذا لم يأت قطران ؟ انظروا ماذا أخره » ٠ وكان هناك خادم من الخاصة وهو رئيس قصر قزل ملك أسمه كافور ، ذهب حتى جاء باب خيمة قطران فرأى الخدم واقفين وستارة الخيمة مسدلة ، فقال لماذا تأخر البطل عن الحضور الى المجلس ؟ ان الملك قال لى أذهب وقل لماذا لم يهيىء البطل قطران للحرب ؟ أما زال نائما ؟ قالوا يا كافور انه لم يخرج للآن من خيمته ٠ فقال كافور ، فليدخل أحدكم ويقول له ان لالا كافور خادم قزل ملك بالباب يريدك ٠ فقالوا يا لالا ، أنت أجرأ وتستطيع دخول كل مكان ، فأدخل الخيمة وحدثه بما تريد ٠ فرفع كافور ستارة الخيمة ودخل فرأى ملابس النوم ملقاة والوسادة خالية والفرس واقف وقطران غير موجود فى أى مكان ٠ فصاح قائلا ان قطران ليس فى الخيمة ٠

أسرع الخدم الى الخيمة وحينما رأوا أن قطران غير موجود تصايحوا ، وعاد كافور الى قزل ملك وأخبره بما كان ، وجاء خدم قطران وقالوا لقد أخذوا كل ما كان من ذهب وفضة وبسط وزينة ، وجاء آخر وقال ، « أيها الملك ان المهد الذى جاءت به ابنتنا مهران الوزير قد أخذ أيضا فنكس قزل ملك رأسه من الحزن ، وقالت جماعة ، « أيها الأمير ان ثلاثين غلاما غير موجودين ، وفجأة جاء رجل يقول ان بغلين من البغال لا يوجد لهما أثر ٠

كيف يحملون بطلا وثلاثين غلاما ؟

طأطأ قزل ملك رأسه زمنا ثم رفعه وقال لأبطاله ، كيف حدث هذا ٠ ان الدواب والذهب والفضة يمكن أن يحملها اللص ولكنهم كيف يحملون بطلا مثل قطران وثلاثين غلاما والمهد ؟ هل يمكن أن يكونوا قد ذهبوا الى

مكان ما ؟ ولكن قطور شقيق قطران أدى التحية مع ثلاثين من غلمانه وقال « أيها الأمير أول أمس حملوه في وسادة خالية • وعندما كنت عائدا من الطليعة وجدتهم قد قيدوه على فرسه وكان الفرس جامحا فلم يسر • وحين وصلنا تركوه وذهبوا فأعدناه الى المعسكر ولم أذكر هذا للأمير رعاية لشعور قطران وحتى لا يخجل منكم ، ولعلهم حملوه مرة أخرى • فسأل قزل ملك وكيف يمكنهم حمله مع ثلاثين غلاما ؟ أى بطل كان ذلك ؟

قالت جماعة كانت قد رأت لهيبا وقد أتى بسمك مقيدا الى قطران ، أيها الأمير لعل هذا العمل قام به سمك فقد رأينا لهيبا بالأمس وقد وضع الحبل فى عنق سمك وقيد يديه خلف ظهره وأتى به الى قطران ، وكنا نقفيه ولم يدعنا لهيب ، فلعل ذلك الرجل صنع هذا •

كانوا فى حديثهم حينما دخل جاسوس وحيا وقال ، « أيها الملك لقد رأيت قطران فى ايوان خورشيد شاه مع ثلاثين من الغلمان مقيدين أخذوهم بالأمس وقد تصادق سمك ولهيب » ومن المؤسف أن يعصى لهيب ويتحد مع سمك • أيها الملك لقد كنت واقفا حتى تلك اللحظة التى قيدوا فيها قطران وأرسلوه الى وادى الخنزير ووهبوا كل غلامين لواحد منهم •

حين سمع قزل ملك هذا الكلام سيطر عليه الحزن وعض ظهر يده بأسنانه غيظا وقال « كيف يمكن أن يحدث فى العالم أن يؤخذ بطل مثل قطران مع ثلاثين غلاما فى ليلة واحدة من وسط ثلاثين ألف فارس ولا يدرى أحد قط ؟ ثم التفت الى الأبطال وقال وماذا ترون ؟ هل نحاربهم أم لا واذا أرادوا هم الحرب فماذا نصنع ؟ فقال الأبطال ، أيها الملك اذا كانوا قد أخذوا قطران فلم يكن سوى رجل واحد ، وسنحارب مابقيت أرواحنا فينا، ثم أدى قطور التحية وقال « أيها الأمير لقد أصبحت تبعة الأمر على وسأجاهد من أجل أخى فاما أطحت برأسى وأما أخرجت أخى من القيد والسجن • فأثنى الملك عليه ودعا للجميع •

النجدة أو ســــلامى الأخير :

قال شاكر صاحب قلمه « أيها الملك يجب أن نقدم على تدبير أفضل من هذا ، والطريقة هى أن نحافظ على الجيش هنا ونأخذ حذرنا أكثر من ذى قبل ونرد الحرب واذا كان لا مفر من أن نحارب حاربنا بهدوء • ثم نكتب للملك ونذكر له ما حدث لكى يبعث الينا بالمدد حتى نستطيع أن ندير الحرب أحسن من هذا •

قال قزل ملك ، « أكتب رسالة بما ترى وتعلم وأذكر بها كل شىء » • فطلب شاكر فى الحال الدواة والقلم وكتب الرسالة •

ذكر الله في أول الرسالة ثم قال ، هذا كتابي أنا قزل ملك عبد ملك الدنيا أرمنشاه ملك العالم وسيدي وأبي العظيم · وليعلم سيدي أنه حينما خرجت بالجيش من لدن الملك بناء على رسالة مهران وقوله لقد عرضنا أنفسنا لاذيال التنين لعلنا نحظى بابنة الملك فغفور ، وقد تبدل طمعنا الى طاعون ولم تصبح أحوالنا كما أعتقدنا وأردنا · وليست كما أخبرونا ولم تأت الأيام وفق مرادنا ، لأن خورشيد شاه نجا من القيد والسجن وكان الملك فغفور قد أرسل لنا ابنته فقطع خورشيد شاه عليها الطريق وأخذها ، وأواها في وادى الخنزير لدى الأحمر شيخ الرعاة وحينما علم الملك فغفور خلع على خورشيد شاه وقدم له جيشا وقبله صهرا وأرسله لحربنا · ومع أن ماه برى ليست في يديه لأنه أرسلها الى القلعة الشاهقة · ومع كل هذا فعندما وصل خورشيد شاه والتقينا بجيشينا يوما قتل خلق كثير من الجانبين ، وفي النهاية سرقوا قطران البطل من المعسكر ليلا · وفيهم رجل اسمه سمك من أصحاب الليل عيار هو الذى خلص خورشيد شاه من السجن ويقوم بأعمال لم يقدم عليها أحد في الدنيا وقد جاهد مهران كثيرا ويجاهد ومصداقا لقوله فقد أرسل الينا أموالا كثيرة وزوجته وابنتيه ، وقد جاهدنا قدر استطاعتنا ولم يستطع مهران أن يقدم شيئا ولا نستطيع نحن أن نفعل شيئا ونحن في مكاننا هنا عاجزون ولا ندرى من قواعد الحرب ورسومها وفن القتال شيئا فاذا كنت تريد أن ترى ابنك مرة أخرى فارسل اليه جيشا بأسرع ما يمكن مع بطل خبير بالحرب مجرب ذى رأى وعقل مع مدد وفير لأن جيشهم لاعد له ورجاله شجعان يخرج الواحد منهم الى الميدان فيصول فيه ويجول يومين ويقتل الكثيرين ، ويقولون أنه فرخ روز شقيق خورشيد شاه ، واذا قصر والدى العظيم في هذا فليبلغ سلامى الأخير الى أمي وأختى والســـلام » ·

فلما أتم شاكر الرسالة قرأها على قزل ملك فاثنى عليه الأمير والأبطال ووضعوا عليها الأختام ثم طلب رجلا عليما بالطريق وســـلمه الرسالة وقال له « أسرع بتسليمها الى أرمنشاه » · وقدموا له جمازة سريعة ذات سنامين مملوءة الفخذين طويلة الساقين شديدة العرق سريعة العدو ، لطيفة الجبين واسعة العين ، بالسير خبيرة قليلة المؤونة بعيدة للمراحل وسلموا هذه الناقة الى الرسول ، فركبها سامان وسار في الطريق منطلقا كريح الخريف ·

في هذا الجانب كان قزل ملك لا يريد الحرب · وقال خورشيد شاه للأبطال أنهم لن يخرجوا للقتال أو الضرب ولعلهم أرسلوا رسالة الى أرمنشاه يطلب المدد ، فيجب علينا أن نخرج ونطلب الحرب ·

قال الأبطال : أيها الملك ، فلنشرب اليوم فانهم لن يحاربوا حزنا على قطران ٠

فأجابهم خورشيد شاه : فليكن لكم هذا ٠ وأخذوا فى تناول الشراب حتى انقضى ذلك النهار وجاء الليل ، فذهب الجميع للراحة وخرجت الطلائع وبقيت حتى انقشع الظلام الدامس وطلع الضوء الباهر فجاء خورشيد شاه الى عرشه وجاء الأبطال الى ايوانه ولم يخرج أحد من جيش منغوليا ليحارب ، فأمر خورشيد شاه أن يخرج الجيش الى الميدان ، فتصاعدت دقات طبول الحرب فى الحال ، ولبس كل الجيش من الخاص والعام دروع الحديد، وامتطى الفرسان خيولهم وخرجوا للميدان ٠

أبلغوا قزل ملك بخروج جيش خورشيد شاه للميدان فقال لواحد من رجاله : اذهب اليهم وقل لهم أننى اليوم متعب بعض الشىء ولن نحاربكم الى أن يحين الوقت ٠

ذهب هذا الرجل الى معسكر خورشيد شاه ووقف أمام قلب الجيش وصاح قائلا ، ان قزل ملك يقول أنه متعب قليلا ولن نستطيع أن نحارب يوما أو يومين لعله يسترد صحته ، وحين ذكر الرجل هذه الرسالة عاد جيش خورشيد شاه الى معسكره ٠

وهكذا كان يحدث كل يومين عندما كان جيش خورشيد شاه يطلب الحرب فيجيبونهم بأن الأمير متعب ويرفضون الحرب الى أن وصل سامان الى عاصمة منغوليا فأخبروا الملك أن رسالة وصلت من الأمير ، ففرح أرمنشاه وأمر فأحضروا سامان أمام عرشه ، وحين دخل سامان وقبل أن يرى الملك الرسالة سأل عن أحوال ابنه ٠ فقال سامان : أيها الملك أنه فى صحة وسلامة ثم أخرج الرسالة وقبلها ووضعها أمام أرمنشاه ٠

تناول أرمنشاه الرسالة وأعطاها لشهران الوزير فأخذها وشرع فى قراءتها وأخبر أرمن شاه بما فيها من شرح لهروب خورشيد شاه من الحبس ومجيئه للحرب والقتال الذى حدث خلال يومين واظهار فرخ روز لمهارته وشجاعته ٠ فبكى أرمنشاه ٠ وكانوا قد أشاروا فى الرسالة الى بعض أعمال سمك لأن مهران الوزير كان قد كتب فى رسالته التى أرسلها الى قزل ملك أن كل الأمور يخربها سمك ٠ وكتب قزل ملك فى الرسالة الى ابيه كل ما علمه وما رآه بنفسه ٠

سأل أرمن شاه « أى نوع من الرجال هذا الذى يدعى سمك وتتم على يديه مثل هذه الأعمال ؟ وكيف يستطيع أن يأخذ رجلا بطلا مثل قطران مع ثلاثين من الغلمان » ؟

قال الذين عندهم علم « أيها الملك ، انه رجل عيار ومازال صغيرا وله أستاذ اسمه الثعلب الفيلم ، تعلم منه الفتوة ودلج الليل ، ويبدو أنه فاق أستاذه فى كل الفنون الى درجة أنه قتل المربية الساحرة ، وابن مهران الوزير والسباع البطل • وكان الثعلب والعيارون وخورشيد شاه وأخوه فرخ روز فى السجن فاخرجهم جميعا • وهو يقوم بأعمال عظيمة كثيرة •

سأل أرمن شاه سامان « هل رأيت خورشيد شاه » ؟

قال نعم أيها الملك ، انه شاب شديد العفة رائع العظمة ، له هيبة الملوك ، ولكننى لم أره فى النزال والطراد ، ورأيت أخاه فرخ روز وهو غاية الشجاعة والرجولة » •

النجـــدة لقزل ملـــك :

أمر أرمن شاه فى الحال أن تحمل خيمته الى خارج المدينة ، وأن يخرج كل الجيش خاصته وعامته • وخرج أرمنشاه من المدينة وأعد له ايوانا كبيرا • ولما حضر كل أمراء الدولة جلس على عادة الملوك ورسومهم ، ثم توجه الى الجند قائلا لهم « أيها الجند والرعية ، اعلموا وثقوا أننى منذ نشأت وأنا معكم فى سيرة حسنة وجعلت كل وقتى من أجل سعادتكم ، والآن فان عليكم أن تسعدوا ابنى خاصة وقد داهمنا هذا الخطب ، فقد القى ابنى بنفسه فى هذه المشكلة لرعونته وجهله ، وشمر عن ساعده لقتال جيش الصين ولم يكن يظن أن الأمر سيصل الى هذا الحد اذ كان يعتقد أنه ذاهب للمصاهرة ، ولكن الأمر انقلب الى الحرب • ان ابنى قزل ملك صغير لا يعرف أساليب الحرب ولا تقاليدها ولا ما يجب عمله • كما أن الأعداء أخذوا قطران البطل ، فمن منكم يأخذ هذا الأمر على عاتقه ويذهب ليكون عونا لابنى يرد العدو ويخرج قطران البطل من القيود والأسر ؟

نهض سليم من وسط الأبطال وقال « أبقاك الله يا مولاى ، ان هذا الأمر يجب أن يكون لى لكى أخرج أخى من السجن » •

فسأله أرمنشاه « كم عندك من الجند » ؟

قال « عندى خمســـة آلاف فارس » فأمر الملك فجهزوهم بالمعدات والسلاح والنفقات • كما أمر بخلعة لسليم كما كانت العادة • ثم قام بطل آخر اسمه سمران وأدى التحية وقال « أيها الملك اننى على استعداد لأن أخدم مع الخمسة آلاف مقاتل الذين معى وأفدى الأمير بروحى » • فأثنى الملك عليه وأمر له بخلعة ومعدات وسلاح • وقف بطل ثالث اسمه فارس وأدى التحية وقال « أيها الملك العظيم تعلم أنه حدثت بينى وبين قطران

خصومة شديدة بسبب الشجاعة التى أظهرناها • وفى عيد النوروز حين يجرب الأبطال بعضهم البعض الآخر فى الميدان ، فقد نازلت قطران ولم يظفر أحد منا بالآخر ولم يرتح أحدنا للآخر وكان يقول فى كل وقت أنه أشد قوة ويمدح نفسه من وراء ظهرى والآن فانه سجين وسأذهب لاخراجه من سجنه بشجاعتى ورجولتى حتى يكون لى فضل عليه • وقد أردت أن أذهب مع الأمير منذ البداية ولكن لأن قطران قد ذهب معه فقد قلت فى نفسى ربما حدثت فى الميدان منافسة أو مجادلة لو أردت الخروج للبراز أو القتال فيقول هو بل أخرج أنا فتحدث مشادة •ولا يجوز أن أتراجع أمام الأعداء •

أدرك أرمن شاه أن فارس بطل شجاع وقال له « كم معك من الجند » ؟

قال « أيها الملك عندى أربعة آلاف فارس اشتريتهم بنفسى وستة آلاف من الخدم » فخلع عليه أرمنشاه ومنحه العتاد والسلاح اللازم لرجاله •

هل من يصطاد الثعلب وسمك :

عندما جهزوا الجميع استعد الأبطال الثلاثة ومعهم عشرين ألف فارس وفى أثناء هذا الحديث واعداد الجيش قال شهران الوزير •• واأسفاه لأن كل هؤلاء الرجال يذهبون للقتال ولا يوجد رجل يذهب ليرد على الثعلب وسمك وأعمالهما •

من تقدير الله أن كان فى منغوليا رئيس للمدينة ، مثلما كان الثعلب رئيسا لمدينة الصين اسمه كانونوكان أرمنشاه يحترمه ويبجلهوكانت المدينة كلها تحت أمره وحكمه ، وله كثير من الخدم ، كما كان يسير على طريقة الثعلب فى الفتوة والعيارة • وكان له خادم اسمه كافور ، وكانوا قد أطلقوا عليه هذا الاسم لأنه كان شديد البياض كالثلج ولبياضه هذا كانوا يسمونه كافور •

حينما ذكر شهران حديث الثعلب وسمك وقال ألا يوجد من يذهب ويرد على أعمالهما ؟

كان كافور حاضرا مع جماعته ، وكان كافور عيارا ماهرا شهما شاطرا فالتفت الى كانون وقال « أيها القائد البطل ، هل رأيت كيف ذاعت فى الدنيا شهرة الثعلب وسمك ؟ فمن هما ومن يكونان حتى يجرى حديثهما على ألسنة الملوك ؟ ألأن حادثتين أو ثلاثا قد تمت على أيديهما ينتشر

اسمهما فى الدنيا ؟ هل يعلمان مالا يعلمه غيرهما من العيارين ؟ وبماذا يتفوقان علينا فى الشهامة والشجاعة ؟ .

قال كانون « هو ذا الذى قلته لأن عملنا مختلف . فهما قد أطلقا على نفسيهما اسم الفتيان ويقيمون فى بيتهم وقد عرفا بالعيارة ودلج الليل والعمل أثناءه ولهذا ذاعت شهرتهما فى الدنيا . ونحن مشغولان بتنفيذ أوامر الملك ولم نقدم على العمل بأنفسنا . ولهذا فلا أحد يعرفنا مع أن لدينا أضعاف ما لديهما من المهارة والرجولة آلاف المرات . ومع هذا فعليك الآن أن تذهب وتأتى بالثعلب وسمك مقيدين .

قال كافور « أيها البطل ، ان كل ما يفعله سمك فهو بشجاعة الثعلب وارشساده ، فاذا جاء القسائد معى فانه سوف يرى كيف آتيه برأسيهما » .

قال كانون « لا تتحدث كى لا يعلم أحد بهذا الأمر حتى أذكر لك ما يجب عمله . قالا هذا وظلا حتى خرج الجيش للقتال وعاد الملك للمدينة مع الخاصة والعامة الذين كانوا قد خرجوا لوداع الجيش » .

أنا آتيك برأسيهما :

حينما أرخى الليل سدوله وأظلمت الدنيا ، نهض كانون ومعه كافور حتى جاءا الى باب الملك ودقاه . فقال الحارس من ذا الذى جاء يدق باب الملك فى منتصف الليل ؟

قال كانون « أخبر الملك أن كانون بالباب » .

قال الحارس للحاجب وأبلغ الحاجب هذا للخدم ، وكان هناك خادم يرأس القصر الخاص اسمه عنبر هو الذى ذهب الى حجرة الملك وكان أرمن شاه مازال مستيقظا حين حياه الخادم وقال « أيها الملك العظيم ، ان كانون القائد على باب القصر يستأذن فى اللقاء لأن لديه كلاما هاما » .

قال الملك . أدخلوه لنرى ماذا يريد فى منتصف الليل .

فتحوا باب القصر وجاء كانون الى حجرة الملك وأدى التحية لأرمنشاه وقبل الأرض أمامه ثم قال « أيها الملك العظيم ، أتدرى لماذا جئت فى منتصف الليل هكذا ؟ لقد جئت لأننى أسمع أن شهرة الثعلب وسمك قد طبقت الآفاق لأنهما قاما بعملين أو ثلاثة ، ويظنان أن الدنيا ليس بها رجل يعرف الأمور أحسن منهما ، وبالأمس قال شهران الوزير ، ألا يوجد لدينا رجل يذهب ويرد على أعمالهما ؟ ولم أشأ أن يعلم أحد بهذا الأمر . وقد أتيت

حتى يسمح لنا الملك بالذهاب ـ وسعده حليفنا ـ لآتي برءوس الثعلب الفيلم وسمك وملكهم خورشيد شاه ، فمن هم فى هذه الدنيا حتى يخالفوك ويحاربوك ؟

قال أرمنشاه « يا كانون ، انك ان فعلت هذا جعلت مكانتك تعلو على النجوم والافلاك ، وسأجعل أمرك نافذا فى كل الولاية ، وسأختارك نائبا لى • ثم أعطاه خاتما وقال « يا كانون » أجتهد فى أن تأتي بخورشيد حيا لأنه أمير ، ولا يجوز قتل أبناء الملوك ، خاصة وأن من له أبناء لا يستحل قتل أبناء الغير • وأنا أعلم ما فى قلب أبيه ، فابنى ذهب منذ نحو ثلاثة أشهر ومع أن الطريق قريب ، وأعلم مكانه ، ويصلنى خبره كل يوم ولكن يعلم الله ماذا يعتمل فى قلبى ، وما أدراك ما فى قلب مرزبان شاه والطريق بعيد ، ولعله ترك والده منذ عامين أو ثلاثة ولا يعلم من أمره شيئا ، ولا يدرى فى أى مكان هو ، واذا كانوا قد نقلوا اليه خبرا وأنه فى السجن ـ فنعوذ بالله ـ مما فى قلبه من تباريح الجوى والألم • أنا أدرك ما فى قلب مرزبان شاه من ألم الفراق على ابنه فالآباء يحسون آلام قلوب الآباء لابنائهم • فلا يعرف الآلام الا الذين يتألمون • فاحذر أن تلحق به أذى واتنى به حيـــا » •

عندما قال أرمن شاه هذا حياه كانون وقال « سمعا وطاعة » • وخرج من لدن أرمنشاه وذهب ومعه كافور فى أثر الجيش ولكنهما لم يختلطا به أو يتصلا حتى لا يقف أحد على أمرهما • وسار جيش المنغول وهما خلفه من بعيد •

ليس لدينا أوامر ••••

نعود الى حديث المعسكر • فيقول مؤلف الأخبار أنه حينما كتب قزل ملك الرسالة لأبيه وأوقف الحرب كان خورشيد شاه يريد أن يحارب ، وكانوا يمنعونه من ذلك حتى تجاوز الأمر حدوده فخرج يوما للقتال ، فقال قزل ملك لرجاله « وما التدبير ؟ لقد طال المدى ولا نستطيع أن نمنع القتال أكثر من هذا » •

قال شاكر صاحب قلمه « أيها الأمير ، لدى حيلة وهى أن نرسل شخصا الى خورشيد شاه ليقول له أننا لا نريد القتال ، وقد بعثنا برسالة الى أرمنشاه ونحن فى انتظار الرد اذ أن أرمنشاه كان قد أرسل قطران لهذه الحرب ، ولما كان قطران ليس بيننا فليست لدينا أوامر بالقتال • وحين يصل الرد من أرمنشاه فان أمرنا بالحرب حاربنا والاعدنا » •

قال قزل ملك « لقد أحسنت التدبير ، ولن نحارب حتى يصل الجيش والمدد » • ثم قال « ترى من نرسل حتى يستطيع أن يتحدث ؟ •

قال شاكر نرسل قطورا لأنه يجيد الكلام » •

استدعوا قطور وحدثوه بهذه الأمور فقال « سمعا وطاعة » وخرج فى التو والساعة الى الطريق وسار حتى وصل الى أطراف معسكر خورشيد شاه فأخبروه أن قطور أخا قطران قد وصل •

أمر خورشيد شاه أن يزينوا المجلس ، وجلس على العرش والتاج على رأسه وأمراء الدولة فى حضرته ، وجلس القواد والأبطال على كراسى ذهبية وفضية على الجانبين ، ووقف فرخ روز خلف خورشيد شاه على يمين العرش وقد تدلى سيفه من حمائله ، وقد أمسك بصولجان ضخم ، وجلس الأحمر البطل والثعلب والفيلم • وعلى يسار خورشيد شاه جلس سمور البطل الذى يمت بقرابة للملك فغفور ، وضرغام وأسمر وسام وسنجر ، كما اصطف صفان من الغلمان من أمام العرش حتى نهاية المجلس •

أمر خورشيد شاه بادخال قطور ، فتقدم الحجاب والنقباء ورافقوا قطور من بداية المعسكر الى أن ترجل ، فرأى ذلك الاستعداد والترتيب والنظام الملكى فأعجب به ، ودخل المجلس وألقى نظره على خورشيد شاه فرأى هالة الملك والهيبة والرهبة فتعجب وأدى التحية وقبل الأرض وأخذ فى الثناء والمدح •

أشار خورشيد شاه فأجلسوه على كرسى ذهبى • وفى الحال دخل السقاة وقدموا ماء الورد ، وبعد ذلك مدوا الموائد ، وأتوا بكل أصناف الطعام وألوان الأكل ، فلما انتهوا من طعامهم ، أقاموا مجلس الطرب وغنى المغنون ودار السقاة بالشراب •

وقف قطور البطل وأدى التحية وقال •• أبقى الله مولاى ، لقد أتيت برسالة ويجب أن أبلغها قبل أن يعجز اللسان عن البيان ، ويذهب الفؤاد لأن الخمر تقضى على العقل ، واذا ذهب العقل عجز اللسان عن الكلام ، وأقول أن الأمير قزل ملك حملنى برسالة مؤداها أننا لم نأت الى هذا المكان مختارين ، ولكن هذا ما حدث اذ أن قطران البطل هو الذى جهز لهذا الأمر وأعد وهو الذى دبر للحرب • والآن وقد وقع قطران فى أسر الأمير فاننا لا نستطيع أن نقاتل لأنهم لم يأمرونا بالحرب • وقد أرسلنا رسالة للملك لنرى ما يأمر به ، فاذا أمر بالحرب حاربنا والا عدنا • وذلك حتى لا تتعب نفسك ــ أيها الملك ــ ولا تخرج للحرب لأننا لن نحارب الى أن تصلنا رسالة الملك •

قال خورشيد « ليكن هذا ، لقد طلبتم المدد وسنحارب عندما تطلبون الحرب » . ثم أمر بخلعة لقطور وأعادوه .

حين خرج قطور ، أدى سمك التحية وقال « أيها الملك ، لا تغفل عن مكرهم فانهم يحتالون ويخدعون لأنهم طلبـــوا المدد ، ولن يحاربوا حتى يفاجئونا بالهجوم ، وقد فعلوا هذا كثيرا ، فان استطعت أن تترك الشراب من أجل نفسك وحفاظا على الجيش الى أن تتضح الأمور ، لأن لدى عملا وأريد الذهاب الى القلعة الشاهقة لأعرف أحوال ماه برى وما صارت اليه أمورها .

قال خورشيد شاه « هكذا سأفعل » . ثم أمر بالمنادى فى الجيش ألا يشرب أحد الخمر الى أن يأمر الملك . وبقوا على هذا لا يقربون الخمر . بينما عاد قطور الى قزل ملك وأخبره بما كان فاطمأن .

نعود الى الحديث عن ماه برى والقلعة الشاهقة وكيف حملوا ماه برى الى هناك . فحينما قال سمك لخورشيد شاه لاتشرب الخمر ، التفت الى الأحمر وقال له « أيها البطل ، خذ حذرك لهذا الأمر ولا تغفل لأن الأمير شاب غير مجرب حتى لا يخدعه العدو أو يمكر به ، ثم طلب خاتمه وقال له . اعطنى الخاتم الذى عليه توقيعك وعلامتك لحاجتى له ، فأعطاه له الأحمر شيخ الرعاة .

أخذ سمك يد لهيب وخرجا من المجلس ثم قال « يا لهيب لنذهب أولا ونطمئن على ماه برى حتى نريح القلب من أمرها ثم أذهب معك الى منغوليا وأضع سكينة بين يديك . ففرح لهيب وقال لا بأس .

سار الاثنان حتى وصلا الى سهل الخنزير عند رجال قطران وقالا لهم « ان الأحمر يقول لكم لاتغفلوا عن قطران حتى لايفــر من الســجن أو يهرب . ثم تركوا ذلك المكان وساروا حتى وصلوا الى أســفل القلعة الشاهقة وكان الليل قد حل فقال سمك « يا لهيب علينا أن نبقى هنا حتى يطلع النهار لأنه لايجوز الصعود الى القلعة ليلا . ثم بقيــا حتى أشرق الصباح .

دار سمك حول القلعة فرأى جبلا قد خلقه الله عز وجل منفصلا عن بقية الجبال ، مستديرا كأنه بيضة طائر وقد ارتفع الى السماء ويصعد اليها طريق دقيق لا يستطيع أن يسير فيه الا فارس واحد . فتعجب سمك وقال « لو أن جيوش العالم اجتمعت تحت هذه القلعـة لما اســتطاعت الاستيلاء عليها فلا توجد فى الدنيا قلعة مثلها » . ووقف سمك ينظر الى القلعة وهو يعض اصبعه تعجبا ودهشة من تلك القلعة التى تناطح السماء وتتطاول على الأفلاك كما لو كان الشاعر قد وصفها بهذه الأبيات :

أى قلعـــة لم تتحدث عنهـــا الركبان
أى حصن لم يشر اليـــــه بالبنـــان

فـــى ظلهـــا يدور الفلك الدوار
فى سفحهـــا يعيش البوم والغـــربان

ما اســتطاع الفلك لهـــا لمســا
وارتد عنهـــا البصر وهـــو حسران

لا يرقى الفلك الى ساحتهـــــــا
ولا يحـــوم حول قاعدتها الشيطان

عجزت الريـــح عن بلوغ هامتهـــا
لا بـــل عجزت عنهـــا كل الجان

فى غلظتها ككف أجير أو حجـــار
وفى ظلمتها كقلب غمر بلا ايمان

حينما شاهد سمك القلعة على هذا النحو قال « يا لهيب أهى عامود من السماء ؟ يجب علينا الصعود الى هذه القلعة • ثم سارا حتى اقتربا من الباب فرآى الحارس من فوق القلعة شخصين فصاح •• من أنتما ؟ فرد سمك صائحا « نحن من الأصدقاء » • فلما وصلا الى باب القلعة نظر سمك فرأى ضلفتى باب من الحديد وقد أحكمتا بالحديد والقصدير حتى أن مهرة الحدادين وأساتذتهم لو أرادوا خلعه فى عشرة أيام ما استطاعوا ذلك •

تعجب سمك وقال « قل للمقوقر بطل القلعة أن رسولين قد جاءا من عند الأحمر شيخ الرعاة ولديهما ما يقولانه للمستحفظ •

قال الحارس هذا الكلام للنقباء لينقلوه الى المقوقر وهو أن رجلين بالباب يقولان أنهما قادمان من عند الأحمر ولديهما ما يقولانه •

قال المقوقر : أنظر من هما ، ولأى أمر جاءا وأى علامة لديهما ؟ فجاء حاجب وقال من أعلى القلعة : ان المقوقر يسأل لأى أمر جئتما وأى دليل لديكما ؟

قال سمك « معنا خاتم الأحمر وجئنا لأمر هام ونحن سمك ولهيب • فعاد الحاجب وذكر ذلك للمقرقر •

تعجب المقوقر عندما سمع اسمى سمك ولهيب وطأطأ رأسه واغتم وكان حزن المقوقر لأن ماه برى كانت بالقلعـــة • وكما ذكرنا من قبل فالمقوقر ابن مربية ماه برى الساحرة الشريرة ، وكان قد رآها فى طفولته فأحبها وباح بحبه لأمه الشريرة فقالت له ان ماه برى ابنه ملك وانت

ابن مجهول ولن يعطيها لك لأنك لا أب لك · وكان هذا الكلام الذى قالته لأبها كانت قد اقترفت كثيرا من الآثام · اذ أن كل من كانت تراه كانت تصادقه ولهذا فكل ابن كانت تلده لم تكن تعرف له أبا ·· ولهذا لم تكن تعرف ابن من كان المقوقر ولا تعرف أباه ولكنها قالت له يا مجهول الأب : أصبر فقد رأيت حلا ومخرجا اذ سوف أحضر الأمراء لخطبة الفتاة وسوف أسألهم عن لغز شجرة السرو الناطقة فلا يعرفونه وأحبسهم · وحينما أعلم أن أحدا آخر سوف لا يأتى لخطبة الأميرة فاننى سـأقول لك لغز شجرة السرو الناطقة حتى تتقدم لخطبتها وتحل اللغز · وسوف يضطر الملك لاعطـاء الفتـاة لك ولا يستطيع ردك · وبهذا الكلام كانت تهدىء ابنها حتى جعلوه مستحفظا على القلعة الشاهقة وبعثوه الى هناك حيث كان ينتظر أن تذهب اليه أمه المربية فى أية لحظة لتراه وتبشره وتقول له لقد آن الوقت فلما صارت الأمور الى ما صارت اليه لم يكن المقوقر قد علم بمقتلها ·

حينما حملوا ماه برى الى القلعة عند المقوقر تطلع الى جمالها فرأى ذلك الوجه المنير والشعر الحرير والقد المشوق والطلعة البهية فتجدد حبه لها وشغف بها حبا لأنها كانت أكثر جمالا مما كان قد رآها · وكان فى القلعة جنـاح ملكى فأرسل الأميرة مع جاريتها ولالا صالح الى ذلك الجناح · وقالت الأميرة لا أريد شخصا آخر يدخل علينا الا لالا صالح الذى يأتى الينا كل أسبوع ليحضر لنا ما نحتاج اليه · وحين أعد الجناح بقيت فيه الأميرة ·

كان الخبر قد وصل الى الصين أنهم حملوا الأميرة الى القلعة فجاءت اليها بعد أسبوع بهجة الروح المطربة وجارية اسمها أرغوان التى كانت رئيسة قصرها وجارية أخرى اسمها ألفت كانت صاحبة خزينتها ·

حينما وصلت بهجة الروح وهاتان الجاريتـان فرحت ماه بـرى بقدومهما فرحا عظيما ، ولو أنها كانت حزينة لبعدها عن خورشيد شاه وكان ذلك الجنـاح الملكى بحيث لو صعدت اليه لشاهدت الى أبعد من مائة فرسخ من كل ناحية · ولهذا فان كل ما كان يقع فى محيط هذه المسافة كان يشاهد من هناك حيث كانت تقيم ماه برى · وذات يوم قالت لجاريتها ألفت « لقد خدمت كثيرا ولازلت تخدمين وعليك الآن أن تصعدى كل يوم فوق هذا المبنى وتراقبى وصول أى أحد وتخبرينا بذلك وهذه خدمة عظيمة تؤدينها لنا » ·

فقالت ألفت « سمعا وطاعة » وتعهدت بالقيام بهذا الأمر ··

كانت ماه برى تقضى ليلها ونهارها فى الشراب مع بهجة الروح ، وكان كل ما يحتاجون اليه كان لالا صالح يذهب الى المقوقر ويطلبه منه فيجيبه المقوقر سمعا وطاعة .

ذات يوم سأل المقوقر لالا صالح قائلا « لماذا لم تأت أمى مع الأميرة ؟ ولم يكن لالا صالح يدرى أنه ليس من الصالح ذكر الحقيقة فقال : أيها البطل ، لك طول البقاء ، فقد قتلوا أمك » .

أرسل المقوقر آهة عالية ، ووقف فى مكانه وقال « ومن ذا الذى قتلها ولماذا » ؟

قال لالا صالح « قتلها سمك العيار » .

فسأل المقوقر « ولماذا ؟ فأعاد لالا صالح على مسامع المقوقر ذكر القصة منذ بداية وصول خورشيد شاه الى تلك اللحظة التى جاءوا فيها الى القلعة . وحينما سمع المقوقر قصة قتل أمه وكل تلك الأحداث التى وقعت ، أخذ فى البكاء على أمه والنـــواح عليهـــا ، ثم أمر فأعطوا لالا ما طلبه وعاد .

جلس المقوقر يتقبل العزاء وكان يفكر ويقول فى نفسه « ان الله هيأ لى الأمر ، فحينما راحت أمى دون أن ترسل لى ماه برى التى كنت أريدها ، جاءت هى بنفسها الى ، وسأبقيها فى القلعة حتى تهدأ ثم أخذها لنفسى وأتحصن فى القلعة ، ولن تستطيع جيوش الأرض أن تنالنى . وسوف أفعل فى سمك والثعلب وخورشيد شاه عملا يتحدث عنه الناس ما بقيت الدنيا . وكان يطمئن نفسه بهذا .

حينما رجع لالا صالح من عند المقوقر كان حزينا ، فسألته الأميرة لماذا هذا الحزن يا لالا ؟ فذكر لها ما قاله للمقوقر كلمة بكلمة ، فبهتت الأميرة وقالت « يا أيها الجبان ، هل ذهب عقلك وجننت ؟ هل يفعل أحد هذا فيلقينا فى البلاء ونحن فى مثل هذه القلعة الحصينة ؟ متى سنتخلص من هذه القلعة ومن يدى ابن الفاعلة هذا » ؟

قال لالا : أيتها الملكة ، لم أكن أعرف ، وهذا خطأ منى . فقالت الأميرة : يا لالا ، احترس وتيقظ وكن حريصا معه .

جرى هذا الحديث وبعد يوم ذهب لالا الى المقوقر من أجل الغذاء ، فأمر باحضار خلعة حسنة وضعوها أمام لالا صالح ومعها صرة بها ألف دينار . فأدى لالا التحية وقال لنفسه لابد أن هناك شيئا دفع المقوقر أن يعطينى الخلعة .

قال له المقوقر يا لالا ، تعلم أن أمي التي راحت كان لها عليك حقوق ولك أن تحزن عليها وتأسف ، وأنت تعرف أنني منذ طفولتي وأنا أعشق ماه برى وكنت لا أتقدم لخطبتها خوفا من الملك ، ولأن أمي لم تكن تتركني أتقدم لخطبتها ، والآن وقد ذهبت أمي وجاءت الأميرة الى ، فقد أرسلها الله لى ، فهل يمكنك أن تخبرها بما فى قلبى وتذكر لها حالى حتى تتزوجني وتبقى فى هذه القلعة لأنه لو اجتمعت جيوش العالم فانها لن تقدر علينا ونقضى أيامنا هنا فى القلعة ، لأن بها أموالا كثيرة من كل صنف ولون ؟ وأخذ يحدث لالا ويكلمه بكل حديث وكلام ٠

قال لالا : أيها البطل ، انني لا أجرؤ على ذكر هذا الحديث للأميرة أو أتفوه به لأنها تقتلني ، وأنا لا أريد ــ بعد هذه السنوات العديدة التي خدمتها خلالها والسمعة الطيبة التي حصلت عليها ــ أن أموت بسمعة سيئة ٠ فدبر أمرك بطريقة أخرى فليس هذا عملي ٠ قال هذا ثم نهض وذهب ٠

حينما رأى المقوقر هذا الرفض من لالا قال لنفسه ما كان يجب أن أقول هذا وعلى أن أجد طريقة أخرى ٠

فى الناحية الأخرى عندما جاء لالا الى الأميرة واحضر لهـــا ما كان يلزم ، لم يذكر لها شيئا مما حدث ، وبقى حتى تلك الساعة التي جاء فيها سمك ولهيب الى القلعة فحزن المقوقر وقال لنفسه ماذا أصنع ؟ اذا لم أفتح الباب أكون قد غدرت ، ولا أعلم ماذا سيصير اليه أمر الفتاة ، وعصيان الملك مما يقضى على الحرمة والاحترام ٠ ثم قال : انهما ليسا أكثر من شخصين أدخلهما الى القلعة وأقطع رقابهما ، فاذا قالت الأميرة لماذا فعلت هذا أقول « لقد انتقمت لأمي » ٠

فكر فى هذا ، ثم أمر أن يفتحوا باب القلعة وأدخلوا سمك ولهيب وما كاد سمك يضع قدمه فى القلعة حتى قال « يالهيب ، بتوفيق الله واقبال الأمير ، أخذنا القلعة ٠ فاثنى عليه لهيب وذهب الاثنان الى قصر المقوقر فمنعهما الخدم عند الباب من الدخول حتى أخبروا المقوقر الذي أمر بادخالهما فدخلا وقدما التحية ٠

أجلسهما المقوقر وسألهما عن أحوال خورشيد شاه والأحمر فقال سمك : لقد خرجوا للحرب يومين ووقع قطران البطل فى الأسر وقيدوه فى وادى الخنزير ٠

سأل المقوقر : قطران البطل التابع لأرمن شاه ؟

قال سمك : نعم ٠

سأل المقوقر مرة أخرى : أى بطل استطاع أن يمسك به ؟

قال سمك لنفسه لو قلت أنا فعلت ذلك وأتيت به فسوف يخافنى ويحذرنى • فقال : أيها البطل ، نزل خورشـيد شاه الى الميدان فقتل خمسين رجلاً وفى النهاية جاء قطران فبارز خورشيد شاه مدة حتى أوقعه خورشيد شاه وقيده وأتى به •

حينما سمع المقوقر هذا تملكه الخوف من شجاعة خورشيد شاه فقال : ما أحسن هذا ، يبدو أن خورشيد شاه بطل عظيـم • ثم قال : يا سمك ، لماذا جئت ؟

انطلق سمك فى الحديث فقال : أيها المستحفظ ، لقد أرسلنى الأحمر شيخ الرعاة كى أخبر البطل المقوقر حتى يأخذ ـ وأنا معه ـ احتياطه ويأتى بمؤن جديدة ويحافظ على خزانات الماء ، كما أمـر أن يحضروا عشرين ألف حمل من القمح من وادى الخنزير الى القلعة لأن الجيشين وجها لوجه فاذا انقلب الوضع التجأنا الى الوادى والى القلعة ، واذا انتصرنا فان الاحتياط لا يضر • ولقد أرسلونى لهذه المهمة وأحضرت خاتما علامة على ذلك • ثم أخرج الخاتم وأعطاه للمقوقر •

حينما رأى المقوقر الخاتم ، أدى التحية وصدق كلام سمك ، وأخذ الخاتم وقبله وقال ، سمعا وطاعة ، وأمر فى الحال باستـدعاء نقيب القلعة ، وأحضر مفاتيح المخازن التى كانت بها المؤن وأعطاها له وقال له : اذهب الآن مع سمك وتجول فى كل أنحاء القلعة وأره كل المؤن وخزانات الماء والحبوب وافعل كل ما يجب عمله • وقال المقوقر لنفسه : أشغلهم بهذا حتى يطمئنوا ثم أفكر فيما سأفعله بهما • وأخذ نقيب القلعة يتجول مع سمك ولهيب • وكان هدف سمك هو أن يرى كل مكان ويعرف مخازن السلاح ويعلم أين توجد ماه برى •

كان اسم نقيب القلعة الشاهقة هو نظيف ، وكان سمك ولهيب يتجولان معه حتى وصلا الى الجناح الملكى ، فوصل الى أذن سمك صوت بهجة الروح وهى تغنى ، فتعجب كيف وصل اليه فقال : يا أماه ، حرام أن تشربى بدونى • « فترامى الى سمع بهجة الروح صوت سمك فقامت من مكانها وأدت التحية لماه برى وقالت : أيتها الملكة ، لقد سمعت صوت صديق » • وفى الحال أخرجت رأسها من الباب فرأت سمك العيار • فقالت : أيتها الملكة ، أريد البشرى فقد جاء سمك •

نظرت الأميرة من النافذة فرأت سمك وهو ذاهب مع شخصين ففرحت وقالت : يا لالا صالح ، اقتف أثر سمك وانظر أين يذهب •

خرج لالا صالح من القصر وذهب ليقتفى سمك ، فلما سار قليلا نظر سمك فرأى لالا صالح يتتبعه ، فأدرك أنه يريده • فالتفت الى نقيب القلعة وقال ، أيها البطل نظيف ، يكفى ما تجولناه اليوم ، فانزلنا فى مكان نستريح فيه لأننا جئنا مسرعين ، وغدا نشاهد ما تبقى من القلعة حتى نعمل كما يجب • فأخذهما نظيف الى حجرة أنزلهما بهـا وعاد • فبقى سمك ولهيب فى الحجرة وكان لالا صالح يراقبهم ، فلما رأى أن نقيب القلعة قد ذهب جاء الى سمك وأدى التحية •

قام سمك واحتضن لالا صالح ثم أجلسه أمامه وأخذ يسأله عن كل أحوالهم ، ثم قال : يا لالا ، ألم تعلم أنه لم يكن من الواجب حضوركم الى هذه القلعةووضع أنفسكم فى أيدى العدو ؟ لقد جئت الى هذا المكان كى أخلصكم بأية وسيلة من أيديهم ـ أعاننا الله • ثم قال : يا لالا ، قل لى ألم يتحدث معك المقوقر منذ وصلت الى هنا أى حديث عن ماه برى؟ وألم يرسل رسالة مع أى أحد ؟ ألم يزد فى النفقات أو ألم يذهب للسلام على الأميرة ؟

قال لالا صالح : أيها البطل ، لم يحدث هذا الا يوما ، ولم أكن أدرى • وذكرت له كل الأحداث من أولها الى آخرها ، وبعد ذلك بكى مدة على أمه وقال هل قتل سمك العيار أمى ؟

قلت : نعم • فهز رأسه • وبعد يومين حين ذهبت اليه خلع على ووضع أمامى صرة بها ألف دينار وحدثنى بمكنون قلبه • ثم ذكر لالا صالح كل ما قاله المقوقر وما أجابه به • فنكس سمك رأسه عندما سمع ذلك ثم قال : لقد أصبحت الحال شيئا آخر • وسأل لالا قائلا : هل أبلغت ماه برى شيئا من هذا ؟ قال لالا صالح : لا •

قال سمك : انهض الآن واذهب الى ماه برى وأبلغها سلامى ، وقل لها أننى وضعت رأسى على كفى وجئت اليك ، ويجب عليك أن تبعثى الى المقوقر رسالة تقولين له فيها : أيها البطل ، تعلم أننى وأنت رضعنا من ثدى واحدة ، وكنا منذ طفولتنا معا ، وقد وهبتك قلبى وعشقتك ، ولم أكن أستطيع الافصاح عن هذا خوفا من المربية حتى جاء سمك وقتلها وقد حزنت حزنا عميقا ، ولم أستطع أن أفعل شيئا • وقد أرادوا أن يزوجونى لخورشيد شاه ، وقد أنقذت نفسى من أيديهم بألف حيلة وجئت الى هذه القلعة والسبب كان حبك • والا ماذا لى فى هذه القلعة ؟ ومن ذا الذى كان يجرؤ على احضارى اليها سوى من أجلك ؟ واخدعيه بحبك له ثم قولى لقد سمعت أن سمك وشخصا آخر اسمه لهيب عيار مثله ، قد وصـلا الى هذه القلعة ولا أشك فى أنهما جاءا من أجلى ، ولقد هربت من أيديهما ،

فيجب أن تفصل رأسيهما عن جسديهما بحيث لا يشعر أحد • ثم لاتدع أحدا آخر يأتي الى القلعة • وحينما ينتهي منهما فتعال عندى لأن لى معك حديثا حتى أقول لك ما يجب عمله •

كان لهيب ينصت الى هذا الحديث فقال : اهنأ يا أخى واسعد ، فان كلامك هذا سوف يلقينا فى التهلكة • فتبسم سمك وقال : يا لهيب ، أتخاف على روحك هذا الخوف العظيم ؟

نهض لالا صالح وذهب الى ماه برى وذكر لها كل ما قاله سمك وشرح لها ما كان المقوقر قد حدثه به من قبل • فتعجبت ماه برى ثم قالت ، انك ترى حالنا وكيف صارت الى ما صارت اليه مع المقوقر ، والحمد لله أن سمك العيار جاء هنا ولن يدعنـــا فى هذا المكان بين يدى المقوقر • أما هذا الحديث الذى حدثك به سمك العيار فهو حديث مجانين •

تكلمت بهجة الروح وقالت : أيتها الملكة ، انك لاتعرفين أحوال سمك فهو فى رجاحة العقل والمعرفة وصواب الرأى وحسن التدبير فوق مايمكن وصفه أو الحديث عنه ، ومن بين آرائه الحيلة التى أحضر بها خورشيد شاه على تلك الزينة اليك ، وله أعمال أخرى خلصك بها من قزل ملك ولأنه لم يكن موجودا فى ذلك اليوم الذى أتوا بك فيه الى القلعة والا لما تركك تجيئين ، وهو فى كل الأمور يعرف أفضلها ، فافعلى ما يأمر به لأنه جاء الى هذه القلعة من أجل ذلك والا فان جيوش الدنيا كلها لن تستطيع الاستيلاء على هذه القلعة •

قالت ماه برى : يا لالا ، اذهب للمقوقر وقل له ما قاله لك سمك العيار فأنا لا أدرى ماذا ستصير اليه هذه الأمور • أنت وسمك تعلمانها •

أدى لالا التحية وقال : أيتها الملكة ، أنا أعلم كيف يجب أن أتحدث وسوف أتكلم بكلام أحسن مما قاله له ، ولكننى لا أستطيع القيام بعمل مثله •

خرج لالا صالح وذهب الى المقوقر وأدى التحية ودعا له ثم قال : أيها البطل يلزمنا بعض السكر ، والسكر النبات لأن الملكة تريدها •

قال المقوقر : » يا لالا ، أراك مبتسما « •

أدى لالا التحية وقال : أيها البطل ، اننى أتعجب من أمرك أولا لأن الملكة عاتبة عليك وتبعث سلامها اليك وتقول لم أر رجلا أقل وفاء منك • فمنذ مدة طويلة جئت الى القلعة ولم تتذكرنى يوما واحدا ، ولم تأت الى ولم تسأل عنى وأعلم أنك لاتحبنى ولهـذا لاتتذكرنى ولكن حبك فى روحى ، وقد كنت طفلة عندما استولى حبك على قلبى ، ولم أحضر الى هذه

القلعة الا من أجل وصالك ، وكان القصد هو رؤيتك وقد أوصلت نفسى الى هذه القلعة بكثير من الحيل ولا أرى أثرا للحب عندك .

قال المقوقر : يا لالا ، ألم تقل لها ما حدثتك به ؟

قال لالا : اننى لا أجرؤ أن أحدثها حديثا فى هذا المعنى أو أذكر شيئا من هذا على لسانى ، ولكننى كنت جالسا بالأمس وقد وضعت الأميرة قدمها بجانبى وكنت أقوم بتدليكها بينما كانت بهجة الروح تغنى لها ، وفى أثناء ذلك شهقت ماه برى شهقة باردة ، فقلت أيتها الملكة ماذا بك حتى تتنفسين مثل هذا النفس البارد ؟ فقالت يا لالا ، ماذا تريد أسوأ مما يفعله معى المقوقر ؟ من أجله تركت الأهل والمال والملك والعز والنعمة وجئت الى قمة جبل لعلنى أحظى بوصاله وأصل الى مرادى ، ولكن للآن فالمقوقر لا يذكرنى . فلما قالت هذا انتهزت الفرصة وقلت أيتها الملكة ليس الذنب ذنب المقوقر ، اذ أن التقصير منى ، لأنه حدثنى ولم أنقل اليك ما قاله لى . ثم حدثتها بما قلته لى بصورة جميلة ففرحت وسعدت وقالت ولماذا لم تخبرنى بهذا من قبل ؟ ثم أضافت قائلة يا لالا لقد سمعت أن سمك ولهيب وصلا الى القلعة فيجب عليك أن تذهب غدا للمقوقر وتبلغه سلامى وتقول له ان سمك قتل أمك ، وهو يقصد قتلى الآن ليبعدنى عنك فيجب عليك أن تهلكهما بحيث لا يعلم أحد بهذا ، ثم لا تدع أحدا يدخل القلعة بعد هذا حتى ولو كان أبى الفغفور كى نقضى عمرنا معا فى سعادة .

فرح المقوقر بكلام لالا وامتلأ قلبه بالسعادة وغمر روحه بالسرور والغبطة وقال : يا لالا ، كيف ندبر أمر قتلهما بحيث لا يعلم أحدا ؟

قال لالا : أيها البطل ، لست أدرى ولكننى سأذهب للأميرة لعلها تعرف حيلة لقتلهما .

قال المقوقر : نعم ما قلت . اذهب الى ماه برى وابلغها سلامى وقل لها كيف نقتلهما فان رأيك هو الصواب وأنت أكثر علما ودراية » .

قال المقوقر هذا الكلام وكان يتعجل وصال الأميرة والقدر يضحك عليه اذ عاد لالا صالح الى سمك العيار وأعاد ما قاله للمقوقر وما سمعه منه .

قال سمك العيار : يا لالا ، اذهب الى ماه برى وأعد على مسامعها ما قلته وما سمعته ، وقل لها ان سمك العيار يقول ابعثى برسالة الى المقوقر أن يقيم وليمة يدعو لها رجال القلعة خاصتهم وعامتهم ويدعونا معهم ويخلع علينا أمام رجال القلعة حتى يروا ذلك منك ، ثم اسقهما

مسكرا وحينما يذهبان الى مخدعهما اقطع رأسيهما وابعث بهما الى ، ثم الق جسديهما من على القلعة ، وحينما لايراهما أهـــل القلعة فسيظنون أنهما عادا • بعد ذلك تعال الى الجناح الملكى عندى •

عندما سمع لالا صالح هذا تعجب من قول سمك وعمله حيث رآه يلقى بنفسه الى التهلكة ، بينما كان لهيب خائفا مرتجفــا يقول ما هذه الحال وماذا يا ترى فى هذا التدبير ؟ ولكن لالا نهض وذهب الى ماه برى وذكر لها كل ما حدث •

حينما سمعت ماه برى هذا الحديث ، حزنت على سمك وقالت : لقد أصابه الجنون لأنه ســوف يدفعنا الى الهــلاك ، ويجعل نفسه فى مهب الرياح ، يعلم الله ماذا يرى وماذا دبر من حيلة • هل يفعل عاقل هذا العمــــل ؟

قالت بهجة الروح أيتها الملكة « قلت لك ان سمك يقدم على أعمال لا يتوهمها أحد ، فافعلى كما أمرك » •

قالت الأميرة : يا لالا صالح ، اذهب للمقوقر وقل له ما قاله لك ســمك •

ذهب لالا صالح الى الموقر وقال له ماذكره سمك فقــال المقوقر « أفرحى أيتها الأميرة وأسعدى فقد قلت رأيا سديدا • ثم قال : يا لالا أبلغ سلامى الى ماه برى وعذرى عن التقصير الذى وقع لأننى فى خدمتها بروحى وقلبى » فأدى لالا صالح التحية وعاد •

فى الحال استدعى المقوقر نقيب القلعة وهو البطل نظيف وقال له : أدع جميع رجال القلعة لأن لى حديثا معهم • « كما أعد الخدم كل شىء وأحضر نقيب القلعة كل الرجال ، ثم أرسل المقوقر نظيف البطل ليأتى بسمك ولهيب • فذهب نظيف اليهما وأدى التحية وقال « ان البطـــل المقوقر يريدك ليعرف أحوال الأميرة ويعد القلعة » •

قال سمك « سمعا وطاعة ، عد أنت مشكورا لأننى متعب قليلا وسأشرب بعض ماء الورد ، وأتى اليكم » فعاد نظيف البطل •

قال سمك للهيب : انهض لنذهب للمقوقر فهناك مأدبة لكى نشرب ساعة « فارتعد لهيب وقال : ياسمك لن أقدم على هذا أبدا ما أحسنه من مأدبة ، ولكن هل جننت حتى ألقى بنفسى أمام المقوقر لكى يقتلنى خاصة وقد علمته كيف يجب أن يقتلنا ؟ اذا كنت تريد الذهاب فاذهب وحدك »•

قال سمك « يالهيب بهذا الجبن الذى فيك تريد أن تكون عيارا ؟ اطمئن ، فقسما بالله لقد دبرت الأمر بحيث أقتل المقوقر وكل من فى القلعة ليكونوا عبرة للدنيا » •

قال لهيب « يا سمك اذهب أنت ولكننى لن أذهب ، انهض واذهب لكى تقتلهم وبعد ذلك سوف أجيء وأفعل كل ما تأمر به • قال سـمك العيار : يالهيب أسعد وأفرح لأنك تحملت كثيرا من المتاعب لكى تتعلم هذه العيارة فقم معى لنذهب » •

قال لهيب : « لن أذهب معك لأنهم سوف يسقوننا شرابا يسكرنا ثم يهلكوننا ، فلا تسع يا سمك فى هلاكى وهلاك نفسك » •

ضـحك سمك وقال : الآن خرج الأمر من أيدينـا فاذا لم نذهب قتلونا • فهل يوجد أحد هنا لينقذنا ؟ لا مفر من الذهاب واذا كنت تخاف من أن يسقوك شرابا فلن أدع ذلك يحدث اذ سوف أشرب كل نصيبك ولن أسكر لأننى قد تراهنت ألف مرة مع العيارين وأسكرتهم جميعا ولم أسكر •

مناعة ضـد الخمر :

تعجب لهيب وقال « يا سمك هل تفرغ الخمر فى ملابسك ؟ قال سمك يا لهيب : لقد كنت رضيعا حينما كان سهلان بن فيروز بن رامين يشرب الخمر وكان أبى يعمل ساقيا له ، وذات يوم كنت بجانبه حين كان أبى يملأ الدن من الحوض ، وحدثت بينه وبين أمى مشـاجرة ، فسقطت من أمى فى الحوض وحين أخرجانى منه كانت كمية من الخمر قد دخلت جوفى ، فعلقانى مقلوبا لكى يفرغا الخمر من بطنى ، ولكننى اعتللت ومرضت • فقال الأطباء اذا أردتم أن يتحسن فيجب أن تضيفوا الخمر الى كل طعام يأكله حتى سن البلوغ ولهذا كانت أمى تضيف الخمر الى كل طعام تقدمه الى حتى بلغت سبع سنوات حين توفى والدى فتعهدتنى أمى ، ولكنها توفيت أيضا بعد عامين ولم يكن هناك من يرعانى فكنت آكل كل ما أجده • ثم التحقت بخدمة الثعلب الفيلم الذى تبنانى لأننى كنت فى غاية المهارة والمكر ثم عاودتنى تلك العلة • ومن وقت لآخر تصيبنى آلام شديدة فى المعدة بحيث أبقى أسبوعا فى ألم لا أطيقه ، أصيح من شدته حتى يشفينى الله • لقد ذكرت لك كل هذا حتى تعلم أننى أستطيع أن أشرب الخمر ولا أسكر لأن الخمر أصبحت غذائى • ثم وضع سمك يده فى وسطه وأخرج نحو عشرين درهما من دواء مخدر اذا وضعت درهما منه فى شراب وسقيته لمائة رجل لأفقدهم وعيهم ، وأعطى خمسة دراهم

منه الى لهيب وقال له · حين تستطيع وأشير لك ، ضعها فى الشراب ويجب أن تضعه أولا فى الشراب الذى تقدمه للمقوقر حتى أتولى أنا أمر الآخرين ·

قال لهيب : أيها البطل ، هل ستجعلنى ساقيا ؟ انه ليس عملى فقم أنت به اذا كنت تريد أن تصبح ساقيا ولكن بالله لا تلقنى الى التهلكة ·

قال سمك العيار : « يا لهيب انت لا تعرف أى عمل » ·

فرد لهيب : « هذا العمل ليس عملى فلا تتحدث أكثر من هذا وافعل انت كل ما يجب عمله ·

مذبحة القلعة :

قام سمك وأخذ مشملا (١) وربطه جيدا الى وسطه بحيث لا يظهر ، وحينما وصلا الى قصر المقوقر سلما عليه فوقف المقوقر احتراما لهما ووقف الحاضرون جميعا ، وأمر المقوقر فأجلساهما فوق الجميع ، كما أمر بخلعتين أحضروهما لهما قبل الطعام وأعطوهما لسمك ولهيب وكانتا خلعتين جميلتين ·

قال سمك : « أنها تليق بخورشيد شاه ، ثم وجه كلامه الى لهيب وقال لقد وهبتها لخورشيد شاه لأنها تناسبه » ·

فقال لهيب وأنا سأقدمها لفرخ روز لأن الخلعتين متشابهتان ·

وفى الحال أحضروا ماء الورد فشربوا ، ثم مدوا الموائد فأكلوا · وبعد ذلك أعد مجلس الطرب وقال المقوقر أيها البطل سمك ، هل رأيت المؤن ؟ لقد كتبت رسالة لكى يحضروا العشرة آلاف حمل من القمح التى أمر بها الأحمر الى القلعة ·

أدى سمك التحية وقال : فلننتظر الى الغد ويأذن لنا البطل بالذهاب·

فقال المقوقر : هكذا سأفعل اليوم اذ نقضيه فى الشرب وغدا نقوم بذلك الأمر ·

تحدثا فى هذا وانشغلا فى الشراب ، وكان كل واحد يقدم كأسا كتحية لسمك فيشربها · وكل من كان يقدم تحية للهيب كان سمك يقول له ان لهيب لا يتحمل الشراب فاعطوها لى · فأرضى سمك الجميع حتى سعدوا بالشراب ولم تظهر أثر الخمر أو السكر على سمك فقال المقوقر لنفسه أين تذهب كل هذه الخمر التى يشربها ذلك الرجل ؟ وفى هذه

---

(١) المشمل : سيف صغير يخفيه الرجل تحت ملابسه ·

اللحظة وقف سمك وأمسك فى يده كأسا وتقدم نحو المقوقر وأدى التحية وكان أمامه أبريق ذهبى أخذه سمك وقبله ثم أعاده أمام المقوقر وقال له التحية لك الآن ٠

قال المقوقر فى نفسه : ما هذه المحنة ؟ ان بالأبريق ما لا يقل عن عشرة أرطال أو عشرين رطلا اذا شربها أو أعطاها لى فمن أين لى القدرة على شربها ؟ ولكن هل من الممكن أن يشربها ؟ ولكن سمك شربها فى الحال وسلم الابريق للهيب لكى يملآه وأشار اليه لكى يضع المخدر ٠ فتعجب المقوقر منه كيف يشرب كل هذه الخمر جرعة واحدة ٠ وكان فى يد لهيب كأس أعطاها لسمك وكان قد وضع بها بعض المخدر فتناولها سمك من يده ولم يقتنع بما وضعه لهيب بها وتظاهر بأنه يسوى شعره خلف أذنه وأخذ بين اصبعيه بعض المخدر الذى كان يخفيه خلف أذنه وأسقطه فى الكأس ثم وقف أمام المقوقر ودعا له ومدحه وقال أيها البطل : انك عظيم الشهامة والمروءة ، حسن المحضر وقد أحسنت استقبالنا ، وقد سمعت الثناء عليك ولهذا كنت أتوق الى لقائك ، ولم أحظ بهذا اللقاء الا الآن حين أتيحت لى الفرصة وكلفت بهذه المهمة وقد طلبت الحضور لخدمتك كى أراك وأخدمك بقلبى وروحى وأتشرف بالمثول أمامك وتقبيل يديك ، فلما جئت اليك وجدتك أكثر مما سمعت عنك ٠

كان سمك يتحدث فى هذا المعنى ويمدح المقوقر الى أن ذاب المخدر فى الأبريق فقبله وقدمه للمقوقر الذى قال : يا سمك كيف أشربها جرعة واحدة ولا أستطيع حتى على عشر مرات ؟

حياه سمك وقال : أيها البطل : انها لك فان شئت شربتها جرعة واحدة أو على جرعات ٠

قال المقوقر لنفسه : ان هذا من العار وسوء السمعة ، ولأحاول شربها جرعة واحدة أو على جرعتين ٠ قال هذا وشربها جرعة واحدة ، ولم يكد يشرب منا ونصف حتى صعد تأثير الخمر والمخدر الى رأسه وسقط مغشيا عليه وسقط الأبريق من يده ٠

قال سمك انتهيت من هذا ٠ وحين رأى لهيب هذا النجاح الذى حققه سمك قال الحمد لله ونظر فاذا الرجال يشربون وهم لا يدرون أن المقوقر كان قد أعد مكيدة لكى يقتل سمك ٠

قال سمك العيار : أيها الفتيان ، ان بطلا مثل المقوقر لم يطق شرب رطلين من الخمر ٠ فأدى الجميع التحية واستمروا فى احتساء الخمر وكان كل من يشرب كأسا من تلك الخمر يسقط مغشيا عليه ٠ وكان سمك واقفا بينما كان نظيف نقيب القلعة ولهيب جالسين ٠

حينما رأى سمك أن الجميع قد أغمى عليهم أمسك نظيف نقيب القلعة والقاه أرضا وقيده ثم قام هو ولهيب بقطع رأس كل من كان قد فقد وعيه ، وبعد ذلك التفت الى نظيف وقال له : قل لى كم فى هذه القلعة من الرجال والنساء وكم لهم من الأبناء حتى أبقى لك على روحك وأهبك هذه القلعة ؟

قال نظيف النقيب : انهم مائة وثلاثون رجلا : فأحصى سمك ولهيب القتلى فكانوا مائة وسبعة ٠

قال سمك : يا نظيف ، أين يوجد الثلاثة والعشرون الباقون ، هل هم هنا ؟ فرد بقوله نعم ٠

قال سمك : أطلبهم والا قتلتك وطفت بالقلعة وقتلتهم أيضا ٠

فقال نظيف : تعـالوا معى نذهب الى بيتهم وأدلك على كل مكـان يكونون فيه ٠ ثم تقدم نظيف وتبعه سمك ولهيب وأخذوا يطوفون حتى قتلوا عشرة رجال وقال نظيف لم يبق أحد آخر ٠

قال له سمك العيار : يا نظيف ، انك تكذب ، قل أين يوجد الثلاثة عشر رجلا تحافظ على روحك ٠

أجابه النقيب نظيف : يا سمك أظنهم فى مكان آخر لعلهم لم يغادروه وتقدمهما حتى جاء الى ذلك المكان فرأوا حفرة على شكل الغار قال لهما لعلهم هنا فاطلبهم ٠ فدخل سمك ذلك المكان فرأى ثلاثة عشر رجلا نائمين وهم سكرى وكان سبب التجائهم الى هذا المكان انهم رأوا سمك حينما قتل تلك الجماعة فى قصر المقوقر فهربوا واحتموا بهذا الغار ٠ فقطع سمك رءوسهم وخـرج ثم قال لنظيف : قل الصـدق ، ألم يبق فى القلعة أحد آخـر ؟

قال النقيب نظيف ، بقى بواب القلعة والحارس ، فذهبا وقتلاهما وقد أراد الحارس أن يصيح فألقياه من فوق القلعة ٠

حين انتهوا منهم جميعا ، طلبا كل من كان فى القلعة من النساء والأطفال وأخرجاهم منها ، فلما فرغا من النساء والأطفال قال سـمك « يجب اعطاء نظيف خلعة فاخرة لأنه أظهر كثيرا من الرجولة كما نعطيه القلعة :

فرد عليه لهيب قائلا : انت أدرى فافعل ما ترى ؟

قال سمك لنظيف : ماذا ترى ؟ هل تستطيع الحفاظ على القلعة ؟

فرح نظيف وظن أنه يتحدث بجدية فقال : أيها البطل ، لماذا لا أعرف ؟ أنا فى خدمتك وطوع أمرك •

أخذ سمك يد نظيف وجاء به الى حافة القلعة وأعطاه خلعة جميلة ثم ألقاه من فوق القلعة الى الهاوية •

حين فرغا من الجميع ، توجها الى الجناح الملكى وذهب سمك الى ماه برى وحياها فقامت الأميرة واحتضنت سمك وقالت ، فلتعش يا أرجل الرجال وعيار الزمان ويا أذكى رجال الدنيا ، ان الفتوة والرجولة مشهود بها لك •

قال سمك العيار : انه ــ باقبال خورشيد شاه وسعدك ــ تمت هذه الأعمال • ثم التفت الى لالا صالح وقال له : كن أنت مستحفظ هذه القلعة ، فقد وهبتها لك ، فكن يقظا متنبها ، فمع أن القلعة حصينة محكمة الا أنه من اللازم الا تفتح بابها حتى ترانى وترى علامة صحيحة ، حتى أذهب لأننى مشغول على خورشيد شاه وحتى لا يقلقنى شىء آخر •

أربعة نساء ورجل :

ترك سمك الأميرة ماه برى وبهجة الروح والجاريتين ارغوان وصنوبر ولالا صالح خمستهم فى القلعة ، وأخذ الخلعتين وركب هو ولهيب حصانين وغادرا القلعة وسارا فى طريقهما • فاحكم لالا صالح اغلاق باب القلعة عليهم وهم أربعة نساء ورجل •

من الناحية الأخرى • وصل سمك ولهيب الى المعسكر وكان الليل قد حل فتوجه سمك من الطريق الى الايوان مباشرة ، فرأى خورشيد شاه مشغولا مع الأبطال بالشراب وكان لم يشرب منذ مدة ، وحينما وصل سمك أمام العرش أدى التحية لخورشيد شاه •

حينما رأى الملك سمك نهض واقفا فوقف الحاضرون ، واحتضنه الأمير وفرح بمقدمه وأخذ يثنى عليه • فقال سمك : أيها الأمير لقد كان الاتفاق ألا تشرب الخمر •

قال خورشيد شاه : شربنا اليوم فقط • ثم أضاف : أيها البطل سمك ، ماذا صنعت ؟

قال سمك : أيها الملك ــ باقبالك ــ ذهبت الى القلعة الشاهقة وقتلت مستحفظها المقوقر مع من كان بها من الرجال وأخرجت نساءهم وأطفالهم ، وجعلت لالا صالح مستحفظا عليها • ثم أعاد على مسامع خورشيد شاه كل ما حدث من أوله الى آخره • ووضع الخلعتين اللتين كان قد أحضرهما

أمام خورشيد شاه · وظلوا مدة يشربون ويتحدثون فى كل أمر حتى تفرق الأبطال وذهبوا للراحة ·

نام الملك وفرخ روز وسمك ولهيب فى الايوان ونام الثعلب فى خيمة أخرى منفصلة مع بقية العيارين ، فلما طلع النهار جلس خورشيد شاه على العرش بعد أن ارتدى تلك الخلعة · وجاء الأبطال الى مجلسه وانشغل أمراء الدولة بالشراب ، وأعاد سمك سرد أحواله وما كان لهيب قد قاله يوم مأدبة المقوقر وقوله ليس هذا عملى فكان الأبطال يضحكون ·

فجأة حدثت ضجة فى المعسكر وكأنهم دقوا مائة ألف طبلة للحرب ·

فقال خورشيد شاه ماذا هناك ؟

قالوا : أيها الملك ، لقد وصل المدد للعدو ·

عندئذ قال الملك : لقد كان هدفهم من عدم الحرب هو انتظار وصول المدد اليهم وهذا لا يهمنا ، وحينما يريدون الحرب فاننى أعرف كيف أقاتلهم ·

ويأتيك بالأنباء :

حدث هذا وبقوا فى أماكنهم حين دخل رجل من الباب فجأة وكان من خدم خورشيد شاه الذين جاءوا معه من حلب واسمه سورة الحلبى ، وكان معهم فى تلك الليلة التى قضوها فى شعب الصخر ، وكان ماهرا فى العيارة ودلج الليل ، طاف فى العالم كثيرا ويعرف تقاليد كل مدينة ، ويغير شكله بكل صورة ويعرف العديد من اللغات ، ويحسن التجسس ، كما كان يستطيع أن يمشى فى اليوم والليلة خمسين فرسخا ويكشف الأسرار حتى أنهم كانوا يظنونه صاحبها · وكان سورة الحلبى يقيم دائما فى معسكر الأعداء منذ وقعت تلك الأحداث ، وعندما وصل المدد من منغوليا كان سورة يتجسس هناك وحصل على معلومات عن أحوالهم ·

كان خورشيد شاه جالسا حينما دخل سورة الحلبى فأدى التحية وقبل الأرض وقال : أيها الأمير ، لقد وصل سليم شقيق قطران وفارس وشمران على رأس عشرين ألف فارس كمدد لقزل ملك ثم وضع رأسه بجانب أذن خورشيد شاه وقال له لقد وصل رجلان مع هذا المدد أحدهما اسمه كانون وهو أمير مدينة منغوليا وقد تعهدا أمام أرمنشاه أن يحملا رأسى الثعلب الفيلم وسمك العيار الى ملكهم وزعما أنهما سيأخذانك حيا لأنك ملك · وقد جاءا متخفيين من أجل هذا ، وبحيث لا يعلم أحد بأمرهما ولكننى علمت وأخبرتك به ·

طأطأ خورشيد شاه رأسه نحو ساعة وكان الظلام قد حل ، فعاد كل بطل الى مكانه وبقى خورشيد شاه وفرخ روز بينما وقف سمك ولهيب قريبا من عرش الملك فأدى سمك التحية وقال يا أيها الملك هل تقول لى ما همس به سورة الحلبى فى أذنك أن لم يكن سرا ٠

قال خورشيد شاه : يا سمك اننا لا نخفى عنك أى سر فأنت منا ونحن منك ٠ فأدى سمك التحية ، واستطرد الملك : يا أخى قال سورة ان رجلين جاءا أحدهما أمير مدينة لنغوليا واسمه كانون والآخر تلميذ له اسمه كافور وقد تعهدا أمام أرمنشاه وزعما له أن يأخذانى حيا ويأخذان رأسيكما أنت والثعلب وجاءا خفية لهذا الأمر ٠

حينما سمع هذا قال وا أسفاه لأننى لا أعرفهما ثم أن لدى عملا اذ يجب أن أذهب الى مدينة منغوليا لكى أحصل للهيب على مراده ، فقد تعهدت له أن أذهب لقضاء حاجته بعد أن أفرغ من مهمة القلعة الشاهقة ولا أستطيع أن أكذب فى قولى ٠ والا لأخذت سورة معى ليدلنى عليهما ، ولصنعت فيهما ما تتحدث به الدنيا الى يوم القيامة ٠ ولكن ردا عليهما فاننى لا أكون رجلا أن لم أحضر أرمنشاه أمام عرشك ٠ ولكن يجب عليك أن تحترس وتتيقظ وتتنبه وحافظ علىّ نفسك جيدا ولا تأمن لأنه لو لم يكن فى مقدورهما شىء ما أدعيا هذا وما جاءا له ٠ ثم قال سمك للهيب : يا أخى اذهب وادع أستاذى الثعلب وقل له أن للملك حديثا معك ٠

ذهب لهيب وأحضر الثعلب ، فأعاد سمك ذكر هذا الحديث للثعلب ثم قال : يا أستاذى لقد التزمت بعمل ولا أستطيع التأخير لأن قلب لهيب فى الأسر وأريد أن أفك القيد من قلبه ، فاحذر أن تغفل ، فمع أن خورشيد شاه ذو علم وعقل الا أنه صغير وهو غريب فى وسط هذا الجيش مع أن الجميع فى خدمته ، ولكن لا يجب الاطمئنان فافعل الصواب ولا تترك القيام بما تعرف أنه خير ولو أدى هذا الى غضبه ، واذا تكلم كلاما عنيفا فلا تأخذه عليه ، ودعه يتكلم فانه ملك وصغير ، ومع أنه لا يتم على يدى ولا على أيدى ألف مثلى شىء ما الا أن يشاء الله ، ولكن يجب الاحتياط لأننى سأذهب الى منغوليا لأحصل للهيب على بغيته وسأرحل هذه الساعة ٠

بعد هذا احتضن سمك الأمير خورشيد شاه وفرخ روز والثعلب الفيلم وودعهم ثم أمسك بيد لهيب وخرج من الايوان وسارا فى طريقهما ٠

حينما خرجا أسلم خورشيد شاه والآخرون رءوسهم للنوم فلما طلع النهار جلس خورشيد شاه على عرشه وجاء الأبطال والأمراء وشاورهم الملك قائلا : لقد وصل المدد الى جيش العدو ، ومع أنه لا يشغلنا شىء من وصول المدد اليهم ، ولكن من الخير أن أبعث برسالة الى الملك فغفور اذكر

له فيها جميع الأحوال وانتظر ما يأمر به فان أمر بالحرب بقينا وان أمر بالسلم بقينا أيضا · وسنفعل ما يأمر به ·

قال الجميع : نحن عبيد لما يأمر الملك به وننفذ أوامره ، والخير فيما يقوله الأمير أو يفعله أو يراه ·

عندئذ قال خورشيد شاه لفرخ روز : يا أخى أكتب رسالة الى الملك فغفور وأشرح له كل ما واجهنا من مشاكل حتى يأمر بما يرى · فطلب فرخ روز دواة وقلما وورقة وكتب :

بسم الله الملك العلام ، والثناء على الطيبين والطاهرين والأخيار ··· وبعد المقدمة قال : هذه الرسالة من خورشيد شاه بن مرزبان شاه الى الملك فغفور ملك الصين · ليعلم الوالد العظيم ويدرك أنه تفضل بأن يذهب صهره خورشيد شاه الذى هو خيرنا لقتال الأعداء ورد الخصم وارسال ابنته ماه برى الى القلعة الشاهقة ولو أنه غاب عنا أن مستحفظها كان المقوقر وهو ابن المربية الشريرة الساحرة التى أثارت كل هذه الفتنة فى العالم · وقد أرسلنا ماه برى الى القلعة وشمرنا عن سواعدنا لقتال العدو ، وخرجنا يومين للحرب ، وكانت العاقبة أن وقع قطران البطل أسيرا فى أيدينا فقيدناه · وذهب البطل سمك الى القلعة الشاهقة وقتل المقوقر وكل من كان بالقلعة لأنه كان يفكر فى العصيان حتى يتزوج ماه برى · ثم سلم القلعة الى لالا صالح · وحين أخذنا قطران البطل توقفت الحرب وكتب قزل ملك رسالة الى أبيه أرمنشاه يطلب المدد ، وقد وصل اليهم جيش كبير · ونحن بدورنا نبلغ ملكنا بهذا ، فان كان يجب أن نحارب فليبعث الينا بالمدد ، واذا رأى الصلح فليأمرنا ماذا نصنع · ونحن فى انتظار اشارة الملك مع أننا لا نملك تجاه هؤلاء القوم الأخساء الا الحرب ونعلم الا سبيل أمامنا الا القتال ·

وقد سمعنا أن أرمنشاه بعث برسائل الى الولايات ليجمع جيشا كبيرا مجهزا ، كما أنه يرغب فى المجىء بنفسه على رأس جيش جرار لمساعدة ابنه ، فاذا رأى الأب العظيم الفغفور ملك الدنيا أن من الخير ارسال الرسائل الى نواحى الصين المختلفة لجمع جيش وارساله الينا لأنه يعلم أن ابنه لا يستطيع الخروج للقتال دون جند أو أموال · ولقد أبلغناكم بالحالة كما هى ، وقد أقمنا فى سهل الزعفران وجها لوجه مع العدو ونحن فى انتظار الرسول الذى يحمل الينا الرد على هذه الرسالة والسلام ·

حينما انتهى فرخ روز من كتابة الرسالة قرأها ثم ختمها وبينما كانوا فى هذا ، قامت ضجة فى المعسكر وتعالت الصيحات حتى أن الجيش كله علم فى لحظة واحدة · فقال خورشيد شاه انظروا ماذا حدث ، وفى

هذه اللحظة تدفق الناس فجأة على ايوان خورشيد شاه وتقدم رجل كهل عجوز الى خورشيد شاه ــ وأدى التحية وقال : أيها الملك ، ماذا تريد أسوأ من هذا ؟ لقد هجم ذئب شرس قادم من الجبل على الجيش وأحدث خرابا لا يمكن وصفه وقطع ثمانين رجلا بأنيابه قطعا : كما فصل رأس الغزالى الرازى الذى كان صديقا لسمك وهو متجه صوب الايوان ٠

كان خورشيد شاه واضعا أمامه رمحا حديديا متلا (١) وزنه مائة من وعشرة ، فتناوله بيد ونزل فى الايوان فاذا بالذئب يهجم على الأمير الذى توقف فى مكانه وناجى ربه وقذف الرمح فاخترق رأس الذئب وفلقه نصفين ، وقام خمسة بانتزاع الرمح من الرأس ٠

بعد هذا استدعى خورشيد شاه ــ سورة الحلبى وسلمه الرسالة وقال له أوصلها الى الملك فغفور ٠

أخذ سورة الحلبى الرسالة وانطلق فى طريقه حتى وصل الى مدينة الصين ، وتوجه الى الايوان وهو بغبار الطريق وتقدم الى عرش الفغفور وأدى التحية وأخرج الرسالة وقبلها ثم وضعها على حافة العرش ٠ فتناول الملك الرسالة وأعطاها لمهران الوزير ليقرأها ثم أخبر الملك فغفور بما فيها عن موضوع القلعة وقتل المقوقر وأسر قطران ٠ ففرح الملك بذلك ٠

ولما كان قد جاء فى الرسالة ذكر المدد الذى جاء للعدو ، وهل يجب أن نحارب أو نسالم ٠ فقد قال الملك فغفور : يا مهران لا يسالموا ونحتاج الى بطل يكون ذا رأى وحكمة ليصبح طليعة جيشنا وينضم الى خورشيد شــاه ٠

حزن الوزير مهران لأسر البطل قطران وقتل المقوقر فأخذ يفكر وقال لم يعد من الخير لى أن أبقى هنا أكثر من هذا ، فكل أمر أدبره يضيع هباء وقد حان وقت العمل ويجب على الذهاب الى ذلك المكان واصلاح الأمر لأنه خرج من أيديهم ، ولقد حاولت ولم أصل الى نتيجة ، وكلما أوقعتهم فى بعضهم يتحاشون ذلك وعلى أن أذهب قبل أن يعرف هذا السر ويفتضح أمرى لعلنى أستطيع أن أرتق ما مزقوه ٠ وأخذ يفكر فى نفسه على هذا النحــــو ٠

بعد ذلك قال : أيها الملك ، سأذهب بنفسى وأهيىء الأمر لهم ، وأدلهم على الصواب ، ولعل هذا الأمر يسهل ، فان كان لا مفر من الحرب حاربت ، وان كان لابد من الصلح تصالحت ٠

---

(١) رمح متل أى شديد غليظ قوى ٠

قال الفغفور : نعم ما قلت ، انك تستطيع أن تدبر هذا الأمر ، فافعل كل ما ترى ، ثم أمر بفتح الخزائن فى الحال وارسال كل ما يلزم من السلاح والأمتعة وأدوات الشراب والمطبخ والخيام ، وخرج عشرة آلاف فارس ·

فى أثناء الليل كتب مهران الوزير رسالة الى قزل ملك ذكر فيها الأوضاع كلها ، وما عرضه خورشيد شاه من أسر قطران والاستيلاء على القلعة الشاهقة وقتل المقوقر وامدادهم بعشرة آلاف فارس فى الطريق اليهم واننا سنكون فى المكان الفلانى وسنسير ببطء ونؤخر الجيش ونعطله فيجب عليك — انت قزل ملك — أن ترسل جندا مجهزا لكى يحيطوا بالخميس (١) ويقتلوه ويأخذوننى لأن معى كثيرا من الأموال حتى أصل اليك ولا يتركوننى فى أسر الملك لأنهم قوم سيئة قلوبهم ، ضعيفة نفوسهم · وحينما أصل اليكم سأشرح لكم ما يجب عمله ·

ختم مهران الرسالة وكان هناك رجل اسمه جامح استدعاه مهران للثقة فيه وسلمه الرسالة وقال له أسلك طرقا غير معروفة وسلم هذه الرسالة الى قزل ملك · فأخذها جامح وانطلق فى طريقه ·

سار مهران الوزير رويدا رويدا · بينما كان الراعى الأسمر يأتى من الناحية الأخرى من وادى الخنزير فى كتيبة من الجند يحمل أحمالا من العلف للجيش ونزل يستريح على بئر ماء ، وفجأة تصاعد الغبار من ناحية الصحراء ، فنظر الراعى الأسمر فرأى غزالا يعدو كالبرق فى اتجاه عين الماء ، فقال الراعى الأسمر لأصحابه : ابقوا أنتم هنا حتى أصطاد ذلك الغزال · ثم قفز الى صهوة جواده وانطلق فى طريقه ·

حث الراعى الأسمر حصانه حتى وصل الى طلع ونظر فلم ير الغزال ورأى رجلا ينطلق كأنه يسابق الريح · وكان ذلك الرجل هو جامح الذى أعطاه مهران الوزير الرسالة المرسلة الى قزل ملك ·فتوقف الراعى حتى وصل ذلك الرجل فصاح فيه قائلا : من أين أتيت وأى طريق هذا الذى تسلكه ؟

قال جامح لنفسه لو علم من أين أتيت وأين أذهب لقتلنى ، فليس أفضل من آن أتوجه الى معسكرهم ومن هناك يمكننى الذهاب بسهولة الى معسكر قزل · وتقدم نحو الراعى الأسمر وأدى التحية وقال أنا قادم من الصين من عند الملك فغفور ، ويأتى فى أثرى مهران الوزير على رأس اثنى عشر ألف فارس ، وسأذهب لأخبر خورشيد شاه حتى يرسل جيشا لاستقبالهم ، وأنا أسلك هذا الطريق لقربه ·

---

(١) الخميس الجند من أربعة آلاف الى اثنى عشر ألفا ·

ظن الراعى الأسمر أنه يتكلم بصدق فقال لنفسه لا شك أن هذا الرجل متعب من العدو فارتدفه (١) على حصانه حتى وصل المعسكر وأخذ جامح بنفسه الى خورشيد شاه وأدى التحية وذكر ذلك الأمر ٠

قال خورشيد شاه للراعى الأسمر : اذهب لاستقبال مهران على رأس أربعة آلاف فارس ٠ فأخذ الراعى يعد لهذا الاستقبال ٠

خائن مثل سيده :

هرب جامح وذهب الى معسكر قزل ملك وسلم الرسالة الى شاكر الكاتب فقرأها وعلم ما بها وكان سليم وقطور حاضرين فقال قزل ملك أخرجا فى اثنى عشر ألف فارس واجتهدا فى أن تأخذوا مهران الوزير ، فخرجا فى الحال ومعهما ١٢ ألف فارس ٠

قال جامح انكم لن تستطيعوا الذهاب من هذا الطريق لأن جيش خورشيد شاه مبعثر فيه ولا يجب أن يعلموا بخروجكم ولا أعلم كيف تتصرفون ولكننى أقودكم من طريق آخر حتى تهبطوا على رأس جيشهم ثم تقدمهم وساروا خلفه حتى وصلوا الى طلع ونظروا فرأوا معسكر مهران الوزير ٠

كان مهران الوزير قد أعد حيلة ، ذلك أنه حمل معه كثيرا من الخمر وكان كلما وصل الى مكان أنزل الجند للشرب حتى اذا هاجمهم جيش قزل ملك كانوا سكارى لا يدرون ٠ وفى تلك الأثناء التى وصل فيها الجيش كانوا جميعا سكرى يغطون فى النوم وكان جيش سليم وقطور مستريحا فأمرا أن يتفرق الجند ويحيطوا بالجيش الآخر ويدغروا عليهم بسيوفهم فكانوا يقتلون كل من يقابلهم أو يأسرونه وأخذوا مهران الوزير أيضا وقيدوه وساقوا أمامهم كل ما كان معه وعادوا فى طريقهم حين وصل فجأة الراعى الأسمر مع فرسانه فرأوا جيشا كبيرا فى طريق عودته وقد أمسك عددا كبيرا من الأسرى ٠

أطلق الراعى فارسا لينظر من يكون ، فذهب الفارس ، ورأى جيش قزل ملك ورأى مهران الوزير مقيدا ومعه كثيرا من الأسرى فعاد الى الراعى وأخبره بما رأى فتساءل الراعى الأسمر وقال من أين جاءوا ؟ وما الوسيلة وهم كثرة ونحن قلة ولا مفر من أن نتساند ونتجمع حتى لا تلحق بنا هزيمة ٠ ثم نرسل رسولا الى خورشيد شاه ليخبره بالخبر حتى يرسل لنا المدد ٠

---

(١) ارتدفه اى أركبه خلفه على حصانه ٠

اعترض الأربعة آلاف فارس الذين كانوا مع الراعى ذلك الجيش وصاحوا فيهم وأخذوا فى قتالهم ، فلما رأى جيش قزل ملك أن الفرسان قلة فرحوا وأخذوا يضربونهم بالسيوف ٠

انهمكوا فى الحرب بينما وصل أحد الفرسان الى المعسكر عند خورشيد شاه وأخبره بالأمر فقال الأمير : كيف حدث هذا ؟ ومن أين علم ذلك الجيش ؟ ثم التفت الى سام وقال له : أدركهم بسرعة وخذ معك ثمانية آلاف فارس ٠

أدى سام التحية واتجه الى الطريق وبعد أن أرسل سام أرسل أيضا ضرغام بن السباع مع ثمانية آلاف فارس ٠ وبعد ذلك التفت الى فرخ روز وقال لا أعلم تعداد جيش العدو ولا أدرى أن كان جيشنا يحتاج الى مدد أم لا ؟

قال فرخ روز : سأذهب أنا ، ثم خرج على رأس أربعة آلاف فارس وسارت الجيوش فى أثر بعضها ٠

فى الجانب الآخر كان الراعى الأسمر قد اعترض طريق جيش قزل ملك وأخذ فى القتال فحاول جيش الأعداء أن يفصلهم عن بعضهم فلم يستطيعوا ، وانقضى يوم وليلة ، وأوشكت الهزيمة أن تحل بجيش خورشيد شاه لولا أن وصل سام البطل ومعه ثمانية آلاف فارس وألقوا أنفسهم على جيش العدو وهم يتصايحون ، وأخذوا يقتلون ويصرعون ، ثم وصل من بعدهم ضرغام بن السباع ، وكانت ليلة مظلمة فلم يستطيعوا تمييز بعضهم فدقوا طبول التحاجز فافترقت الجيوش للراحة ٠

أمر ضرغام أن يخرج عشرة آلاف فارس للطليعة ، وعند منتصف الليل وصل فرخ روز وسأل الأبطال عن الأحوال ، فذكروها له ، وبقى الجميع حتى أصبح الصباح فأمر فرخ روز أن يدقوا طبول الحرب ثم أمر كل النابلة (١) أن يتقدموا ورموا الأعداء بسهامهم دفعة واحدة ، وقد أطلق كل نابل ثلاثة أسهم فكان نتيجة هذا أن أهلكوا ستة آلاف رجل وحصان للأعداء ٠ ثم أحاطوا بالجيش وتجالدوا بالسيوف فقتلوا من عدوهم كثيرا وقطعوا الطريق على كل من حاول الفرار منهم ويصرعونه على الطريق ٠

وفى وسط هذه المعركة الحامية لحق الراعى الأسمر بالبطل سليم وأسره ومع أن سليم كان أقوى منه الا أنه كان منهارا فى تلك الساعة بسبب اندحار جيشه ٠ وقام الراعى بوضعه فى القيد ٠ كما أسر ثلاثة آلاف فارس وتشتت الباقون ٠

---

(١) النابلة جمع نابل وهو الماهر الذى يرمى بالسهام ٠

أمر فرخ روز بفك قيود مهران الوزير ، وجمعوا الغنائم الوافرة وفى الحال أمر بكتابة رسالة الى خورشيد شاه روى له فيها خبر الفتح وما حدث كما ذكر أن معه بضعة آلاف من الرجال من قطور وسليم • وأرسل الرسالة ثم سار الجيش فى عقبها •

حين وصلت الرسالة الى خورشيد شاه فرح بهذا النصر وأرسل الرد وقال لا أريد أن تأتونى بأسرى بل اقتلوهم أثناء سيركم وقدومكم •

حين وصل رد الرسالة الى فرخ روز كان الراعى الأسمر وسام وضرغام يقومان بقتل الأسرى أثناء عودتهم حتى جاء دور البطلين قطور وسليم فأتوا بقطور ليقتلوه فقال : اتركونى ساعة فلدى ما أخبركم به ثم افعلوا بى ما شئتم بعد ذلك •

انكشاف مهران الوزير :

قالوا : قل ما عندك •

قال قطور : أقتلوا مهران الوزير فلا أستطيع رؤيته حيا ونقتل نحن فكل هذه الفتن أثارها ابن الفاعلة هذا • فهو الذى جعلنا نأتى من منغوليا الى هنا • وهو الذى أثار كل هذه العداوة والبغضاء وهو المحرك لكل الأحداث التى حدثت لخورشيد شاه وكل العيارين ثم اخراج الجيوش للحرب وارسال خورشيد شاه لقتالنا وهلاك جنود الطرفين • كل هذه الأحداث سببها ابن الفاعلة مهران ، وقد جاء بجيش من عند الفغفور لمقابلته وقال لنا اقتلوهم جميعا وقيدونى واحملونى معكم ثم كانت هذه النهاية التى حدثت •

قال فرخ روز أيها البطل ان ما قلته يحتاج الى برهان على صدقه •

قال قطور : ضعوا أيديكم فى رقبة جرموقى واخرجوا الرسالة التى بعث بها الينا •

أمر فرخ روز فأخرجوا الرسالة من رقبة حذائه وأعطوها له وكان بها أننى حضرت مع جيش وسأبقيهم فى الموضع الفلانى فابعثوا بجيش يقتلهم جميعا ويأخذوننى ويحمل الأموال التى معنا • واذا طلبنى خورشيد شاه فلا تسلمونى له لأننى سأتولى الأمر وسأروى لكم أحوال القلعة الشاهقة وقتل المقوقر وأسر قطران •

حينما قرأ فرخ روز الرسالة استولت عليه الدهشة ثم صاح فى مهران الوزير قائلا : يا ابن الحرام يا سيىء الفعال أى عمل هذا الذى أقدمت عليه ؟

قال مهران الوزير : أيها البطل ، انه يكذب ولا أعلم شيئا عن هذا ٠

قال قطران : يا ابن الحرام يا كلب ، كم ألف رجل قتلت ؟ وفى النهاية تقول لا أعلم ٠ ألم تكتب هذه الرسالة ؟ ولماذا أرسلت زوجتك وبناتك الينا لنحتفظ بهن كرهائن ؟

حينما سمع فرخ روز أن مهران الوزير أرسل زوجته وبناته كرهائن أمر أن يقيدوه مع قطران وسليم وحملوهم مع تلك الأموال والغنائم الوفيرة الى خورشيد شاه ٠

روى فرخ روز كل شيء الى أخيه خورشيد شاه وسلمه تلك الرسالة فالتفت الى مهران الوزير وقال يا ابن الحرام يا كلب ، ماذا فعلت بك لكى ترتكب كل هذه الأفعال الذميمة ؟ وماذا تريد من ورائها ؟

نكس مهران رأسه ولم يفه بكلمة ٠

قال الأحمر شيخ الرعاة : يجب وضعهم فى الأغلال وارسالهم الى وادى الخنزير حتى اذا ما فرغنا من الحرب وآنذاك سأتولى أمرهم ٠ فوضعوهم فى القيود والأغلال وأرسلوهم الى وادى الخنزير فى حراسة مائتى فارس ٠

حمل جماعة من المنهزمين خبر الهزيمة الى قزل ملك وحدثوه بما كان فحزن حزنا شديدا ، وفى هذه الأثناء دخل أحد الجواسيس وقال : أيها الأمير لقد وضعوا سليم وقطران ومهران فى القيود وأرسلوهم الثلاثة الى وادى الخنزير ٠ فاغتم قزل ملك وعقد مجلسه واستدعى أبطال الجيش وذكر لهم ما حدث وهلاك اثنى عشر ألف فارس فى معركة واحدة ، ووقع بطلان هما سليم وقطران فى الأسر ، وأخذوا مهران الوزير ولعلهم اطلعوا على سره فما التدبير ؟

وكان كانون وكافور حاضرين ، فأديا التحية وقالا : أيها الأمير ، لم تسر الأمور كما أردنا ، لقد فكرنا فى شيء والآن يجب أن نقوم بغيره اذ يجب الذهاب للبحث عن الأبطال لعلنا نستطيع أن نخلصهم مما هم فيه فدعا لهما قزل ملك بالتوفيق ٠

بعد هذا انشغل كانون وكافور بالبحث عما لا يوجد فى وادى الخنزير ويكون غريبا بالنسبة لأهله ويقبلون على شرائه ٠ فقال الذين سبقت لهم زيارة ذلك الوادى ان كل شيء موجود به الا الخمر الذى يحضرونه من ولايات أخرى ٠ فلما سمع كانون هذا انشغل بهذا الأمر وأخذ يعد له لكى يخلص قطور وسليم ومهران الوزير من السجن ٠

سمك فى منغوليـا :

أما فى الجانب الآخر فان لهيب وسمك عندما تركا خورشيد شاه ليتوجها الى منغوليا فان سمك كان غريبا عليها بينما كان لهيب من أهلها، ولم يكن كل الناس يعرفونه ولهذا ذهبا الى أحد الأربطة (١) ، وأجرا منزلا أقاما فيه يومين واستراحا ، وفى اليوم الثالث نهضا وأخذا يتجولان فى المدينة ويتعرفان على كل مكان ، وكان سمك يشاهد كل مكان ويتعرف عليه حتى منزل لهيب نفسه ، وعرف كل شبر فى المدينة كأنه أقام فيها ألف عـام ·

فى اليوم التالى ذهبا الى الحمام فاغتسلا ، وكان فى الحمام كهل أخذ سمك يحدثه فى كل أمر حتى أصبحا كصديقين لاحياء بينهما ، وفى أثناء الحديث سأل سمك ذلك العجوز عن أمير تلك المدينة · فقال : أمير هذه المدينة هو كانون ولكنه غير موجود اذ ربما ذهب لعمل ما ·

سأله سمك : ولأى أمر ذهب بنفسه ؟ وهل له أحد فى هذه المدينة قال الكهل : نعم له زوجة وأبنـاء ، وقصره فى سوق الغلال ولـه ولدان أحدهما اسمه محارب والآخر فاضل وهما بطلان · واستمر سمك يستفسر من ذلك الكهل عن كل شيء حتى خرج من الحمام ·

سأل سمك لهيب : أين قصر كانون ؟ فقاده لهيب الى باب قصر كانون فرأى الخدم واقفين فسلم عليهم وقال : نريد كانون أمير المدينة · قال الخدم : ان الأمير ليس هنا فقد خرج للصيد ·

قال سمك : ومتى يعود ؟

قالوا : يعود بعد شهر أو شهرين ·

فسألهم سمك : وهل له أحد فى المنزل ؟

قالوا : له ولدان يقومان مقامه ، ولو كانت لك حاجة فقلها ·

قال سمك : أدخـلا وقولا لـه ان شخصين جاءا يطلبـان أن يؤديا التحية · فدخل أحد الخدم وقال لفاضل : جاء رجلان ويريدان تقديـم التحيـة ·

قال محارب وفاضل : أدخلوهما · عندئذ أدخلوهما الى القصر ، فلما دخلا قدما التحية فرد عليهما فاضل ومحارب ·

---

(١) الرباط كان المكان الذى تنزل به القوافل وكان يضـم كثيرا من المنازل والحجرات للمسافرين ·

أخذ سمك فى الحديث فقال : نحن غريبان ، ودائما نخدم عظماء الرجال ، ولقد جئنــا من بخارى ونزلنـا فى هذه الولايـة على سـمعتكم وشهرتكم • ففى الصين يوجد الثعلب الفيلم ، وهنا يوجد البطل كانون ، ولقد سألنا فقالوا ان الثعلب ذهب للحرب فلم نره • وجئنا الى هذه الولاية لنخدم البطل كانون فلم نره أيضا ومع أننا حرمنا من مقابلته ولقائه الا أن ابنى الأمير هنا وهذا يشرفنا •

قال فاضل ومحارب : لقد خرج أبونا للصيد ، فأبقيا حتى يأتى ، وحينما يحضر فانه سيعاونكما ويساعدكما لأنه يحب شجعان الرجال خاصة اذا كانوا غربــاء •

قدم سمك ولهيب التحية وبقيا معهما وأجلسهما فاضــل ومحارب وأمرا فى الحال فأتوا بالطعام فأكلوا ثم أخذوا فى تناول الشراب حتى حل الليل • فقام سمك وأدى التحية وقال : نحن غريبان ومن آداب الشرب أن نشرب بحيث لا نخرج عن وقارنا أو نفقد أدبنا وحتى نهتدى لطريق منزلنا•

قال فاضل ومحارب : لما كنتما قد حضرتما لتحيتنا فلتكن اقامتكما هنا معنا ، فالقصر واسع وقريب من وسط المدينة وبه حجرات عديدة كما أن له طريقا الى الجنينة ، فحيثما أردتما فأقيما وكونا مطمئنين •

أدى سمك ولهيب التحية ، ثم قادوهما الى احدى الحجرات وأعدوا لهما كل شىء • فاستراح سمك ولهيب فى هذه الحجرة وناما الى أن طلع النهار فذهبا لتقديم التحية ، واستمرا على هذه الحال ثلاثة أيام الى أن قال لهيب لسمك : أيها البطل هل جئنا لهذه المدينة لكى نأكل ونسمن أم بحثا عن راحة القلب سكينة ؟ ان الأيام تمر ويجب أن نعود للمعسكر لأن كانون هناك وقد يرتكب عملا نندم عليه •

قال سمك : يا أخى كل عمل يجب الاحتياط له لأن الأمور اذا أخذت دون تدبير جلبت الندم ، واذا أقدم الرجل على عمل فعليه أن يعرف طريق الخروج منه حتى يستقيم له هذا الأمر • ثم اننى لا أعرف سكينة ولا أدرى أين هى وأنا مشغول بمعرفة هذه الأشياء •

قال لهيب : أيها البطل ، اننى أعرفها وأعرف الطريق اليها •

فقال سمك العيار : فلنحاول الليلة لعل الله يوفقنــا للانتهاء من أمرها • وبقيا حتى انتشر الظلام •

نهض سمك العيار ولبس سلاحه وكذلك فعل لهيب وأخذ ما يلزم كالخناجر والوهق وخرجا من باب الجنينة • وقد حدث أن فاضل ومحارب كانا يراقبان سمك ولهيب منذ وصولهما ، وكانا يخرجان كل ليلة ويطوفان

حول القصر والحجرة التى يقيمان بها ويحرسانهما ، وفى هذه الليلة جاءا فشاهدا سمك ولهيب يخرجان من الحديقة وقد وضعا سلاحهما ·

قال فاضل لمحارب : يجب أن نذهب ونراقبهما لنرى ماذا سيفعلان ، وذهبا فى أثرهما وأخذ يراقبانهما حتى وصلا الى قصر الملك فقال سمك للهيب : أين تقيم سكينة ؟

قال لهيب : أيها البطل : انها فى حانة الملك فى الجانب الآخر من القصر ·

أخذا يطوفان حول القصر وكان الحراس والعسس يصيحون ليبينوا أنهم متيقظون · وأستمر سمك ولهيب يدوران الى أن وصلا الى ركن وتوقفا فصاح حارس قائلا من هناك ؟

قال سمك للهيب انه يكذب لأن النوم يغالبه ، ثم أمره أن يقـذف بالوهق فألقاه لهيب فلم يعلق بشيء فقال سمك : ما أعظمك من رجل عيار أهكذا يقذفون بالوهق ؟ اعطنى اياه ·

ثم أخـذه منه · فقال لـه لهيب : أيها البطل سمك ، اهذا التحقت بخدمتك لكى أتعلم منك ·

كان فاضل ومحارب يراقبانهما ، فلما سمعا اسم سمك عرفا من هما ، وقال أحدهما للآخر لقد كان مجيئنا خلفهما مفيدا اذ تأكدنا منهما وعرفناهما ، فلهيب هذا من مدينتنا وهو أحد خدم قطران ولكننا لم نعرفه أما الآخر فهو سمك العيار الذى أثار كل تلك الضجة فى الدنيا · وذهب أبونا يبحث عنه ولكنه جاء الى مدينتنـا بالمكر والدهـاء ليقوم بعمل ما ، فلنتركهما يدخلان قصر الملك ثم نمسكهما فى النقب الذى ينقبانه فنكون قد قمنا بعمل كبير ، وعلينا أن نبقى هنا · قالا هذا واختفيا ·

أخذ سمك الوهق بيده وعقد طرفه ورماه فى الهواء فتعلق بسطح قصر الملك ، فأمسك به وصعد عليـه ونظر فاذا بالحراس قد راحـوا فى النوم ·

فقفز سمك وأمسك بعنق أحد الحراس فقال الحارس : من أنت :

قال سمك : أنا سمك العيار · وكان الحارس قد سمع عنه ·

فقال الحارس : ومن هو سمك وماذا يريد ؟

أجابه سمك : أنا ملك الموت ، قل لى أين مكان سكينة ساقية الملك ، واصدقنى القول حتى تأمن على حياتك ·

قال الحارس : يا سمك ، أى ملك للموت أنت ولا تعرف طريق سكينة ؟ ولكنك أن لم تؤذنى وأمنتنى على حياتى أخبرتك بما تريد ؟

أعجبت هذه النكتة سمك • فقال له : أيها الرجل أنت آمن على حياتك أن أقسمت على حفظ سرنا وألا تعلنه ولا تسعى للايقاع بنا • فأقسم الحارس على ألا يكشف سرهما ولا يخبر أحدا عنهما وأن يكون معهما • فرفع سمك يده عنه ثم قال له : الآن أين مكان سكينة ؟

قال الحارس : فى مقابل تلك القبة حجرة هى حانة الملك وسكينة تقيم هناك •

ذهب سمك ولهيب الى سطح تلك الحجرة ونظرا فى ثقب فيه فرأوا كل أدوات مجلس الطرب مهيأة والشمع موقد وسكينة نائمة • وحينما رأى لهيب راحة قلبه سكينة قال أيها البطل : انها سكينة روحى ، هذه هى التى أخذت عقلى فاعمل بسرعة ••

أخرج سمك العيار خنجرا ووسع الثقب الذى كان بالسقف بحيث لم يتساقط منه أى غبار على الأرض ثم قال : يا لهيب انزل واحضرها •

قال لهيب : أيها البطل أخشى أن تضعف يداى ورجلاى ولا أستطيع أن أقوم بهذا العمل •

فقال سمك : يا لهيب يشهد الله أن سكينة هذه أخت لى حتى اذا لمست يدى جسدها فلا تظنن بى ظن السوء • قال هذا وأعطى الوهق للهيب ثم أمسك به وهبط عليه ونزل فرأى طرائف آلات مجلس الطرب وكلها مرصعة بالجواهر • فقال بالله العادل الخالق لأحملن من هذه الآلات لمجلس طرب خورشيد شاه لأنه لا يجوز أن يبقى دون مجلس طرب • ثم جمع آلات المجلس الذهبية والفضية ووضعها فى صندوق ثم ذهب الى الباب ونظر من شق فيه فلم ير أحدا أو يسمع صوتا ، فعاد الى فراش سكينة وهزها •

قفزت سكينة من النوم فرأت رجلا مسلحا فقالت من أنت ؟

قال : يا سكينة أنا سمك العيار معى لك رسالة وسأحملك الى لهيب •

حين سمعت سكينة اسم لهيب هدأت وسكنت لأنها كانت تعرف أنه يحبها ، وكان قد لقيها كثيرا ولكنها لم تكن تهتم به أو تعبأ له فلما رأت الأمر أصبح جادا استسلمت ، وحين أراد سمك ربط يديها ورجليها قالت له لا تقيدنى لأننى سأصحبك بنفسى فمن أين جئت ؟ فقال من فوق رأسك •

انظرى فلهيب يقف هناك ينظر اليك ، ويمكن ألا أقيدك ولكننى يجب أن أفعل هذا لكى أسحبك الى السطح .

بعد هذا أحضر قطعة من القماش وضعها فى فم سكينة وكان لهيب ينظر من فوق فقال : أيها البطل ، بالله لا تفعل هذا فقد تختنق . فضحك سمك وقال : لاتخف فسوف لا يصيبها أذى .

بعد هذا ربط سمك حلقة الصندوق الذى به الذهب فى طرف الوهق وقال : اسحب يا لهيب . فحاول بكل قوته فلم يستطع ، فقال ، لا أستطيع فقال لـه سمك : فى أى عمل تصلح ؟ انك لا تستطيع عمل شىء . ثم أمسك بالوهق وتسلق عليه وسحب الصندوق بعد هذا قال : يا لهيب انزل واربط سكينة فى الوهق لكى أسحبها . فأمسك لهيب بالوهق ونزل عليه ثم انحنى على قدمى سكينة وأخذ يقبل يديها ورجليها حتى صاح فيه سمك قائلا : ما هذا الخروج على الأدب ؟ اربطها فان الوقت يمضى . فقام لهيب بربط سكينة وسحبها سمك ثم قال يا لهيب . ابق أنت فى مكانها وقم بعملها لأنه عمل سهل لأنك لا تستطيع أن تقوم بعمل آخر .

صاح لهيب وقال : يا بطل ، ما هذا الكلام الذى تقوله ؟ فمن أين أنا وكيف لى أن أقوم بعمل السماقى ؟ انهم لو رأونى هنا لقتلونى ، فان كنت ستتركنى هنا فلا أقل من أن تعيد الى راحة قلبى سكينة .

قال سمك : يا لهيب لا يمكن أن أترك لك احدى المعتمدات القريبات من الملك وأنت الآن غير آمن على نفسك فكيف يمكنك الحفاظ عليها واذا تركتها لديك انقلبت الأمور ولن أفعل هذا . فابق أنت هنا فاننى ذاهب الآن .

أخذ لهيب يبكى ويتضرع وقال : أيها البطل ، ألا تهمك روحى ؟ اننى سأفعل كل ما تأمر به بعد هذا .

ضحك سمك من بكائه وتوسلاته وأنزل اليه طرف الوهق فتسلق عليه وصعد وقال لسمك : أيها البطل لقد أردت أن تقوم بعمل جيد وذلك بأن تتركنى أهلك وأموت !

أجابه سمك ، يا أخى ما أعجب جزعك وخوفك على روحك لقد كنت أجرب شجاعتك ورباطة جأشك . ألا تعرف أننى لا يمكن أن أتركك الا بروحى ؟ شكره لهيب وقال له : أيها البطل ان الكذب لا يجوز فقد فزعت فزعا عظيما ، ثم قال فلنذهب الآن .

قال سمك العيار : الى أين نذهب ؟

قال لهيب : من نفس الطريق الذى أتينا منه ٠

قال سمك : لا نستطيع أن نعود من ذلك الطريق لأن فاضل ومحارب سوف يمسكاننا ٠

تعجب لهيب وقال : ما هذا الكلام الذى تقوله ؟ أين هما ؟

قال سمك : يا لهيب عندما خرجنا من الجنينة كانا فى أثرنا يراقباننا وكنت ألاحظهما ولم أقل لك لأننى أعرف أنك تخاف منهما ، وهما يختفيان فى المكان الفلانى ٠

قال لهيب : يا بطل فلنسرع بالذهاب فقد يصيحان فيمسكوننا داخل القصر ولا نستطيع الوصول الى هدفنا ومرادنا ٠

أجابه سمك العيار : انهما ينتظران حتى ننتهى من مهمتنا ونعود فيصيحان بالحرس حتى يمسكوننا ، ولهذا يجب علينا أن نذهب من ناحية أخرى فشكره لهيب على يقظته ٠

جاءا الى ناحية أخرى من القصر ، وكان المكان خاليا فأنزل الوهق وهبط عليه لهيب ثم انزل له الصندوق وسكينة وبعد هذا نزل سمك وفك الوهق ٠ فقال له لهيب : الى أين نحمل الصندوق وسكينة ؟

قال سمك : يا أخى ظننت أنك تعرف شيئا ، ويمكنك أن تقوم بكل عمل وقد أدركت الآن أنك لا تعرف شيئا قط ٠ لقد أعددت المكان منذ البداية وبعدها قمت بهذا العمل فخذ سكينة وتعال معى فقد جئت معك لأنك من أهل المدينة ويجب أن تعرف كل مكان فيها ، ولكننى رأيت أنك أكثر غربة منى ٠ وأنك لا تعرف أي شيء عن العمل الذى أتيت من أجله ٠

قال هذا وحمل صندوق الأوانى الذهبية وأمسك لهيب يد سكينة وساروا حتى وصلوا الى أول حارة الخمار فقال سمك : يوجد على يسار هذه الحارة منزل اذهب اليه ودق حلقة بابه وحين تسمع صوتا قل أنا لهيب أرسلنى سمك وسأكون معك ٠

قال لهيب : أيها البطل لمن هذا المنزل ؟

أجابه سمك : انه بيت الخمار الفتى ٠

فسأله لهيب أى خمار ؟ ومتى وأين عرفته ؟ انك منذ وصلت الى هذه المدينة لم تذهب الى هذه الحارة ، ولم يكن لك حديث أو كلام مع أى شخص ، كما أنك لم تزر هذه الولاية أبدا ، ومع أنى من هذه المدينة فلا أعرف الطريق الى هذه الحارة ٠

قال سمك : انه ذلك الرجل الذى قابلناه فى الحمام كان يتحدث معى ذلك اليوم ، وقد أطلعته على سرى وأقسم لى وتعهد وأعطانى عنوان بيته وهو هذا ٠

أثنى عليه لهيب وتقدموا الى بيت الخمار ودق لهيب حلقة الباب فجاء صوت أن من بالباب ؟ فأجابه لهيب : صديق ٠ فنزل الشيخ وفتح الباب فرأى لهيبا سأله من أنت ٠

قال لهيب : أنا خادم سمك ٠

تقدم سمك وسلم ، وحين رآه الخمار فرح واحتضنه وتقدمهم الى داخل البيت وأخلى احدى حجراتـه وأجلسهم فيها ، فوضعـا الصندوق وسكينة هناك حتى يستريحا ثم ذكرا كل شيء للخمار وبقوا هناك ٠

فى الجانب الآخر ، وقف فاضل ومحارب ينتظران حتى يرجع سمك ولهيب فيمسكانهما ، فلما أنقضت مـدة طويلة ولم يرجعا قال فاضـل لمحارب اذا لم يرجعا فانه عار لنا ، فلنصبر وننظر أين هما ٠ وظلا ينتظران فلم يأت أحد ، فتعجبا وقالا أين يمكن أن يكونـا قد ذهبا ، لعـل أحدا أمسكهما ٠ وهكذا ظـلا واقفين حتى الصباح ثم عـادا الى القصر وخلعا سلاحهما وذهبا مع بعض الخدم الى مجلس الملك وأديا التحية وأخذا ينصتان لعلهما يسمعان حديثا أو خبرا ٠

أمر الملك بوضع المائدة ، فمدوا الموائد وأكلوا ثم أمر باعداد مجلس الطرب فذهب أحد الخدم الى حانة الملك ليأتى بآلات الطرب ، فلما وصل الى هناك وجد الباب مغلقا ، ففتحه ودخل فلم ير سكينة أو غيرها ، ورأى الحانة مبعثرة وقد سرق الكثير من آلاتها فعاد للملك وأخبره بما رأى فقال الملك : أنظروا لعل سكينة ذهبت الى مكان ما وأخذت معها آلات المجلس ٠

ذهب معتمدو الملك وبحثوا فى كل مكان فلم يجدوا سكينة ، وكان كل مكان مغلقا أو مسدودا كما هو ، ولم يتطرق ذهنهم الى البحث عن طاقة أو فتحة لأنهم لم يلاحظوا نقبا أو حفرا ٠ فعادوا الى الملك وأخبروه وتعجبوا من هذا الحادث فاغتم الملك ٠

عندئذ قال شهران الوزير أيها الملك ، ان هذا الحادث يدل على أن سكينة ارتكبته فربما كانت تميل الى أحد وأقدمت على هذا العمل والمرأة ولو كانت مستورة وموضع ثقة الا أنها قد تميل الى شخص ما وآنذاك ينكشف سترها ، ولو كانت قد خرجت مع أحد فان الحراس والبوابين كانوا يعرفون ذلك ٠ وا أسفاه لأن كانون ليس هنا والا لكان قد عرف كيف وقع الحادث !

كان فاضل ومحارب واقفين يستمعان فقالا لبعضهما لو ذكرنا أننا شاهدناهما فسوف يلوموننا على اهمالنا ونخشى الموت ولهذا لا يجب أن نذكر شيئا • فقال فاضل : يا أخى تعال نخرج نبحث عنهما لعلنا نستطيع العثور عليهما فانهما لم يبرحا هذه المدينة بعد • وبينما كانا يتحدثان فى هذا قال شهران الوزير : يا أولاد كانون ، ان أباكما ليس هنا فيجب عليكما أن تبحثا وتفتشا عن سر هذا الحادث • فأديا التحية وخرجا من القصر وذهبا لقصرهما فى غاية الحزن •

استدعوا الخدم والعيارين وقالوا لهم لقد هربت سكينة من قصر الملك وأخذت بعض آلات مجلس الطرب الذهبية والفضية ، ولا شك أنها كانت على اتفاق مع أحد حتى أقدمت على هذا العمل ولا يمكن أن تقوم به وحدها ، فيجب أن يذهب كل عشرة منكم الى ناحية وتنظروا فى كل عابر فى الطرقات من الرجال والنساء وتوقفوه قائلين له اننا نبحث عنك فى هذه المدينة فلعلنا نعثر عليهم •

وبعد أن أرسل فاضل ومحارب الرجال الى الطرقات ، ظلا يبحثان بنفسيهما عن سمك ولهيب وسكينة فى كل أنحاء المدينة •

أما سمك ولهيب فانهما لما حملا سكينة والصندوق الى منزل الخمار قررا أن يستريحا تلك الليلة ، وحينما طلع النهار قالا للخمار اذهب الى باب قصر الملك واستمع الى ما يقولون وانظر ماذا يفعلون ولا تتأخر علينا • فذهب الخمار الى باب قصر الملك واستمع الى كل ما قاله شهران الوزير ورأى كل ما قام به فاضل ومحارب ثم عاد الى سمك وأخبره بما كان فقال سمك لا مفر من البقاء هنا ، وأحضروا الشراب وأخذوا فى تعاطيه •

كان للخمار ولدان أحدهما اسمه صابر والآخر صملاد ، جلسا مع أبيهما وسمك ولهيب يتناولون الشراب ، وكان لهيب يتحدث كل آن عن رجولة سمك وشهامته وعيارته • فقال له سمك يا لهيب لا تمدح أحدا خاصة اذا كان حاضرا لأن مدح الأشخاص كذب فهم ان كانوا طيبين فان كل الناس سيحبونهم دون مدح • ثم قال : يا أحرار الرجال : ما هذا الذى قمت به فى الليل المظلم ولم يره أحد أو يحس به ؟ ان عمل شىء فى السر والخفاء أمر سهل ، فهل اذا ذهبت فى وضح النهار وأحضرت لكم ابن كانون أمير المدينة يكون عملا ذا قيمة ؟

سمك فى ملابس امرأة :

أثنى عليه الخمار وصابر وصملاد ولهيب ؟ وقالوا أيها البطل كيف تفعل هذا وكيف يمكنك احضاره ؟ أنهم يطلبونك ويبحثون عنك حتى فى الماءواذا لمحوك فانهم سيتعرفون عليك •

قال سمك ، هذا جائز ، لكن انظروا ماذا سأصنع. ثم قال للخمار : اطلب لى من بيت النساء ملابس نسائية . فأحضرها له الخمار وكانت ملابس جميلة مع عباءة وجرموق (١) وما يلزم النساء ووضعها أمامه . فقال سمك لسكينة زينيني وأحسني زينتي كأمرأة . فقامت سكينة بتزيين سمك على أحسن صورة واستعملت كثيرا من العطر والطيب والبخور ثم لبس الجرموق وارتدى العباءة وأرخى النقاب على وجهه وخرج من المنزل وهو يميس ويتبختر فى دلال وقال لهم انتظروا فى المنزل حتى أعود .

خرج سمك الى الطريق وأخذ يطوف فى الأسواق والأحياء والحارات وينظر في المارة والسائرين حتى وصل الى زقاق ورأى فاضل قادما بمفرده ، وقد علق سيفه فى حمائله فسار سمك بمحاذاته واحتك بكتف فاضل عامدا ومضى . فسرت رائحة العطر فى أنف فاضل فنظر اليه فرأى امرأة جميلة تسير فى دلال واثارة ، توقف ونظر خلفه ثم قال لنفسه اذا نظرت هذه المرأة خلفها فانها تريدنى واذا استمرت فى سيرها فان احتكاكها بى كان عفوا .

انظروا أى جنس هذه النسوة بحيث يمكن لرجل فى زى امرأة وبغمزة عين أن يفقد رجلا مثل فاضل السيطرة على نفسه ويوقفه مكانه بحيث لم يستطع أن يخطو خطوة للأمام .

بعد أن تقدم سمك عدة خطوات نظر خلفه فرأى فاضل واقفا ينظر اليه ، فأشار اليه سمك أن يلحق به . وحين رأى فاضل الاشارة فرح وقال لنفسه الآن تأكدت أن هذه المرأة تريدنى ثم سار فى أثرها وسار سمك وكان ينظر خلفه من حين لآخر ، وكان فاضل يسرع فى مشيته الى أن وصل سمك الى أول زقاق من الأزقة فوقف وأخذ يهوى بكميه كمن يشعر بالحر ويفتح ملابسه فتفوح منها روائح العطر الى مسافات بعيدة حتى وصل فاضل وسلم : فقال له سمك بصوت رقيق ولطف رفيق وملاحة وسماحة : أيها الفتى الذى يتبعنى ، ماذا تريد وأى حاجة تبغى ؟ قل لى لماذا تقف هنا ؟

حينما سمع فاضل هذا الكلام بهذه الرقة ازداد قلبه تعلقا فقال : أيتها الحسناء ، هل من الممكن ــ من باب التفضل والتلطف والظرف ــ أن أحظى بجمالك ساعة واحدة ؟ تعالى الى بيتى الحقير وأشربى ماء باردا واستريحى حتى تبردي من الحر ، وسوف أسعد بهذا ويكون ذلك تفضلا منك وعطفا .

---

(١) الجرموق هو الحذاء ذو الرقبة الطويلة « البوت » .

قال سمك بلطافة رقيقة : أيها الفتى لا تنظر الى كالأخريات ، فلم أفعل هذا أبدا ، ولا كان ذلك اليوم الذى أرتكب فيه خطأ أو حتى أوافق عليه • وكان سمك يقول هذا وهو يهوى بملابسه النسائية ويحرك عينيه فى دلال •

قال فاضل لنفسه ، لقد أوقعتها بدليل أن كل امرأة تكلمها تتشاجر معك وتكلمك فى عنف وتدعى الطهر والعفة ، انك تعثر على المرأة اذا شتمتك •

عندئذ قال فاضل : أيتها الحسناء ، لقد أخطأت • وحاشا لله أن يحدث منك خطأ أو أنظر اليك كما أنظر الى الأخريات فكل شىء ينم عن أصله وأدرك أن فيك شهامة لأن كل من كان ذا وجه حسن يحسن عمله مع الناس كرما وشهامة • وأقول تعالى الى بيتى ساعة واجلسى واستريحى حتى نتعارف ونأكل خبزا وملحا ثم أذهبى بعد ذلك حيثما شئت •

فقال سمك فى نفسه لا يجب تجاوز الحد حتى لا ينكشف السر ثم قال لفاضل : أيها الفتى ، اننى أستحى منك لأن حديثك جد جميل ، وتبدو عليك الرجولة فأين بيتك ؟

قال فاضل : فى سوق الغلال •

قال سمك : أيها الفتى ، ان الطريق الى بيتك بعيد والحر شديد بينما بيتى قريب فلنذهب اليه فلا يوجد أحد هناك •

سقط فاضل فى المصيدة اذ اعتقد أنها امرأة جميلة سيسعد بالقرب منها وعندئذ قال : الأمر لك وأنا أطلب رضاك فسيرى حتى أتبعك •

سار سمك وفاضل يتبعه حتى وصلا الى أول حارة الخمار وكان الخمار ولهيب ينظران من النافذة فشاهدا فاضل قادما خلف سمك فتعجبوا الى أن وصل سمك ودق الباب ففتحت الجارية ودخل سمك البيت ونادى على فاضل ليدخل فدخل فأجلسه سمك فى غرفة الجلوس •

ظل سمك واقفا حتى قال له فاضل : يا منى القلب اجلسى واخلعى النقاب • فكشف سمك عن وجهه فظهرت لحيته • وحينما رأى فاضل اللحية ارتعد وقال : من أنت ؟

قال سمك يا ابن البطل ألا تعرفنى ؟ أنا خادمك سمك جئت من القصر فلأى سبب تراقبنى أنت وأخوك ؟ لقد انتظرتمانى تحت قصر الملك لتمسكانى ، لقد ذهبت وأخذت سكينة وآلات الطرب من الحانة وها أنا ذا قد أتيت بك أيضا •

حينما رأى فاضل هذا وسمع هذا الكلام انهار وأراد أن يقفز ويشهر سيفه ولكن سمك أسرع وأمسك به ودخل لهيب والخمار وابناه وأوثقوا فاضل بالحبال وطرحوه أرضا ثم جلسوا يشربون ٠

أخذ الخمار وولداه يمتدحون سمك العيار فقال لهم : هل تعجبتم من ذهابى فى شكل امرأة وأحضرت رجلا ؟ ان كل رجال الدنيا أسرى مكر النساء وكيدهن فرائحة الأنثى توقع الأسد فى الشرك ٠ فان شئتم خرجت أيضا وأتيت بالأخ الثانى ٠

سمك فى دور سكران :

قالوا : أيها البطل ، كيف تأتى به أنهم لا شك سوف يعرفونك ؟

وقف سمك وقال للخمار : أحضر لى جبة وعمامة ٠ وكان لدى الخمار جبة جديدة فأحضرها له ثم أتى بعمامة جديدة أيضا ٠ فلبس سمك الجبة ووضع العمامة على رأسه وجعل طرفها على عينيه وطلب طبقا له غطـــاء ودينارين من الذهب ٠ وجعل الطبق تحت ابطه وتظاهر بالسكر وخرج من البيت وهو يتمايل من ناحية الى الأخرى ومر بالسوق يبحث عن محارب حتى رآه فجأة جالسا فى دكان فتقدم اليه وأدى التحية على طريقة السكرى ثم تعلق بمحارب وقال له : يا ابن البطل وأمير الدنيا ، أليس من الممكن أن تشرف مجلسى وتشرب معى كأسين ؟ اننى أريد أن أحظى ساعة بجمالك ويكون لى ذلك عزا وشرفا وشهرة ٠

ازاء ما أبداه سمك من تواضع والحاح قال له محارب : الأمر لك أيها الفتى ٠ فقبل سمك الأرض أمامه وحياه ٠ وكان قد اشترى فاكهة جعلها فى الطبق ثم أخذ بيد محارب حتى وصل الى بيت الخمار الذى كان ينظر الى هذا المشهد هو ومن معه فتعجبوا وتحيروا من أفعال سمك ٠ وحين وصلا الى البيت قرع سمك الباب ففتحوه له فدخل سمك ومعه محارب ٠

حينما دخلا الى وسط البيت رأى محارب شخصا مقيدا وملقى على الأرض فنظر اليه ليعـــرف من يكون فاذا هو أخـوه فاضـــل فتعجب وقال له : من فعل بك هذا يا أخى ؟

قال فاضل : انه ذلك الشخص الذى أتى بك الى هنـــا ٠ فأعاد محارب النظر ليرى من هو ولكن سمك قفز عليه ومعه الآخـرون وقيدوا محارب ثم جلسوا يشربون ٠

انقضت مدة من الوقت فوقف لهيب وحيا ثم قال : أيها البطل لقد نفذت كل ما قلته وتعهدت به ، فأكمله لأن قلبى أسير لسكينة ولا أطيق أكثر من هذا . فلما لم تكن موجودة معنا فانها كانت بعيدة عنى أما اليوم فانها موجودة معنا ولكنها بعيدة أيضا ، فهبنى سكينة .

قال سمك : يا أخى ، ثق واعلم أن هذا الأمر ليس لعبا ، وكل عمل لايمكن القيام به بالعجلة والسرعة ولكن فكر كيف سيتم هذا الأمر فسكينة لك وهى أمامك . ولكنك لست أفضل من خورشيد شـــاه ولا سكينتك افضل من ماه برى . فانظر اليهما ومنذ متى قد خطبا لبعضهما ومع هذا لم يتلامسا . فاصبر أنت أيضا ولا يجب أن تمس سكينة خطأ لأن ذلك غـير محمود أو مقبـول وهو مما يعيب الفتوة . ثم اننى يجب أن أستمع لسكينة وأعرف أحوالها وكيف ستكون معك ثم أكمل لك هذا الأمـــر وأزوجكما .

قال لهيب : سمعا وطاعة . ثم جلس خمستهم يشربون .

كانون يرد على أعمال سمك :

نعود الى حديث المعســكر وكانون وكافور وقطور فيقول مؤلف الأخبار وراوى القصة أنه حينما أوقف جيشا خورشيد شاه وقزل ملك الحرب بينهما وكان كانون أمير مدينة منغوليا يعد نفسه للذهاب لوادى الخنزير فأشترى مائة حمل من الخمر وسار فى طريقه وسلك طريقا غير معروف حتى وصل الى أول وادى الخنزير وهو مسمى باسم أحد الأبطال وكان آباؤه يلقبون بنفس اللقب كما أن أعيان هذا الوادى جميعا كانوا من أبنائهم وكان الأحمر شيخ الرعاة ابن شقيقه .

حين رأى أهل الوادى القافلة تتجه نحو واديهم أرسلوا شــخصا لينظر ماذا تحمل القافلة . فسار حتى جاء الى كانون وسأله عما يحمل . فقال له كانون أحمل خمرا أتينا بها لنبيعها . فعاد الرجل وأخبرهم فقال كبيرهم واسمه الجمل أحضره عندي .

ذهب شخص الى كانون واصطحبه الى الجمل فسلم عليـه كانون فأجلسه الجمل وسأله : أليس معك شىء آخر غير الخمر ؟ فقال كانون : لا .

عندئذ أمر الجمل أن يختموا على دنان الخمر وقال ان البطل الأحمر

شيخ الرعاة أرسل شخصا فى طلب الخمر • فأدى كانون التحية وقال أيها القائد ، انها جميعا فى عهدتك وسوف آخذ ثمنها منك •

قال الجمل : هذا صحيح • ثم أمر أن تحمل الخمر الى داخل وادى الخنزير • وقام الجمل وأخذ يد كانون ودخلوا الوادى وأنزل كانون فى منزله ثم أمر فمدوا الموائد فلما فرغوا من الطعام أرادوا أن يشربوا ولكن كانون أدى التحية وقال : أيها البطل ، لقد جئت على سمعة الوادى وشهرته ، ومن كثرة الوصف الذى سمعته عنه فاننى أستأذن فى أن أشاهده اليوم وغدا نشرب الخمر •

قال الجمل : فليكن هذا • ولم يكن يدرى ماذا يقصد كانون ، واستدعى أحد ثقاته واسمه سمران وقال له : طف مع هذا الرجل الحر فى كل الوادى وأره له ولرفاقه حتى يشاهدوه •

أخذ سمران يد كانون ومعهما كافور وأخذوا يطوفون بالوادى فزاروا أماكن كثيرة الى أن وصلوا الى مكان جميل فى وسط الوادى فنظر كانون فرأى بناء عظيما ملكيا له باب مرتفع من الصخر وقد أغلق بقفل ضخم فقال كانون : يا سمران ، لمن هذا القصر ؟ ولماذا هو مغلق ؟

قال سمران : هذا قصر الأحمر ، ولأنه ذهب للحرب فلا يوجد أحد به وقد حولوه الى سجن •

فسأله كانون : ومن بالسجن الآن ؟ ومع أنه كان يعلم الا أنه كان يريد أن يتأكد ليعمل على صواب •

فقال سمران : أيها الرجل الحر هناك قطران وقطور وسليم وهم أبطال جيش المنغول ، ومعهم مهران وزير الفغفور معتقلون •

قال كانون : ماذا فعلوا ؟

قال سمران : انهم أعداء ، وهذا الوزير عصى الملك وخانه وأثار كل هذه الفتن فى الدنيا •

سكت كانون ولم يسأل عن أى شىء آخر فقد كان يبحث عن هؤلاء وقد وصل الى ما يريده وهو معرفة مكان هؤلاء الأسرى • وتجول كانون

ساعة أخرى في هذا الوادى فرأى خيلا كثيرة ترعى كما شاهد أسلحة وافرة فى كل مكان · وكان كل من فى الوادى سبعون رجلا بين عجوز ومكسور وطفل وحينما أقبل الليل أنزلوا كانون فى ذلك المكان الذى أعدوه له ولكنه كان عازما على العمل ·

فلما انقضى ردح من الليل ، قال كانون لكافور « قم لنخرج فقد حان وقت العمل وقبل أن يتغير الموقف ، لأننا لن نجد وقتا أفضل من هذا » · فقاما وذهبا الى القصر فلم يجدا أحدا على حراسته ، ونظرا يمنة ويسرة فلم يلاحظا أى ثقب أو فتحه أو امكان عمل أى نقب ، لأن الحوائط كانت من صخر فوق صخر · ذهبا للباب فشاهدا عليه قفلا ، وكان كانون ذا قوة بحيث يستطيع أن يصرع فيلا بيده ، فأمسك بالقفل واستجمع قوته وثناه بعد جهد جهيد ثم كسره فانفتح باب القصر فدخلا فيه وطافا فى أنحائه فلم يشاهدا أحدا ·

عندئذ قال كانون « يا كافور ، أنا أعلم أنهم لم يخرجوا من هنا فيجب أن ننظر فى المطمورة (١) لعلهم هناك » ·

طافا فى جميع أنحاء القصر مرة أخرى يبحثان عن المطمورة حتى وصلا الى وسط القصر فشاهدا بابا حديديا عليه قفل · فقال كانون « لعلهم هنا » ، وكسر هذا القفل أيضا وفتح الباب فظهر سلم ، فنزل عليه كانون وألقى السـلام ، وكان قطـران وقطـور وسليم ومهـران الوزير نائمين فاستيقظوا خائفين متسائلين « ماذا تريدون منا فى هذا الوقت من الليل ؟ أيها الأخ الحر ، من أنت وماذا تريد فى منتصف الليل هذا ؟ ان كنت تريد قتلنا فاخرجنا من تحت الأرض حتى نرى النور ، ونشم رائحة الدنيا ثم أفعل بعد ذلك ما شئت » ·

قال كانون « أيها الأبطال ، لا تخافوا ، أنا عبدكم كانون » · ففرح قطران حينما سمع اسم كانون ودب النشاط فى قلبه وقال « من معك أيها القائد » ؟

أجاب كانون « معى كافور » ·

فقال له قطران « ابدأ فى العمل ولكن كن حذرا » ·

---

(١) المطمورة هى الكلمة العربية المرادفة لكلمة سرداب الفارسية ·

أخرج كانون مبردا وأخذ فى قطع قيود قطران ، فلما قطع منها جزءا استخدم قوته وكسرها ، وأخذ القيود من يدى قطران ثم فك الغل من رقبته لأنهم كانوا قد أحكموا وثاقه ، وبعد ذلك فك قيود قطور وسليم ومهران أيضا •

صعد الجميع من هذه المطمورة الى أعلى ، ولما وجد قطران نفسه بغير قيود زأر كالأسد وقال « يلزمنا سلاح وخيل » •

قال كانون « سمعا وطاعة » • ثم ذهب كانون وكافور وأحضرا أربعة خيول وأسرجاها وجهزا أربع مجموعات من السلاح ارتدوها ثم ركبوا الخيل وساروا •

تقدم كانون وكافور وساروا فى طريقهم حتى خرجوا من الوادى وأسرعوا فى سيرهم حتى خلع الليل عباءته السوداء وانتشر فى الدنيا الضياء وكانوا قد اقتربوا من روضة فقال قطران « أيها البطل كانون ، دعنا نحط رحالنا هنا ونستريح لأننا متعبون ولننم ساعة أو بعض ساعة » •

قال كانون « اذا كنتم تريدون هذا فعلينا أن نرحل من هذا المكان الى تلك الروضة لأن هذا المكان مطروق يمر به كل الناس وربما أصابكم مكروه ، وسأطوف حول الروضة لكى أحرسكم » •

حين وصلوا الى الروضة انحازوا عن الطريق الى ناحية آمنة ، وضعوا القيود فى أرجل الخيل وتركوها ترعى • وقال كانون لكافور « احذر ولا تغفل لأنهم متعبون من أثر السجن ويقاسون من الأرق حتى يناموا ساعة ، فكن حارسهم حتى أراقب الطريق » • قال كافور « سمعا وطاعة » •

سار كانون وأخذ يتجول فى كل مكان حتى اقترب الليل فعاد اليهم وأيقظهم ثم ركبوا خيلهم وساروا فى طريقهم الى أن وصلوا الى سفح تبة ، وكان قد مضى ثلثا الليل ، فلما صعدوا تلك التبة رأوا شموعا ومشاعل كثيرة مضاءة أدركوا أنها طليعة جيش خورشيد شاه • وكان على رأسها الراعى الأسمر وسام ومعهما نحو أربعة آلاف فارس •

هبط قطران وقطور وسليم ومهران الوزير وكانون وكافور من على تلك التبة حتى اقتربوا من ذلك الجيش. فقال قطران « لا يمكن الذهاب الى أميرنا قزل ملك دون هدية • يا قطور ، اذهب الى الناحية اليمنى • وأنت يا سليم اذهب الى الناحية اليسرى ، وأنا سأهاجمهم من الأمام ، وليذهب

مهران الوزير وكانون وكافور الى أول الطريق وينتظروننا هناك حتى نرجع فلعلنا نستطيع أن نقوم بعمل شيء ونحمل لقزل ملك هدية السجن » .

ذهب كل واحد منهم الى ناحية وصاحوا « فليعش أرمنشاه وقزل ملك الى الأبد » . ثم عادوا (١) يضربونهم بالسيوف ، ودخلوا مع الأربعة آلاف فارس فى معركة بعد أن أخذوهم على غرة ، واندفعوا يقتلون فيهم . فلما رأت مسلحة (٢) الراعى الأسمر هذا الهجوم المباغت صاحوا فيهم واشتبكوا معهم . وكان الليل مظلما ولا يعرف فيه العدو من الصديق وصار الأبطال الثلاثة كالذئاب الجائعة وسط قطيع من الأغنام الخائفة الى أن التقى قطران والراعى الأسمر واشتبكا فى قتال ، وتبودلت بينهما الطعنات حتى تمكن قطران من طعن الراعى الأسمر فجأة بحربته فأذراه (٣) عن ظهر فرسه ثم ترجل لكى يقيده حين وصل سام البطل فقال لقطران « أيها الحقير ، احترس من حملة الرجال » ، وأراد أن يضرب قطران عندما وصل قطور من خلف سام وطعنه بالحربة فى كتفه فثناه على فرسه وسقط السيف من يد سام ثم انهارت قواه وتهاوى فوق قطران ، فأمسكه وقام بتقييده مع الراعى الأسمر ثم أخذا يضربان جنود خورشيد شاه بالسيف حتى قتلوا منهم خلقا كثيرا .

وصل الخبر الى معسكر خورشيد شاه فأمر فى الحال بارسال نجدة من الرجال ، حتى لا تلحق الهزيمة بالطليعة التى شاع أن جيشا قام بغارة ليلية عليها وحمل الراعى الأسمر وسام أسيرين ، فحزن خورشيد شاه لهذه الواقعة واغتم وقال « لقد غفلنا عنهم حتى هجموا علينا ، فهل تعرفون كم كان عدد المغيرين ومن كان قائدهم ؟

قال أحد رجال طليعة خورشيد شاه « اننا لم نشاهد جندا كثيرا ، ولكننى سمعت أحدهم يقول « أنا قطران » وآخر يقول « أنا قطور » وثالث يقول « أنا سليم » ، وهم يصيحون ويضربون ، وفى نظرى لم يكن هناك سوى هؤلاء الثلاثة » .

قال خورشيد شاه « كيف يمكن أن يحدث هذا وهم أسرى فى السجن » ؟ .

كان الأحمر شيخ الرعاة حاضرا فصاح فيه خورشيد شاه قائلا « أيها الرجل ، ألست أنت القائل أن سجنى حصين بحيث لا يمكن لأى

---

(١) عاد الرجل يضرب بالسيف ، هجم وأخذ يضرب به .
(٢) المسلحة ، قوم فى عدة أو سلاح بموضع مرصد وكلوا به لحراسته .
(٣) أذراه عن ظهر فرسه أطاح به وأسقطه .

شخص أن يخرج منه كما لا يستطيع أحد أن يهرب من وادى الخنزير ؟ واأسفاه لان سمك الغيار عمل عملا ونحن لم نستطع أن نحافظ عليه وعرضناه للضياع مع الرياح » ٠

قال الأحمر شيخ الرعاة « أيها الملك ، اننى لا أدرى كيف حدث هذا ، وسأرسل أحد رجالى لأعرف حقيقة الأمر ، فلعل شخصين أو ثلاثة انتحلوا أسماءهم » ٠

بينما كانوا يفكرون فى هذه الواقعة وكل احتمال لها ، وصل مبعوث من وادى الخنزير فجأة وكان الليل مازال مخيما ودخل مجلس خورشيد شاه وأدى التحية وقال « أيها الملك ، لقد أخذوا الأسرى من السجن » ٠

قال خورشيد شاه « يا أحمر ، أرأيت ماذا فعلت ؟ لقد اعتمدت على كلامك فهرب الأسرى » ٠

قال الأحمر شيخ الرعاة « أيها الملك ، اننى لا أعرف كيف حدث هذا ، اذ لا يوجد سجن قط أكثر أحكاما واستحكاما منه » ٠

سأل خورشيد شاه ذلك الرجل كيف وقع الحادث ، وكان الرجل يدعى سمران فقال « أيها الملك ، جاء رجلان معهما مائة حمل من الخمر ، فاشتراها الجمال ملك وادى الخنزير ليرسلها اليك ، ثم أخذنا الشخصين الى الوادى لنعطيهما ثمن الخمر فطلبا من الجمال أن يشاهدا الوادى ، وأمرنى الجمال أن أريهما اياه ، فأريتهما كل مكان ثم عدنا ، وحينما وصلنا أمام السجن سألانى عمن فى ذلك السجن ، فذكرت لهما أسماء من به ثم مضينا ، وباتا تلك الليلة بالوادى ولكنهما سرقا الأسرى فأرسلنى الجمال لأخبر الملك » ٠

حزن خورشيد شاه وفرخ روز والأبطال حزنا شديدا لادراكهما أنه من الصعب أسر ثلاثة مثل هؤلاء الأبطال ، كما أن الراعى الأسمر وسام صارا أسيرين عند الأعداء ٠

أما فى الجانب الآخر فان قطران وقطور وسليم حين هزموا ذلك الجيش وأسروا الراعى الأسمر وسام رجعوا الى طريقهم الأصلى ، وكان كانون وكافور ومهران الوزير فى انتظارهم ، فاثنوا عليهم وساروا متجهين الى معسكرهم وكان الظلام مازال مخيما عندما وصلوا الى خيام معسكرهم ٠ وحين طلع الصبح الصادق وجلس قزل ملك على عرشه كان أول من دخل عليه مجلسه هو قطران وقبل الأرض أمامه ٠

حينما شاهد قزل ملك قطران واقفا أمامه نهض واحتضنه وسأله عن أحواله فذكرها له قطران ، ثم أمر فأدخلوا الراعى الأسمر وسـام

أسيرين ومعهما قطور وسليم ومهران الوزير وكانون وكافور ، ففرح قزل ملك وأثنى على كانون ولاطفه وأنعم عليه ، ثم أمر بقتل الراعى الأسمر وسام ، ولكن قطران أدى التحية وقال « أيها الأمير ، انهم حينما أخذونا قيدونا وسجنونا وكانوا يستطيعون قتلنا • ومن الخير أن تأمر بتقييدهما ونرسلهما مع رسالة الى الملك أرمنشاه تخبره بهذا النصر » •

وافق قزل على هذا الرأى وأمرهم فقيدوا الأسيرين واختاروا مائتى فارس كى يصحبوهما الى منغوليا •

أدى مهران الوزير التحية وقال « أيها الأمير ، تعلم أننى لا أصلح لشيء ، فلا استطيع القتال ، كما أننى لا يمكننى البقاء فى هذا المعسكر خوفا من سمك العيار فلا شك سوف يبحث عنى ويأخذنى ويعذبنى ، وأنت لا تعرفه فهو رجل جرىء ، وحينما أكون فى خدمة الملك أرمنشاه العظيم فاننى أستطيع أن أدبر الأمور فى اطمئنان فارسلنى مع هؤلاء القوم الى والدك العظيم حتى تقوم بتدبير كل ما يعن من رأى أو شأن ونخبر الأمير به » •

قال قزل ملك « هذا رأى حسن » •

عندئذ أخذ مهران الوزير زوجته وابنتيه والخزائن والأموال التى كان قد أرسلها من قبل ، ورافق الجند وذهب الى منغوليا •

حين فرغوا من هذا قال قطران البطل « مر الجيش كى نحارب اليوم ونريهم ماذا يجب أن نفعل فيهم » • فأمر قزل ملك فدقوا طبول الحرب ، واختفى كل الجنود فى دروع الحديد وخرجوا للميدان قاصدين القتال •

أما على الجانب الآخر فحينما بلغ هذا الخبر لخورشيد شاه أمر أن يخرج الجيش للميدان ، واصطف الجانبان ، وقام نقباء الجيشين بتسوية الصفوف فى الميمنة والميسرة والقلب والجناحين •

كان قطران أول شخص برز للميدان من جيش قزل ملك ، وقد ركب فرسا أبيض قد أدرعه (١) ، كما اختفى هو فى دروعه ، ولبس ساقين وساعدين (٢) ، وعلق سيفا فى حمائله ، وأمسك رمحا فى يده ، ودخل الميدان على هذه الصورة مزمجرا متوعدا صائحا « يا خورشيد شاه ، هل تأخذ الرجال وهم نيام ؟ ان الثعلب يستطيع أن يتغلب على أسد نائم • فابعث للميدان من هو فيكم أكثر رجولة وعيارية وبطولة ليرى أيدى

---

(١) أدرعه ، جعل عليه درعا ليحميه •
(٢) يعنى درعين للساقين والساعدين •

الرجال القوية حتى تعلم كيف يجب أن تكون الحرب وكيف يكون المبارزون، فلا شك أن العرين حين يخلو من الأسد فان الوشق(١) يفعل ما يشاء » ٠

تكلم قطران كثيرا فى هذه المعنى حتى برز فارس من جيش خورشيد شاه ودخل الميدان وكان راكبا فرسا أسود ، وقد لبس كل سلاحه ، ووقف فى مواجهة قطران وصاح عليه قائلا « أيها الحقير ، ما كل هذا الهراء والتهويل ؟ أرنى ما لديك من شجاعة ومهارة فى القتال » ٠

ضحك قطران من كلامه لأنه رآه ليس ندا له ، ثم أدار حربته وصوبها له وطعن ذلك الشاب فى صدره فأذراه (٢) عن فرسه ٠ وبعد ذلك دخل فارس آخر فصرعه بدوره ، ثم غيره وغيره وهكذا حتى قضى على ستين رجلا ولم يستطع أحد منهم أن يجرح قطران أو يسيل قطرة من دمه ٠

حزن جند خورشيد شاه واغتموا ، ولم يعد أحد منهم يجرؤ على التقدم للميدان فصاح فيهم قطران قائلا « يا خورشيد شاه ، أرسل أحدا للميدان يصمد بعض الوقت ، أبمثل هؤلاء الرجال ســوف تصطف وتحارب ؟ أين ذهب فرخ روز حتى يدخل الميدان ويستعرض شجاعته وما لديه من فنون القتال ؟ واذا كان فرخ روز لن يأتى للنزال ، فلتدخل أنت حتى أرى فى النهاية ما لديك من الشجاعة والفروسية » ، وأخذ يتكلم بمثل هذا الكلام ٠

حينما رأى خورشيد شاه أن أحدا لا يدخل الميدان ، ترجل عن فرسه وشد أحزمه سرجه ، وأصلح لبس سلاحه ثم ركب فرسه ثانية ليذهب الى الميدان ٠ عندئذ تقدم فرخ روز وأمسك بعنان فرس خورشيد شاه ودعا له وقال « احذر أيها الملك ، فما دمت حيا فلن أدعك تذهب للميدان ، ومن الأفضل أن يقتل ألف منا على أن تنقص شعرة من شعرك ، فنحن يمكن أن تعوض أما أنت فلا عوض لك » ٠

قال خورشيد شاه « يا أخى ، ما الفرق بينى وبينك ؟ فانتظر مدة حتى أدخل الميدان واستعرض فنونى فى القتال حتى يعرفونى » ٠

أجابه فرخ روز « قسما بتراب قدمى أبيك مرزبان شاه ، لن تذهب للميدان حتى أذهب بنفسى وأرد على العدو كما ينبغى ، فان قتلت فليعرف الملك أنى استشهدت فداء لك ، وليشهد الميدان كيف يحارب الرجال » ٠

---

(١) الوشق حيوان برى من فصيلة القط اكبر منه قليلا ٠
(٢) أذراه عن فرسه أسقطه من عليه وأطاح به ٠

قال هذا وانطلق بفرسه الى الميدان ووقف فى مواجهة قطران وصاح فيه قائلا « أيها الحقير ، أمثلك يطلب خورشيد شاه للقتال ؟ أرنى ما عندك من قوة » .

حينما رأى قطران أنه الأمير فرخ روز قال فى نفسه « أين راح سمك حتى يمنعنا من القتال لأننى تعبت مع أننى لا أريد رؤيته لما فعله بى ، ولكن لا بأس » . ثم تقدم الى فرخ روز وصاح فيه قائلا « هيهات هيهات ، لم يحدث ما كنتم تظنون ، لقد تصورتم أنكم أسرتمونا فى الميدان وانتهى الأمر ولم يعد هناك أحد يرد على أفعالكم ، لم تكن شجاعتكم ورجولتكم الا أخذى بالمكر والحيلة وأنا ثمل نائم ، ان امرأة ضعيفة تستطيع أن تقيد بطلا نائما . فهات ما عندك من فنون القتال » .

انتزع فرخ روز حربته من مكانها وتلقف بها حربة قطران ، وظلا يتبارزان بالحراب حتى تقصفت فى أيديهما وأصبحت كعيدان الخلال ، وتمزقت الدروع من كثرة الطعان ولم يظفر أحدهما بالآخر . فتناولا القسى والسهام وأطلق كل واحد منهما عدة سهام على خصمه ، ولكنهما كانا كالطيور الصحراوية تتفادى السهام . وعندئذ شدا عنانى فرسيهما ووقفا فى مكانيهما لأن الليل كان قد أقبل . فقال قطران « أيها البطل ، منذ وضعت قدمى فى ركاب الفروسية لم أر أقوى منك ولا أشجع ، فلتهنأ يا فرخ روز لأنك كنت لى ندا ، وقد تأخر الوقت فاذهب حتى نعود للقتال ثانية » .

قال فرخ روز « الأمر لك على أن نلتقى غدا » .

قال قطران « ان كنت صادقا فاعطنى يدك لكى نتعاهد على اللقاء غـــدا » .

أجابه فرخ روز « ان كلام الرجال واحد ، ولا حاجة لعهد أو ميثـــاق » .

عاد الاثنان ودقت طبول الراحة من الجانبين ، وذهب الجيشان الى معسكريهما ، وأمر قزل ملك فى الحال بخلعة للبطل قطران ، ثم شكره وأكرمه ، وخرجت الطلائع من الجانبين وانشغلوا هم بالشراب .

فى الجانب الآخر ، حينما سار مهران الوزير والراعى الأسمر وسام والمائتا فارس متوجهين الى منغوليا ، أرسلوا رسولا سبقهم يحمل الخبر الى أرمنشاه بأنهم قادمون ومعهم أسيران من أبطال خورشيد شاه هما الأسمر وسام ويرافقهما مهران الوزير . وحين بلغ هذا الخبر الى أرمنشاه فرح كثيرا وأمر أن تخرج كوكبة من الجيش لاستقبالهم . وذاعت هذه الأخبار

فى المدينة وخرج الجيش لاستقبالهم • ولما علم الخمار بهذا عاد الى بيته وذكره لسمك وأخبره أنهم قادمون بالراعى الأسمر وسام ، وأن مهران الوزير معهما وأن الجيش خرج لاستقبالهم ولا يعلم أكثر من هذا •

حزن سمك عندما سمع هذا النبأ وقال « واأسفاه لأننى لا أعلم ماذا حدث لخورشيد شاه حتى استطاعوا أسر هذين البطلين ، ولهذا فاننى سأخرج لأرى ما الأمر » •

قال الخمار « ان المدينة غريبة عليك ، والجميع يبحثون عنك ، ويمسكون كل غريب يشاهدونه ، وقد يصيبك مكروه يحزننا عليك » •

أجابه سمك « أيها الوالد ، لا تفكر فى هذا الأمر ، ولكن احضر لى حمارا وجبة وعمامة قديمة » • فذهب الخمار وأحضر ما طلبه سمك •

قام سمك ولبس الجبة القديمة ووضع عمامة الخمار على رأسه كما وضع جوالا على ظهر الحمار وركبه وذهب الى وسط المدينة ثم سار الى باب من أبوابها وأوقف الحمار فى ناحية وأخذ يتفرج والجند يمرون عائدين مع الوزير مهران الذى كان يصاحبه الوزير شهران وقد لبس الطوق والقلنسوة وارتدى الخلعة الملكية التى كانوا قد حملوها اليه •

نظر سمك اليه وقال فى نفسه « الآن أدركت أن كل هذه الأفعال السيئة والخسة والمكائد من تدبير مهران هذا ، وليكن ما يكون ــ ان شاء الله وكان لى عمر ــ فسوف أكافىء هذا الدنىء بأفعاله حتى يصير عبرة للناس وعظة • وحينما مر القادمون رأى الراعى الأسمر وسام وقد أتوا بهما مقيدين راكبين بغلا ، وحين رآهما على هذه الحال جرت الدموع فى عينيه وقال « واحسرتاه أن أكون على قيد الحياة ويأخذوا أصدقائى على هذا النحو » •

عاد سمك الى المنزل وقال لصابر وصملاد « اذهبا الى باب قصر الملك وانظرا ماذا سيحدث هناك » • فذهبا الى القصر وأخذا ينظران ويتصنتان لعلهما يسمعان شيئا ، وحينما وصل الجند الى المجلس كان أرمنشاه قد جلس على العرش ، فدخل مهران الوزير وأدى التحية وأخذ يثنى على الملك • فأكرمه أرمنشاه ولاطفه وأجلسه معه على العرش ، ثم أمر بادخال الراعى الأسمر وسام وهما مقيدين عاريى الرأس حافيى القدمين وأوقفوهما أمام عرش أرمنشاه •

قال مهران الوزير « أيها الملك ، مر بقتلهما لأنهما عدوان خطران » •

قال أرمنشاه « لو كان يجب قتلهما لما أرسلهما ابنى قزل ملك الى هنــــا » •

فأجابه مهران الوزير « أيها الملك العظيم ، لقد أرسلهما من باب الاحترام » .

فقال أرمنشاه « ليس من الخير هلاكهما لأنهما بطلان عظيمان ، وقد بلغا قمة الشجاعة بعد سنين من العمر والتجربة ، ولا أستطيع أن أضيعهما فى لحظة ، بل يجب ابقاءهما فى السجن لأن أمامنا مهمة أعظم وأعجب ، وقد عجزنا عن حلها فلنتغلب عليها أولا لأنها تواجهنا وبعد ذلك نتفرغ لهمـــا » .

قال مهران الوزير « أيها الملك ، ماذا حدث لأن قلبى قد تشوش وتشوق لمعرفة هذا الأمر » ؟ .

قال أرمنشاه « كان عندى جارية اسمها سكينة ، تعمل ساقية لى ، ولكنها اختفت منذ اسبوع ولم نعثر على أى نقب أو ثقب قد يفسر اختفاءها، كما أن الأبواب كانت مغلقة . ومنذ يومين اختفى ابنا البطل كانون الذى أنقذكم من السجن ، ولا نعرف أين ذهبا ، ولا ندرى هل ذهبا يبحثان عن سكينة الجارية أم أنهما قتلا ؟

قال مهران الوزير « أيها الملك ، قسما بالعادل الخالق ، أن أحدا لم يفعل هذا ولن يفعله سوى سمك الملعون ، ولابد أنه جاء الى هذه الولاية لأنه ان لم يكن قد جاء هنا لما استطاع كانون اخراجنا من السجن ، وقد أدركت أن العرين خلا من الأسد . ولا ريب أن سمكا قد أخذ الثلاثة ، سكينة الساقية ، وفاضل ومحارب ، لأنه ذو حيل وألاعيب حتى أنه استطاع أن يأخذ بطلا شجاعا مثل قطران من وسط ثلاثين ألف رجل وصديق ، ولا تتصور كم هو جلد وذكى وطلق اللسان متحدث وعيار يعمل بالليل ، فاحذر أيها الملك لأنه يجب عليكم اليقظة من مكر هذا الخبيث الداهية ، وأنا أعلم أى نوع من الرجال هو ، أيها الملك ، مر بحراسة الأسرى ، فلو كانـــوا فى ذروة الفلك أو تحت الأرض فان ســـمك سيأخذهم » .

قال أرمنشاه « اطمئن من هذه الناحية فان عندى سجنا لم يهرب منه أحد قط ولا يستطيع أحد أن يصل اليه أو ينقبه بأية حال ، وعندى سجان جلد خبير عنيف » . ثم أرسل الملك شخصا استدعى ذلك السجان وكان اسمه طرمشة (١) ، وكان خنثى ، فلا هو رجل ولا هو امرأة ، لا يميل الى الرجال ولا الى النساء بل يكرههما معا . فلما جاء طرمشة هذا أمام عرش الملك وأدى التحية قال له الملك « يا طرمشة ، هل تعلم من هما هذان

---

(١) طرمش الليل أى اسود وطرمشه أى الأسود الفاحم .

الأسيران ؟ انهما أسيران من جيش الفغفور ، فتحفظ عليهما جيدا لأن هنا رجلا يريد أن يأخذهما كما أخذ سكينة الساقية وابنى البطل كانون » ٠

أدى طرمشة التحية وقال « انك تعلم حال السجن فلا حاجة للكلام ، واذا استولى العيارون والدالجون بالليل على كل الدنيا فلن يتمكنوا من الوصول الى سجنى » ٠ ثم أخذ طرمشة الراعى الأسمر وسام ووضعهما فى السجن ٠ وكان من عادته أنه اذا أخذ أحدا الى السجن فانه كان يضربه فى الحال خمسين عصا حتى يخشاه ذلك الشخص وكثيرا ما كان بعضهم يموت أثناء الضرب ، وكان لطرمشة هذا غلام اسمه « جنى الكافر » هو الذى يتولى الضرب ، وكل ضربة يضربها على الجسم كانت تجعل الدم يتفجر من خمسة أو ستة مواضع ٠

حينما وضع طرمشة الراعى الأسمر وسام فى السجن أمر جنى الكافر لكى يضربهما كالعادة ، فسحب جنى الراعى الأسمر أولا وأخذ يضربه ، فقال له الراعى الأسمر « أيها الدنىء الخسيس هل أنا لص لكى تضربنى » ؟

قال طرمشة « اننى لا أترك عادتى » ٠ ثم ألقى الراعى الأسمر على الأرض وأخذ جنى يضربه ، وحينما ضربه أول عصا صاح الأسمر متألما ، أما الثانية والثالثة فانه لم يحتملهما ، وبعد الخامسة والسادسة فقد وعيه واستمر جنى فى ضربهما هكذا وقد فقدا وعيهما من أثر ضربه لهما ٠

عاد صابر وصملاد وقصا على سمك كل ما جرى من حديث مهران الوزير وطلبه قتل الراعى الأسمر وسام ، ورد أرمنشاه عليه بما وقع لهم من اختفاء سكينة الساقية وأدوات الحانة الملكية ، وتسليم الأسيرين الى طرمشة وضربهما ٠ فبكى سمك حزنا عليهما ثم قال لصابر وصملاد « اذهبا الى قصر الملك واستمعا الى ما يقولون وما يفعلون ، وأين سينزلون مهران الوزير ؟ وهل يبحثون عنا أم لا ، وماذا يقولون عنا ؟

عاد صابر وصملاد وذهبا الى باب قصر الملك ، ثم دخلا الى المجلس وأخذ يراقبان كل شىء الى أن قال مهران الوزير « أيها الملك ، مرهم كى يحرسوا أبواب المدينة ومر الشحنة (الشرطة) بحراسة المدينة أثناء الليل ويقتلوا كل من يمسكون به ومر حراس الطرق بمراقبة الطرق جيدا لأن سمك موجود فى هذه المدينة يفعل كل ما يشاء بكل جرأة ، وأنا لا أستطيع أن أشرب خمرا وأذهب للنوم خوفا من سمك ، ولن يمكننى الاقامة فى أى مكان الا فى قصر الملك حيث يكثر الحراس والحجاب ، ومع هذا فلست آمن منه أيضا لأن سمك الذى أعرفه وأرى أعماله لا يهمه ألف حارس أو حاجب ، فلتأمر بزيادة الحراس وأن يتنبهوا ويتيقظوا جيدا » ٠

قال ارمنشاه « اطمئن ، فلا وجود لكل ما ذكرته » ثم أمر بانزاله هو وزوجته وابنتيه فى جناح فى القصر الملكى ، واستدعى رئيس شحنة الولاية وأمره أن يرسل رجاله الى كل تقاطعات الطرق لحراستها وألا يترك أحدا يمر دون اذن • كما أرسل رسولا الى حراس الطرق وأخبرهم بالأمر ، وظلت شحنة الولاية على هذه الحال •

رجع صابر وصملاد الى سمك وأخبراه بما حدث فتنهد ولم يقل شيئا وسكت حتى ظهرت طلائع الليل وانسحبت خيوط النهار وحل الظــــلام وخيم • فالتفت سمك الى لهيب وقال له « قم لنذهب كى نخلص الراعى الأسمر وسام من السجن قبل أن يصيبهما مكروه » •

قال لهيب لنفسه « شئت أم لم أشأ فاننى يجب أن أذهب » • والتفت سمك الى صابر وصملاد وقال لهما « أيها الفتيان ، اننا لا نعرف طريق السجن » ، وكان لهيب يعرف الطريق ولكنه لم يذكر ذلك وقال فى نفسه « اذا كان معنا شخصان آخران فان ذلك أفضل » •

وأضــــاف ســــمك قائلا لهما « خـــــذانا من طريق غير مطروق حتى لا يضايقنا العسس والحرس » • فقال الرجلان « الأمر لك » •

تقدم صابر وصملاد وهما يصحبان سمك ولهيب حتى اقتربوا من السجن ، وطاف سمك حوله فرآه بناء مشيدا من صخر فوق صخر ، ولم يشاهد أى منفذ أو مكان لعمل نقب فالتفت الى صابر وصملاد وقال لهما « عودا ـــ بالسلامة ـــ الى البيت حتى أفكر وأجد وسيلة للدخول لأن هذا البناء محــكم جدا ، ولعلنى أستطيع أن أنقذ الأسيرين ولا أنشــغل عليكما فى هذه الأثناء ، فان لم أستطع فاننى سوف أعود اليكما » •

عاد صابر وصملاد ولكنهما قالا أحدهما للآخر « لنختبىء حتى نرى كيف سيخرجانهما من السجن » قالا هذا وكان هنــاك زقاق أمام السجن اختفيا فيه •

طاف سمك حول السجن بعض الوقت فلم يجد أى منفذ ، فتحير عاجزا ولكنه لاحظ أن هناك حماما مهجورا على مقربة من السجن ولا يبعد عنه الا مسافة رمية سهم ، فدخل سمك ذلك الحمام ومعه لهيب فرأى بئر الحمام ، ثم نظر يمينا ويسارا وقال « يا لهيب ، سأهبط فى هذه البئر وانظر هل يمكننى أن أعثر على أى منفذ ؟ •

قال لهيب « أيها البطل ، بل أهبط أنا لأرى ان كان فيها ماء أم لا ، وآنذاك انزل انت ان أردت » •

أجابه سمك « بل ابق أنت حتى أنظر بنفسى » ثم تناول سمك حجرا ثقيلا وألقاه فى البئر وأخذ ينصت على حافتها فوصل الى أذنيه صوت رنين فقال « يا لهيب ، قسما بالله العادل الخالق أنهم غطوا قاع هذه البئر » • ثم أعطى طرف الوهق للهيب وتعلق به ونزل فى البئر ، وحينما وصل الى القاع رآه متسعا جافا ولكن قدماه غاصتا فى أرضيتها التى كانت مغطاه ، فتناول سمك خنجره ومزق الغطاء وأحدث فتحه أخذ فى توسيعها فهب منها هواء بارد ، ومد سمك ذراعه ليتحسس هل هناك ماء أو لا ، وهل القاع بعيدة أم قريبة ، فوجد ماء جاريا من ناحية ويذهب الى الناحية الأخرى فلما دقق النظر وجد الماء يأتى من ناحية السجن ، وعندئذ صاح قائلا « يا لهيب ، ابق حتى أرجع فقد ظهر طريق سأبحث الى أين تنتهى » •

أنزل سمك رجليه فى الماء ثم سار فى الاتجاه القادم منه مسافة رمية حربة فرأى الماء يخرج من فتحة نظر فيها فوجد فوقها فتحة بئر آخر ، فقال لنفسه « يجب أن أنظر فى فتحة هذه البئر لعلها تقود الى مكان ما » •

صعد سمك الى قمة هذه البئر الثانية وحين نظر حوله وجد نفسه فى وسط السجن ففرح وشكر الله أن سهل له الأمر على هذا النحو • ثم سمع أصوات أنين رجل يقول : « اسقونى جرعة ماء » • فلما عرف أنه يريد ماء ذهب اليه ونظر فيه فاذا هو الراعى الأسمر مقيدا وملقى على الأرض وقد نزف الكثير من دمه فاحتضن سمك رأسه ، ولكنه كان يطلب الماء ، فقام سمك وأخذ يبحث فى كل مكان حتى رأى أبريقا معلقا فأخذه وعاد الى مرقد الراعى الأسمر وصب الماء فى حلقه •

استعاد الأسمر بعض قوته فقال « من أنت أيها الفتى » ؟ •

قال سمك « أيها البطل ، أنا خادمك سمك » •

حين سمع الراعى الأسمر اسم سمك فرح وقال له « أيها البطل ، كيف أتيت » ؟ •

قال سمك « لقد هدانى الله الى طريق دخلت منها ، ولكن ألا تعلم أين السجان ؟ •

قال الراعى الأسمر « لقد رأيت هنا منزلا ، فلو كان موجودا فانه سيكون فيه لأننى من كثرة ما ضربت كنت قد فقدت وعيى » •

قام سمك وأخذ يتجول فى السجن فرأى منزل جنى ورأى عبدا قد استغرق فى النوم فاستل سمك خنجره وقال لنفسه « يجب أن أقتله حتى أكون آمنا » ثم طعنه طعنة مزق بها بطنه حتى صدره ، فتأوه جنى

وأسلم الروح · فلما انتهى سمك منه عاد الى الراعى الأسمر وقال له أين سام ؟ فأجابه الراعى « انه فى هذا السجن » ·

عاد سمك وأخذ يبحث عن سام فى السجن فرآه ملقى فى ركن وهو يئن ، فتقدم اليه ووضع يده على صدره فقال سام « اعطونى شربة ماء » ، فأتى سمك بذلك الأبريق وصب الماء فى حلق سام فقال له « من أنت أيها الفتى » ؟ ·

قال سمك « أنا سمك العيار » · فلما سمع سام اسم سمك فرح وقال « أيها البطل أعانك الله كما أعنتنا ، كيف دخلت هذا المكان ؟ وماذا فعلت بجنى السجان الذى ضربنا حتى أفقدنا الوعى » ؟ ·

قال سمك العيار « أيها البطل ، لقد هدانى الله الى طريق دخلت منها وقتلت ذلك العبد » ·

قال سام « بارك الله فيك » ·

بعد هـذا حمل سمك البطل سـام من مكانه وأتى به عند الراعى الأسمر وقال لهما « سأنزلكما الآن فى هـذه البئر التى جئت منها » فقالا له « أنت أدرى بما تفعل » · ثم ذهب سمك الى حافة البئر وهو يحمل الراعى الأسمر على كتفه ثم نزل فيها ونقله الى قاع بئر الحمام وربطه فى الوهق ثم نادى على لهيب وقال له « اسحب فقد أعاننى الله وأتيت بهما » ·

قال لهيب « أيها البطل ، لا أستطيع » ·

أراد سمك أن يصعد اليه ولكن صابر وصملاد قالا للهيب « نحن نستطيع » ، اذ أنهما كانا واقفين يراقبانهما من بعيد ، فلما دخل سمك ولهيب الحمام دخلا خلفهما وأخذا يراقبانهما من عند الباب وشاهدا سمك العيار وهو ينزل فى البئر ، وأخذا يتصنتان عليهما حتى يعود من البئر وحتى تلك الساعة التى قال فيها لهيب لا أستطيع ، خرجا من مخبئهما وقالا « نحن نستطيع » وقالا لسمك لقد كنا واقفين انتظارا لخدمتك · بعد ذلك سحب ثلاثتهم الراعى الأسمر من تلك البئر ، وعاد سمك الى السجن وأتى بسام الى قاع بئر الحمام حيث سحبوه أيضا ، ثم صعد سمك فاثنوا عليه كثيرا ، فقال لهم « ماذا نفعل فان منزلنا بعيد وهذان الشخصان مجروحان ومتعبان ويجب حملهما لأنهما لا يستطيعان السير حتى لا يضايقنا العسس والحراس لأن هذا الوقت وقت عودتهم وليس من الخير البقاء فى هذا المكان ، فما العمل ؟ ·

قال لهيب « أيها البطل ، ان لى قريبة فى منزلة أمى ، بيتها ليس بعيدا عن هذا المكان ومع أننى لم أرها منذ مدة ، الا أنه يجب الذهاب الى بيتها » ·

قال سمك العيار « يا لهيب ، فى تلك الليلة التى أخذنا فيها سكينة السـاقية لم تكن تعرف طريق أحـد ، فحسبنا أنك الآن تعرف طريق واحدة » ·

أجابه لهيب « أيها البطل ، كنت قد نسيت ، لأن شغفى بسكينة كان قد سيطر على فلم أعرف أين يجب أن نذهب » ·

قال سمك « حسنا أنك تذكرت الآن » · ثم حمل كل اثنين منهم أحد المتعبين وتقدم لهيب حتى وصلوا الى زقاق ، فوقف لهيب أمام أحد الأبواب ودق حلقة الباب فردت عجوز وقالت « من الطارق » ؟ ·

قال لهيب « يا أماه ، أنا ابنك لهيب » ·

قالت المرأة « مرحبا بقدومك ، ادخل ، من أين أتيت ، وأين كنت حتى هذا الوقت المتأخر من الليل ؟ ·

أجابها لهيب « ليس هذا وقت كلام لأن معى بعض الأشـــخاص أحضرتهم كأمانة » ·

قالت العجوز « أدخلهم فاننى سأضعهم فى عينى » · فدخلوا جميعاً الى البيت ، وأجلستهم تلك المرأة ثم قالت « يا لهيب ، أين كنت ومن هم هؤلاء الرجال ؟ ومن هذان المريضان » ؟ ·

أجابها لهيب « يا أماه ، ألا تعرفين ؟ أنه سمك ، عيار الدنيا ، وهذان المتعبان هما الراعى الأسمر وسام أخذا من جيش الملك فغفور ، وكانوا قد وضعوهما فى سجن طرمشة ولكن سمك أخرجهما » · وأراد أن يستطرد فى الحديث ولكنه سـمع صوت دقات على الباب ، فقالت تلك العجوز « ادخلوا هذه الغرفة بعض الوقت لأن هذا ابنى » · وأدخلتهم ثم ذهبت وفتحت الباب ·

نظر سمك من شق فى الباب فرأى شابا يدخل ، طويل القامة قوى البنيان ، يضع على رأسه قلنسوة ، ويرتدى جبة وقد تمنطق بمنطقة ، وشمر طرف ثوبه وقد وضع به شيئا صبه أمام أمه ، فاذا هى ملابس وقلانس وعمائم سرقها من الناس ، وقال يا أماه « لم أتمكن من صيد شيء سوى هذه ، فهل لديك ما آكله لأننى أحس بجوع شديد » ؟ ·

ذهبت أمه وأحضرت طبقا به خبز وقطعة من اللحم المشوى وبعض المخللات وحلوى ، وكان سمك ينظر حين مد هذا الشاب يده وأخذ يأكل برقة ، فقال سمك لنفسه « ان هذا الشاب ماهر جدا ، وهو مثلنا من رجال الليل ، وأخذ سمك ينظر اليه ويتعجب من طريقة أكله حتى انتهى

من طعامه وغسل يديه ثم قال « يا أماه ، ان فى قلبى رغبة ، وفى نفسى حسرة ولا أدرى ماذا أفعل حتى أصل لمرادى » .

قالت أمه « يا روح أمك ، ما هذا الذى استولى على قلبك » ؟ .

قال الشاب « يقولون — يا أماه — أن عيارا اسمه سمك جاء الى هذه الولاية وأنا أبحث عنه فى كل مكان لأراه وألتحق بخدمته لأن خدمة مثل هذا الرجل بالروح واجبة ، وأنا أطوف المدينة منذ مدة لعلنى أعثر على مكانه ، ولكننى لا أقف على مقـره أو مكان اقامته وعجزت عن العثـور عليه » .

عندما سمعت أمه هذه الرغبة منه قالت « يا قرة عينى ، اذا كان هذا مرادك فهو صحيح ، ولكن عليك أن تتعهد وتقسم لأمك أن ما تقوله حقيقة ، وأنك تريد سمك العيار لكى تلتحق بخدمته ، وتكون من أعوانه ، وألا تبلغ الملك أو أحدا من رجاله عنه ، ولا تشى به وأنا أدلك على مكانه » .

قال الشاب « يا أماه ، ان اسمى ورد ، وأنت ولدتنى ، فكيف أكون رجلا وأفشى السر أو حتى أقر الوشاية والغمز ؟ قسما بالله العادل الخالق أننى لو رأيت سمك العيار لصرت له عبدا طيلة حياتى ، فاحذرى يا أماه أن تظنى بى هذا الظن الخاطىء ، فلو أنك خنت أبى وجئت أنا من حرام لجاز هذا ، فانه لا يتأتى من ابن الحرام غير الفساد والغمز ولابد أن يظهر سوء فعله ، ويتضح سوء أصله ، والا فاننى ابن حلال ولا يتأتى من ابن الحلال عمل سىء أو خيانة » .

تعجب سمك من حديثهما وقال لنفسه « ما أعقله من شاب » خاصة حين قالت له أمه يا بنى اقسم كى يطمئن قلبى فأقسم الشاب بقوله « بالله العادل المدبر — اننى ورد — لا أغدر بسمك ولا بمريديه ومحبيه وأصدقائه ، ولا أفكر فى الغدر بهم ولا أقره ولا أرضى به وأن أكون عونا لهم ، واذا حدث حادث فاننى أقدم روحى لفدائه ولا أتخلى عنه أو عن أتباعه » .

حين أقسم ورد هذا القسم ، قامت أمه وفتحت الباب وقالت « تفضل أيها البطل » . فدخل سمك وألقى السلام ، فقام ورد حين رآه وانحنى على قدميه ، وأثنى عليه ومدحه ثم قال « يا أماه ، لقد كان سمك فى بيتنا وتركتنى أقول ما فى قلبى ، فكيف جاء الى بيتنا ؟ » .

قالت أمه « أيهـا الفتى وروح أمك ، اسأله أنت ، فقد أتى منـذ ساعة فقط » .

قال سمك « يا فتى الدنيا ، ليس هذا وقت الكلام لأن قلوبنا معلقة بهؤلاء المرضى » .

قال ورد « من الذى معك » ؟ ٠

أجابه سمك « معى صابر وصملاد ابنا الخمار ولهيب وكذلك الراعى الأسمر وسام البطلان فى جيش خورشيد شاه التابع للملك فغفور » ٠

قال ورد « لقد كانا فى سجن الملك ، وفى يدى طرمشة ، فكيف أخرجتهما » ؟ ثم لمح لهيبا فسأل عنه ثم قال « يا أمى ، سخنى الماء واصهرى الشمع » ٠ فقامت أمه بتسخين الماء وصهر الشمع بينما كان سمك يحدث وردا عن أحواله ، ثم قام سمك ومن معه بغسل الراعى الأسمر وسام من الرأس الى القدم ، ثم دلكوهما بالشمع المنصهر ، وبعد هذا أحضر ورد دواء للجروح وضعه على جروحهما ثم تركهما ليناما ٠

أتى ورد بالشراب وأقاموا مجلس سرور وأخذوا يشربون حتى خلع الليل سواده ، واكتسى الصبح بحلة ذهبية من أشعة الشمس الصفراء ، وأضاءت الدنيا كلها بنور ربها ، فقال سمك لصابر وصملاد « اذهبا الى باب قصر الملك وانظرا وانصتا لما يفعلون أو يقولون » ٠

ذهب صابر وصملاد حتى أتيا باب قصر الملك ، وأخذا ينظران حتى أتى طرمشة فجأة ووقف أمام عرش الملك وهو يصيح ويقول « أيها الملك ، لقد أخذوا الراعى الأسمر وسام » ٠ فانتفض أرمنشاه واقفا وقال ماذا تقول ؟ هل حطموا السجن أم نقبوه ؟ ٠

قال طرمشة « أيها الملك ، لقد قتلوا جنى الكافر ، ولم أجد أى نقب أو ثقب ، كما أن باب السجن مغلق فى مكانه ، ولا أدرى كيف وقع الحادث » ٠

فسأله أرمنشاه « اذن كيف حملوا الأسيرين ؟ هل هبطوا من السماء أم دخلوا من تحت الأرض ؟ ان هذا مما لا يصدقه عقل ٠ هل أخذتهما الملائكة ؟ انه لا يمكن لآدمى أن يقوم بهذا العمل فى ساعة » ٠

أجابه طرمشة « أيها الملك ، لست أدرى ، لقد اختفيا من السجن كما قتلوا جنى الكافر » ٠

تحير الجميع فى تفسير ما حدث الى أن قال مهران الوزير « أيها الملك ، لقد قلت لك تحفظ عليهما أو اقتلهما ، لأن قتل العدو أفضل ٠ ان سمك من نوع من الرجال استطاع قتل ابنى قابض وسط حشد من الناس فى ميدان مدينة الصين ، ثم تقدم نحوى وأمسك بلحيتى يريد قتلى أيضا لولا أن سارع السباع وأمسك يده ٠ وأكثر من هذا فانه قتل السباع وسط عشرة آلاف فارس مسلح ولم يخف أو يعبأ بهم ، ولو كان السباع حيا لما وصل الأمر الى هذا الحد ٠ أيها الملك ، لقد تهاونت فى

الأمر لأننى لو عددت لك أعمال سمك لانقضى العمر فى تعدادها · وسأذهب وأعاين ذلك السجن بنفسى » ·

ذهب مهران الوزير مع جماعة من خاصة الملك الى السجن وعاينوه ثم عادوا وقالوا « أيها الملك ، لم نر أى أثر للعنف هناك » ثم أضاف مهران الوزير قائلا « أيها الملك ، ان هذا العمل لم يتم الا بعد تفكير ، ولقد بحثت الأمر ووصلت الى أن طرمشة هو الذى ارتكبه فيجب محاسبته ولتأمر بهذا » ·

سمع صابر وصملاد كل هذا ووقفا عليه ثم عادا الى سمك وأخبراه به فقال « سوف أذهب الى مجلس الملك فى قصره » ·

قال ورد « ان مهران الوزير موجود هناك ، وهو يعرفك وقد يصيبك سوء ولا نستطيع أن نتحمل ذلك » ·

قال سمك « أيها البطل ، لا تشغل بالك فان كل من يعمل عملا ينبغى أن يعرف حله وعقده وبهذا يصير الأمر سهلا عليه » · ثم نادى سمك على أم ورد وطلب منها دواء معينا أحضرته له ، فوضع يده فى وسطه وأخرج شيئا أضافه الى ذلك الدواء حتى انحل فيه ، بعد هذا وضعه فى ماء وغسل وجهه به فتغير لون وجه سمك · عندئذ تعجب الجميع منه وقالوا « أيها البطل ، علمنا هذا » · فقال لهم « ليس الآن » · ثم فك شعر رأسه ، وألقى بعضه للآمام ثم لفه وعقده من الوسط ، وأخذ فى يده عصا وخرج من البيت واندس بين الناس ·

خرج ورد وصابر وصملاد فى أثره ليتفرجا عليه وما سوف يصنع ، ودخل الجميع مجلس الملك فى الوقت الذى أحضروا فيه طرمشة أمام عرش الملك الذى قال له « أيها المنحط ، قل كيف وقع هذا الحادث والا أمرت بقتلك » ·

قال طرمشة « أيها الملك ، اننى لا أعلم شيئا عن هذا ، ولقد كنت نائما فى القصر وكان جنى هو الذى بالسجن فقتلوه ، فماذا أقول ؟ وعمن أتحدث » ؟

أمر الملك أن يجلدوه ، فأخذ الجلادون ينظر كل منهم الى الآخر ، هذا يقول لذاك اضربه أنت ، وذاك يقول لهذا بل أنت ، وكان كل منهم يفكر فى أن الملك غضب اليوم على طرمشة فان ضربناه وغضب الملك علينا غدا ، فسيسلمنا له وقد يقتلنا من الضرب ، فليس أفضل من محاباته ، وظلوا واقفين حتى صاح فيهم الملك قائلا « لماذا تقفون ؟

عندئذ تقدم جلاد وسحبه وأخذ فى ضربه برعاية ومحاباة ، وكان سمك واقفا فأدرك أنهم يحابونه ويمالئونه فقال « أيها الملك ، انهم يراعونه فى الضرب ويحابونه ، أتسمح لى أن أضربه حتى يقر كيف وقع هذا الحادث ؟ » فقال الملك « اضربه » ٠

تناول سمك العصا وشمر عن ساعديه وأدار العصا فوق رأسه ثم ضربه أول ضربة بحيث تقطعت خمس أو ست مواضع من جسمه وسال منها الدم ، فصاح طرمشة من أعماقه ٠ وضربه سمك ضربة ثانية أشد من الأولى ، فلما وصل الى الخامسة صاح طرمشة « الأمان حتى أقول الحق » فقال سمك فى نفسه « انه يتهرب من الضرب والا ماذا يعلم عن الحادث ؟ » ثم أجلس طرمشة ، فقالوا له « قل كيف وقع الحادث » ٠

قال طرمشة « حينما خرجت من قصر الملك ووصلت خلف السوق التقيت بالأخوين القصابين اللذين أتيا الى منزلى فى مساء الأمس وأعطيانى أربعمائة دينار ذهبا وقالا لى « سلم لنا الراعى الأسمر وسام » ٠

فسأله أرمنشاه « ولماذا قتلت جنى الأسود » ؟

قال طرمشة « لأنهما قالا حتى لا ينكشف السر ، فاذا قتلناه ظنوا أن شخصا آخر فعل ذلك ، ولا يظنون بك هذا ، ولهذا قتلا جنى الأسود وأخذا الراعى الأسمر وسام » ٠

قال سمك لنفسه « هذا السافل ليس رجلا وليس امرأة ، وقد عرض شابين للموت ظلما » ٠

عندئذ أرسل الملك بعض النقباء ليأتوا بالشقيقين القصابين الى المجلس ، فلما حضرا أديا التحية ، فقال لهما أرمنشاه « أين أخذتما الراعى الأسمر وسام » ؟

قالا « أيها الملك ، من هما الراعى الأسمر وسام ؟ اننا لا نعلم شيئا عنهما ٠ وكان طرمشة يتأوه ويتوجع من أثر الضرب فقال « لقد حضرا أمس الى السجن وأعطيانى أربعمائة دينار وأخذا الراعى الأسمر وسام وقتلا جنى الأسود » ٠ وأعاد تكرار ما سبق أن قاله للملك مضاعفا ٠

أقسم الشقيقان بالله العادل المدبر وقالا « اننا لا نعلم شيئا عن هذا ولا عن الراعى الأسمر ولا عن سام ولا عن جنى ، ونحن أنفسنا لا نعلم شيئا عن هذا الأمر ، ولم نتحدث مع طرمشة لا بخير ولا بشر ، وما شأننا وسجن الملك وسجناء الملك » ؟

قال مهران الوزير « اذهبوا وفتشوا منزلهما » ٠ فذهب النقباء الى منزلهما وقلبوا كل شىء فيه ، وجعلوا عاليه سافله ، وبحثوا فى داخله

وخارجه فلم يجدوا شيئا أو أثرا فعادوا للملك وأخبروه وقالوا « لم نر شيئا » ٠

سأل الملك طرمشة « هل جلدت الراعى الأسمر وسام » ؟ فأجابه نعم أيها الملك ، انهما مصابان ولا يستطيعان السير » ٠

عندئذ قال مهران الوزير للملك أرمنشاه « يجب تقييد طرمشة » ٠ ثم قال لأحد رجاله « احضر هذين القصابين الى لأعيد سؤالهما » ٠ وبعد هذا تفرق الجميع وحملوا القصابين الى قصر مهران الوزير ٠

التفت سمك الى صابر وصملاد وقال لهما « ارجعا الى أبيكما وأبلغاه سلامى وقولا له أن يتذكرنى بالدعاء ، وأخبرا سكينة الساقية بالمحافظة على ابنى كانون وحذراها من فك قيودهما » ٠

عاد صابر وصملاد الى أبيهما وذكرا له ما حدث ، فتعجب الخمار من أعمال سمك العيار وذهب كل واحد منهم الى شأنه الى أن حل الليل بظلامه ٠

استدعى مهران الوزير الشقيقين القصابين ، فلما حضرا أجلسهما بين يديه وأخذ يسألهما عن كل شيء فيجيبانه عن كل ما سأل ، وكان مهران الوزير يحفظ كلامهما ويتذكر بعض الدقائق ويستخدم بعض الحيل ويذكر أخبار سمك ، فلم يفه الشقيقان بكلمة أو زلة لسان تدل على صلتهما باختفاء السجينين ، وطال الكلام حتى انقشع الظلام وعم النور وحل النهار ، فذهب مهران الوزير ومعه القصابين الى المجلس وأدى التحية وقال أيها الملك العظيم ، انهما لا يقران بحال من الأحوال ، وأنه لا علم لهما بما حدث » ٠ ولكن الملك أمر بقتلهما ، فجاء النقباء وحاجب الملك ورئيس شحنة المدينة وربطوهما من عنقيهما وسحبوهما الى السوق ، فتصايح مائة ألف رجل وامرأة فى المدينة وبكوا بكاء شديدا لأن الأخوين كانا معروفين بالفتوة والعفة والنقاء ، وكان كل أهل الولاية يحبونهما ، ولهذا فعندما أحضروهما تصاعد بكاء أهل المدينة ٠

يشاء القدر أن رئيس الشرطة كان على علاقة طيبة بهما لأنهما خدماه كثيرا سواء بالمال وسواء بالمعونة والمساندة ٠ كما أنهما كانا يزودان مطبخه باللحم ، وقد احترق قلبه عليهما ومن كثرة بكاء الناس من أجلهما ، فتقدم الى الشابين وقال لهما « يا أحرار الرجال والفتيان ، ان الملك أمر بقتلكما ، وتعلمان أننى لا أستطيع أن أفعل شيئا من أجلكما ، ووصل الأمر الى غايته ، وهذا موضوع يتعلق بالحياة أو الموت ، فاذا ضاعت الروح فماذا يبقى بعد ذلك ؟ ولا أرى أفضل من أن تقولا الحق وتذكرا

ما حدث بالصدق حتى أتشفع لكما عند الملك لعله يمكن انقاذكما من هذه المهلكة .

قالا « أيها الأمير ، ان الجميع في كل منغوليا يعرفوننا ، وأنت أيضا تعرفنا حق المعرفة وقد عشنا كريمين منذ نشأتنا ، وقسما بالله العادل الخالق ، أننا لا ندرى شيئا عن هذا الحادث المختلق ، ولو أننا علمنا لما قلنا أيضا ، وتركنا أرواحنا تضيع مع الرياح حتى لا تضيع شهامتنا وحرمتنا . كما أننا لن نشى بأحد ولن نتخلى عن أحد لأن الدنيا كلها سمعة وشهرة ، ولا يوجد أفضل من الفتوة ، وستخلدنا الفتوة والشهامة .

حين سمع رئيس الشحنة هذا الكلام أعجبه وامتلأ قلبه بالشفقة والرحمة ، فقال للنقباء وخدم الملك « انتظروا بعض الوقت حتى أذهب لأرمنشاه ثم أعود » . وحين قال هذا أثنى عليه مائة ألف رجل وامرأة ، فتركهم وذهب في سبيله .

تشاء ارادة الله أن رئيس الشحنة دخل مجلس أرمنشاه وأدى التحية ، ودعا للملك ثم قال « أيها الملك ، ان هذين الشابين القصابين طاهرا الذيل عفيفان ، وان أهل المدينة يبكون عليهما وينوحون ، ولو كانا آثمين لما بكى عليهما الناس هكذا ، ولو أنهما ارتكبا هذا العمل لاعترفا عندما وصلا الى ساحة الاعدام ، ومن الجائز أن طرمشة قال هذا الكلام حتى نقتلهما غدرا ويقع في مملكتك هذا الظلم ، وليس من الخير قتل مثل هذين الشابين والملك يعلم أننى أريد له العافية والقوة ، وهو أدرى بما يريد .

قال مهران الوزير « أيها الملك ، مر باحضار طرمشة لكى أسأله عن بعض الأشياء لعلنى أقف منه على خفايا هذا الأمر » . فأمر الملك باحضار طرمشة الى المجلس ، فلما جاء أدى التحية أمام العرش ، فقال له مهران الوزير « يا طرمشة ، سر هذا الحادث لم يتضح بعد ، وقد أمر الملك بقتل هذين الشابين القصابين البريئين ، ونحن نعلم يقينا وأنت تعلم أيضا أنهما بريئان ، والآن دعك من تحمل اثم دمهما . ومع كثرة آثامك وذنوبك فلا تضف لها جديدا ، وترفق بنفسك فان أحدا لا يريد الضرر بك أيضا ، ولعل الله يخلصك من هذه المشكلة اذا صدقت وقلت الحق ، وأنا أقول لك كل هذا لأننى أعلم أنك لا تعرف عن هذا الحادث شيئا لأن سمك العيار هو الذى ارتكبه » .

حين سمع طرمشة هذا الكلام من الوزير مهران قال « بالله العادل ، ان هذين الشابين بريئان ولا علم لهما اطلاقا بهذا الحادث » .

حين سمع الملك اعتراف طرمشة قال « أيها الحقير ، ألم يكفك أن ضيعت أسيرين كانا فى السجن ، ولم تحرس السجن كما يجب حتى جاء رجل واقتحم سجنى وأضاع هيبتى وفى النهاية تكذب هكذا على شابين ؟ ألم تخف من أن أقتل هذين الشابين دون ذنب وتجعل تبعة قتلهما فى رقبتى ؟ » .

قال طرمشة « أيها الملك ، لم أتحمل الضرب ، واستطعت بهذه الحيلة أن أنقذ نفسى » . وأمر الملك باحضار الشـابين القصابين الى المجلس ، فسرى شعور بالراحة والهدوء ، وأطلق أهل المدينة صيحات الفرح والسرور ، وذهب رئيس الشحنة وأخذ الشابين من على منصـة الاعدام الى مجلس الملك الذى أكرمهما وعظمهما ومنح كل منهما خلعة فاخرة وأطلق سراحهما ، فلما خرجا من قصر الملك فرح الناس وهللوا .

بعد هذا قال طرمشة « أيها الملك ، من المعروف أن سمك العيـار هو الذى فعل هذا وعندى عشرة من الأعيان يضمنوننى على أن سمك لم يخرج من المدينة وسأعثر عليه اذا أطلقت سراحى لأبحث عنه » .

قال له الملك « لك هذا » .

خرج طرمشة من عند الملك أرمنشـاه وخرج معه بعض النقباء ، فجمع عشرة من الأعيان المعروفين وذهب بهم الى الملك فضمنوه وخرج طرمشة وذهب الى السجن ، وكان جنى الكافر ما زال ملقى فى مكانه فحمله ودفنه ، ثم أخذ يطوف فى كل أنحاء السجن فلم ير أى منفذ أو نقب الى أن جاء الى حافة البئر ونظر فيها ثم قال « آتونى حبلا » ، فلما أحضروه ، ربطه فى وسطه ونزل فى البئر حتى وصل الى قاعها فرأى ماء جاريا ولاحظ ذلك السرداب وسار فيه قليلا الى أن وصـل الى بئر الحمام فصعد فيها وخرج الى الحمام القديم ومنه الى الطريق وعندئذ قال « واحسرتاه على أننى أحرس سجن الملك منذ مدة طويلة ولم أشك فى هذه البئر كما لم يتطرق الى ذهنى أو أفطن الى أنه يمكن أن يوجد منفذ من هذه البئر الى الخارج . ان سمك لرجل عظيم حسن الحظ اذ استطاع أن يعثر على هذا الطريق بهذه السرعة أو كأنه كان يعرفه منذ زمن بعيد ، أو ربما كان أحد كهول هذه المدينة يعرف هذا الطريق ودله عليه فتمكن من القيام بهذا العمل ، والا فكيف أمكنه العثور عليه فى ليلة واحدة ؟

ذهب طرمشة من هناك الى الملك وقال له « اننى عثرت على الطريق الذى استخدمه سمك ــ ووصفه له ــ فمر ، أيها الملك ، رجالك لمراقبة الطرق حتى أخرج للبحث عن سمك ورفاقه فى المدينة لأنهم ما زالوا بها » . فأمر الملك رئيس الشرطة أن يرسل رجاله فى الطريق لحراستها ، وأن

يتيقظوا عند الأبواب خاصة ، بينما أخذ طرمشة يفتش فى المدينة عن سمك وابنى كانون وسكينة ساقية الملك ٠

فى الجانب الآخر ، كان سمك فى بيت ورد مع الراعى الأسمر وسام ولهيب ، بينما كان ورد قد خرج وذهب الى قصر الملك ثم عاد وذكر لسمك كل ما حدث من الافراج عن طرمشة وتعيين رجال لمراقبة الطرقات ٠ فقال سمك « يا أخى ، اجلس ولا تفكر فى شىء لأننى ــ بمشيئة الله ــ سوف أتولى أمر الجميع ، وسأحاول الليلة أن أحضر لكم مهران الوزير ابن الفاعلة الحقير مقيدا لأنه مصدر كل هذه الشرور والآثام » ٠

أثنى عليه ورد وأخذ الجميع فى تناول الشراب ، واذا بسمك يصاب فجأة بألم فى بطنه ، اذ أن هذه الآلام كانت تنتابه أحيانا ولم يكن يبرأ منها الا بعد أسبوع حين تسكن ويشفى منها ، فلما اشتد عليه الألم سقط على الأرض وأخذ يتلوى ويتوجع وحوله ورد والأسمر وسام كما هو معلوم ٠

نعود للحديث عن خورشيد شاه ، فيقول مؤلف الأخبار أنه حينما تصارع قطران البطل وفرخ روز ولم يظفر أحدهما بالآخر ، تعاهدا على اللقاء فى اليوم التالى بالميدان وعاد كل منهما الى معسكره وظلا حتى انقشع الظلام وأشرقت الشمس وانتشر الضياء ، فتصاعدت دقات طبول الحرب من الجانبين ، وتحرك الجيش كأنه بحر غاضب مضطرب ، وقد اختفى الرجال فى دروع الحديد وساروا متجهين الى ميدان القتال ، يريد الأبطال منهم السعى الى النزال ، ويفكر الجبناء فى الفرار والاعتزال ، وتقدم النقباء فسووا الصفوف فى الجيشين الى ميمنة وميسرة وقلب وجناحين ٠

وقف خورشيد شاه فى قلب الجيش ، ووقف أمامه فرخ روز ، وكان قد جعل ضرغام بن السباع على الميمنة بينما كان قد أسند الميسرة الى البطل سمور ، وأوكل الجناح الى كرمون وعين على الساقة سنجر البطل ٠ وفى الجانب الآخر أعطى قزل ملك الميمنة لقطور شقيق قطران وجعل على الميسرة سمران وعلى الجناح سليم ٠

عندما اصطف الجيشان تقدم من جيش قزل ملك البطل قطران ، وأخذ يعدو بفرسه فى الميدان ، وظل ساعة يجول صائحا مهددا داعيا للقتال والنزال ، ثم جاء أمام قلب جيش خورشيد شاه ووقف وقال « يا فرخ روز ، لماذا تخلفت ؟ لقد دخل رفيقك فى القتال الى الميدان ، فان كنت على العهد فلتجرب نفسك اليوم » ٠

حينما سمع فرخ روز هذا الكلام نزل عن حصانه ، وأحكم ربط سرجه ثم همز حصانه وانطلق للميدان صائحا حتى وصل الى قطران فناداه قائلا « ما هذا التهديد والدعوى الزائفة والغرور بقوة ساعدك ، أتظن أنك

تعرف شيئا عن الرجولة وفنــون القتــال ؟ أرنى ما لديك من الشجاعة وما وراء هذا التهديد والوعيد » ٠

قال هذا ثم أشرع كل منهما رمحه وأخذا يتقارعان بهما حتى تقصفا فى يديهما ، ولم يظفر أحدهما بالآخر فألقيا كعبى الرمحين واســتلا سيفيهما العربيين من غمديهما ولبسا درقهما (١) وأخذا يتبادلان الضرب بالسيوف على الرءوس كما يفعل الحدادون الأقوياء عندما يطرقون الحديد على السندان حتى لم يبق من سيفيهما سوى مقبضيهما ، وتمزق الدرق على جسديهما ولم يظفر أحدهما بالآخر ٠

شدا عنانى جواديهما وتوقفا بعض الوقت للراحة ثم تناولا قوسيهما العاجيى المقبض الخوارزميتى الأوتار (٢) ، وأخرجا سهامهما من جعبتيهما وعادا للميدان وأخذا يتبادلان اطلاق السهام حتى تحطم قوساهما وفرغت سهامهما ولم ينتصر أحدهما على الآخر حتى توسطت الشمس قبة السماء واشتد الحر وحمى الحصى والرمال فتقدم النقباء من الجانبين وحجزاهما عن بعضهما لأنهما كانا قد بذلا جهدا كبيرا ، وفى الحال دقت طبــول التحاجز وتحاجز الجيشان وتوجها للراحة ، وأخذ الجند يتحدثون عن قطران وفرخ روز الى أن أقبل الليل وخرجت الطلائع للحراسة ٠

يقول صــاحب الحديث وراوى القصــة ومؤلف الأخبار انه حينما تخلص قطــور وقطران وسليم ومهران من السجن وأخــذوهم من وادى الخنزير ، أمر خورشيد شاه بكتابة رسالة الى الملك فغفور جاء بها :

« أيها الملك العظيم ، لقد حدثت عندنا أحداث كثيرة منها أن مهران الوزير الذى أرسلته الينا ليكون لنا عونا ومددا قد غدر وخان ، وظهر أن كل هذه الفتنة من صنعه وتدبيره ٠ وكان قد طلب جيش منغوليــا ليقابله فى الطريق الذى سلكه لكى يستولى على تلك الأموال ويبيد الجيش الذى كان برفقته ، ولكن الله نصرنا ووفقنا اذ انكشف لنا هذا السر واشتبكنا مع العدو فى قتال وأسرنا قطور وسليم والوزير مهران ، الا أنهم هزموا المدد الذى أرسلته لنا الا أننا قتلنا منهم أكثر مما قتلوا منا واستولينا على الأموال والى جانب من قتل منهم فى ميدان المعركة فقد أخذنا كثيرا من الأسرى قتلناهم أيضا فلما جاء الدور على قطور وسليم لنقتلهم أفشيا غدر الوزير مهران وأظهرا الرسائل التى كان قد كتبها ، فأرسلناهم الى

---

(١) الدرق ، درع من الجلد السميك ٠

(٢) خوارزمية نسبة الى خوارزم الدولة الاسلامية التى كانت تقع عند مصبى نهرى سيحون وجيحون فى بحيرة خوارزم التى تسمى اليوم بحيرة الأورال ومكانها الآن جمهورية القره قلبق ذات الحكم الذاتى ضمن جمهورية أوزبكستان وعاصمتها نوقوس ٠

وادى الخنزير ، وكانت النهاية أنهم استردوهم منا بالحيلة ، وكان هذا من تقدير الله ٠٠٠ » ٠

لهذا نطلب أن ترسل لنا المدد لأن العدو يصله مدد كل يوم من منغوليا ، ومع أننا لا نخاف منهم أو نخشاهم الا أن قلوب الجند ضعيفة والسـلام » ٠

حينما وصلت الرسالة الى الملك فغفور قرأها وعرف ما بها وأدرك ما فعله مهران الوزير قال لنفسه « كم كان قلبى يشك فى أن مهران الوزير لا يتحدث بصدق ، ولكننى كنت أستبعد هذا الظن ، وأعمل ما ليس صوابا حتى تسبب فى وقوع كل هذه الفتنة والحرب بينى وبين ملك منغوليا ٠ لقد أثار — ابن الفاعلة — هذا الظن وذلك الشك يوم أرسـل ابنه الى الميدان فى مواجهة خورشيد شاه ودبر تلك الحيلة ليزوج ابنتى لابنه ، وقد أدرك سمك العيار حيلته جيدا آنذاك ٠ كما سعى مهران اللعين سعيا حثيثا لكى أقتل خورشيد شاه وكان من الخير أننى لم أقتله بناء على كلام ذلك الحقير ٠ ومع أننى سعيت لذلك بعض الوقت الا أن الله حفظ خورشيد شاه وأنقذه من أيدينا ٠ لقد فعلنا ما أردنا ولكن الحظ كان حليفه ووهبه الله الملك ، ويجب الآن أن أعمل على الذهاب بنفسى على رأس جيش عظيم واعتذر اليه ٠ وأرد كيد الأعداء لأن الأمر جاوز الحـد » ٠

بعد حديث النفس هذا ، أمر الملك فغفور باحضار الكاتب فى الحال وأخبره بما أراد فكتب الرسائل الى كل الأقاليم والولايات مستدعيا الجند ومستنفرا الناس من كل مكان للقتال ، فلما أرسلت الرسائل اختاروا البطل قادر من مدينة تير ورد على رأس خمسة آلاف فارس ، وانتخب البطل آذر (١) ليقود عشرة آلاف فارس من مدينة أرمان ، وكذلك اختير نعمان على رأس سبعة آلاف فارس من بلاد الدر وتوجهوا جميعا مع غيرهم من بقية المدن والولايات الى مدينة الصين ٠

فتح الفغفور خزائنه وكان يكرم كل جيش يصل اليه ويغدق الأموال عليه ، ويجهزه بالسلاح والعتاد وكل ما يحتاج اليه حتى اجتمع خمسة وأربعون ألف فارس لديه ٠ بعد هذا أعد كثيرا من النفائس وثلثمائة حمل من الأمتعة والسلاح وأدوات المطبخ والسرادقات ، وأمر بسرادق من الأطلس الأحمر لخورشيد شاه ، حباله من الحرير وفى كل ناحية منه أربعة وعشرون عمودا ، واختاروا يوما يخرجون فيه بالزينة ، ولكن وصلت

(١) كان أبو سيدنا ابرهيم يسمى آزر كما أن « آذر » اسم لأحد الشهور البابلية يقابل شهر مارس ، وآذر فى اللغة الفارسية تعنى النار ٠

الى أسماعهم أصوات أبواق ودقات طبول من خارج المدينة مما جعل الملك فغفور يرتعد على عرشه من ذلك الهول ، وذهب لون وجهه من ذلك الغم ، أما المدينة فكأنها زلزلت زلزالا ٠

نهض أمراء الدولة من كان منهم جالسا أو واقفا وقالوا ما كل هذه الضجة ؟ وكان للملك فغفور خادم اسمه منصور أراد أن يخرج ليرى ماذا يحدث أو يدور كى يخبر به الملك فغفور ولكن وصل رجل وتقدم نحو العرش وقال « أيها الملك ، ان الناس جميعا ـ خاصتهم وعامتهم ـ يقفون على الأبواب وفوق الأسطح ويقولون ان جيشا جرارا قد نزل حول المدينة » ٠

قال الملك فغفور « يا منصور ، انظر من هم ، هل هو جيش صديق أم عدو ؟ ولأى أمر جاء والى أين هو ذاهب ؟ فامتطى منصـور جواده وانطلق فى اتجاهه مع خمسين فارسا حتى ابتعد نحو فرسخ عن المدينة ووصل الى تبة صعدها ونظر خلفها فرأى جيشا قادما يمتد حتى الجبل وهم يحطون رحالهم ، وسمع أصوات الطبول والأبواق تتردد فى الوادى مزلزلة ما حولها ٠

تطلع منصور فرأى فى مقدمة الجيش شيخا نورانيا ذا لحية بيضاء تتدلى على صدره حتى وسطه ، يمتطى صهوة بغل ضخم ، ويلبس درقا مصريا ويتعمم بعمامة من المقصب ، ويضع قدميه فى ركاب ذهبى وفوقه مظلة محلاة بالجواهر مزينة أحسن زينة ، وقد أمسك رجل بعلم مرفوع فوق رأسه ، وعلى هذا النحو كان الجيش يسير ، فوقف منصور فى ناحية حتى نزلوا ثم نصبوا الايوان والخيام والسرادقات ، وأقاموا مطبخهم ، وحل وقت العشاء ولم يزل الجند يصـلون ويضعون أمتعتهم وأحمالهم ويضربون خيامهم وكأنهم جراد منتشر لا يرى آخرهم ، ونظر منصور فيهم فلم ير زينتهم من الصين أو منغوليا أو أية من البلاد القريبة ، فوقف متعجبا حتى خيم الليل وكان وصول الجيش ما زال مستمرا ٠

عاد منصور الى الملك فغفور وأدى التحية وذكر أحوال الجيش وأنه بهذا الحجم وتلك العدة ، وأن زينتهم وسلاحهم من نوع آخر غير ما ألفوه أو عرفوه ، وروى كل ما رآه ، فاستغرق الملك فغفور فى التفكير وقال لنفسه « ترى جيش من هذا ، ويتبع أى دولة أو ملك ؟ لعله لأحد هؤلاء الأمراء الذين كانت المربية السـاحرة قد أسرتهم وعاد الى ولايته وأتى بالجيش ؟ لا أدرى من أية ولاية وماذا سيصيبنا منه » ٠

استغرق الملك فغفور طـول الليل فى التفكير حتى نكست رايات الليل ، وارتفعت أعلام النهار ، فجلس على عرشه ، وجاء أمراء الدولة ،

وأدخل الحجاب كل من أتى لتحية الملك من كل صوب وحدب ، وكان الملك فغفور مغتما وهو جالس على العرش ، ولكنه التفت الى منصـــور وقال له « انهض واذهب الى المعسكر وانظر لمن يكون ذلك الجيش ؟ ومن هو ملكهم ؟ ولماذا جاءوا حتى أعرف ماذا يجب أن نفعل ازاءهم ؟

ركب منصور جواده فى الحال وانطلق مع مائتى فارس من الفرسان وساروا فى طريقهم حتى وصلوا الى أطراف المعسكر وكان الجند ما زالوا يصلون ، فنظر منصـــور فلم ير لمعسكرهم نهاية وأنه يغطى مساحة نحو عشرة فراسخ ، ثم شاهد ايوانا من الأطلس الأحمر مزين بحاشية من الجواهر ، وهو مقام على أربعين عمودا ومشدودا بأربعمائة طناب من الحرير ومثبت فى الأرض بأوتاد فضية وذهبية ٠

تعجب منصور من هذا وتوجه الى الايوان حتى لم يبق بينه وبين الايوان الا رمية سهم واذا بالحراس والنقباء يتقدمون اليه ويصيحون فيه « كيف تجيئون هكذا متجاسرين ؟ أتظنون أنكم قادمون الى بيوتكم أو الى أحد الأربطة (١) ؟ ٠ عندئذ ترجل كل الفرسان ووقفوا فى أماكنهم فتقدم اليهم الحجاب وسألوهم » من أنتم ومن أين جئتم ؟

قال منصـــور « جئنا من عند الملك فغفور لنعرف أحـــوالكم » ٠ فاستبقاهم الحجاب فى أماكنهم وذهبوا الى ذلك الشيخ وقالوا « أيهـــا العظيم ، جاء قوم من المدينة يقولون ان الملك فغفور أرسلهم ليعرفوا أحوال هذا الجيش » ٠

قال الشيخ « اذهبوا واحضروهم » ٠ فتقدم حجاب شجعان أصحاب خبرة وهيبة وأخذوا يد منصور وأدخلوه الايوان ، وما كاد يدخل حتى أدى التحية واستمر يحيى كلما سار فى الايوان حتى وصل أمام العرش ، فلما نظر وجد ذلك الشيخ الذى كان فى مقدمة الجيش جالسا على عرش من الذهب ويقف أمامه سبعة شبان كأن وجوههم أقمار مضيئة ، واصطف الغلمان والحراس وأصحاب المقارع والنقباء على الجانبين كل فى مكانه ٠

تخطاهم منصور جميعا وأدى التحية أمام عرش ذلك الشيخ وقبل الأرض بين يديه ثم رفع رأسه وأثنى عليه ، فأمر ذلك الشيخ أن يجلسوه فى مكان أعدوه له ، ولكن منصور أدى التحية وقال « أيها العظيم ، لم أحضر للجلوس فعندى رسالة أذكرها وأعود » ثم قال « ان ملك الصين الملك فغفور يقول من أين ــ بالسعادة ــ قدمتم ؟ والى أين تذهبـــون ؟

---

(١) الرباط كان المكان الذى تنزل فيه قوافل المسافرين والتجار وحلت محلها الفنادق الآن مع الفارق ٠

وماذا تطلبون ؟ وما هو اسمكم ، والى من تنتسبون ؟ ولماذا جئتم الى هذه الولاية ؟ وهل أنتم عابرون أو مقيمون ؟ أصدقاء أم أعداء حتى نعرف منزلتكم ونعين لكم مرتبتكم وقدركم ؟ وكان منصور بليغا فصيحا حلو الحديث حتى أن الشيخ أعجب بكلامه وحسن بيانه لأنه كان يتحدث بتعقل ورزانة . ولهذا أمر الشيخ آن يجلسوا منصور على كرسى ذهبى .

أخذ ذلك الشيخ الوقور فى الكلام فقال « أيها الرجل الحر ، ان ملككم هذا ليس لديه أى عقل ، وليس له فى الملك أى تدبير أو رأى ، ولا يوجد عنده من أصول الملك الا الاسم ، ان الملك لا يكون على هـذا الرسم . لماذا لم يقم بأمر الملك كما يجب ؟ كان يجب عليه أن يبث العيون والجواسيس على الطرق ويكون له رجل معتمد موثوق فى كل ولاية صديقة أو عدوة حتى يخبروه بكل خير أو شر . فكل ملك لا يعلم عن خير العدو أو شره لا يستقيم ملكه . والغفلة غير جائزة فى قواعد الملك وأصوله . اذ كيف يصل جيش جرار كهذا ليدق أبواب المدينة ولا يدرى به أحد ؟ ولو أنه دخل قصره لما علم به . هل حين يدخل الجيش قصره يرسل من يسأله من أين جئتم والى أين تذهبون ؟ أصدقاء أو أعداء ؟ أى ملك هذا ؟

أدى منصور التحية وقال « أيها الملك العظيم ، القول ما قلت . أما السبب فى هذا فهو أن الملك فغفور لا يضمر حقدا لأحد قط ، والولاية كلها له ، وهو يعمر مملكته بالحق والعدل ، ولم يعتد قط على ولاية أحد حتى يعتدى أحد على ولايته ، وهو آمن فى ملكه . ومع أن هذا ليس صوابا الا أنه الحقيقة القائمة . ولا شك أن جيشا كهذا قد يصل الى أبواب المدينـة ولا يعلم به أحد حتى تصاعدت دقات الطبول الحربيـة فارتجت لها المدينة وعلمنا منها بوصول الجيش » .

قال ذلك الشيخ « لقد أتينا برسالة ، ولتعلم وتثق أننا جميعا عبيد وخدم للأمير خورشيد شاه بن مرزبان شاه ملك ولاية حلب وكل ولايات التركستان والعراق والعراقين والشام والشامات ، وقد أرسلنا مرزبان شاه الى هذه البلاد لنلتحق بخدمة ابنه خورشيد شاه الذى جاء الى هنا لخطبة بنت الملك فغفور . وقد مضت مدة لم نسمع عنه شيئا ولم نر له أثرا وقد بعثنا مرزبانشاه لنعيد اليه ابنه لتقر به عينه ، أما اذا كان قد أصابه مكروه فاننا لن نبقى على حى فى مدينة الصين وسنحمل تراب المدينة فى أكياس علف الخيل معنا الى حلب . لقد جئنا لهذا ، فعد وأخبر الملك فغفور به » .

حين سمع منصور هذا الكلام فرح وابتسم وقال « أيها الملك العظيم ، ان خورشيد شاه سالم معافى ، وهو ملك الصين لأنه صهر الملك فغفور ونحن جميعا عبيده » . فلما سمع الشيخ أن خورشيد شاه حى وسالم

فرح وفرح من معه ودب النشاط والسرور فى الأبطال ، ثم التفت ذلك الشيخ الى منصور وقال له « عد وأبلغ سلامنا ـ نحن العبيد ـ الى الملك فغفور وقل له اننا عبيد خورشيد شاه وخدم الملك فغفور جئنا من حلب بأمر من مرزبان شاه فى مائة وثلاثين ألف فارس » ٠

أدى منصور التحية وعاد متوجها الى المدينة ، فلما وصل الى أبوابها وجدها مغلقة وقد وقف الرجال على الأبراج وأخذوا ينصبون المنجنيقات (١) ويعدون العرادات (٢) والقاذفات فأمر بفتح الأبواب ودخل ومن معه الى المدينة فرأى الطرقات وقد وضعت بها المتاريس والناس يضعون الأخشاب فى الشوارع والأزقة وقد سيطر الاضطراب على المدينة ٠ فصـــاح فيهم منصور ، « انزعوا كل شيء وارفعوا الأخشاب وافتحوا الطرقات والبوابات وعلقوا الرايات واقيموا الزينات والأفراح لأن كل هذا الجيش الذى وصل تابع لنا » ٠ وكان يقول هذا وهو يسير متوجها الى القصر حتى وصل الى العرش فرأى الملك فغفور وقد نزل عن عرشه وجلس على الأرض ، ووقف أمراء الدولة فى ضيق وغم لأنهم ظنوا أن الجيش لعدو من الأعداء ويجب عليهم أن يقاتلوه ، فى حين أن جيشهم مشغول بحرب أرمنشاه ، فكيف يواجهون هذا الجيش ؟

حين رأى منصور أن الملك فغفور مغتم قال « أيها الملك ، لن أتكلم الا اذا أخذت خلعة ، وليطمئن قلبك فالأمر كله خير وسرور » ٠ وكان فى يد الملك فغفور عقد ثمين قيمته تزيد على ألف دينار فأعطاه لمنصور ثم قال « تحدث يا منصور فقد احترق قلبى وأنا لم أرسلك فى أمر قط الا وعدت بما أريد ، جعل الله كل أعمالك مثل اسمك » ٠

قال منصور « أيها الملك ، اجلس على العرش واسعد فان هذا الجيش تابع لمرزبان شاه مالك حلب وكلهم عبيد وأبناء عبيد وخدم لخورشيد شاه ، وجاءوا لخدمة ملكهم ٠ أيها الملك ان عليهم شيخا جليلا نورانيا تحدث فى البداية بالشدة والهيبة بما لا يمكن وصفه ، ثم أعاد منصور ذكر ما قاله الشيخ له ٠

فرح الملك فغفور واعتلى العرش وأمر فنادوا فى المدينة أن يأمن الناس فان الجند منا ، وهم عبيد وخدم لصهرى وابنى خورشيد شاه ، ولهذا يجب أن تزينوا المدينة » ٠ ثم التفت الى أمراء الدولة وقال لهم « لقد كان

---

(١) المنجنيقات مفردها منجنيق آلة لقذف كتل كبيرة من الأحجار أو سهام كبيرة كالصواريخ ٠

(٢) العرادات مفردها عراده وهى العربة ومازالت الكلمة مستعملة فى افغانستان للسيارة ٠

خيرا اننى لم أعمل بقول ابن الفاعلة مهران الوزير ولم أقتل خورشيد شاه والا لكان هذا الجيش قد دمرنا تدميرا . والآن يجب علينا أن نذهب لرؤية هذا الجيش ونعرف من الذى جاء على رأسه » . ثم أمر بفتح الخزائن وأخرجوا أموالا كثيرة من الذهب ، وأحضر طباخى المدينة وأمرهم باعداد وليمة كما نادى المنادون فى المدينة لكى يقيم أهلها الزينة لأن اليوم ليس يوم قتال بل هو للترحيب والاستقبال وكل من يعمل عملا يأخذ أجره ومن لديه شىء يبيعه يأخذ حقه ، وليس لأحد على أحد سلطان . وهكذا أخذ المنادون ينادون فى المدينة ، وانشغل الناس فى أعمالهم ، ونهض الملك فغفور فى الحال وخرج من المدينة فى ألفين من المقربين والأحباء والأبطال (١) ، وجميعهم فى أكمل زينة ، يتقدمهم منصور حتى اقتربوا من المعسكر المذكور .

ذهب صاحب الخبر (٢) الى ذلك الشيخ وأخبره أن الملك فغفور سوف يصل ، وكان ذلك الشيخ هو هامان الوزير ومعه سبعة من الأبطال هم جواد وهرمز وشروان الحلبى وغراب العربى وبدوى وصقر الرازى ورعد . وكان هؤلاء الأبطال السبعة يرافقونه ومعه غيرهم من الأحباء خرجوا لاستقبال الملك فغفور ، وحين وقعت عينا هامان الوزير على الفغفور ملك الصين نزل عن فرسه ونزل كل الأبطال وتقدموا نحو الملك وأدوا له التحية .

أراد الملك فغفور أن يترجل عن فرسه الا أن هامان الوزير منعه وقبل ركاب فرسه ، وكان كل الجند قد نزلوا عن خيلهم والملك راكب جواده فقال لهامان الوزير « اركب أيها الشيخ فلا يجوز أن تسير وأنا راكب » .

حياه هامان الوزير وقال « نحن عبيدك ، والايوان قريب وسنذهب اليه سائرين معك » . ومشى كل الجند خلف الملك فغفور الذى كان يركب حصانه بينما كان هامان الوزير ممسكا لجامه ، حتى أتى به الى جانب العرش ، فأنزل الملك رجليه ووضعهما على العرش ثم جلس عليه .

وقف هامان الوزير فى خدمة الملك فغفور الذى قال له « أيها الشيخ المبارك ، اجلس فلا حاجة لنا بالخدمة لأن الجماعتين كل واحد » . فجلس هامان الوزير وأخذ الملك فغفور يسأله « من تكون من مرزبانشاه ؟ ولأى سبب جئت الى هذه الولاية » ؟ .

---

(١) الأحباء جلساء الملك وخاصته وأحدهم حبأ .

(٢) صاحب الخبر أو صاحب البريد كان كرئيس المخابرات حاليا .

قال هامـان الوزير « أيهـا الملك ، اسمي هامان الوزير ، عبد مرزبان شاه وخادمه وقد أضفى على من عظمته حرمة ، وجعلنى وزير ملكه ، وهؤلاء الأبطال السـبعة الواقفون فى الخدمة هم جواد وهرمز وشروان الحلبى وغراب العربى وبدوى وصقر الرازى ورعد من أبطال الملك ، وكل هـذا الجيش تابع لهؤلاء الأبطال . ثم ان معى رسالة من مرزبان شاه اليك ، الملك فغفور ملك الصين » . قال هذا وأخرج الرسالة وقبلها ووضعها أمام الملك فغفور الذى تناولها وقبلها وفض أختامها وقال « أيها الوزير العظيم أعرف أنك الذى كتبت هذه الرسالة وليس عندنا أحد هنا فيحسن أن تقرأها » . ففتح هامان الوزير الرسالة وأخذ فى قراءتهـا وكان كل أمراء الدولة جالسين أو واقفين حسب درجاتهم ومما جاء بها :

« بسم الله الملك الأعظم ، هذه الرسالة منى أنا مرزبانشاه ملك حلب الحزين المغموم ، المكتوى القلب ، المتجرع لكئوس الفراق ، المعذب الروح ، البعيد عن أمل الفؤاد ، المحروم من رؤية الابن ، اليك أيها الملك فغفور ملك الصين الموفق فى الملك ، صاحب المائة ألف جندى ، الحافظ للحق والانصاف الباسط للعدل ، مانع الاجحاف . حينما تصل اليك رسالتى وتعلم ما بها ، فلتعرف أن لى ابنا ــ لا ليس ابنا ــ بل قطعة من قلبى ، زينة الدنيا وسعادتها واقبالها ، ذا عقل وفضل وأدب ، لا نظير له فى الشجاعة ، مشهور في الدنيا بل هو أشهر كل بنى آدم ، اسمه خورشيد شاه ، كان من تقدير الله أن اعترته رغبة جامحة ، وشاءت ارادة الله أن يصل الى ولايتك لخطبة ابنتك مه برى . وكنت قد تمنيته من الله لحاجتى اليه ، وقد مضت ثلاثة أعوام منذ ابتعد عنى تلبية لنداء قلبه ، وأنا فى أشد الألم لفراقه ، واسودت الدنيا المضيئة فى عينى حزنا عليه ، وهجرنى الصبر وجفتنى الراحة . ويبدو ــ كما أخبرونا ــ ان ابنى لحق به كثير من الأذى حتى صار يخشى على حياته . أما كيف حدث هذا فليس من المفيد ذكره ، والقاء التهمة على ديوانكم العالى ترك للأدب ، لأن ذلك كله من تقدير الله ، فهو الذى حفظه من القتل ونجاه من القيد والسجن ، وقد بلغنا أنه طريد شريد يطوف البلاد كالضائع المجهول .

لهذا يجب عليك ــ عندما يصل هذا الجيش مع معتمدى وثقتى هامان الوزير ــ ألا تنشغل بأى شىء آخر حتى ترسـل الى فى الحال ابنى خورشيد شاه ، نور عينى وراحة قلبى وقوة روحى ، مع ابنتك زوجة له لأننى لا أستطيع أن أتجرع ألم الفراق أكثر من هذا .

ومع أننى أرسلت له مائة ألف دينار لكى ينفقها ويعود الى ، فان كل ما يهمنى هو أن تعيد الى خورشيد شاه مع ماه برى بأسرع ما يمكن .

واذا كانت ــ والعياذ بالله ــ شعرة واحدة من شعر ابنى قد نقصت فاننى أمرت الجيش أن يضرم النار فى مدينة الصين ، وألا يدع أحدا على قيد الحياة فيها ويحمل رماد المدينة فى أكياس علف الخيل الى مدينة حلب . واذا لم يكف هؤلاء المائة والثلاثون ألف جندى الذين أرسلتهم فاننى أعد ثلثمائة ألف جندى آخر وسوف أرسلهم فى أثرهم لكى أدمر كل ولاية الصين بحيث لا يذكر أحد أبدا أنه كانت هناك دولة فى يوم من الأيام اسمها الصين ، وترقب وصولنا يوما بعد يوم .... » .

حينما سمع الملك فغفور هذه الرسالة وعرف ما بها ، شكر الله فى نفسه على أنه لم يرتكب ذلك الخطأ وهو قتل خورشيد شاه ، والتفت الى الوزير هامان وقال « أيها المعتمد والحبأ والذخر لأخى العزيز مرزبان شاه ، لماذا استحل لنفسه كل هذا العتـــاب والتهديد من أجل ابنـــه خورشيد شاه ؟ معاذ الله أن تعلق بذيل ردائه ذرة من غبار ، ان خورشيد شاه ابنى وعزيزى وفلذة كبدى وراحة قلبى ونور عينى ، ولكن هاجمنا جيش من منغوليا على رأسه قزل ملك بن أرمن شاه الذى جاء لكى يأخذ ماه برى ، ولهذا أرسلتها الى القلعة الشاهقة وذهب خورشيد شاه لصد جيش المغول وهو مشغول فى قتالهم » .

أمر هامان الوزير بخلع الايوان فى الحال . فقال الملك فغفور « أيها الوزير العظيم ، تمهل حتى تستريح من عناء السفر والطريق وتغمس خبزك فى ملحنا ، وتزين مدينتنا بمشاهدتك لها لأننى أيضا أجهز جيشا ، وهناك خمسة وأربعون ألف فارس ذاهبون للانضمام لخورشيد شاه » .

قال هامان الوزير « أيها الملك ، لم يأمرنا مرزبان شاه بالانشغال بشىء آخر ولم نأت هنا للراحة ، بل أمرنا أن نكون فى أى مكان يكون فيه خورشيد شاه . والآن وقد ذهب للقتال فهل نجلس هنا للراحة ؟ لا يجوز التهاون فى تنفيذ الأوامر لأننا ان لم نطعها كنا من العصاة . فما هى المسافة من هنا حتى نصل الى معسكر خورشيد شاه ؟ » .

قال الملك فغفور « انها نحو عشرين فرسخا (١) لا يمكن قطعها فى يومين » . فلم يتوقف هامان الوزير بل نهض وقال « فكوا الايوان » ولم يكد يتم كلامه حتى كانوا قد فكوه وتحرك الجيش .

هكذا يقول مؤلف الأخبار وراوى القصـــة أن سبب مجىء هامان الوزير هو أنه حينما خرج خورشيد شاه وسمك والثعلب وفرخ روز من شعب الصخر ، وقام سمك بقتل السباع ثم أمسكوه ، وذهب خورشيد

---

(١) الفرسخ بالتحديد ٦٫٢٥ كيلو متر وبالتقريب ٦ كيلو مترات .

شاه وفرخ روز والثعلب الفيلم الى بيت زيد العيار واستدعى خورشيد شاه ابن عمه جمهور من النافذة وعرفه بالأمر وكتب رسالة لأبيه شرح فيها ما حدث له ومما قاله فيها « أرسل أموالا وفيرة مع جيوش كثيرة » ثم ذكر كل أحواله وأعطاها لجمهور وأرسله الى حلب .

وصل جمهور الى الولاية وذكر الحالة وسلم الرسالة فقرأها مرزبان شاه وكان بها كل شيء فحزن على ابنه وأخذ يبكى ويتألم عليه ، ثم استدعى الجند من كل حدب وصوب ، وأنعم عليهم وأرسلهم مع هامان الوزير ، كما أرسل رسائل الى الولايات الأخرى يستدعى مزيدا من الجند ليعدهم ويجهزهم لأنه كان ينوى الذهاب فى أثر هامان الوزير الذى كان قد وصل بجنده الى الصين .

يقول مؤلف الأخبار وراوى القصة انه عندما تبارز قطران وفرخ روز فى ذلك اليوم ، ولم يظفر أحد منهما بالآخر ، عادا وخلدا للراحة ، وكان كانون جالسا فى خدمة قزل ملك فقال « أيها الملك العظيم ، اننى جئت لكى أذهب للقلعة الشاهقة وأحضر ماه برى ، وقد انقضى وقت طويل فى اخراج قطران البطل والآخرين من السجن ، وسأذهب — باقبال الأمير وسعادته — لكى أحضر ماه برى من القلعة الشاهقة وأسلمها للأمير وبهذا أرد على أعمال سمك » .

كانوا فى هذا الحديث حينما دخل رجل الى الايوان وأدى التحية وقال « أنا قادم من منغوليا أحمل رسالة من الملك » ثم أخرج رسالة وضعها أمام قزل ملك فتناولها الأمير وسلمها لشاكر الكاتب وقال له اقرأها » . ففتح شاكر الرسالة وأخذ فى قراءتها وكان بها :

« يا بنى ، اعلم أنه حينما ذهبت — والسعد حليفك — ثم أرسلت رسالة جاء بها أنهم بعثوا ماه برى الى القلعة الشاهقة ، وأسروا قطران ، وتطلب ارسال المدد الذى أرسلته لك . وكان فى الجيش الأمير كانون الذى تعهد بالذهاب واحضار رأسى سمك والثعلب الفيلم ، وأسر خورشيد شاه حيا ، والاتيان بماه برى من القلعة الشاهقة ، وحينما قام كانون بذلك العمل الجرىء وهو اخراج الأبطال من سجن الأعداء ، جاء سمك الى هنا وسرق سكينة الساقية مع كثير من أدوات حانتى ، كما أن ابنى كانون اختفيا . ولما بعثت الينا الراعى الأسمر وسام أسيرين ، قال مهران الوزير اقتلوهما فلم أفعل ذلك وأرسلتهما الى سجن طرمشة فاختطفوهما فى نفس الليلة . وهكذا يجب أن تكون الرجولة ، وقد هتكوا حرمة السجن . ومع أنه لم يتضح من الذى فعل هذا الا أن الوزير مهران يقول ان سمك يستطيع أن يقوم بهذه الأعمال . ومنذ قمت أنت بعمل

ولم تتمه للآن فانهم قاموا هنا بكثير من الأعمال ولهذا أردت أن يعلم ابنى ما حدث والسلام » ٠

حينما انتهى شاكر من قراءة الرسالة سمع كانون خبر ولديه فبكى وقال « وا أسفاه على ابنى البطلين ، ترى ماذا لحق بهما وماذا صنعوا فيها ؟ أمن الأحياء هما أم من الأموات ؟ هل قتلوهما أم لا ؟ وأخذ فى البكاء حتى قال له قزل ملك « اطمئن فان أحدا لن يطاوعه قلبه على قتل مثل هذين الشابين » ٠

حزن كانون ولكنه قال « انهض يا كافور لكى نذهب لاحضار ماه برى من القلعة الشاهقة ونعود بعد ذلك لنبحث عن ولدى » ٠ وكانا فى هذا الحديث حين دخل جاسوس وألقى بقلنسوته على الأرض أمام قزل ملك وصاح قائلا « أيها الأمير ، الحذر فانى قادم من الصين وكان الملك فغفور يستدعى الجنود ليمد بهم خورشيد شاه حينما وصل من حلب مائة وثلاثون ألف فارس بعث بهم مرزبان شاه أبو خورشيد شاه ، وهم قادمون الى هنا ، ولو وصلوا جميعا لسحقوا جيشنا تحت حوافر خيولهم » ٠

حينما سمع الأمير قزل ملك هذا الخبر سأل الجاسوس « ألا تعلم ان كانوا قد وصلوا الينا أم لا » ؟

أجاب الجاسوس « لا أعلم ولكنهم سيصلون سريعا » ٠ فاغتم قزل ملك وقال لقطران البطل « لننتظر حتى يصلوا ، فان طقناهم وقدرنا عليهم فبها ، والا توجهنا الى منغوليا ٠ وسوف نقاوم حتى يذهب كانون ويأتى بماه برى » ٠ وحينما سمع كانون هذا قال « ان الأمر سينتهى لصالحنا ووفق مرادنا » ٠

كان كانون يجيد الكتابة ، فأتى بقلم ودواة وكتب رسالة على لسان الملك فغفور الى ابنته الأميرة ماه برى بخط حسن وعبارة جذابة وذكر فى أولها اسم الله ثم قال « منى أنا فغفور الى ابنتى ماه برى ملكة الدنيا ، حينما تصلك رسالتى فاعلمى أنه وصل مائة وثلاثون ألف فارس من ولاية حلب بعثهم مرزبان شاه ليكونوا فى خدمة ابنه ولقد بلغك أن خورشيد شاه ذهب لقتال العدو ولحق به الجيش لمساعدته ، وأرى أنه لن يمر أسبوع الا ويعود خورشيد شاه ظافرا منتصرا ، فيجب عليك حين تقرئين رسالتى هذه أن تقومى فى الحال وتعودى لكى تجهزى هذا القصر بعنايتك وتعديه فى اسبوع حتى اذا رجع خورشيد شاه سالما عقدنا العقد وأقمنا العرس ، لأنه يجب أن تذهبى مع خورشيد شاه الى ولاية حلب ٠ ولا يجب أن تتأخرى لأن الرسالة بخط شهدار أحد أحباء مرزبان شاه ،

ويبدو أنه يمت بقرابة لخورشيد شاه ، ولهذا أرسلناه حتى يعجل فى العودة والسلام » ٠

حين أتم كانون الرسالة على هذا النحو ختمها وقال « أيها الأمير ــ باقبالك وسعدك ــ سوف أذهب لاحضار ماه برى من القلعة الشاهقة » ٠ ثم طلب أن يعطوه خمسة من الخدم ، كما أعد احتياجات الطريق مع تابعه كافور وحمل ما يلزمهم وخرج ٠

حينما وصل كانون الى أسفل القلعة الشاهقة تطلع اليها فرأى جبلا منفردا منفصلا عن كل جبال الدنيا خلقه الله بقدرته ، تناجى قمته أذن الجوزاء وتظنه الكواكب كوكبا ، وعلى قمته بنيت تلك القلعة الشاهقة التى لا يؤدى اليها سوى طريق ضيق مظلم ٠ فقال كانون لنفسه « لو أراد أحد الاستيلاء على هذه القلعة بالقتال لاستعصى عليه ذلك ولو كان معه جيوش الأرض كلها » ٠ قال هذا وتوجهوا للقلعة بعد أن حولوا طريقهم ليظهروا كأنهم جاءوا من الصين ٠

كان لا لا صالح وبهجة الروح جالسين فى النافذة يتطلعان فشاهدا سبعة فرسان قادمين من ناحية الصين يصعدون الى القلعة حتى وصلوا الى بابها ثم نادوا قائلين « معنا رسالة من الملك فغفور الى ابنته الأميرة ماه برى » ٠

كان لا لا صالح منذ أن استولى سمك على القلعة الشاهقة وسلمها له يقف دائما فوق برج الباب ، وكانت ماه برى وبهجة الروح والآخرون غالبا ما يجلسون عنده ، فقال لا لا صالح للرسول « هات الرسالة حتى ننظر فيها » ٠ فأدخل كانون الرسالة من شق الباب وأخذها لا لا صالح وحملها الى ماه برى وذكر لها ما جرى ٠

فضت ماه برى الرسالة وقرأتها ولاحظت ما بها من لطف وقالت « ولكن سمك قال لا تفتحوا باب القلعة الا اذا رأيتمونى أو رأيتم خورشيد شاه ، ولا تدعوا أحدا قط يدخل اليها فقد تكون خدعة أو مكيدة » ٠

أجابتها بهجة الروح « يجب أن نذهب الى الباب ونستمع اليهم لأن الرسالة من أبيك ، والدليل صحيح » ٠

عندئذ ذهبت الأميرة مع الآخرين حتى وقفوا خلف الباب وقال لا لا صالح « ما اسمك أيها الرجل الحر لأننى لم أرك أبدا » ٠

أجابه كانون « يا لالا ، ان الملك العظيم ذكر فى الرسالة ان اسمى شهدار ، وأننى أمت بقرابة الى خورشيد شاه ، وقد جئت مع الجيش لخدمة الأميرة ، فقل لماه برى أن الجيش ذهب من هناك لمساعدة خورشيد

شاه وأرسلوني الى هنا لأكون فى خدمتك وأحملك الى أبيك ، حتى اذا عاد خورشيد شاه عقدنا القران ، ولا أدرى ان كان الأمير سيصل قبلنا الى الملك فغفور أم لا » .

حينما سمعت ماه برى هذا الكلام لان قلبهـا ورق لسانها خاصة وأن هذا هو أملها وكانت متيمة بحب خورشيد شاه ، فلما سمعت حديث الوصال استولى عليها السرور ، وانخدعت بكلام كانون فقالت « يا لالا ، ماذا ترى فى هذا الأمر ؟

قال لالا صالح « أيتها الملكة ، انه من أقرباء خورشيد شاه وقد أرسله أبوك ، وأنت تعلمين ما بعد هذا » .

قالت ماه برى « لا أدرى ماذا أفعل وأنت أكثر دراية » .

قال لالا صالح لبهجة الروح « يجب أن نذهب فالى متى يجب أن نبقى فى هذه القلعة ؟

أجابته بهجة الروح « لا أعرف ماذا أقول فى هذا الشأن » وأخذ كل منهم يدلى برأيه حتى نفذ التقدير الالهى وفتحوا الباب فدخل كانون القلعة ووجد الأميرة جالسة وبهجة الروح واقفة فى خدمتها ، ونظر كانون الى قدها وقوامها وجمالها وحسنها فاستولى عليه العجب وقال فى نفسه « لا يمكن أن تكون هناك فتاة على هذا القدر من الجمال ، وليس غريبا أن يتحارب الخلق من أجل وصالها » ثم أدى التحية لها وقال « أيتهـا الأميرة ، لا تفكرى فى الوقت فانه يجب علينا الذهاب بسرعة » .

فقالت ماه برى « يلزمنى هودج » .

أجابها كانون « أيتها الملكة ، لقد طلبته من الملك فقال ان الطريق قصير وحينما تقترب أخبرنا حتى نقابلك بالهودج ، والآن اركبى الحصان حتى نذهب » .

وعندئذ ركبت ماه برى ولالا صالح وبهجة الروح ، وكان من بين الخدم المرافقين لكانون خادم اسمه مفتاح قال له كانون « تحفظ على هذه القلعة حتى يرسـل الملك أحدا ، ولتبق معك هاتين الفتـاتين ومعهما خادمين » .

حينما انتهى كانون من هذا وسلم القلعة لمفتاح ، سار فى طريقه ومعه الأميرة وبهجة الروح ولالا صالح وكافور وكانوا يسرعون فى سيرهم حتى وصلوا الى روضة جميلة فنزلوا بها واستراحوا زمنا ، وأكلوا بعض الطعام . وفجأة تصـاعد غبار من ناحية فى الصـحراء فقال كانون

« وا أسفاه ، ان عملنا سيفشل وسيذهب سعينا أدراج الرياح ولا أدرى ما سيلحق بنا » . وكان يفكر فى كل احتمال لكى يدبر وسيلة للتخلص منه وعيناه مركزتان على الغبـار ، وفجأة ظهر حمار وحشي يتجه نحو الروضة للاحتماء بها فلما رأى أناسا عاد من حيث أتى .

سر كانون ونهض فى الحال وركبوا وسـاروا فى طريقهم سـالكين دروبا مطروقة وغير مطروقة حتى انتصف الليل ، وكان يحمل سلاحه ومعه قربتى ماء ربطهما فى سيوط السرج وكان فى احدى القربتين دواء مخدر والأخرى ليس بها مخدر ، فحل القربة الخالية ووضعها على فمه وأخذ يشرب ، ومن المعروف أنه حينما يشرب أحد أثنـــاء الطريق فان الآخرين يشتهون الشرب أيضا خاصة أثناء الليل .

طلبت ماه برى الماء وقالت « يا لالا ، اعطنى الماء لأشرب » . فسمعها كانون ففك تلك القربة التى كان بها المخدر فى الحال وأعطاها الى لالا صالح ليناولها لماه برى . وكانت عادة ماه برى أن أى شيء تريد شربه تسقيه أولا لبهجة الروح ولهذا أعطت القربة الى لالا صالح فشرب ثم ناولها لبهجة الروح فشربت ثم قدمتهـا لماه برى حتى شربت هى الأخرى وأعادوهـا لكانون . وبعد فترة أثر الدواء فى رأس الأميرة فأخذت تدور كما أخذ قلبها يؤلمها فقالت « يا لالا صالح ويا بهجة الروح ، انه الغدر ، لقد قلت لكما تأكدا جيدا فقد تكون مكيدة ونهلك جميعا » . قالت هذا وسقطت عن فرسها ، وكان لالا صالح وبهجة الروح قد ثقل رأساهما أيضا وسقطا ، فنزل كانون عن حصانه وقطع رأس لالا صالح وذهب الى بهجة الروح ليفصل رأسها عن جسدها ولكن قلبه أشفق عليها لأنه كان قد استمع الى غنائها حينا ، وقال لا يجب قتل مثل هذه المطربة خاصة وأنها امرأة .

استقر رأى كانون على هذا ، وقام الى ماه برى وقيدها كما قيد بهجة الروح وحملهما وأسرع فى سيره حتى وصل الى مقدمة الطلائع ، وكان قطران البطل فى تلك الليلة هو الذى يتولاهـا ، فتقدم نحوهم وسألهم « من أنتم » ؟ ونظر فيهم فرأى كانون البطل ففرح واتجه اليه وقال « أيها البطل هل جئتم بالمراد أم لا » ؟

قال كانون « أيها البطل ، أسعدك الله ، لقد أتيت بماه برى وبهجة الروح المطربة ، واستوليت على القلعة الشاهقة وجعلت عليها مفتاح الخادم مستحفظا » .

أثنى عليه قطران وصـحبه الى الايوان ، وكان قزل ملك ما زال يشرب وهو سـكران وأدى التحية كانون وقطران ، فقـال قزل ملك « يا كانون ، هل جئت بالمراد أم لا ؟ أسبعا عدت أم ضبعا ؟ .

قال كانون « باقبالك وسعدك جئت بالمراد وأنا سبع دائما » ثم أحضر ماه برى وبهجة الروح أمام قزل ملك ٠

نظر قزل ملك فى جمال ماه برى — ومع أنه كان يحمل فى رأسه رغبة جامحة اليها — الا أن تلك الرغبة تبدلت الى عشق وشغف ووجد ، ورغم أن الأميرة كانت غير واعية الا أنه لم يستطع رفع عينيه عنها ، ثم قال « ماذا أصنع بها هنا ؟ يجب علينا أن نحارب ، ولهذا يلزم أن أرسلها الى منغوليا ليرعاها أبى حتى نفرغ من القتال » ٠

قال كانون « أيها الأمير ، ان ماه برى لا يمكن ارسالها الى منغوليا لأن سمك العيار هناك ، وقد أخرج الراعى الأسمر وسام فى الليل من سجن طرمشة ، كما أخذ سكينة الساقية وأدوات حانة الملك وخطف ابنى ، فان أرسلت ماه برى الى منغوليا وحافظوا عليها قدر طاقتهم فانه سيأخذها أيضا ٠ ولهذا يجب ارسالها الى قلعة الفلك لأنها قلعة محكمة ولو اجتمعت جيوش العالم لما استطاعت الوصول اليها ، ولا يستطيع ألف مثل سمك أن يصل اليها ، كما أن مستحفظ القلعة هو دخان ، وهو رجل ذو أمانة وخدمة قديمة ٠ ولهذا يجب ارسال ماه برى الى تلك القلعة حتى نعرف أحوال ذلك الجيش وماذا سيحدث لنا ، فاذا اضطررنا للرحيل كنا آمنين على ماه برى فأرسلها الى قلعة الفلك لأننى سأعود الى منغوليا » ٠

قال قزل ملك « ان كان الأمر كذلك فيجب أن تذهب أنت حتى تسلم ماه برى بنفسك ثم تذهب الى منغوليا » ٠

أجابه كانون « سمعا وطاعة » وفى الحال أخذوا يعدون للرحلة ، ورافق ماه برى وبهجة الروح خمسون فارسا ساروا فى طريقهم الى قلعة الفلك ٠

كان من قضاء الله أن قزل ملك حينما أرسل الأميرة ماه برى الى القلعة استخفه الفرح والسرور وكان يحدث أبطال الجيش قائلا « لقد أحسن كانون باستيلائه على القلعة الشاهقة واحضار ماه برى ، ولا يستطيع أحد أن يفعل مثل هذا ، كما أنه أحسن الرأى والتدبير بارسالها الى قلعة الفلك » ٠ وأخذ الرجال يتبادلون الحديث حتى لحق النهار بالليل وفجأة حدث ضجيج فى المنطقة وتصاعدت دقات طبول الحرب الى عنان السماء ، واضطرب المعسكر كله واستولى عليه الخوف والرعب حتى انهار قزل ملك نفسه وقال « انظروا ماذا حدث » ؟ ٠

دخل رجل الى قاعة العرش وقال « أيها الأمير ، أى مجال للحرب الآن ؟ انهم لم يصلوا بعد للانضمام لجيش خورشيد شاه » ٠

قال الأمير « اذا كان الأمر كذلك فيجب علينا أن نرحل ، اذ يبدو أنه جيش جرار » •

قال الأبطال « وما الدافع للفرار ؟ فلنبق حتى يصل ذلك الجيش وننظر أى نوع من الرجال هم ، ماذا سيحدث معهم ، فان طقناهم حاربنا ، واذا رأينا كثرتهم وتفوقهم رحلنا » وأخذوا يتحدثون على هـذا النحو ويتبادلون الرأى والمشورة •

فى الجانب الآخر ، جاء رجل الى خورشيد شاه وحياه وقال « أيها الأمير ، البشرى فقد وصل جيش جرار من حلب ، قائدهم شيخ كبير ، نورانى الطلعة ، اسمه هامان الوزير » •

حين سمع خورشيد شاه هذا الخبر نهض من مكانه واستولى عليه النشاط والسرور ، وأعطى للبشير أموالا كثيرة وخلع عليه ما كان يلبسه من ملابس ثمينة ، وركب فى الحال صهوة جواده ، وخرج مع كل جنوده لاستقبال هامان الوزير ، فلما ساروا نحو فرسخ التقوا بذلك الجيش •

حينما وقعت عينا هامان الوزير على خورشيد شاه ، ترجل فى الحال عن حصانه وترجل كل أجناده ، وبكى الأمير على فراق أبيه ، فاحتضنه هامان الوزير ، وظل الأمير يبكى من شدة الحنين لوالديه ، حتى أن كل الجند أخذ فى البكاء مشاركة له ، ثم أخذ الأبطال يتقدمون ويقبلون يد خورشيد شاه • وأمر هامان الوزير فاحضروا جواد خورشيد شاه لأنهم جميعا كانوا يسيرون آنذاك ، ثم أمسك بساعد الأمير وأركبه ، وانتظر خورشيد شاه حتى ركب هامان أيضا وتوجها للمعسكر ، فلما وصـلا الايوان صعدا وجلسا على العرش •

أجلس خورشيد شاه هامان الوزير أمامه فحدثه عن أبيه ، ثم أخذ يسأله عن حال أمه فقال هامان « أيها الأمير العظيم ، البقاء لله فى أمك » فبكى خورشيد شاه بكاء شديدا عليها • ثم استطرد هامان فقال « منذ ـ بالسعادة ـ تركت أباك الى الآن انقضت ثلاث سنوات ، كان أبوك فى العام الأول يجلس ويشرب مع ندمائه ، وبعد هذا لم يشرب ولم يطرب ، وكره الخروج للميدان للعب الصولجان ، وليس له من عمل سوى البكاء والعويل ليل نهار ، ولم يعد يعرف السعادة حزنا عليك ، كما تقوس ظهره ، ولا يشعر بالراحة أثناء النهار ولا يجلس مع أحد أو يتحدث الى أحد ، كما لا يستقر فى الليل لينام ملء جفنيه ، وهو منذ عرف حالك لا يمكن وصف ما صار اليه ، ولم نكد نعد الجيش حتى أرسلنى فى المقدمة وأرسل فى أثرى الأموال والجند ، ولا أشك فى أنه سيصـل قريبا » •

كانوا فى هذا الحديث وخورشيد شاه يبكى الى أن قال هامان الوزير « أيها لأمير ، أرسل أبوك بعض المال لنفقاتك ان شئت عرضته عليك » ٠

فقال خورشيد شاه « يا أبتاه ، احتفظ بها معك لأنك فى منزلة أبى ، وستتولى أنت انفاق كل ما ينفق الى أن يصل أبى » ٠

ظلوا هكذا يوما وليلة لا يشتغلون بأى عمل سوى الحديث ومعرفة الأحوال وما حدث خلال تلك السنوات والأيام ، وبعد يومين عاد الأمير الى الشراب وأنعم على كل الأبطال وأجلسهم وأكرمهم وزاد مراتبهم وتفقدهم ثم شربوا حتى آخر الليل الى أن قاموا للنوم ٠

حينما أدبر الليل ومضى ، وأقبل النهار مشرقا ، أمر خورشيد شاه فدقوا طبول الحرب ، وخرج للميدان كل الجند ، وحينما سمع قزل ملك صوت الطبول توجه للميدان راغبا أو كارها ، وتقدم النقباء من كلا الجانبين فسووا الصفوف ٠

كان فى الجيش القادم من حلب بطل اسمه هرمز ، تقدم وأدى التحية لخورشيد شاه وقال « أيها الملك العظيم ، هل تسمح لى اليوم بالمبارزة » ؟

قال خورشيد شاه « أيها البطل ، لقد جعلتك طليعة للجيش » ٠ فأدى هرمز التحية وقفز الى ظهر حصانه ، وأطلق عنانه ، واندفع الى ميدان القتال ٠ وكان هو والحصان فى دروع الحديد وأخذ يزأر ويهدد ويصيح صيحات الحرب ثم وقف أمام قلب جيش قزل ملك وثبت رمحه فى الأرض وخلع خوذته ووضعها على قربوص السرج وصاح « أنا أقل من فى هذا الجيش ، أنا هرمز عبد مرزبان شاه وتابع خورشيد شاه ، فليتقدم كل من لديه شجاعة أكثر حتى نتبارز » ٠

لم يكد هرمز يتم كلامه حتى خرج من ميمنة قزل ملك فارس يعدو بفرسه فى الميدان وقد اختفى هو وحصانه فى دروع الحديد ، وأشرع رمحه فوق أذن جواده ، وأخذ يصيح حتى جاء فى مواجهة هرمز وناداه قائلا « أيها الحقير من أنت ؟ هل يظن ملكك أن الدنيا ليس بها رجال ؟ تعال هات ما عندك من فنون القتال » ٠

تعجب قزل ملك من شجاعة ذلك الرجل وسأل « من هو فان الشجاعة ظاهرة عليه ؟ قالوا انه قطور شقيق البطل قطران ، فاثنى عليه قزل ملك ٠

حين سمع هرمز كلام قطور لم يرد عليه وانما نزع رمحه من الأرض بغضب وتقدم اليه ليطعنه فتناول قطور رمحه برمحه ، وظلا يتطاعنان بالرماح ويتقارعان بها كثيرا وكان هرمز ينتفخ من الغضب لأنه لم يكن هناك رجل طعان مثله ، وعندئذ جاء مكابرا وطعن قطور طعنة نجلاء فى صدره أخرجها من ظهره ، ثم ثنى رمحه لكى يسقط قطور من على فرسه ، فتصاعدت آهات الحزن من جيش قزل ملك ، وارتفعت صيحات الفرح من جنود جيش خورشيد شاه ٠

طلب هرمز مبارزا آخر ، فتقدم واحد فقتله ، واستمر هرمز هكذا حتى صرع خمسين فارسا ولم يتأثر من ذلك بل لم يرعف (١) ، وكان كلما صرع بطلا صاح « يا قزل ملك ، أهكذا سوف ترد على الرجال ؟ أرسل رجلا الى الميدان يصمد ولو للحظة » ٠

أراد قطران البطل أن يدخل ساحة القتال ، فتقدم البطل فارس وأمسك عنان فرسه وقال « أيها البطل ، ابق أنت حتى أدخل الميدان وأقتص لدم أخيك ، كما أن نزالك الآن ليس من الصالح لأنك متعب منهار » ٠

قال البطل فارس هذا وانطلق بجواده فى الميدان واشتبك مع هرمز فى القتال وتطاعنا كثيرا بالرماح ولم يظفر أحدهما بالآخر لأن فارس كان ماهرا فى الطعن بالحراب ، فألقيا حربتيهما واستلا سيفيهما من غمديهما ولبسا درقيهما ، وأخذا يتبادلان الضرب بسيفيهما على رأسيهما ومفرقيهما ، وكان خورشيد شاه فى قلب الجيش يتناول الشراب ويشاهد القتال وهو ثمل يقول « لماذا كل هذا التساهل مع ذلك الجيش ؟ انه مثل من يلبس قميصا من حرير ويدخل للقتال » ٠

تقدم كل الأبطال وأدوا التحية وقالوا « أيها الأمير ، ابق فى مكانك ونحن عبيدك سنرد على العدو » ٠ وتقدم خورشيد شاه مع أبطال الجيش الى وسط الميدان وكان هرمز وفارس ملتحمين فى القتال ، وكان هناك بطل اسمه رجب وضع سهما وشده فى قوسه دون أن يلحظ أحد ورمى به جنب فارس فخرج السهم من جنبه الآخر ، فعلته صفرة الموت وخارت قواه وسقط ميتا ٠ وارتفع النواح من ناحية جيش قزل ملك لأن فارس كان بطلا عظيما وذا قرابة بالملك أرمنشاه ٠

صاح هامان الوزير فى الجيش قائلا « هل أتينا بكم نظارة متفرجين ؟ تقدموا واقهروا جيش العدو ، انكم تعلمون لماذا تأخر الأمير وتوانى وهذه غفلة وتهاون » ٠ فألقى الأبطال بأنفسهم فى المعركة ٠

---

(١) يرعف أى ينزف من أنفه نتيجة لهذا الجهد الكبير الشاق ٠

أحاط هرمز وجواد وشروان الحلبى وغراب العربى وبدوى وصقر الرازى ورعد وأمثالهم من الأبطال ومعهم جيشهم المكون من مائة وثلاثين ألف فارس من حلب ، والأبطال الآخرون أمثال كرمون وضرغام وسمور والأحمر شيخ الرعاة وسنجر وغيرهم من أبطال الصين بجيش قزل ملك . فلم يجد قزل ملك ومعه قطران وسليم ونحو عشرين من الخاصة أغلبهم مجروح مجالا الا الفرار من الميدان ، فحملوا ما استطاعوا من أموال وانطلقوا منهزمين حتى لا يلحق بهم أحد ويأخذ ما معهم . فلما فروا ذهب خورشيد شاه الى الايوان فى سعادة وسرور يتقدمه هامان الوزير وأبطال الجيش .

قال خورشيد شاه « يا ثعلب ، لا أعلم ماذا لحق بأخى سمك فى مدينة منغوليا مع البطلين الراعى الأسمر وسام اللذين أخذا أسيرين . ومع هذا يلزمنا شخص يذهب الى القلعة الشاهقة ويحضر ماه برى حتى نعود الى الملك فغفور ونقوم بما يجب الى أن يرجع سمك لأننى لا أستطيع أن أتحمل آلاما أكثر من هذا ، فقد تجرعنا فى هذه المدة كثيرا من المحن لا يتجرعها انسان فى هذا العالم على مدى مائة عام » .

أدى فرخ روز التحية لأخيه وقال « أيها الملك العظيم ، اذا أمرت ذهبت أنا لاحضار ماه برى من القلعة الشاهقة طالما أن سمك ليس هنا » .

قال خورشيد شاه « نعم ما قلت لأنك أخى ، وسمك ليس هنا ليقوم بهذه المهمة » . سار فرخ روز مع سمران يرافقهما بطلان أو ثلاثة من أتباع الثعلب الفيلم حتى وصلوا الى القلعة الشاهقة ، وفجأة انهالت عليهم الأحجار من القلعة ، فقال فرخ روز « يا لالا صالح ، هل صرت عاصيا أم أنك لا تعرفنا ؟ يا لالا صالح ، أنا فرخ روز أخو خورشيد شاه ، جئت لكى أحمل اليه ماه برى لأننا هزمنا جيش المغول » .

قال مفتاح من فوق القلعة « أنا لست لالا صالح ، بل اسمى مفتاح عبد أرمنشاه أما ماه برى وبهجة الروح ولالا صالح فقد وصلوا منذ مدة الى منغوليا » .

حين سمع فرخ روز هذا قال « يا لالا ، ماذا تقول » ؟

أجابه مفتاح « ألم تسمع ، لقد اقتحمنا القلعة وأخذنا ماه برى

حزن فرخ روز واستدار عائدا وهو يحدث نفسه قائلا « لست أدرى كيف حدث هذا ، ظننت أن الأمور استقامت لنا ، والآن أراها أشد تعقيدا » .

عاد فرخ روز الى خورشيد شاه وأدى التحية وقال « أيها الأمير ، لقد اقتحموا القلعة وأخذوا ماه برى » . ثم ذكر ما حدث له مع مفتاح .

فنهض خورشيد شاه وقال « كيف يمكن أن يحدث هذا ؟ أى رجل استطاع أن يقوم بهذا العمل » ؟

أجابه فرخ روز « لم يقولوا لنا » .

التفت خورشيد شاه الى الأحمر شيخ الرعاة وقال له « أيها البطل ، انظر الى قلعتك وواديك ، لقد استولوا على القلعة وأخذوا ماه برى التى نتحمل من أجلها كل هذه المحن ، وقلنا نحتفظ بها فى أمان فى القلعة ولكننا فقدناها ولا نستطيع أن نجدها بل واستولوا على القلعة أيضا ، فماذا نصنع وأين نعثر على ماه برى ؟ وا أسفاه ، ظننت أننا تخلصنا من كل المشاكل فوقعنا الآن فى البلاء . يا للأسف لأن سمك يقوم بأعمال جريئة ثم نضيعها نحن » .

ظل الأمير حزينا حتى قال له هامان الوزير « أيها الأمير ، ان فى العالم رجالا كثيرين ، ولقد ذهب سمك واستولى على القلعة ، وجاء آخر وأخذها منه ، ولا أشكال فى هذا ولا غرابة . اننا تحملنا كل هذه المحن والآلام ثلاث سنوات كاملة من أجل ماه برى ، ولقد تصل اللقمة الى الفم ثم تسقط من اليد ، فيجب علينا أن نكتب رسالة الى الملك فغفور نعلمه بالحال ونقول له اننا ذاهبون الى منغوليا لأننا ان لم نذهب كان عارا ولحقنا الخزى والفضيحة لأخذهم الأميرة منا بعد كل هذه المحن والحروب . ثم انهم سيقولون ان سمك العيار الشجاع هو الذى قام بكل هذه الأعمال من أجلنا . كما أنه ذهب الى منغوليا من أجلنا أيضا ، فاذا علم أننا وصلنا الى منغوليا فسيلتحق بنا وآنذاك نخبره بما حدث لكى يتولى اعادة الأميرة مرة أخرى لأن شجعان الرجال أدرى بهذه الأعمال » .

قال خورشيد شاه « فليكن هذا » .

كتب الوزير هامان رسالة فى الحال الى الملك فغفور ذكر فيها أحوال الجيش المنصور وهزيمة العدو المقهور ، وقصة القلعة الشاهقة وأخذهم ماه برى ، ثم أضاف قائلا « ان استطعت فابعث الينا بالعلف والمؤن لأننا ذاهبون الى منغوليا بحثا عن ماه برى » . ثم ختم الرسالة ووضعها أمام عرش خورشيد شاه الذى تناولها وقال للثعلب « قل لواحد من رجالك أن يوصل هذه الرسالة للملك فغفور » . فاستدعى الثعلب صبيحا وسلمه الرسالة وبعثه الى الملك فغفور . وبعد أن انتهوا من هذا جهزوا أنفسهم وتوجهوا الى منغوليا .

هكذا يقول مؤلف الأخبار وجامع الكتاب وراوى القصة أنه حينما أخذ كانون وكافور ماه برى وبهجة الروح وتوجهوا الى قلعة الفلك التى كانت قلعة مشيدة وسط الأشجار وعلى منحدر جبلى يبلغ طوله نحو أربعة

فراسخ ، وكان البحر يصل الى أسفل القلعة التى كانت تظهر من على بعد عشرة فراسخ • فلما اخترق كانون الأشجار ووصل الى باب القلعة شاهدهم الحارس الواقف فوق البـاب فذهب الى المستحفظ وأدى التحية وقال « لقد رأيت جماعة قادمة نحو القلعة ، ويبدو أنهم قادمون من الصين » • فأمر المستحفظ حاجبا بالذهاب لمعرفة من هم •

عندما جاء الحاجب الى الباب ونظر ، رأى كانون البطل فعرفه لأنه كثيرا ما قابله فى منغوليا ، وأدى له التحية ، فسأله كانون عن الأحوال ، ثم قال له عد وقل للمستحفظ أن معى أمانة من الأمير قزل ملك أحضرتها لك وهى ماه برى بنت الملك فغفور لأن الأمير مشغول بقتال جيش الصين ، وهو يقول لك يجب أن تحافظ على الأمانة جيدا ولا تدع النسيم يمسها لأن كل هذه الفتنة والحرب قامت من أجلها ، وقتل كثير من الناس بسببها الى أن تتضح الأمور ولمن ستكون العاقبة • وقد أراد الأمير احضـارها بنفسه ولكنه لم يتمكن لانشغاله بالحرب ، فأرسلنى مكانه ولهذا يجب عليك أن ترعى الأميرة » •

قال الحاجب « أيها القائد تكرم بالصعود الى القلعة » •

أجابه كانون « لا أسـتطيع لأننى فى عجلة » • وعندئذ استدار الحاجب وذهب للمستحفظ وذكر له ذلك • وحينما سمع دخان المستحفظ هذا قال له « اذهب واحضرهم واذا كان كانون لا يستطيع القدوم فلا بأس ، لعل وراءه عملا هاما ، وأبلغه سلامى وتسلم منه الأمانة ، وعندما تذهب خذ معك جاريتين أو ثلاث لأنها ابنة ملك » •

أخذ الحاجب معه بعض الجوارى والخدم ، وتسلموا ماه برى وبهجة الروح من كانون وصعدوا بهما الى القلعة ، وكانت ماه برى قد أفاقت ولكنها كظمت غيظها وأخذت تغلى من الغضب ، ولم تستطع أن تتكلم فنكست رأسها حتى صعدوا الى القلعة ورأت ماه برى وصيفتها بهجة الروح تأتى اليها ، فسألتها « كيف حال لالا صالح ؟ أظن أنهم قتلوه والا لكان معنا • واحسرتاه عليه » • وأخذت ماه برى تبكى الى أن أرسل مستحفظ القلعة من أخذهم الى القصر الملكى لأن كل قلعة كان يوجد بها قصر ملكى ، وقال « لا يذهب عندهما أحد أبدا الا خادم وجاريتان » كما أمر أن يحمل اليهما كل ما تحتاجانه ، وكانت أيديهما ما زالت مقيدة أمامهما ، فأمر بفكهما واقامتهما فى القصر الملكى •

يقول مؤلف الأخبار وراوى القصة انه حينما سلم كانون الأميرة ماه برى للقلعة استدار عائدا الى منغوليا فوصل الى المدينة يرافقه كافور والجماعة التى كانت معه ، وتوجه الى قصره وسأل الخدم « أين فاضل ومحارب » ؟

أجابه الخدم « أيها البطل ، عندما ــ بالاقبال والسعادة ــ ذهبت ، جاء رجلان بعد يومين وقالا نحن من مدينة بخارى جئنا للتحية ، فاستضافهما فاضل ومحارب وأكرماهما واعتنيا بهما ، وظلا يومين ثم خرجا ولا نعلم أين ذهبا • كما أن سكينة ساقية الملك وآلات الحانة وقيمتها نحو مائة ألف دينار قد اختفت مثلما اختفى ابناك وجد الملك فى البحث عنهم فلم يعثر لهم جميعا على أثر • كذلك اختطف الراعى الأسمر وسام ليلا من سجن طرمشة » •

بعد هذا ذكروا له قصة طرمشة والأخوين القصابين ونجاتهما من التهمة التى الصقها بهما طرمشة ، ثم العثور على النفق المؤدى الى السجن ، وتعيين الملك لرجال يحرسون الطرق كما حدث ، فحزن كانون وبقى تلك الليلة فى بيته ، وفى الصباح تزين كعادته وتوجه مع أتباعه لملاقاة الملك •

عندما تقدم كانون نحو عرش الملك وأدى التحية وقبل الأرض ووقف ، فرح أهل المدينة الذين كانوا بالحضرة ، ثم أخذ الملك يسأله عن حاله ثم سأله عن حال ابنه الأمير قزل ملك وماذا يفعل • فقال كانون « انه فى سلامة أيها الملك ، ولكن عندما كنت عائدا كانت هناك شائعات عن وصول مائة وثلاثين ألف فارس من حلب ، ولا أعلم أكثر من هذا » • ثم روى تفاصيل الأعمال التى قام بها • واذا بضجة تقوم فى المدينة فقال أرمنشاه « انظروا ماذا جرى » ؟ •

وفجأة دخل قزل ملك وقطران وخمسون فارسا الى المجلس ، ففرح أرمنشاه برؤية ابنه وقال له « ماذا حدث حتى جئتم دون سلاح مجروحين ، وأين الجيش » ؟

روى قزل ملك ما حدث فى ميدان القتال ، فتعالى فى المدينة العويل والبكاء ولم يبق منزل لم يقم فيه عزاء • وبعد أن قص قزل ملك لأبيه كل ما حدث منذ ذهابه حتى عودته ، سأله أبوه أرمنشاه « وهل ــ يابنى ــ سيأتون الى هنا أم لا » ؟

أجابه قزل ملك « يا أبى ، لأن ماه برى معنا فلا شك أنهم سيأتون فى طلبها » •

قال شهران الوزير « لا أعلم أمر هذا الجيش ولا لماذا جاء • واذا كان جيش مرزبان شاه جاء للبحث عن ابنه ، فلابد أن يأتى الى هذه الولاية وعندئذ من الذى يطيقهم أو يقدر عليهم ؟

وكان أرمنشاه غارقا فى التفكير ، فاستطرد شهران الوزير « أيها الملك ، كان عملا خاطئا ولكنها ارادة الله ، ولا شك سيأتون الى هنا من أجل ماه برى ، وماه برى فى قلعة الفلك الآن لا يمكنهم الوصول اليها •

ثم انهم حين يصلون الى هنا فيجب علينا أن نحاربهم بينما لم يبق فى الولاية جند ، ومن الخير أن يعود جيشنا قبل وصولهم ، ولنكتب رسائل الى الولايات نستدعى الجنود حتى نجمع جيشا لا يقدر عليه أحد . وكل المعارك مرتبطة بالحظ وليس بكثرة الجنود أو قلتهم ، ولولا حسن الحظ لما تأتى لخورشيد شاه أن يجىء الى هذه الولاية ، انظر الى شأنه الآن كيف صار بعد أن كان مشردا طريدا » .

قال أرمنشـــاه وقزل ملك ومهران الوزير والأبطال الذين حضروا المجلس « نعم الرأى أبديت ــ هذا ما يجب أن نعمله » .

وبينما هم فى هذا الحوار واذا بجاسوس يدخل من باب الايوان وهو يقول « الحذر أيها الملك » ثم ألقى بعمامته على الأرض . فقال أرمنشاه « ماذا حدث » ؟

أجاب الجاسوس « أيها الملك ، ماذا تريد أسوأ من هذا ، لقد أصبح العدو على الأبواب ، اذ نزل خورشيد شاه فى سهل الزعفران فى نحو مائة وثمانين ألف فارس » .

حزن أرمنشاه ونزل من على عرشه وجلس على الأرض باكيا حزينا ، فقال مهران الوزير « أيها الملك ، لا تشغل بالك ، ومر أن يقوم شجعان الرجال وحكماؤهم بحراسة أبواب المدينة ، واقامة المتاريس فى الشوارع ، وأن يتنبه الحراس ويتيقظوا ، ثم ليكتب شهران الوزير الرسائل للولايات ونستدعى الجنود » .

قال أرمنشاه « افعلوا ما يجب عمله » .

فى تلك الأثناء كان ورد يتصنت ويتسمع عليهم ، وعلم بكل ما قاله الملك ، فعاد الى سمك وذكر له ما سمع من أن جيش خورشيد شاه قد وصل ، والرأى الذى أبداه مهران الوزير .

قال سمك « يا ورد ، لقد تحقق مرادنا ووصلنا الى هدفنا » . وكان ما أصاب سمك من آلام قد خفت وزالت فسأل وردا « كيف حال الراعى الأسمر وسام » ؟ .

أجاب ورد « تحسنت حالهما وقاما » .

عاد سمك وسأله عن أحوال لهيب وسكينة وصابر وصملاد وأبيهم الخمار ، ثم قال « كيف حال فاضل ومحارب » ؟

قال ورد « انهما فى مكانهما » .

فقال سمك « هذا حسن » . ثم استدعى أم ورد فجاءت وأتت بماء ساخن غسل رأسه به فشعر بالراحة والنشاط ، وعندئذ قال « يا ورد ، تسمع لتعرف متى يصل رسول من جيش خورشيد شاه لتخبرنى بموعد وصوله لكى أستعد لهذا الأمر » . ثم ظلوا ينتظرون هذا .

يقول صاحب الحديث وراوى القصة ومؤلف الكتاب ، انه حين نزل خورشيد شاه بجيشه فى سهل الزعفران ، أدى هامان الوزير التحية وقال « أيها الأمير ، عندما كنت فى خدمة مرزبان شاه نصحنى بقوله « عندما تصل الى ابنى وتجده سالما سعيدا حاول ألا تجعله يحارب ، وأن يأمر بالسلم بين خلق الله حتى لا يراق دم أحد لأنه وبال » وأمرنى أنا بالقتال . والآن يواجهنا هذا الموقف ، وقد هلك كثير من الناس ، ولو أننا لم نقصد هذا ولم نرده . ولما كنا قد اضطررنا للمجىء الى هنا وفرضت علينا الحرب كى نستعيد ماه برى ، فاننى أرى من الخير الآن أن ننفذ أمر الملك ونعمل بنصيحته ونرسل أولا رسالة الى أرمنشاه ونطلب منه اعادة ماه برى ، فان أعادها فخير والا كان الذنب ذنبهم ، وهم الذين يتحملون عاقبته ، ونكون قد أعذرناهم وبذلنا جهدنا لمنع الحرب ونفذنا أمر الملك » .

قال خورشيد شاه « الأمر لك ، افعل ما ترى » .

طلب هامان الوزير فى الحال قلما ودواة وكتب رسالة ابتدأها بذكر الله ثم قال « هذه رسالة منى أنا خورشيد شاه بن مرزبان شاه ملك ايران وتوران ، ومن هامان الوزير ، وزير مرزبان شاه ، الى أرمنشـاه ملك منغوليا ، اعلم وتأكد أن مجيئنا الى هذه الولاية كان من تقدير الله ، وأن خورشيد شاه جاء الى الصين لخطبة ماه برى ، وجئنا نحن فى اثره ، وحين وصلنا ــ كما أراد الله وشاء ــ كان الملك فغفور قد وهب له ابنته ، ومن أجل هذا قتل نحو خمسين ألف فارس ، وأتينا الى هنا حين علمنا أن ماه برى فى أيديكم ، اذ أخذوها من القلعة الشاهقة . ولا يجوز عند العقلاء أن تكون زوجة لرجلين ، كما لا تجوز سرقة بنات الملوك .

على أية حال ، فنحن لا نريد أن نتحدث فى الماضى ، ونريد أن نعود بسلام من حيث أتينا ، واذا أخذنا كيلا من الشعير أو كيسا من التبن من ولايتك فاننا ندفع دينارا ذهبا تعويضا عنه . ونأمل أن تقوم الصداقة بيننا لأن الدنيا لا تستحق أن تكون فيها العداوة والبغضاء ولا اراقة دماء الناس الأبرياء .

وليعلم ملك منغوليا أننا لا نرغب فى الاستيلاء على هذه البلاد ، ولكن من أجل ماه برى فان دماء الآلاف من الرجال تراق . ومع أن المسافة من بلادنا الى بلادكم ثلاثة آلاف فرسخ ، فان خورشيد شاه اضطر للمجىء

الى هنا ، وقد اضطررنا للمجىء فى اثره كى نساعده فى الوصول الى مراده ثم اعادته الى أبيه الذى يشتاق الى رؤيته منذ ثلاث سنوات ·

واذا فعلت غير هذا فاستعد لحربنا لأننا جهزنا مائة وستين ألف فارس ، وقد لا يسرك أن تعلم أن الملك فغفور سيصل غدا من الصين على رأس ثمانين ألف فارس آخرين واذا حدث تأخير فى هذا الأمر واستمر بضعة أيام أخرى دون حل فان مرزبان شاه أبا خورشيد شاه سيصل ومعه ثلثمائة ألف فارس ، وستراق دماء رجالكم ولن نؤمن أحدا منهم على حياته ، وستكون تبعة اراقة دمائهم فى عنقك ، وعليك أن تتحمل مسئولية قتلهم أمام الله · وقد أخبرناك بما نعلم وأخذنا عليك الحجة وأنت تعرف البقية والسلام » ·

أتم الرسالة ووضعها أمام خورشيد شاه والأبطال فقرأوها جميعا واستحسنوهـا وعندئذ قام خورشيد شـاه بختمها وقال هامان الوزير « يلزمنا شخص يكون قد سبق له زيارة مدينة منغوليا ويعرف تقاليدهم وعاداتهم ليحمل هذه الرسالة الى أرمنشاه ويأتى بجوابها » ·

نهض ضرغام بن السباع وقال « يا سلطان الوزراء ، ان كل من سيذهب منا الى ولاية الصين لن يعود حتى ولو ذهب كرسول لأن أهل مدينة منغوليا يكنون لنا فى قلوبهم ما لا يمكن وصفه من عداوة وبغضاء خاصة وأن هناك مهران الوزير ــ ابن الحرام المفسد سىء الفعال ــ الذى أثار كل هذه الفتن » ·

التفت هامان الوزير الى أبطال جيشه وقال « من منكم يحمل هذه الرسالة الى منغوليا ويأتى بردها ؟

نهض من بين الأبطال الموجودين بطل اسمه جواد ، أدى التحية وقال « أنا أحمل هذه الرسالة وأعود بالرد عليها » · وكان جواد هذا بطلا فصيحا حكيما لطيف المحضر حاضر البديهة حلو الحديث ، أخذ الرسالة وتوجه فى مائتين من غلمانه الى مدينة منغوليا حتى وصل الى بوابتها ·

كانت أبواب المدينة مغلقة ، وقد صـــعد الرجال والمقاتلون فوق الأسوار يعدون المنجنيقات ، فأمر جواد أن ينادوا عليهم بأنه رسول قادم من عند خورشيد شاه · فصاح رجاله وأخبروهم ،و ذهب رجل ممن كانوا على باب المدينة الى قصر الملك وأدى التحية وقال « أيها الملك العظيم ، يقولون أن هناك رسول وصل فبماذا تأمر ؟ هل ندخله الى المدينة أم لا ؟

قال شهران الوزير ومعه الوزير مهران « أيها الملك ، يجب أن ندخله لننظر ماذا يقولون ، ونقف على رأيهم ونعلم أحوالهم وماذا يريدون وما يصنعون ·

أمر الملك أن يزينوا المجلس ، ولكن مهران الوزير قال له « أيها الملك ، فلتذهب — بالسعادة — الى قصرك وتبقى هناك حتى يأتى الرسول ويجلس وآنذاك تأتى الى المجلس » ٠

قال الملك « هكذا أفعل » ٠ ثم استدعى المسئولين عن الرسل وقال لهم اذهبوا وادخلوا هذا الرسول الى المدينة وأحضروه الى المجلس ٠ فلما ذهبوا ، غادر أرمنشاه مجلسه وذهب الى جناح النساء ٠

كان ورد واقفا يتصنت ، فعاد فى الحال الى سمك وذكر له ما جرى ، فسأله سمك العيار « ألا تعلم من الذى أتى بالرسالة » ؟

أجاب ورد « لا أعلم ، ولكن المسئولين عن استقبال الرسل ذهبوا لاصطحابه الى داخل المدينة » ٠

فرح سمك وقال « أيها البطل ، سوف أخرج لأرى من هو هـذا الرسول ، وهل هو من الصين أم من حلب » ؟

قال ورد « أيها البطل ، لا تلق بنفسك الى التهلكة وتذهب بقدميك الى حتفك ولا تخرج لأن المدينة هائجة والخاصة والعامة وكانون وأتباعه يبحثون عنك بكل ما لديهم من قوة ، وطرمشة يبحث عنك حتى فى الماء ، كما أن أخطر أعدائك وهو مهران الوزير موجود فى قصر الملك ، وقد يحدث خطأ ما ويتعرف عليك أحد ، ولا أدرى ماذا سيحدث عندئذ فقد يقع حادث يجعلنا نتألم ونتحسر » ٠

قال سمك العيار للبطل ورد « لا خوف من كل هذا ، فان من يعينه الله ، ماذا يمكن لمائة ألف عدو أن يفعلوه له » ؟ قال هذا ونهض ولبس جبة ووضع قلنسوة جديدة ولف عمامة على القلنسوة وارتدى حذاءه وعلق سيفا على هيئة النقباء ثم خرج من البيت فى جرأة وسار حتى وصـل الى قصر الملك ، فرأى فى طريقه مائة ألف رجل وامرأة يقفون على الأبواب والأسطح وفى الطرقات ، وكان الناس يتدفقون على قصر الملك ، فاندس سمك فى جماعة النقباء ووقف وطأطأ رأسه للأمام ولم ينظر لأحد حتى كان كل من يراه يعتقد أنه يقوم بواجبه اذ لم يكن أحد يهتم بالآخرين من كثرة الزحام والجلبة ٠

بعد مدة وصل جواد يتقدمه الحجاب وكثير من الفرسان ، وحين بلغ باب قصر الملك رأى تلك الجلبة والازدحام ، فانتظر حتى جاء الحجاب والنقباء وأنزلوا جواد من على حصانه فرمقه (١) سمك فرآه رجلا ذا هيبة

---

(١) اذا نظر الانسان الى الشىء بمجامع عينيه قيل رمقه ، واذا كان من جانبه اذنه قيل لحظة ، وان كان بعجلة قيل لمحه ٠

وجراة ، فقال فى نفسه « هذا بطل عظيم لأنه لم يبد عليه أى تغير فى مثل هذا المكان ووسط عدة آلاف من الأعداء » ٠

تقدم سمك حتى وصل أمام جواد وهو يصيح فى الناس أن يفسحوا الطريق وهو يثير الجلبة والاهتمام ، ونظر جواد فرأى نقيبا ذا هيبة يتقدم أمامه ويبعد الناس من طريقه فقال فى نفسه لعله من جيش الصين أو من هذه المدينة ويهتم بأمرى ٠ وهكذا أخذوا يتقدمون حتى وصلوا الى باب قصر الملك فنظر جواد فرأى بابا عظيما يرتفع من الأرض الى السماء وقد علقت عليه ستارة رائعة وحلقات ذهبية وحوله غرف فرعونية وقد فرشت بالحصر المصرية ، ووقف بالمجلس عبيد سجزيون وأتراك وأرمن وفى أيديهم رماح مذهبة مائلة للأمام ، وهم بها كأنهم لام ألف ٠

حين وصل جواد لباب سحب صاحب السلسلة سلسلته ، ورفع الحاجب ستارة ، فأخذ سمك يد جواد أمام الحجاب ومر من الستارة الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة ، فلما وصـــل الى مكان الستارة السابعة شد الحاجب حبلا من الحرير فالتفت الستارة وارتفعت فى الهواء ، ودق على رأس مقبض ذهبى فظهر صحن القصر ومساحته أربعمائة خطوة فى أربعمائة خطوة ، وقد فرشت أرضيته بآجر ذى أربعة ألوان ، وقويت الأبواب بالرصاص والأخشاب ، وفى وسط القصر أربعون حجرة مفتوحة ، وعلى كل حجرة ستارة مسدلة ، وعلق فوق كل حجرة قفص من العاج والأبنوس والصندل والخيزران ، وفى كل قفص طائر من الدارج أو القمرى أو البلابل أو الصلصل ، وهى تغرد بأصواتها وتصدح ، والمجلس كله مزين بالحرير والأطلس المطرز بالذهب ، ووقف غلمـــان يلبسون أقبية طرزت أطرافها ، واصطف الحجاب ، وجلس الأبطال على الجانبين على كراسى من الذهب والفضة ، وفى مواجهة القاعة التى تتسع لألف رجل أقيم عرش عظيم ، مزين بالحرير الموشى بالذهب ، ووضعت أربع وسائد ولا أحد بينها ٠

تعجب جواد من هذا ، وكانوا قد وضعوا على يمين العرش كرسيين ذهبيين جلس على أحدهما مهران الوزير الحقير ، وكان سمك فى المقدمة يفسح الطريق الى أن جاء الحجاب وكانوا قد خصصوا على يمين الملك كرسيا ذهبيا عليه متكأ أجلسوا عليه السفير جواد ، فوقف سمك خلفه ليكون فى خدمته واتكأ على سيفه ٠

اعتقد جواد أن سمك من أتباع ملك منغوليا ، وكان أتباع الملك يعتقدون أنه من أتباع جواد ، وكان سمك واقفا يتفرج بينما كان جواد يفكر أين الملك ، ولماذا ترك المجلس ؟ وبينما كان فى هذا التفكير رفعوا ستارة مواجهة له وتقدم نحو مائة غلام كأنهم أقمار ، يلبسون أقبية من

الأطلس ، ويتمنطقون بأحزمة من الذهب ، ويلبسون قلانس معرقة بالذهب ، وكان الملك أرمنشاه يسير بينهم مختالا حتى صعد على العرش ، فوقف أمراء الدولة وأدوا التحية الى أن جلس الملك ٠

كان ورد وصملاد وصابر قد جاءوا للفرجة ، وكان كل منهم يقول للآخر « ما أعجب سمك هذا من رجل لديه كل الشجاعة والجرأة بحيث وقف في مثل هذا المكان وجلس فى مواجهة شخص مثل الوزير مهران كان قد واجهه من قبل وعرفه ، ألا يفكر هو نفسه فى هذا ؟ أين يمكن أن تجد رجلا مثله بهذه الجرأة والشجاعة فى الدنيا كلها ؟

كانوا فى حديثهم هذا حينما طلب أرمنشاه ماء الزهر ، فجاء السقاة وفى أيديهم صحاف الذهب والفضة وعليها أكواب موضوعة من الذهب مصنوعة ، وبجانبها السكر النبات ومعه الكسارات ، وقد غطيت كلها ، وكان السقاة يحملون شرابا خاصا قدموا بعضه للمتذوقين فذاقوه ثم قدموه لأرمنشاه ، ثم جاء الساقى وقدم الشراب لجواد فصاح فيه سمك من وراء جواد قائلا « لماذا لم تتذوقه وخرجت عن الأدب » (١) ؟ ألا تعلم أنه يجب أن تتذوقه ؟ فقام الساقى بتذوقه ، وعندئذ تناوله سمك من يده ووضعه أمام جواد الذى نظر الى سمك بعينيه ٠ بينما كان سمك منحنيا يقدم الشراب همس فى أذن جواد بصوت خافت قائلا « أنا من أتباع خورشيد شاه ، وحينما اختلى بك سأحدثك عن كل شيء » ٠

بعد الانتهاء من شرب ماء الورد ، جاء قيم (٢) الطعام ، ومدت الموائد ووضع الطعام ، فمد الملك يده للطعام لكى يمد الجميع أيديهم اليه ، فلما أكلوا رفعت الموائد وجاء الفراشون وأحضروا الطشوت والأباريق ، فغسل الطاعمون أيديهم ، وعندئذ قام السقاة باعداد مجلس الطرب ، فأشار سمك الى جواد ألا يشرب الخمر قبل عرض رسالته ٠

حين وضع الساقى الشراب أمام جواد ، وقف وقدم التحية وقال « أيها الملك ، ليس من عادتنا حين نذهب كرسل أن نشرب الخمر قبل أن نعرض الرسالة التى جئنا من أجلها ونحصل على جوابها » ٠

قال أرمنشاه « هات رسالتك واعرضها ، واذا كنت تحمل رسالة شفوية فقلها » ٠

أدى جواد التحية ومد يده فى صدر جبته وأخرج لفافة من الحرير الأبيض ، وكانت الرسالة ملفوفة بها فقبلها ووضعها على عينيه ورأسه ثم وضعها على حافة عرش أرمنشاه وظل واقفا فى حضرته ٠

(١) تذوق الماء أو الشراب قبل تقديمه لاثبات خلوه من السموم ٠

(٢) قيم الشيء يعنى المسئول عنه وقيم الطعام المسئول عن اعداده وتقديمه ٠

قال أرمنشاه « اجلس » ٠

فقال له جواد « ليس من عادتنا أن نجلس حين تقرأ رسائل ملكنا » ٠ وعندئذ تناول أرمنشاه الرسالة وسلمها لشهران الوزير الذى فتح اللفة الحرير وأخرج الرسالة وفض ختمها وأخذ فى قراءتها وشرحها لأرمنشاه حتى انتهى منها وسمع الملك كل ما جاء بها من كلام جميل ورأى سديد ، وكل ما ذكر بها من وعيد وتهديد ، فطأطأ رأسه للأمام واستغرق في التفكير وهو يقلب الرسالة بين يديه ويقول « لو أعدت ماه برى اليه فان ابنى سوف يحزن ، وأخشى أن يموت من الغم ، واذا لم أعدها فيجب على أن أحاربهم ، ولا طاقة لى بهم » ٠

كان أرمنشاه فى هذا التفكير ، وكان قزل ملك يقف خلفه ، فمد يده وأخذ الرسالة ومزقها وألقى بها ثم قال « يا أبى ، لماذا تحيرت ؟ هل هم رجال ونحن غير رجال لكى ندخل فى طاعتهم ونسلم لهم ماه برى أيضا ؟ ثم التفت الى جواد وقال « أيها البطل ، ألم يبق رجال فى الصين ومنغوليا ودماوند (١) لكى يأتى رجل من حلب ويأخذ الفتاة من بيننا ؟ ارجع الى ملكك وقل له اننا فعلنا هذا بشجاعتنا وأخذنا ابنة الملك فغفور ولن نسلمها الا اذا أخذوها عنوة وبالقوة » ٠

رد عليه جواد قائلا « أيها الأمير ، أنت طفل ولا تعرف ماذا تقول ، ويجب أن تترك أمور الملوك للملوك ليقولوا ما يجب قوله أو فعله ، فالقول قولهم والفعل فعلهم ، فهم يعرفون وأنت لا تعرف ، أما حديثك عن الشجاعة والرجولة فقد صدقت فيه اذ جئنا بغير رجولة من حلب لأنك رأيت منا القليل ولم يصل اليك للأن من نارنا الا الدخان الذى راح ضحيته الكثير من الخلق ، ورجعت بعد الهزيمة تسابق الريح ، واذا كنت قد أخذت الأميرة بالشجاعة ، فهى مباركة عليك ، واذا استطعنا فسوف نستردها ، والا فهى لك وسنعود ونتوجه الى بلادنا وتبقى أنت رجل العالم » ٠

حين سمع قزل ملك هذا الكلام استولى عليه الغضب وسحب الكرسى الذهبى الذى كانوا قد وضعوه له وألقاه صوب جواد ، وكان سمك واقفا خلفه فتلقاه بسيفه وأبعده حتى لا يصيب جوادا بأذى ، فاستحسن جواد هذا العمل منه ٠ ثم التفت سمك الى قزل ملك وقال « أيها الأمير ، ان هذا الرسول عليه أن يقول ما يجب قوله ويستمع الى الرد عليه سواء كان خشنا أم لينا ، ويتكلم حسبما يسمع ، ولهذا فالرد واجب ولا يجوز

---

(١) اسم أعلى جبل فى ايران وهو شمال طهران بنحو ٧٠ كيلو مترا ، ويقصد بلاد الجبل كلها وهى المناطق الواقعة بين بحر قزوين وهضبة ايران ٠

عليه العقاب أو السجن أو القيد ، وان قذفك الكرسى خطأ جسيم خاصة فى مجلس الملك وحضرته » ٠

طأطأ جواد رأسه ولم يقل شيئا ، وبعد مدة رفع رأسه وقال « أيها الملك ، تفضل بالاجابة فقد حافظنا على حرمتك ، ولم نساير الأمير فى عربدته وخروجه على الأدب واللياقة فى حضرتكم ، وسوف نقول لكل الملوك عما حدث لنا فى مجلس أرمنشاه » ٠

قال الملك أرمنشاه « أيها البطل ، ان من عادتنا ألا ندع الرسول الذى يأتى الينا يسافر الا بعد اسبوع حتى ننظر فى أمره جيدا ونجيبه قدر استطاعتنا ووفق مرادنا » ٠

قال جواد « سمعا وطاعة ، الأمر للملك » ٠ ثم وقف فقال الملك لمضيف السفراء « أنزله فى مكان لائق وتحمل كل نفقاته وهيىء له كل أسباب الراحة كما يجب » ٠

خرج جواد من المجلس يتقدمه مضيف السفراء ، وكان سمك مع هؤلاء القوم حتى أنزلوهم فى أحد القصور ، وعاد المضيف ليدبر أمورهم ، فجلس سمك أمام جواد وقص عليه قصته من بدايتها عندما انضم الى خورشيد شاه والأحداث التى وقعت كلها الى تلك الساعة التى كان فيها يجلس معه ٠ وقد تعجب جواد من هذا الحديث وتلك الأحداث ، وأثنى على سمك ثم قال « أيها البطل ، لقد ذكر جمهور قصتك لمرزبان شاه كما أن خورشيد شاه كتبها اليه عندما طلب المدد من أبيه ، وقد أثنى مرزبان شاه عليك وفرح بك ودعا لك ، وأمر خورشيد شاه حينما يعود ـ بالسعادة والتوفيق ـ أن يقدم لك مائة ألف دينار من أموال عليان وطيار اللذين تعرف قصتهما حينما كانا مع خورشيد شاه وغدرا به ولم يمهلهما الله » ٠

قال سمك « لقد سمعت بهذا أيها البطل ، ولكن مرزبان شاه حين أمر بهذا الأنعام أمر بما يناسب همته وكرمه العالى ، والا فمن أكون حتى يأمر لى مرزبان شاه بهذا ؟ اننى رجل فقير عيار ، ان وجدت خبزا أكلت ، والا تجولت لأخدم العيارين والفتيان وأعمل من أجل الشهرة لا من أجل المال ، وهذا الذى أقوم به من أجل أن يكون لى ذكر ، فهل يليق أن أكون من أصحاب الاقطاعات أو الولايات ؟

قال جواد « انك تستحق أضعاف هذا مئات المرات بما لك من فضل ، حماك الله ورحم والديك » ٠ فقدم سمك التحية والشكر له ٠ ثم أخذا يتحدثان فى شتى الموضوعات وكان ورد ولهيب قد جاءا فى اثره وظلا واقفين أمامه حتى اختفى ضوء النهار وانتشر الظلام ٠

قال سمك « أيها البطل ، سأذهب لكى أحضر الراعى الأسمر وسام وفاضل ومحارب ليكونوا فى هذا القصر حتى اذا رجعت — بالسعادة — حملتهم معك » ٠

قال جواد « افعل ما ترى » ٠ فذهب سمك فى الحال ومعه ورد وأتى بالراعى الأسمر وسام كما أحضر فاضل ومحارب من بيت الخمار وحمل سكينة مع أدوات الحانة ، ثم قيدوهم فى قبة ولم يتركوا معهم أحدا سوى ورد ولهيب ٠

فى اليوم التالى أرسل جواد بعض غلمانه رسلا سريعة الى خورشيد شاه اعلمه بالحال ، وأنهم استبقوهم لمدة أسبوع لكى يجيبوا على رسالتهم ، وانتظروا على هذا الأساس ٠

كان ورد ولهيب مع الآخرين يتجولون فى المدينـــة للتجسس ، أما سمك فكان مع جواد يحدثه عن الجيش واختطاف ماه برى والأحداث التى وقعت ، وكانا حزينين على ماه برى حتى قال سمك « أيها البطل ، ان كل هذه الآلام والمحن كانت من أجـل ماه برى فهل تدرى الى أين أخذوها ؟ وهل أتوا بها الى هذه المدينة ؟

قال جواد « لا أعلم » ٠

فقال سمك العيار « أيها البطل ، لقد جئت الى هنا فى مهمة أقوم بها والا كنت قد وصلت الى ماه برى منذ مدة ، اننى أريد أن آخذ طرمشة السجان أسيرا بسبب الأعمال السيئة الكثيرة التى ارتكبها » ٠ ثم روى أحوال طرمشـــة وقال « ومع هذا فانه يتجـول فى المدينة للبحث عنى وايقاعى فى شباكه ، وسأخرج الليلة لأبحث عنه لعلنى أمسك به حتى يستريح قلبى » ٠

كان طرمشة يتجول فى المدينة على هيئة الشحاذين ويذهب الى كل بيت ويرى ما فيه من خير أو شر ، ويتسمع أمر كل محلة وحى ، وكان ورد قد عرف كل أحواله وذكرها لسمك ٠ فلما خيم الظلام ، خرج سمك من عند جواد وأخذ يتجول فى المدينة ويدخل كل محلة وحارة بحثا عن طرمشة فلا يجد له أثرا أو علامة الى أن وصل الى احدى الحارات فرأى جماعة من النساء يدخلن الحارة التى يتصاعد منها أصوات المغنين على أنغام قيثارة (١) وفى الحال خطرت فكرة على ذهن سمك ٠

تبع سمك النساء فوجد عروسا يزفونها الى عريسها ، وقد دخل طرمشة معهن الى ذلك العرس ثم أغلق الباب ٠ فقال سمك لنفسه « لماذا لم أمسكه ؟ اننى أبحث عنه فلماذا لم أمسكه حينما رأيته ؟ ان عقلى لم

---

(١) القيثارة هى « الهارب » وكانت معروفة للمصريين والبابليين من آلاف السنين ٠

يكن معى » . ثم تقدم الى الباب ونظر من ثقب المفتاح فرأى طرمشة جالسا يجمع أحذية النساء وعباءاتهن التى خلعنها فى مدخل البيت ، فلما جمعها أخذها وخرج ، فاختفى سمك فى أحد الأركان وتركه حتى ابتعد قليلا عن حارة العرس .

كان سمك يتتبعه ويسير خلفه ثم أمسك به وقال له « يا ابن الحرام ، يا سىء الفعال ، الى أين تحمل هذه العباءات والأحذية النسائية ؟ وضربه بعض اللكمات .

أجاب طرمشة « أيها الرجل الحر ، أنا لست لصا ، ولكننى أعيد هذه العباءات والأحذية الى منازل صاحباتها » .

قال سمك « أيها المراوغ ، ألا تعرفنى ؟ هل أنا ممن يكذبون عليهم هكذا ؟ ان حيل ألف مثلك لا يمكن أن تخدعنى » . قال سمك هذا ثم قيد يديه ورجليه وأخـذه وجاء به الى قصر جـواد وقال « لقد أحضرت طرمشة » . ونظر طرمشة فرأى لهيبا ووردا وجوادا فقال « أى مكان هذا » ؟ ومن أين هؤلاء الناس ؟ ومن الذى أتى بى الى هنا ؟ .

أجابه سمك « ألا تعرفنى ؟ لماذا كنت تبحث عنى » ؟ ثم قال لمن معه « اطرحوا ابن الحرام هذا » . ولم يكد سمك يكمل الكلمة حتى كانوا قد طرحوه أرضا ثم اندفع سام من القبة وثبته فى الأرض وقال « ان ابن الفاعلة هذا ضربنى وكان يريد أن أموت من كثرة ما ضربنى ، ورغم هذه المدة التى انقضت فاننى لم أستعد صحتى بعد » قال هذا وأتى بالعصا ووضعها أمام سمك . وتطلع طرمشة فرأى سام والراعى الأسمر واقفين أمامه يسـبانه ويشتمانه ويحقرانه . أما سمك فقد سلم تلك العباءات والأحذية الى ورد وقال له « اذهب الى المكان الفلانى والقها فى البيت ثم ارجع حتى نرى ماذا يجب أن نفعله مع ابن الفاعلة هذا » . فحمل ورد العباءات والأحذية وذهب الى ذلك البيت فألقاها وسط النساء ثم عاد .

وقف سمك وأمسك العصا واقترب من طرمشة ثم هوى بها على جسمه بضربة شملته من قفاه حتى قدمه ، فجرحت سبعة أو ثمانية مواضع من جسمه تدفق منها الدم وسال ، فصاح طرمشة من الألم . فلما أكمل سمك أربع ضربات قال طرمشة « يا سمك ، أطلب منك الأمان ان كنت شهما لأنك ان ضربتنى عصا أخرى فاننى سأموت ، اجلسنى وسأحدثك بما يسرك لأننى أعلم أنك لا تعرف هذا السر وتريد معرفته ، واذا لم يكن كما يريد قلبك فافعل بى ما تشاء » .

أجلسه سمك فطلب طرمشة جرعة ماء فسقوه حتى ارتوى ، ثم قال « يا سمك ، بحق الفتوة قل لى ، ألم تكن أنت الذى ضربتنى فى مجلس الملك أرمنشاه لأن ضربك الآن لى يشبه ذلك الضرب ؟

قال سمك « نعم ، كنت أنا ، فضربى بالعصا يحدث هذا الأثر ، والآن قل لى ماذا تريد قوله » .

قال طرمشة « يا سمك ، هل تعلم أنهم أحضروا ماه برى من القلعة الشاهقة » ؟

أجابه سمك « نعم ، وأنا أبحث عنها ولا اعرف الى أين أخذوها » .

قال طرمشة « أيها البطل ، لقد نقلوها الى قلعة الفلك ، وهى تقع فى مكان حصين وسط أشجار كثيفة على قمة صخرة كالجبل لا تستطيع حتى الجوارح من الطير أن تبلغها ، واعلم أنك لم تر هذه القلعة . انها قلعة عظيمة الاستحكام ولا تعرف وسيلة الصعود اليها ، ولكنك ان أمنتنى على حياتى فاننى أفشى لك سرها وأية حيلة يمكن بها الذهاب اليها ، وكيف تنزل منها ماه برى ، بل اننى سوف آتى معك بنفسى . واذا لم تستطع الذهاب بنفسك فأرسل معى لهيبا ووردا لكى أحضر ماه برى من تلك القلعة وأسلمها لخورشيد شاه . ولكن يجب عليك أن تقسم على أن تؤمننى على حياتى ولا تضربنى ولا تأمر بضربى حتى أقسم على تنفيذ كل ما تأمر به » .

استقر كلام طرمشة فى قلب سمك العيار وتقبله . فقال لطرمشة « هكذا سوف أفعل » وعندئذ أقسم طرمشة بما أرضى سمك ، ولكن ابن الفاعلة هذا كان يقسم بلسانه ولكنه فى قلبه كان يقول « اذا لم أقم بعمل يتحدث عنه الناس الى آخر الزمن فلست بطرمشة . وحين أقسم طرمشة ، أقسم سمك كذلك على ألا يؤذى طرمشة اذا لم يخن أو يتحايل ويبر بقسمه وينفذه .

حين تعاهدا وأقسما ، فك سمك وثاقه وقيوده وأجلسه أمامه . وكان لهيب وورد والراعى الأسمر وسام حاضرين . وقال سمك « يا طرمشة ، ان الأبواب مغلقة فكيف نخرج » ؟

رد عليه طرمشة قائلا « انها تفتح أثناء النهار ويدخل الناس ويخرجون ، فان أردت الآن فانهض لنذهب » . فنهض سمك وخرج معه من المنزل .

قال طرمشة « أيها البطل سمك ، لنذهب الى منزلى لألبس ملابس السفر وأحضر ما نحتاجه حتى يمكننا الذهاب الى القلعة » .

أجاب سمك « لا بأس » . وقال سمك لنفسه « لعل طرمشة لم يكذب فى قسمه ولن يغدر » ، وذهب معه الى بيته حيث أجلس سمك وأخذ يعد العدة للطريق ويلبس ملابسه ونعاله ، وفى هذه الأثناء أشار الى جاريته بما معناه « حين نذهب توجهى غدا الى قصر الملك وقولى له ان طرمشة ذهب مع سمك العيار الى قلعة الفلك لكى يحبسه ، وعليكم أن تبحثوا عن الأسرى فى القصر الذى ينزل به جواد وهم الراعى الأسمر وسام ولهيب . وقولى لهم أيضا اننى كنت أريد أن أخبرهم بنفسى ولكننى لم أستطع التخلص من سمك » . بعد هذا ذهب طرمشة مع سمك الى باب المدينة ، وعندما فتحوه خرجا وسارا فى طريقهما الى قلعة الفلك .

عندما طلع النهار قامت جارية طرمشة وذهبت الى قصر الملك أرمنشاه وقالت لخدمه « لدى كلام أريد أن أبلغه للملك » .

كان الملك أرمنشاه فى ذلك الوقت جالسا مع الوزيرين شهران ومهران والأمير قزل ملك وكل الأبطال يعدون الرسائل لارسالها الى أرجاء منغوليا يشرحون فيها أحوال الدولة ويتدبرون أمورها ، ومنها رسالة الى الوديان الاثنى عشر حيث يقيم الأخوان بطراق واسحق وهما من أصحاب التيجان . ورسالة الى صحراء جوزجان حيث البطل « أرجل » ، والى ملك زرغون المدعو « ابن الطيار » ، والى ولاية البطل « يلمون » ذى الخطوة صاحب القباء الحديدى والى باقى النواحى . وبينما هم كذلك اذ دخل الحاجب وقال « أيها الملك ، جارية طرمشة بالباب تقول عندى كلام للملك » . فأمر الملك بادخالها .

حين دخلت الجارية أدت التحية أمام العرش وقالت « أيها الملك العظيم ، بالأمس حضر طرمشة الى القصر وكان معه رجل لا أعرفه ، ولكن طرمشة أسر الى فى غفلة منه أن أخبرك أنه أخذ سمك الى قلعة الفلك كى يسجنه بها ، وطلب أن ترسل من يطلب الأسرى عند سفير خورشيد شاه » .

حين سمع الملك أرمنشاه هذا الخبر ، أمر فى الحال أن يذهب مائتا فارس مسلح ويحيطون بذلك القصر الذى ذكره طرمشة وحيث كان يقيم جواد . فذهبوا وقبضوا على الأسمر وسام ، ثم دخلوا القبة وفكوا قيود فاضل ومحارب وحملاهما معهم ، فلما تركوا القصر قامت ضجة فى المدينة بأنهم عثروا على ابنى كانون الذى ما ان سمع بالخبر حتى ذهب فرحا للقاء ابنيه واحتضنهما .

يشاء القدر أن وردا ولهيبا كانا قد خرجا من القصر لبعض شأنهما فلم يقعا فى الأسر ، ورأى ورد ما حدث فأسرع وانطلق كالريح فى أثر

سمك حتى أنه وصل الى القلعة قبل وصولهما اليها بنحو ساعة وأدرك أنهما لم يصلا بعد ، وكان على جانب الطريق عين ماء استراح عندها ، وفجأة ظهر طرمشة وسمك من بعيد فتوجه اليهما ورد .

نظر سمك فرأى وردا وتعجب لمجيئه وانقبض قلبه وقال لابد أن هناك شيئا قد حدث فلما وصل اليه قال سمك « خيرا ، لقد جئت على عجل فهل حدث شيء » ؟

قال ورد « أيها البطل ، ماذا تريد أسوأ من هذا ، وهو ألا تجد الوفاء في الرجال خاصة اذا كان مخنثا ، لقد أقدم طرمشة على فعل سيء لأن الفتوة لا تتأتى من غير الفتيان ، اذ أقسم كذبا وخاننا وأرسل الملك من ألقى القبض على جواد والأسمر وسام وقيدوهم وفكوا قيود فاضل ومحارب وأخذوهما » .

صمت سمك برهة ثم قال « ماذا حل بلهيب » ؟ .

أجابه ورد « انهم لم يمسكوه ، اذ كان بالمدينة ولعله يأتى » .

أخذ سمك طرمشة وقيده وقال « يا ابن الفاعلة يا سيء الفعال ، هل وفيت بالعهد والميثاق ؟ انك حين أخذتنى الى بيتك أدركت أنك دبرت شيئا ما ، ولهذا سوف أعاقبك على خيانتك هذه بما تستحق ، وسوف أقتلك قتله لا يوجد ما هو أبشع منها » .

حينما انتهى سمك من تقييد طرمشة اذا بلهيب يصل اليهما حزينا مغموما فسأله سمك « ماذا فعلوا بالأسرى » ؟

أجابه لهيب « أيها البطل ، لقد أخذوا جواد وسام والأسمر الى الملك أرمنشاه الذى أمر باعدامهم ، ولكن شهران الوزير قال له يا أيها الملك لايجب قتلهم مادام سمك حيا ، بل يجب تقييدهم وسجنهم لأننا ان قتلناهم فان سمك سوف يقتل فى مقابلهم ألف واحد مثلنا ، وهو قادر على هذا لأن سمك رجل أعرفه جيدا وأنت تعرفه كذلك ، ولهذا فمن الأصلح أن نقيدهم الى أن نرى ما سوف يحدث لسمك ونعلم ما فعله طرمشة به ، وآنذاك نهلكهم لأننى أعرف جيدا أن سمك لا يستطيع ألف مثل طرمشة أن يفعلوا به شيئا » . وأضاف لهيب « لقد كنت واقفا أشاهد ما يجرى الى أن ساقوهم الى السجن » .

فرح سمك كثيرا حينما سمع هذا الكلام وقال « يا طرمشة يا سيء الفعل يا عديم الرجولة ، كيف ترى حالك الآن ؟ ثم كممه وربط يديه خلف ظهره ، وبعد ذلك علقه على شجرة ثم اتجه الى القلعة يرافقه ورد ولهيب سالكين طريقا صعبا شائكا وسط أشجار الغابة الكثيفة وأغصانها المتشابكة

حتى وصلوا الى أسفل القلعة فرأوها كأنها الدنيا فى اتساعها ، يؤدى اليها طريق ضيق وعر طوله نحو أربعة فراسخ ، ونظروا اليها من سفح الجبل لتقدير طولها وعرضها وتحصينها فوجدوها وقد نصبت عليها العرادات والمناجيق والأعلام الكثيرة المتنوعة ، وكانت الرياح تنشر الأعلام الملونة فتجعلها كأنها بستان فى فصل الربيع ، أما خندق القلعة فكان عظيما متسعا يحيط بها من كل جانب .

أخذ سمك يتطلع اليها ويفكر فى طريقة تقوده لدخولها ، ولم يكن يؤدى اليها الا ذلك الطريق الصاعد حتى بابها ، فقال لصاحبيه « ان صعودنا الى القلعة من هذا الطريق ليس فى صالحنا ، وعلينا أن نتجول حولها لعل الله يهدينا الى طريق نصعد منها اليها » . وأخذ يطوف حولها حتى وجد واديا فيه ممر فقال « ان هناك صوتا سأذهب لأرى ما مصدره وأراقبه لعلنا نهتدى الى شىء » .

قال سمك هذا وسار مسافة قصيرة فى اتجاه الصوت فرأى ثلاثة أشخاص يجمعون الحطب ، فتقدم اليهم وألقى عليهم السلام ، وكانوا شيخا وشابين ، فردوا السلام فقال سمك « أيها الرجل الحر ، هل أنت من هذه القلعة والشابان ابناك ؟ » .

أجاب الشيخ « أيها الفتى ، اذهب ولا تؤذنا » .

قال سمك « أيها الشيخ ، لقد سألتك سؤالا ولم أطلب منك عونا أو شيئا » .

أجابه الشيخ « أنا من هذه القلعة وهذان ابناى ، واسمى مرزاق الحطاب وأنا معتمد هذه القلعة ، وهناك أنباء عن جيش جرار جاء من الصين فى طريقه الى منغوليا ولا نريد أن يأتى فريق الى هنا ويحاصرنا ، وقد أمرنا دخان مستحفظ القلعة أن نزيد مخزونها حتى ـ اذا لا قدر الله ـ وحوصرت القلعة كان لدينا ما نحتاجه من الحطب لأن كل شىء متوافر بالقلعة ، ولهذا جئنا على عجل نجمع الحطب ، وهذه كل أحوالى فان كنت تريد شيئا فقل » .

قال سمك « أيها الشيخ المبارك ، ماذا تحصل عليه من هذه القلعة بعد كل هذا العناء والشقاء ، فليس هناك عمل أصعب مما تقوم به » .

أجابه الشيخ « لى فى كل عام عشرة دنانير ، وكل يوم ثلاثة أمنان (١) من الخبز وكل شهر خروف ، وكل ستة أشهر طاقم من الملابس » .

---

(١) المن وحدة وزن بابلية قديمة مازالت مستعملة للآن فى أيران تتراوح ما بين ثلاثة أرطال الى ستة حسب المحافظات المختلفة .

بينما كانا فى هذا الحديث وصل ورد ولهيب ، فقال سمك لورد « لم أكن فى حياتى وحيدا كما أنا الآن ، فلا صديق لى ولا معين ، ولا مؤنس ولا رفيق ، ولهذا فاننى فى حيرة شديدة » .

قال ورد « أيها البطل ، ماذا تقول ؟ وما هو الصديق والمؤنس » ؟

أجاب سمك « الصديق هو الذى يحزن لحزننا ويصلح أمرنا ، ويوصلنا الى مرادنا وهذا الصديق المعين هو الذهب . هل معك شيء منه » ؟

قال ورد « أيها البطل ، ليس معى شيء منه » . ولكن لهيبا قال « أنا معى » . فمنذ ذلك اليوم الذى قلت لى فيه ان الرجل لا يجب أن يخلو من الذهب وأنا أحمل معى الذهب دائما » . ثم وضع يده فى خاصرته وأخرج صرة من الذهب بها مائتا دينار وناولها لسمك ، فأخذها سمك وقبلها ووضعها أمام ذلك الشيخ .

تطلع مرزاق الى هذا الذهب مندهشا اذ لم يكن قد رأى فى حياته من قبل مثل هذه الدنانير وقال لسمك « أيها الفتى ، لماذا أعطيتنى هذا الذهب » ؟

أجابه سمك « لقد وهبته لك فخذه وأنفقه على حاجتك وحاجة أولادك ، ولكن لى عندك حاجة فقم بها » .

قال الشيخ « ان كانت فى طاقتى . ولكن ما هى حاجتك التى تطلبها منى ومن أولادى » ؟

قال سمك « أيها الشيخ ، ان أقسمت على كتمان سرى وعدم افشائه ، وألا تشى بنا وأن تكون صديقا لأصدقائى عدوا لأعدائى فاننى أطلب ما أريد » . فأقسم مرزاق على ألا يكشف سرهم ، وأن يلبى رغباتهم ولا يعمل الا ما يرضيهم .

قال له سمك حين انتهى من قسمه « أيها الشيخ ، يجب علينا أن نصعد الى القلعة » ، ثم قص عليه قصته .

قال مرزاق « يا سمك ، كيف يمكننى هذا ؟ ان للقلعة اثنى عشر برجا بها حراس يقظون متنبهون ، ودخان مستحفظ القلعة يقضى كل ليلة فى أحد الأبراج ، كما أن المشرف على القلعة يقف على الباب ويبيت عليه ويفتش فى الحطب الذى أحمله » .

قال سمك « وهل يسألك من أنت ومن أين جئت ومن معك » ؟

أجاب الشيخ « لا يسألنى لأننى معروف فى القلعة معتمد لديهم » .

فسأله سمك « كم عدد من بالقلعة من الرجال والنساء » ؟

قال مرزاق « انهم أربعمائة مقاتل ومائة من النساء • ودخان مستحفظ القلعة ورجل آخر هو نقيب القلعة واسمه خان بن خان » •

قال سمك « يا مرزاق ، ان لدى حيلة وهى أن يحمل كل منا حزمة من الحطب على ظهره وندخل معك القلعة بدلا من ابنيك » •

فقال مرزاق « قد تتحقق هذه الحيلة بسبب حسن أعمالك خاصة وأن دخان سيبيت هذه الليلة فى البرج الخلفى للقلعة ، ولهذا سندخل بلا خوف أو وجل » •

رد سمك « ان الله ميسر للأمور » •

حمل كل منهم حزمة من الحطب على ظهره وسار مرزاق أمامهم وتبعه سمك وتلاه الآخرون وساروا حتى جاءوا باب القلعة فقرعه مرزاق فقالوا « من » ؟ فقال مرزاق « أنا مرزاق الحطاب » • وعندئذ فتحوا باب القلعة فدخل مرزاق والآخرون يحملون الحطب الى أن وضعوه فى مكانه • وبعد ذلك أخذ مرزاق الجميع الى منزله • وكانت له زوجة وابنتان شابتان رأوا سمك ورفيقيه وسألوا عنهم ومن أين جاءوا • فقال مرزاق « لقد استأجرت هؤلاء الثلاثة حتى ننتهى من اختزان الحطب بسرعة » •

نام الجميع ليلتهم فلما أصبح الصباح قال سمك لمرزاق « ألا تعلم أين تقيم ماه برى فى هذه القلعة » ؟

أجابه مرزاق « انها حبيسة فى القصر العالى » •

فسأله سمك « هل تعلم من يذهب اليها ويأتى من عندها ويقوم على خدمتها » ؟

أجابه مرزاق « ان النسيم لا يجرؤ على الاقتراب من قصرها سوى جاريتين تذهبان اليها وتقومان على خدمتها » •

قال سمك « لا بأس » • ثم التفت الى ورد وقال له « انهض وضع عباءة نسائية والبس الجرموق (١) لأنك أشبه بالنساء منى فلى لحية ، ثم اذهب الى ماه برى وأبلغها قبلاتى لأرضها ، ثم تعرف على عدد الجوارى والخدم ، وتعرف على المكان جيدا وارجع سريعا حتى أفكر فى طريقة لانقاذها » •

قال ورد « نحتاج لعباءة وجرموق » •

---

(١) الجرموق : الحذاء ذو الرقبة الطويلة « البوت » •

فقال سمك لمرزاق « خذ أغلظ الايمان على زوجتك حتى تحفظ السر ولا تخنا ، ثم أحضر منها عباءة وجرموقا » . فلما أحضرهما مرزاق لبسهما ورد واتجه للقصر العالى فلما وصل اليه دخله فرأى ماه برى مع جاريتين وبهجة الروح المطربة جالسات ، فألقى ورد السلام وقدم التحية ، فأجلسته ماه برى وأكرمته وأمرت أن يأتوا بماء الورد . ولما نظرت اليه ماه برى أشار اليها أن تخرج الجوارى ، فشغلتهما ماه برى بأمر ما لتخرجا من عندها .

التفتت بهجة الروح الى ورد وقالت له « من أنت ، ومن أين جئتنى » ؟

أجاب ورد « رسول من سمك العيـار . وهو يبعث بالسلام الى ماه برى أميرة الدنيا » . وحين سمعت ماه برى اسم سمك غمرها الفرح وسألت « أين رأيته » ؟

قال ورد « أيتها الأميرة ، لقد جاء سمك الى القلعة مع لهيب ومعى ــ أنا خادمه ورد ــ » .

فقالت ماه برى « انهض واذهب اليـه وابعث به الى لأنظر ماذا سيفعل » .

عاد ورد الى سمك وذكر له ما حدث من رؤيته لماه برى وتعريفها بحالهم ، وأنها تطلبه .

خطبـة سـمك لورد :

فقال سمك « اخلع ملابسك لأرتديها » .

كان من ارادة الله أن وردا حين كان يخلع ملابسه وسمك ينظر اليه ، وفجأة ظهر صـدره واذا به ثديان كرمانتين ناضجتين وقد شدهما بشمال (١) ، فمد سمك يده وقال « ما هذا » ؟

خجل ورد وأدى التحية وقال « أيها البطل ، لقد انكشف سرى ، ولما كان على أن أظل معك فلا مفر من ذكر الحقيقة ، ولتعلم أننى لست رجلا ، ولا يعلم أحد فى الدنيا هذا السر سوى أبى وأمى وأخوتى ، والآن ظهر سرى لك أيضا » .

حين سمع سمك هذا الكلام قال « بالله العادل اننى منذ السـاعة الأولى التى كنت فيها فى بيتكم ضيفا عليكم وحضرت أنت وطلبتنى الطعام وتحدثتى بذلك الحديث مع أمك ، وحين أحضرت أمك الطعام وأخذتى تأكلين وأنا أنظر اليك ، أدركت أنك لستى رجلا ، وقلت لنفسى ان هذا

---

(١) الشمال شىء كالمخلاة يغطى به ضرع الشاه يقال شمل شملا علق على ضرع الشاة الشمال وشده . (لسان العرب) ويمكن استعمالها بدل كلمة « السوتيان » .

الفتى لا يتصرف تصرف الرجال ولكنه يسير سيرتهم ولا أعرف كيف يعد منهم · كما أن خروجك بالليل وعياريتك التى بدت عليك جعلتنى فى شك من أمرك وكانت تمنعنى من اكتشاف سرك ، وقلت هل يمكن أن تكون امرأة بهذه المهارة ؟ والآن يا ورد وقد انكشف السر وعرفت أنك فتاة ، ومع علمى أنك سلكتى هذا الطريق حتى لا تكونى فى عداد النساء ونعاملى معاملتهن ويكون لك زوج ، فهل من الممكن أن تكونى زوجة لى » ؟

قالت ورد « أيها البطل ، اننى جاريتك » ·

أمسك سمك يدها وأشهد الله وأشهد مرزاق ولهيب وابنى مرزاق على زواجه من ورد التى وهبت نفسها له وقبلت الزواج منه · وبعد ذلك فتح سمك ذراعيه واحتواها بينهما وضمها اليه وطبع قبلة على جبينها · ولكن لهيبا نهض وقال « لا تشترط على أيها البطل وتقول لى اصبر ولا تكن أفضل من خورشيد شاه وماه برى ، وها أنا ذا قد صبرت فاصبر أنت أيضا حتى يجتمع شمل ماه برى وخورشيد شاه ، وآنذاك نقيم أنا وأنت أفراحنا أيضا » ·

قال سمك « الرأى ما ترى ، وأنا فاعل ما تريد » ·

بعد ذلك وضع سمك العباءة على رأسه وارتدى الجرموق ووضع النقاب وخرج الى الطريق حتى وصـــل الى القصر العالى ودخله والتقى بماه برى وأدى التحية ، فوقفت الأميرة واحتضنت سمك بحكم الأخوة التى بينهما وقبلته وأجلسته أمامها ثم سألته عن خورشيد شـــاه وعن أحواله ·

قال سمك « أيتها الملكة ، منذ أخذنا القلعة الشاهقة وتركتك هناك الى أن جئت هنا وأنا طوال الوقت فى منغوليا » · ثم أخبرها سمك بكل ما جرى من أوله الى آخره من أخذه سكينة الساقية وحديث لهيب واحضار الأسمر وسام أسرى ثم خروجهما ، وفك أسرهما والتجاء مهران الوزير الى منغوليا ، والقاء القبض على فاضل ومحارب ابنى كانون ، وقصة طرمشة والأخوين القصابين ونجاتهما ، ومجىء جواد كسفير الى منغوليا وحين انتهى من سرد هذا كله فتحت ماه برى فمها وأخذت تتحدث حديثا كأنه الشهد ، فروت أحوالها وكيف أن كانون أتى بها بالحيلة والمكر · ثم قالت « أيها البطل ، ماذا تعرف عن لالا صالح لأنه كان معنا حتى ذلك المكان الذى سقونا عنده الدواء المتوم اذ لم أره بعد ذلك » ·

قال سمك « أطال الله بقاءك » · فبكت ماه برى وقالت « وا أسفاه ، كان نعم الخادم الوفى ، وقد وافاه الأجل ، وكنت أقول له ونحن فى القلعة الشاهقة لا تفتح الباب ما لم يأت خورشيد شاه أو سمك ، ولكنهم حينما

جاءوا قال لى ان هذا الشخص قادم من عند أبيك . ان أجله انتهى بعد أن أخرجنا من القلعة وألقانا فى هذه المحنة » .

ظلا ساعة يتجاذبان أطراف الحديث الى أن سألته ماه برى قائلة « أيها البطل ، كيف ستخرجنا من هذه القلعة » ؟

أجابهـا سمك « أيتها الملكة ، ان هـذا ما يجب أن يدبره مرزاق الحطاب . والآن وقد اطمأننت عليـك فاننى سأعود اليه وأعد العـدة لخروجك » . قال هـــذا ثم نهض وذهب الى مرزاق الحطاب وقال له « أيها الرجل الحر ، كما أتيت بنا الى هذه القلعة ، فكر فى وسيلة نخرج بها ماه برى من هنا » .

قال مرزاق « أيها البطل ، وفى ماذا أفكر ؟ انك أدرى بهذا » . فاستغرق سمك فى التفكير ثم قال « يا مرزاق ، هل تعرف مكانا نخفيها فيه حتى اذا خرجنا من القلعة أخذناها معنا لأنه يجب اخراجها أولا ، اذ لا نستطيع أن نخرج كلنا فى وقت واحد » .

قال مرزاق « أيهـا البطل ، هناك غار حيث كنا نجمع الحطب ، فلنحملهما ونتركهما هناك ، وعلى أن أوصل لهما الطعـام والشراب ، ولا أعرف مكانا غير هذا المكان سيئا كان أم جيدا ، كما أن على أن أخرجهما من هنا وأخفيهما فى ذلك الغار . أما الحفاظ عليهما فلست مسئولا عنه ولا أستطيع أن أتحمل عبأه » .

قال سمك « لا بأس ، سوف أذهب وأحضر ماه برى وبهجة الروح الى هنا لكى تخرجا معك ، فجهز للأمر عدته » . ثم نهض سمك وذهب الى ماه برى وأدى التحية وقال « يا ابنتى ، لقد جهزت للأمر ، ولكن عليك القيام بشىء حتى تسير الأمور كما نشتهى ، فعليك أن تنسى ذلك الملك وتتركى الرفاهية والتنعم اذا كنت تريدين الوصول الى مرادك » .

أجابت ماه برى « أيها البطل ، ماذا يجب على أن أفعل لكى أقوم به دون خوف » ؟

قال سمك « أيتها الملكة ، اخلعى ملابسك الملكية والبسى ملابس خلقة قديمة واخرجى من هذه القلعة الى حيث يخبئونك حتى أخرج من هنا وأحملك الى خورشيد شاه .

قالت ماه برى « سأفعل ما تأمر به » . ثم نهضت وقامت بما طلبه سمك وذهبت هى وبهجة الروح الى منزل مرزاق ، وكان الليل قد أقبل فخلعتا ملابسهما فى الحال ولبستا ملابس خلقة من ملابس زوجة مرزاق ،

كما لبستا أحذية من أحذية أولاده وعلقتا حبلا حول عنقيهما كما يفعل الحطابون وخرجتا مع مرزاق ، وظن أهل القلعة أنهما ابناه » ·

حين خرج ثلاثتهم من القلعة ساروا نحو فرسخ تعبت أثناءه ماه برى ودميت قدماها حتى أنها لم تستطع أن تواصل السير فجاءها مرزاق وقال « أيتها الفتاة ، ان شئت حملتك على ظهرى » · ثم حملها على ظهره الى أن وصل الى ذلك الغار فأنزلها وأجلسها ثم سألها قائلا « أيتها الأميرة ، ماذا ستمنحينني لقاء هذا العمل الذى قمت به من أجلك ؟

قالت الأميرة « حين أصل الى خورشيد شاه سأجعله يهبك هـذه القلعة كلها » ·

بعد أن أجلس مرزاق الحطاب ماه برى وبهجة الروح فى ذلك الغار وضع أمامها الطعام والشراب الذى كان قد أحضره معه ثم عاد الى سمك وأخبره بما قام به ، فاثنى عليه سمك الذى بقى فى بيت مرزاق متخفيا مع الآخرين ينتظرون حلول الظلام حتى اذا تمكنوا من القيـــام بشىء قاموا به ·

يقول جامع الكتاب ومؤلف الأخبار انه حينما قيدوا الأسمر وسام وجواد وألقوهم فى السجن فى مدينـة منغوليا ، فان ابنى كانون حدثا أباهما بما كان من أمرهما وكيف حملا الى بيت الخمار واحتجزا فيه ، ثم كيف نقلا الى القصر الذى كان ينزل فيه جواد ضيفا ·

حين ســـمع كانون هذا الحديث نقله الى الملك أرمنشاه الذى أمر بالقبض على الخمار وابنيه ونهب بيته · فذهب كانون مع بعض النقباء والخدم الى بيت الخمار وقبضا عليه وعلى ابنيه ونهبوا بيته ، ورأوا سكينة الساقية ففكوا قيدها ولكنهم لم يعثروا على أدوات الشراب التى كان الخمار قد أودعها لدى أخته ·

اصطحبوا سكينة معهم الى قصر الملك بينما ساقوا الخمار وابنيه الى السجن ، وكان أرمنشاه ينتظر ما سيفعله طرمشة ، فلم يصله أى خبر ، وأخذ ينتظر أحدا من عند طرمشة ثلاثة أيام كاملة ، فلما لم يأته أحد جهز فارسا وقال له « اذهب الى قلعة الفلك عند دخان واسأله عما فعل طرمشة بسمك العيار ثم عد سريعا » ·

خرج الفارس وانطلق الى هناك ، واتفقت ساعة وصوله مع الوقت الذى كان فيه مرزاق يخبر سمك أنه أخذ ماه برى وأخفاها فى ذلك الغار · وحين دخل ذلك الفارس على دخان وأدى التحية قال له « أيها البطل ، لقد حضر طرمشة ومعه سمك الى هذه القلعة وأرسلنى الملك لأعرف أخبارهما وما فعله طرمشة بسمك » ·

قال دخان « لم يأت أحد قط الى هذه القلعة • فهل أنت واثق أنهما توجها الى هنا » ؟

أجاب الفارس « نعم ، بل اننى جئت للتأكد من هذا الأمر » •

أمر دخان فى الحال بخروج الفرسان من القلعة كى يمسكوا بسمك قبل أن يصل اليها • ولهذا حدثت جلبة وضوضاء فى أرجاء القلعة أثناء خروج الفرسان • فقال سمك لمرزاق « انظر ما سبب هذه الضجة » • فخرج مرزاق وأخذ يسأل كل من يلقاه عما حدث فقالوا « لقد وصل شخص من عند أرمنشاه يقول ان طرمشة وسمك فى طريقهما الى القلعة لكى يأخذا ماه برى ، وكان طرمشة يدبر لحبسه فى القلعة ، ونحن خارجون للامساك بهما قبل وصولهما ، فلما خرج الفرسان عاد مرزاق وأخبر سمك بما سمع •

التفت سمك الى لهيب وقال له « عليك بالذهاب الى خورشيد شاه لتخبره بما رأيت وسمعت لكى يرسل جيشا ويأخذ ماه برى من ذلك الغار الى أن أدبر أنا أمر هذه القلعة فربما استطعت الاستيلاء عليها خاصة وقد خرج منها الفرسان ولن يعودوا الليلة ، وأخشى أن يهتدوا الى ذلك المكان ويصلوا الى الغار وينتهى تعبنا بالفشل والخسران » •

قال لهيب « أيها البطل ، اننى أحتاج الى سلوك طريق لا يعرفه الجند لأنهم منتشرون الآن فى كل مكان » •

فقال مرزاق « انهض وتعال معى الى حيث كنا نجمع الحطب وأنا أدلك على طريق تسلكه » •

حمل لهيب ومرزاق الحبال كعادة الحطابين وخرجا من القلعة وسارا الى أن وصلا الى ذلك المكان الذى كانوا يجمعون منه الحطب ، فقال مرزاق « يا لهيب اتبع هذا النهر وسر قدما الى أن تصل الى بركة فسر على اليمين منها فان الطريق يوصلك الى روضة الزعفران » •

سار لهيب فى طريقه يحث الخطا حتى وصل الى الطلائع عند منتصف الليل فسأله سمور « من أين أنت قادم يا لهيب » ؟

أجاب لهيب « من قلعة الفلك ، من عند البطل سمك العيار وماه برى » •

حين سمع سمور اسم سمك وماه برى فرح وحمل لهيبا خلفه على جواده وانطلق حتى جاء الى خورشيد شاه ، فلما وصل الى عرشه أدى له

التحية فرحا وقال « أيها الملك العظيم ، ان لهيبا وصل من قلعة الفلك يحمل أخبار سمك وماه برى » .

فرح خورشيد شاه عندما سمع هذا وقال « ماذا تقول » ؟ وعندئذ أخذ لهيب يتكلم فروى قصة ذهابهم الى مدينة منغوليا ، وما قام به سمك من أفعال وأخذه سكينة الساقية الى أن وصل الى قصة نقله ماه برى من قلعة الفلك الى ذلك الغار . ذكر كل هذا لخورشيد شاه ثم قال له « أدركهم أيها الملك وارسل جيشا لاحضارهم قبل أن يصل أحد اليهم لأن سمك فى القلعة مع ورد وقد يتمكنان من الاستيلاء عليها ، وهو الذى أرسلنى لأبلغك هذا » .

حينما سمع خورشيد شاه هذا الكلام استدعى كرمون البطل وقال له « اذهب على رأس خمسمائة فارس الى سفح قلعة الفلك واحضر ماه برى من ذلك الغار » .

خرج كرمون على رأس هذه القوة يتقدمهم لهيب الى أن وصلوا قرب الوادى فقال لهم لهيب « يجب أن نسير فى هذا الوادى الى أن نصل الى نبع غزير الماء فى مقابلة الغار فى ذلك الجبل حيث توجد ماه برى وبهجة الروح فاخرجوهما من هناك لأننى سأذهب الى منغوليا لأقف على أحوال الأبطال كما طلب منى سمك » . وكان قصد لهيب أن يذهب ليعرف أخبار حبيبته سكينة .

انطلق الفرسان وكان الليل قد أسدل أستاره فقالوا من الأفضل أن نبقى هنا الى أن يطلع النهار لنتبين ذلك الغار ونخرج ماه برى . قالوا هذا وحطوا رحالهم .

هكذا يستطرد راوى القصة فيقول « ان الجيش حين نزل من القلعة وتفرق فى كل ناحية للبحث عن طرمشة فى وسط الأشجار يتقدمهم قائدهم خان بن خان الذى سمع فجأة زئير أسد ، فوقف فى مكانه واذا بالأسد يخرج من بين الأشجار وكأنه فيل ضخم ، فتعجب خان لأن ذلك الأسد كان يزأر زئيرا كأنه الرعد ، ثم اندفع نحو خان يريد الهجوم عليه .

قال خان « لم يعد هناك وقت لنبحث عما أثار الأسد (١) ، ولابد أن له عدوا هنا . ثم قال لأصحابه انتظروا هنا لعلى أستطيع الايقاع بهذا الأسد » . ثم تقدم نحوه فلما رأى الأسد أنه يقصده جلس على عقبيه وأخذ يزأر ويثير الغبار ويضرب الأرض بذيله الى أن اقترب منه خان محاولا ضربه بالسيف ، فلما لم يتمكن لأن الأسد كان يدافع عن نفسه بمخالبه

(١) المعروف ان الأسد لا يهاجم الانسان الا اذ أثير أو اضطر الى ذلك .

وأنيابه ، شد خان عنان فرسه وتناول قوسه ورماه بسهم اخترق عينه اليمنى واختفى فى رأسه • فزأر الأسد وولى هاربا ، وتناول خان سهما آخر ورمى به الأسد فى كتفه فنفذ السهم الى بطنه ، وأخذ الأسد يقفز نحو الأشجار فتبعه خان الى أن وصل الى ماء غزير ألقى الأسد بنفسه فيه ، فعاد خان ليلحق بجيشه ولكنه أثناء عودته سمع أنينا فقال « ما هذا الأنين لعل الأسد جرح أحدا » •

تتبع خان صوت الأنين حتى وجد شخصا معلقا في شجرة وقد غطى الدم الذى نزف منه رأسه ووجهه ، فاقترب منه خان وفك قيده وأنزله وأجلسه وكان يتنفس بصعوبة ، فصبر عليه حتى مسح دماءه ووضح وجهه ونظر اليه خان فاذا هو طرمشة الذى يعرفه لأنه كان قد رآه فى منغوليا ، فتعجب من أمره وقال له « يا طرمشة ، ما هذا ؟ لقد جئنا نبحث عنك لأنهم يقولون انك أتيت بسمك لكى تسجنه وتقيده بالقلعة ، والآن نراك مقيدا ، فكيف حدث هذا » ؟

أخذ طرمشة فى الكلام فذكر أحواله وأنه كان مع سمك يريد تقييده ولكن الله لم يشأ ، بل ان سمك هو الذى قيده ثم ذهب ومعه لهيب وورد الى القلعة لكى يأخذوا ماه برى •

قال خان « لم نر أحدا الا ذلك الرجل الذى أرسله أرمنشاه ليبحث عنك وعن سمك ولهذا جئت بالفرسان نبحث عنك »•

فقال طرمشة « أرسل أحدا ينظر هل حمل سمك الأميرة ماه برى أم لا » ؟ فلما عاد هذا المبعوث الى دخان فزع قائلا « ماذا تقولون ؟ هل هبط سمك من السماء وحمل ماه برى فى الهواء ؟ ما هذا الكلام ؟ وأرسل دخان شخصين الى القصر العالى لينظرا ان كانت ماه برى هناك أم لا ، فان لم تكن فهذا ما يدعو للعجب • فلما وصل الخادمان للقصر العالى وكان به جاريتان سألاهما أين ماه برى ؟ فقالتا « لا نعرف » • وجال الخادمان فى القصر فلم يجدا أثرا لماه برى ، وعادا الى دخان وأخبراه بما كان وكانا قد اصطحبا معهما الجاريتين •

سأل دخان الجاريتين « أين ذهبت ماه برى » ؟

أجابتاه « لا نعرف ، اذ كنا فى خدمتها منذ وصلت الى أن جاءتها (جارية فأرسلتنا فى بعض شئونها) (١) ولا نعلم أكثر من هذا » •

صاح فيهما دخان وقال « لماذا لم تخبرانى فى نفس اليوم » ؟

---

(١) هذه الجملة ساقطة فى الأصل فاضفناها استكمالا للمعنى •

أجابت الجاريتان « أيها البطل ، ظننا أن الجارية أتت من عندك لأن النسيم لا يجرؤ على دخول القصر العالى ، ولا يستطيع أحد أن يأتى دون اذن ، كما اعتقدنا أنك استدعيتها لتحضر عندك • والا كيف لنا أن نعرف أنهم كانوا يختطفونها » ؟

ثار دخان وأرسل فى الحال شخصا ليخبر خان أنهم خطفوا ماه برى وبهجة الروح من القلعة التى استبيحت حرمتها ، ويجب عليك أن تبحث عنهما فانهما لم تبتعدا عن هذه المنطقة ، فتجول حول القلعة لعلك تعثر عليهما •

حزن خان وطرمشة لهذا الخبر وأخذ يتجولان حول القلعة حتى جاءا الى المكان الذى كان مرزاق يجمع منه الحطب ، فرأوا بابا جديدا قد وضع فقال أحدهم لقد مررت هذا الأسبوع على هذا المكان ولم يكن هذا الباب موجودا • فقال خان « اذهب وانظر ماذا هناك » •

انطلق الفارس الى أن اقترب من الغار لينظر فيه ، وكانت ماه برى وبهجة الروح قد سمعتا وقع حوافر الحصان فتقدمتا الى شق فى الصخر لتنظرا منه ، فشاهدتا الفارس قادما نحوهما ، فانطلقتا لتغادرا المكان الى الناحية الأخرى منه ، فوقعت عينا الحصان عليهما فخاف وجمح وأخذ يزفر ويصهل وألقى راكبه من على ظهره فكسر عنقه جزاء وشايته • وهذا جزاء كل من يشى بالناس أو يوقع بهم يحدث له ما حدث لهذا الرجل •

حين توجه الفرسان الى ذلك الغار قالوا لعل فى هذا الشق شيئا جعل الحصان يجمح هكذا ويحدق بنظره فيه ، وتقدموا صوب الحصان فوجدوه ينظر الى الشق بقوة وحذر فتقدموا وحركوا الصخرة الموضوعة كباب على الغار ، فوجدوا ماه برى وبهجة الروح جالستين فأخرجوهما ، ونظر اليهما طرمشة وتعجب وسألهما « من الذى أحضركما الى هذا المكان » ؟

أجابت بهجة الروح « لقد أحضرونا الى هنا ولا نعرف من كانوا » •

قال طرمشة « سأقول لكما ان كنتما تعرفان أم لا ، وسوف لاتتكلمان الا بضرب العصا وأنا أعرف جيدا عمل من هذا • ولكننى لن أقول بل أنتما اللتان ستتحدثان • ياخان يجب حملهما الى القلعة ومطالبتهما بذكر الحقيقة ، وهذا ما سأتولاه بنفسى • أيها البطل ، تجول هنا مع الجيش ريثما أحملهما الى القلعة وأعرف منهما الحقيقة وأعود اليك » • قال هذا وأخذ ماه برى وبهجة الروح الى القلعة •

حين رأى خان ماه برى قال لها « أيتها الرعناء المغرورة ، أهكذا تفعل بنات الملوك ويجلبن لنا سوء السمعة ويلطخن أسماءهن ويهتكن حرمة قلاع

الملوك دون حياء أو خجل ؟ لم أجد مفرا من وضعك فى القصر العالى وأن أجعل عليك حرســا يليق بالملوك ولم أدعك تشعرين بالغم والألم ، ولم أسمح لأى رجل أن يقترب من قصرك حتى يرتاح بالك · وفى النهايـة تقومين بهذا العمل وتريقين ماء وجهى أمام الملوك · أصدقينى القول ، كيف خرجت من القلعة ومن الذى أرشدك الى الطريق والا فاننى ــ بالله الخالق العادل ــ سأعاقبك عقابا تتحدث عنه الدنيا ، وماذا سيصنع بى الملك أكثر من أن يغضب على ويعزلنى · نعم اننى لن أتحمل اهانتك هذه طيلة حياتى وقول الناس ان بنتا قد لعبت على هؤلاء الرجال وخدعتهم » ·

قالت ماه برى « ما كل هذا الكلام الذى تقوله ؟ فمثلما أخذونى من القلعة الشاهقة أخذونى من هذه القلعة أيضا · ولا أعرف من هو ، وحتى اذا كنت أعرف فلن أقول » ·

قال دخان « يجب ضربها حتى تتكلم » ·

رد عليه طرمشة قائلا « أيها البطل ، ان بنـات الملوك لا يضربن ، ولكن يمكن ضرب بهجة الروح الى أن تقول الصدق والا فاضربوا ماه برى أو تتكلم من نفسها خوفا من الضرب أو شفقة على مطربتها » ·

شدوا بهجة الروح وأخذوا فى ضربها حتى أن كل عصا كانت تمزق موضعا فى جسدها أو موضعين يتدفق منهما الدم الى أن أتموا ضربها عشر عصى فطلبت الأمان وقالت « لا تضربونى وسأقول الحقيقة » · فأجلسوها وطلبت ماء فسقوها ، ثم ذكرت لهم ما حـدث كما رأته من أعمال مرزاق الحطاب ، ومجىء سمك واخراجهما من القلعة فسألوها «أين ذهب سمك»؟

أجابت « أخرجونا من القلعة وذهبوا » ·

أمر دخان بوضع ماه برى وبهجة الروح فى القيد وحملهما الى القصر العالى ، وكان له خادم أسود قبيح اسمه منـكول أرسله معهما وأوكله بهما · ثم أرسل فى الحال شخصا الى بيت مرزاق الحطاب للامساك به وبكل من فى منزله ، فجاء النـاس الى بيته وأمسكوا امرأته وابنتيه ولم يعثروا على أحد آخر وحملوهن الى دخان الذى قال لهن « ياسيئات الفعل يا بنات الحرام ، أى عمل هذا الذى قمتن به ولم تحافظن على حق الخبز والملح وقضيتن على حرمة قلعة الملك ؟ اصدقينى القول ، أين ذهب زوجك وسمك وورد » ؟ (١) ·

---

(١) سنظل نعامل وردا على أنها رجل لأن سرها لم يعرفه الا سمك وقلة معه ارجع ص ٢٦١ ·

قالت المرأة « أيها البطل ، ماذا أعلم عنهم ؟ ذهب زوجى وأولادى لجمع الحطب ولا أعلم شيئا عن سمك أو ورد » ٠

فقال طرمشة « أيها البطل ، يجب أن نرميهن من فوق القلعة الى الوادى لأنهن يكذبن » ٠ وعندئذ بكت المرأة وقالت « أيها البطل ، أنا فى بيتى داخل القلعة فماذا أعلم عما يجرى خارجها ، وما دخلى أنا ؟ اننى لم أحضر أحدا الى داخل القلعة » ٠ فأشفق دخان عليهن واكتفى باخراجهن من القلعة ٠

بعد هذا قال دخان لطرمشة « اذهب الى دخان وابحث عن مرزاق وقل له أن يجد فى البحث معك عنه وعن ابنيه ، واذا جاءه أحد برسالة أو أى شيء آخر فليمسكوا به أيضا ٠

قام طرمشة وساق زوجة مرزاق وابنتيه أمامه وخرج من القلعة ، فلما وصل الى خان ذكر له أخبار ماه برى وبهجة الروح كما رآها وسمعها، كذلك اخراج زوجه مرزاق وابنتيه من القلعة ثم قال له « يا خان ، يجب علينا أن نتجول فى هذا الوادى والجبل ونبحث جيدا لعل أحدا منهم يظهر لأننى أتوقع عند شروق شمس صباح الغد أن يحضر جيشهم لكى يأخذ ماه برى ٠ ولهذا علينـــا أن نجـد فى البحث عن مرزاق وابنيه ونقبض عليهما » ٠

رد خان « هكذا سنفعل » ٠

أما مؤلف القصة وراويها فيقول انهم حينما أخرجوا ماه برى وبهجة الروح من ذلك الغار قال مرزاق « يا أبنائى ، انهم عنـدما يعيدانهما الى القلعة فلابد سيبحثون عنا ويتهموننا بأننا قمنا بهذا العمل ، ولم يكن من الواجب القيام به فى مقابل هذا المبلغ من الذهب الذى أعطاه لنا سمك لأننا فقدنا بيتنا وأهلنا ولطخنا سمعتنا وعرضنا أنفسنا ونساءنا للقتل ، ولا فائدة من الندم الآن ، ولا سبيل الا الاسراع والالتحاق بجيش خورشيد شاه والا فان أهل القلعة ان عثروا علينا فلن نأمن على حياتنا منهم ٠

قال مرزاق هذا وقد استولى عليه الغم والحزن لسببين ، الأول أن الذهب الذى كان سمك قد أعطاه له لم يكن معه ٠ والثانى أنه ترك زوجته وابنتيه وبيته ٠

تصادف أنه فى تلك الساعة التى عاد فيها لهيب فى طريقه للقلعة التقى بمرزاق ذاهبا للمعسكر ، فلما رآه البطل كرمون قال لـه « من أنت » ؟ فذكر له مرزاق قصته وعرفه بنفسه ، فحزن كرمون لاستعادتهم لماه برى مرة أخرى ونقلهـا الى القلعة ٠ ثم قال مرزاق « يجب علينـا أن نخرج من هذا الوادى لأن الجيش لابد سيبحث عنا » ٠

سأله كرمون « كم رجلا فى القلعة » ؟

أجابه مرزاق « يوجد فى القلعة أربعمائة مقاتل ، خرج نحو مائتين منهم بحثا عن سمك ومن معه » .

عندئذ قال كرمون « يجب علينا أن نبقى هنا حتى اذا جاء جيش الأعداء هزمناه واذا لم نعثر على ماه برى فاننا لا نكون قد جئنا بلا فائدة ، ونكون قد حققنا هذا النصر وقتلنا جماعة من جيش الأعداء » .

فقال له مرزاق « أنت أعلم بهذا » .

نزل كرمون وجيشه فى ذلك الوادى الضيق أسفل القلعة ولم يكن له غير طريق واحد ويتوفر به الماء والعلف .

اتجه طرمشة وخان نحو ذلك الوادى فوصلاه مع حلول الظلام ، فلما مضى ردح من الليل سمع طرمشة صوت صفير . فقال لخان « لا تتقدم بالجند برهة ريثما أنظر من أين يأتى هذا الصفير داخل الوادى » ، وتركهم فى مكانهم وتقدم سيرا على قدميه فى حذر وهدوء الى أن اقترب من الماء فرأى رجلا يسقى حصانه ويصفر له ليشرب ، فسار بهدوء فى ضوء القمر وانقض عليه وأمسكه من رأسه بقوة واحكام ثم قيده وساقه أمامه الى خان .

قال خان « من أين أتيت بهذا الفارس يا طرمشة ، ولماذا قيدته ؟

أجاب طرمشة « أيها البطل لقد رأيته على حافة الماء يسقى حصانه ، وأظن أنه ليس وحده » .

فسأله خان « من أنت أيها الرجل ؟ وأين طريقك » ؟ .

قال الرجل « أنا من جيش منغوليا ، وجئت هنا للصيد وقد فر الصيد منى فتبعته الى هنا حيث اختفى » .

فقال طرمشة « أيها الرجل ، أهكذا تتحدث معنا ؟ وهل أنت صادق فيما قلت ؟ وهل فى كل منغوليا من لا يعرفنا ؟ أنا حارس سجن أرمنشاه» . فلم يرد الرجل واستمر طرمشة قائلا « أقسم بالله الخالق العادل أن كل ما قلته كذب . أى صيد تدعى ؟ . ثم طرح الرجل على الأرض وأجلس رجلا على رأسه وآخر على قدميه وتناول عصا وضربه عشر عصى الى أن فقد وعيه ، فلما أفاق طلب الأمان فأجلسوه وقالوا له « أصدقنا القول » .

تكلم الرجال وقال « أنا من جيش خورشيد شاه ومعى خمسمائة فارس ، وقد نزلنا فى هذا الوادى » ، ثم قص عليهم ما حدث من ذهاب لهيب الى خورشيد شاه ، وأحوال سمك وحديث ماه برى وارسال الملك

جيشا بقيادة كرمون جاء الى هذا الوادى ، ومجىء مرزاق وابنيه اليهم ٠ عندئذ سأله طرمشة « لماذا لم تقل هذا من قبل كى لا نضربك ؟ أين ذهب سمك مع الآخرين ؟

أجاب الرجل « انهم بالقلعة » ٠

حينما وقف طرمشة على كل هذا أمسك برأس الرجل واحتضنه وأكرمه وطيب خاطره ففرح الرجل وسعد وظن أن طرمشة صادق فيما فعل ، ولكن طرمشة أمر بقطع رأسه ، فقال له خان « يا طرمشة ما هذا الذى فعلته ؟ طيبت خاطره ثم قطعت رأسه » ٠

فقال طرمشة « لقد طيبت خاطره حتى اطمأن وارتاح من ألم الضرب وفى غمرة فرحه وسعادته قطعت رأسه » ٠

قال خان « أنت أدرى بما تفعل ، ولكن ماذا نصنع الآن مع جيش العدو فهم كثرة ونحن قلة ؟

أجابه طرمشة « أيها البطل ، اننى أعرف ما يجب عمله ، فهذا الوادى مغلق ولا طريق له الا من حيث نقف نحن ، فعلينا أن نجمع حطبا كثيرا على مدخل الوادى ثم نضرم فيه النـــار ونرجع الى القلعة ومن فوقها نلقى الصخور والأحجار على رؤسهم فنهلكهم جميعا بها » ٠

قالا هذا ثم نزل المائتــا فارس عن ظهور خيلهــم وأخذوا فى قطــع الأشجار وجمعها فوق بعضها حتى سدوا بها الطريق ثم أشــعلوا فيها النيران وعادوا الى القلعة التى وصلوا اليها مع طلوع النهار ، فذهبوا الى دخان وذكروا له ما فعلوه فأمر أن يذهب كل من بالقلعة من الرجال الى قمة ذلك الوادى وأخذوا يلقون الأحجار والصخور على فرسان خورشيد شاه فى بطن الوادى ٠

حينما رأى كرمون أن الأحجار والصخور تنهال عليــه من القلعة ، ركب فرسه وانطلق مع جنده ليخرجوا من هذا الوادى وقد جعلوا دروعهم فوق رؤسهم ، فلمــا وصلوا الى مدخــل الوادى رأوه مسدودا بالنيران ، فتعجبوا وتحيروا اذ لم يجدوا طريقا للهروب ولا مجال للبقــاء ، فلبسوا خوذاتهم ووقفوا فى أماكنهم بينما تنهال عليهم الصخور والأحجار من على القلعة حتى لم يتبق أحد منهم أو من خيلهم على قيد الحياة ، فلما انتهى أهل القلعة من القضاء على هذا الجيش قال طرمشة « أيها البطل ، يجب أن نبحث الآن عن سمك وورد وأين يختبئان فى القلعة لأننى علمت أنهما لم يبرحاها » ٠

قال دخان « انهض وخذ رجال القلعة وابحثوا فى كل مكان من أرجائها » فذهب طرمشة للبحث عن سمك وورد ولكنه لم يعثر عليهما .

يقول مؤلف القصة وراويها ، انه حينما بعثوا لهيبا مع مرزاق الى خارج القلعة خرج سمك وورد من بيت مرزاق وأخذا يتجولان فى القلعة ليتعرفا عليها ، فلم يجدا مخبأ يناسبهما فى الأماكن التى رأوها الى أن وصلوا الى مكان كان مخزنا للتبن فدخلاه وشاهدا بابا حديديا مغلقا بقفل، فقال سمك « ربما يمكننا البقاء فى هذا المكان » . ثم أمسك بالقفل وكسره وفتح الباب ودخل ، فرأى قاعة وأربع حجرات تواجه بعضها بعضا ، وفى كل حجرة جرة ملكية مملوءة بالذهب ، كما وجد فى أرض كل حجرة بابا فتعجب سمك من هذا .

حين فتح سمك أحد هذه الأبواب ظهر درج هبط عليه ومعه ورد فشاهدا بيتا مبنيا تحت الأرض مكونا من أربع حجرات مملوءة بالذهب ، فقال سمك « ياورد ، علينا البقاء هنا فى هذا المكان لاستحكامه ، فهو خزانة الذهب لا يدخله أحد من الناس وننتظر يومين أو ثلاثة حتى نرى ما سوف يحدث ونجد وسيلة ما للخروج » .

كان سمك يحمل قدرا من الخبز وحفاظا (١) للماء ، واختفيا فى تلك الخزانة بينما كان طرمشة ورجاله يجوبون القلعة بحثا عنهما فلم يعثروا لهما على أثر . وظل سمك فى هذا المكان يومين وليلتين وهو لا يدرى شيئا عن أحوال ماه برى وأنهم أعادوها الى القلعة ، كما قتلوا جميع فرسان خورشيد شاه الذين كانوا قد جاءوا لأخذهم .

كان سمك وورد يفكران فى هذا حينما سمعا صوت الباب ، فنظر سمك من زق بالباب فرأى شابا فى غاية الوسامة طويل القامة مرفوع الهامة ، ويلبس جبة من الأطلس أخاذة ويضع على رأسه عمامة مزينة أجمل زينة ، وتقدم من أحدى الجرار وأخذ قليلا من الذهب النضار ، وكان يبدى أسفه ويحدث نفسه بصوت مسموع وهو يقول « لو أن سمك قال لى عما فعل لدبرت له الأمر حتى سهل بحيث لم يكن قد هلك من الجند من هلك ولما عادت ماه برى الى السجن بعد أن أنقذت » .

أنصت سمك وورد الى كلامه ثم قال لورد « يا روح القلب ، ان محبة هذا الفتى لنا صادقة ، وحزنه علينا لا تشوبه شائبة ، وهو يقول ان ماه برى وبهجة الروح قد أعيدتا الى القلعة ، وأنهم قتلوا كثيرا من جندنا فكيف حدث هذا ؟ ربما جاء جيش لأخذ ماه برى وبهجة الروح وانقض عليهم

---

(١) الحفاظ ، ما يحفظ به الشيء كاناء أو وعاء وغيره .

هؤلاء القوم وأفنوهم واستردوا ماه برى فتعالى (١) نذهب اليه ونقف منه على ما لديه » .

أجابته ورد « أيها البطل ، لا يجب أن نذهب اليه فلعله يدبر شرا لا نقدر عليه » .

فقال سمك « ان مثل هذا الكلام في هذا المكان ليس مكرا أو شرا لأنه لا يعرف أننا هنا » . قال هذا وفتح الباب وصعد من السرداب فارتعد الفتى واستولى عليه الخوف والرعب ، فأدى له سمك التحية وقال « أيها الفتى ، لا تخش شيئا فأنا أخوك سمك العيار » .

هدأ الفتى وتقدم نحو سمك واحتضنه وقال « أيها البطل ، كيف وصلت الى هذا المكان » ؟ فذكر له سمك قصته ثم قال له « يافتى ، منذ متى بدأت محبتك لنا » ؟ ومن أين عرفتنا حتى حزنت علينا هذا الحزن وما هو اسمك ؟

قال الفتى « اسمى ينال بن سنجانى ، وأنا خازن دخان اشترانى بالمال » .

فقال سمك « يا ينال ، ما هذا الكلام الذى كنت تحدث نفسك به عن ماه برى وبهجة الروح وجيش خورشيد شاه » ؟

قال ينال « أيها البطل ، لقد أعادوا ماه برى وبهجة الروح الى القلعة، كما دبر طرمشة مكيدة أباد بها الجند الذين جاءوا لانقاذهما فى الوادى ، اذ سده باشعال النيران فى مدخله وأهلكهم بالقاء الأحجار عليهم من فوق القلعة » . ثم قص عليه كل ما حدث . فحزن سمك ، واستطرد الفتى فقال « يا عيار الزمان ، لماذا لم تحدثنى عن هذه الأمور حتى كنت أعدها وأدبرها لك » ؟

أجابه سمك « أيها الفتى ، هكذا شاء القضاء أن تهلك جماعة من رجالنا لتترك الحسرة فى قلوبنا . والآن وقد التقينا بك فاصلح أمرنا فأنت تعرف جميع أحوالنا » .

قال ينال « ان شاء الله سوف أنجز لك ما تريد ولكن ماذا ستهبنى لقاء ذلك » ؟

أجابه سمك « حينما نخرج ماه برى من هذه القلعة ونقهر دخان مستحفظها فسوف أهبك القلعة » .

---

(١) نلاحظ أن سمك يخاطب وردا على حقيقتها كفتاة .

فقال ينال « أيها البطل ، أنا لا أريد أن نقهر دخانا لأنه سيدى ، ومن الواجب عدم عصيان السادة ، كما أننى لا أريد القلعة أو القيادة ، ولكننى أريد أن تعاهدنى على ألا تبعدنى عنك ، وأن تأخذنى معك حيثما ذهبت حتى أكون فى خدمتك » ·

فقال سمك « يا ينال ، أنت أخى ، بل انك اعز على من روحى فلماذا تخدمنى وأنا نفسى أخدمك بروحى » ·

أجابه ينال « هذا ما يتمنــاه قلبى لأن كل رجال الدنيا تسعدهــم خدمتك » ·

فقال سمك « لا بأس ، لك ما تريد » ·

بعد هذا أقسم ينال وسمك وورد بالخالق العادل وبكثوس الرجال وبالاجداد والصالحين على أن يكونوا رفاقا أصدقاء ، وعلى ألا يتوانوا عن خدمة بعضهم البعض وعلى ألا يمكر أحد منهم أو يغدر أو يخون الآخرين أو يقبل هذا ، وأن يكونوا أصدقاء لأصدقائهم أعداء لاعدائهم وأن يعملوا ما يصلح شأنهم · فلما انتهوا من قسمهم قال سمك « يــا أخى العزيز ، كيف فكرت فى صداقتى هذه » ؟

أجاب ينال « لقــد أحببتك وقــدرتك منــذ سمعت عن رجولتــك وعياريتك ، وكنت أشرب يوما فشربت نخب محبتك ؟ · فأثنى عليه سمك ثناء خالصا ·

قال ينال « انهضا الآن لنذهب الى منزلى » ·

فقال سمك « يا أخى ، ان اصطحابنا نهارا الى منزلك ليس عمــلا صحيحا ، فابق حتى المساء » ·

فقال ينال « لا بأس » · ثم تركهما وعاد وحده الى بيته وأخذ يعد لهما الأمر فلما حل الظلام ذهب ينال الى مكان الخزانة واصطحب سمك وورد الى بيته وأجلسهما وأتى لهما بما كان عنده من طعام فأكلا ، ثم جاء بالشراب فشرب ثلاثتهم تلك الليلة وظلوا يتحدثون عن أحوالهم الى أن طلع النهار ، فقال ينــال « سأذهب لخدمــة دخان فان شئتم عــدت ومعى طرمشة » ·

قال سمك « اننى لا أريده لأننى فى حيرة من أمره ، وقد لحقنا منه ألم وشقاء كثير » ·

ذهب ينال الى منزل دخان وأدى له التحية ، وبعد فترة حضر طرمشة مع رجال القلعة وأخذوا يتحدثون عن سمك فقال دخان « هل بحثتم عنه فى كل القلعة » ؟

أجابوا « نعم ، بحثنا عنه فى كل الأماكن الظاهرة والخفية ولم نعثر عليــه » .

فقال ينال « أيها البطل ، اننى أعرف أنهم لم يبحثوا عنه فى الخزانة، فان شاء البطل ذهبت أنا وطرمشة للبحث عنه هناك ؟ .

قال دخان « كيف يمكنه الذهاب الى هناك ؟ وعلى أية حال ، اذهبا وانظرا فان كانا فى هذه القلعة تأكدت أنهما لم يرقيا الى السماء » .

أمسك ينال بيد طرمشة وسارا حتى قطعا بعض الطريق فقال ينال « اننى جائع فلنذهب الى بيتى ونأكل شيئا ، وبعد ذلك نذهب الى بيت الخزانــة » .

فقال طرمشة « لا بأس » . ثم اتجها الى البيت فلمحهما سمك وورد من زق الباب وأثنيا على ينال الذى ذهب اليهما وقال لهما « لقد أحضرت طرمشة الى البيت فهل يصعد اليكما أم تذهبان اليه » ؟

قال سمك « فلنتأكلا أولا ثم نذهب اليه » فأخذا يتناولان طعامهما ، وحين فرغا منه قال ينال « فلنشرب جرعة أو جرعتين من الشراب حتى يحسن طبعنــا ويعتــدل مزاجنــا ثم نــذهب للبحث عنهما لأننى أحس بالخمار (١) ، فوافقه طرمشة قائلا « هذا أفضل » . وعندئذ صعدا الى الطابق الثانى ونظر طرمشة واذا بسمك وورد فذهل وانعقد لسانه وأسرع ورد فضربه بقبضة يده على فمه فحطم بعض أسنانه ، ثم قام سمك بتقييده وتكميمه وطرحه أرضا وقال له « يا ابن الحرام ، هل حافظت على قسمك وعهدك ؟ ولكن لم يعد عند الرجال وفاء هذه الأيام خاصة وأنت مخنث ، فلست برجــل أو امرأة ، ولقــد قمت بما استطعت من الأعمال السيئة الحرام ، وألقيت كثيرا من الخلق فى التهلكة ، فهل ظننت أن سمك قد اختفى من الدنيــا ؟ لا كنت سمكا ان لم أعاقبك عقــابا يكون عبرة لكل الدنيا ، وسوف أقتلك قتلة يتحدث عنها الناس ما بقيت الدنيا . ثم تركه ملقى على الأرض وأخذ ثلاثتهم يشربون حتى حل الليل وانتشر الظلام .

قال سمك العيار لورد « يجب أن نذهب ونحضر ماه برى وبهجة الروح الى هنا » .

فقال ورد « سمعا وطاعة » .

ثم قال سمك لينال أخى ، « هل تعلم عدد الذين عهد اليهم بالمحافظة على ماه برى » ؟

---

(١) الخمار بالضم بقايا السكر وهى الحال بين السكر واليقظة عقب السكر الشديد أما الخمار بكسر الخاء فهو ما تضعه المرأة على رأسها .

أجابه ينال « أيها البطل ، لا يوجد غير خادم قبيح الوجه اسمه منكول » .

فقال سمك « لقد حل الأمر ، فتعال معنا لأن وجودك لازم لنا » .
فنهض ثلاثتهم وخرجوا وساروا في طريقهم الى أن وصلوا الى القصر العالى وكان الباب مغلقا فنظروا الى اليمين والى اليسار فلم يروا أى منفذ للقصر ، فقال سمك « نحتاج الى وهق » ، فحل ورد وهقا من على وسطه وقدمه لسمك الذى تناوله بيده ورمى به الى أعلى القصر فتعلقت أنشوطته باحدى شرفات سطحه ، وعندئذ أمسك به سمك وقال لهما « انتظرا هنا ريثما أعود لكما » ، وأخذ يصعد على الحبل حتى وصل الى السطح .

حين صعد سمك نظر داخل القصر فاذا بماه برى وبهجة الروح مقيدتان وأمامهما شمعة تنير لهما ، وكانت بهجة الروح قد سمعت وقع أقدامه على السطح فقالت لماه برى « أيتها الملكة ، اننى أسمع صوت أقدام أحد على السطح » .

قالت ماه برى « اذا كان صحيحا فلابد أن يكون سمك » . ونظرتا الى أعلى وقالتا « يا سمك ، أنقذنا فاننا لم نعد نحتمل القيود أكثر من هذا » .

نزل سمك الى وسط القصر بواسطة الوهق أيضا ، وسلم عليهما وسألهما « أين الموكل بحراستكما » ؟

أجابت بهجة الروح « فى قزق بجوار الباب » (١) .

فقال سمك « نادى عليه واطلبى منه شيئا لكما » .

نادت بهجة الروح « يالالا ، اسقنا » . وأخذت ترفع صوتها فى طلب الماء حتى رد لالا قائلا « لماذا لا تسكتان فنحن فى منتصف الليل ولم تناما بعد وتصرخان ، لاتتعبانى أكثر من هذا واتركانى أستريح ساعة » .

فقالت بهجة الروح « يا لالا ، اسقنى فاننى أكاد أموت عطشا » .
فنهض الخادم وهو يصيح وتناول كوب ماء وتقدم لكى يسقيهما فعاجله سمك بطعنة خنجر بتار جعلت دمه يجرى كالماء وأسلم روحه فى الحال .
وتقدم سمك اليهما وفك القيود من أرجلهما وأمسك أيديهما وخرج من باب القصر . وكان ينال وورد فى انتظاره فسار خمستهم الى أن وصلوا الى بيت ينال فقال له سمك « أيها البطل ، هناك عمل عليك القيام به » .

سأله ينال « وما هو » ؟

---

(١) القزق : المكان الضيق .

أجابه سمك « اذهب الى باب القلعة واقتل حارسه ثم افتح الباب وعد الينا حتى ننام فى راحة واطمئنان » ٠

قال ينال « ولماذا يجب أن أقوم بهذا » ؟

أجابه سمك « عندما ترجع سأخبرك عن السبب » ٠

اتجه ينال الى باب القلعة ، وعندما وصل الى هناك قتل الحارس ثم فتح الباب وعاد الى سمك سائلا اياه « ما هى الحكمة وراء ما قمت به ؟ وأية حيلة دبرتها لهذا » ؟

أجابه سمك « حينما ينكشف هذا الأمر غدا لا يجدون ماه برى فعليك أن تذكر لدخان مستحفظ القلعة أن طرمشة هو الذى قام بهـذا العمل ، فيقوم بارسال الفرسان فى أثره ، وبهذا يسهل علينا الاستيلاء على القلعـة » ٠

قال ينال « لقد أحسنت التفكير » ٠ ونام الجميع ليلتهم فى اطمئنان ، فلما طلع النهار ذاع فى القلعة أن بابها قد فتح كما أن الحارس ذبح ٠ ولما أبلغوا هذا لدخان اغتم غما عظيما وأخذ يصيح من أعماقه ويعض ظهر يده غيظا فقال له الأبطال « أيها المستحفظ ، كيف حدث هذا ؟ ان كان سمك قد فعله فأين كان فى القلعة لأننا بحثنا عنه فى كل مكان ولم نعثر له على أثر الا أن يكون قد هبط من السماء » ٠ فتعجب دخان وقال « انظروا هل ماه برى فى القصر العالى » ؟ فذهب الخدم الى هناك فرأوا منكول قتيلا وقد اختفت ماه برى ٠ فرجعوا الى دخان صائحين فسألهم « ماذا حدث » ؟ فأخبروه بالخبر ، فحزن وقال « ابحثوا عن طرمشة فى كل مـكان » ٠ فبحثوا عنه فلم يجدوه ٠

أدى ينال التحية وقال « أيها البطل ، اذا كان طرمشة قد اختفى فهو الذى فعل هذا » ٠

فقال له دخان « عم تتحدث » ؟

أجابه ينـال « أيها البطل ، كنت بالأمس أبحث عن سمك ، وفى الطريق الى بيت الخزانة قال لى طرمشة « تعال نتفق ونأخذ ماه برى وبهجة الروح من القلعة ونوصلهما الى خورشيد شاه ونأخذ منه ما نريد ، فصحت فيه قائلا يا ابن الحرام ، ما هذا الذى تفكر فيه ؟ اننى حزين لأن الملك والآخرين يعتمدون عليك ٠ فلما أحس طرمشة اننى خرجت عن طبعى قال لى « أيها البطل ، لقد كنت أختبر اخلاصك ، واحذر أن تدع هذا الظن يتطرق الى قلبك ، فقد أردت معرفة هل يمكن الاعتماد عليك أم لا ٠ ثم أخذ يعتذر الى ٠ فلما خرجنا من الخزانة ذهبنا الى بيتى وانشغلنا فى الشراب ،

وقد أدركت أنه وضع لى مخدرا اذ فقدت وعيى بسرعة ولا أعلم أين ذهب بعد هذا أو ماذا فعل • هذا ما حدث ، أخبرك به وقد اتضح الآن أنه أخذ ماه برى واختفى » •

صدق دخان ما قاله ينال لأنه كان يثق فيه ، ثم صاح فى فرسانه وقال لهم « أسرعوا فقد تلحقون بطرمشة » فاتجه كل من بالقلعة من جنود الى الباب خارجين ، وعندئذ قال ينال « أيها البطل يجب علينا أن نذهب أيضا لنرى كيف ستكون الحال لأنك عندما تخرج فان الأمر يصبح أحسن وأفضـــل » •

قال دخان « ليس من الواجب ان اغادر القلعة ، ولكن فلنذهب لأن حرمة القلعة قد استبيحت على أية حال » • ثم تركوا القلعة وكان بها نحو عشرين رجلا ، ولما ابتعد ينال مع دخان عن القلعة قال له ينال « ربما أتى جيش من عند خورشيد شاه وانضم اليه سمك وطرمشة ولا يكون لدينا مدد ولا أدرى ما سيحدث لنا آنذاك ، فان أذنت لى ذهبت الى الملك أرمنشاه وأخبرته بما فعل طرمشة كى يبعث لنا مددا » •

فقال دخان « نعم ما قلت ، يجب أن تذهب بسرعة لاحضار المدد » •

عاد ينال بن سنجانى وفى الطريـق أطلق لفرسه العنـان فانطلق يسابق الريح حتى وصل الى معسكر خورشيد شاه وكانت الطليعة فى ذلك اليوم بقيادة شروان الحلبى والأحمر المرغزى ومعهما اثنا عشر ألف فارس ، وحين رأوا ينال صاحوا فيه « من أنت ؟ ومن أين أتيت » ؟ فأدى ينال التحية وقال « من قلعة الفلك ، قادم من عند سمك » • ثم تـكلم وحدثهم بما فعله سمك فى القلعة وحضور الجيش لاستعادة ماه برى ثم هلاكهم فى بطن الوادى بالأحجار والصخور ، واعادة ماه برى للقلعة ، ثم حيلتهم واخراجهم لدخان وجنوده من القلعة بحثا عن ماه برى وطرمشة ثم قال لهما « أدركوا فرسان دخان قبل أن يعودوا الى القلعة ولا أعرف ما سوف يحدث آنذاك ، ولكن القلعة ستضيع من أيدينا بلاشك ويصير مصير سمك ومن معه فى خطر » •

قال شروان الحلبى « فلنذهب ونخبر خورشيد شاه بهذا » •

فقال ينال « سنتأخر ويضيع الوقت ونفقد القلعة من أيدينا » •

فقال الحلبى « فلأذهب أنا » •

فرد عليه الأحمر المرغزى قائلا « بل تول أنت الطليعة وارعها فأنا ذاهب » •

سار الأحمر على رأس أربعة آلاف فارس يتقدمهم ينال حتى أحاطوا فجأة بفرسان القلعة وأطلقوا يد القتل في جند دخان حتى قضوا عليهم جميعا ، ووصل الخبر الى القلعة بأن حامية القلعة فى معركة مع فرقة من جيش خورشيد شاه ، وكان العشرون رجلا الذين بقوا فى القلعة بقيادة رجل اسمه رمك أصله من الصين ، وقد اندس سمك وورد بين هؤلاء الرجال وسمع رمك وهو يتحسر على فرسان القلعة فقال له هؤلاء الرجال « يجب علينا مساعدة رجالنا » فقال لهم رمك » اننى أعلم أنهم قتلوا كل فرساننا ، واذا أراد خورشيد شاه الاستيلاء على قلعتنا فاننا سنحافظ عليها لأن جيوش الأرض مجتمعة لن تستطيع أن تمسنا بسوء » ٠

قال رمك هذا ، وكان سمك وورد يقفان أمامه ، فلما سمعا منه هذا الكلام قال له سمك « أيها البطل رمك ، فلتبق أنت هنا وتتولى الحفاظ على القلعة فهذا أفضل حتى نرى ما سيحدث للجيش ، اذ يجب عليك المحافظة على هذه القلعة لأنك ستصير مستحفظها » ٠ فاغتر رمك بهذا الكلام وجلس على سور القلعة ، وتقدم سمك نحوه فى هدوء ومد يده اليه ثم دفعه فجأة من على السور فسقط وتحطم جسمه ، وعندئذ أخرج سمك خنجره وطعن أحد الرجال فقتله وراح يطعن بقية الرجال ، فلما رأى ورد أنه قتل اثنين أو ثلاثة استل خنجره هو الآخر وصاح فى الرجال « أنا ورد تابع سمك العيار وخادمه » ٠ وأخذ يطعن بخنجره ، ولم تمض ساعة الا وكانا قد أجهزا على العشرين رجلا وأخليا القلعة منهم ٠ بينما كان شروان الحلبى قائد طليعة خورشيد شاه قد أسر جيش القلعة الذى كان قد خرج منها وأسر قائديه دخان وخان ٠

تقدم ينال بن سنجانى الى القلعة فرأى سمك وقد فتح بابها ووقف ومعه ورد فأدى التحية لسمك ثم أخذ كل منهما يقص ما حدث له للآخر ، ثم قال سمك « أيها البطل ، ينال ، لقد قمت بعمل عظيم ، والآن يجب عليك أن تذهب الى خورشيد شاه وتزف اليه هذه البشرى وتنال مكافأتها » ٠

فقال ينال « سمعا وطاعة » ٠ ثم خرج من القلعة متوجها الى معسكر خورشيد شاه ٠

كان الأحمر المرغزى قد عاد الى خورشيد شاه وحدثه بما جرى في قلعة الفلك ومقتل البطل كرمون ورجاله واعاده ماه برى الى القلعة وحيلة سمك وارساله حامية القلعة الى خارجها ، ومجيء ينال بن سنجانى لطلب النجدة واصطحابه شروان الحلبى الى القلعة على رأس أربعة آلاف فارس لقتال حاميتها مما جعل خورشيد يفرح غاية الفرح ويقول « يجب علينا أن نذهب لنرى بأعيننا ، ثم لنحضر ماه برى بأنفسنا » ٠ وفى الحال أمر باعداد محفة

مرصعة بالجواهر وخرج متجها الى هناك ومعه مائتان من الفرسان فلقيه فى الطريق شروان الحلبى عائدا من حملته ، وحين وقعت عينه على الملك ترجل .فترجل كل جيشه وأدوا التحية ثم قدم الأسيرين ، دخان وخان بن خان مقيدين ، ونظر خورشيد شاه اليهما فرأى عجوزا وكهلا فسأل عنهما فأجابه شروان الحلبى بأن دخان هو مستحفظ القلعة وأن خان قائد حاميتها ، فكلمهما خورشيد شاه قائلا « يا أحرار الرجال ، هل من الممكن أن تلتحقا بخدمتنا ونؤمنكما على نفسيكما ونهبكما ما تشاءان حتى ولو كان قاعة الفلك كلها ؟

صمت خان وتكلم دخان قائلا « أيها الملك ، لقد نلت فى دنياى ما كنت أتمنى ، ولا أستطيع أن ألوث اسمى وسمعتى بعصيان ملكى بعد هذه السنوات الطوال من الخدمة والولاء اننى لن ألتحق بخدمتك وأدخل فى عهدك فافعل بى ما تشاء » . أما خان فانه ظل صامتا وعندئذ قال خورشيد شاه « انه رجل عجوز ولا يريد أن يرحم نفسه » ثم أمر بقتلهما .

بعد هذا أخذ خورشيد شاه يسأل عن أحوال القلعة وسمك ، وفى هذه الأثناء ظهر غبار يتصاعد من الطريق المؤدى الى القلعة ، وحين دقق النظر رأى فارسا قادما فسأل عنه فقال شروان الحلبى انه ينال بن سنجانى الذى قادنا للنصر على حامية القلعة وبينما كانا يتحدثان عنه وصل ينال اليهما وأدى التحية أمام خورشيد شاه ثم قبل الأرض بين يديه وقال « أيها الملك ، أبشر فقد فتح سمك قلعة الفلك وهو ينتظرك هناك ومعه ماه برى وبهجة الروح وورد » .

حين سمع الملك أن ماه برى قد أنقذت وفتحت القلعة اشتد به الفرح فخلع ما كان يلبسه من عباءة وتاج ووهبه لينال ثم توجهوا لمشاهدة القلعة .

فى الجانب الآخر ، قالت ماه برى لسمك « انهض لكى نذهب الى خورشيد شاه » .

فأجابها سمك « لا يجب علينا مغادرة القلعة قبل أن يصل الملك ونسلمها له ، ونقوم بما يجب نحوك فاصبرى لأننى أرسلت ينال لهذا الأمر » .

استراح سمك ومن معه تلك الليلة فى القلعة ، وحين طلع النهار نظر سمك من فوق القلعة فرأى خورشيد شاه قادما فجعل ماه برى وبهجة الروح فى مقدمة مستقبليه ، كما سلم طرمشة لورد فقام بجره ووضعه أمام خورشيد شاه ، ثم أدى سمك التحية له فاحتضنه خورشيد شاه وقبله ثم سأله « من هذا الذى قيدته ومن هذا الفتى الآخر الذى جره » ؟

قال سمك « أيها الملك ، الشخص المقيد هو طرمشة الذى الحق بنا كل هذا الأذى ، أما الآخر فهو ورد » ، ثم أخبره بكل ما حدث •

قال خورشيد شاه « ولماذا تحتفظ بطرمشة للآن ؟ اقتله » •

أجابه سمك قائلا « أيها الملك ، سوف أقتله قتلة تجعله عبرة لغيره فى الدنيا » •

فقال له خورشيد شاه « أنت أدرى بهذا » • وعندئذ طرح سمك طرمشة وأخرج عينيه فى الحال بخنجره ثم حطم أسنانه بحجر ، وبعد هذا سلمه لورد وقال له « احتفظ به فلى معه عمل آخر » •

وحينما كان سمك ينزل من القلعة ، قرع سمعه صوت بكاء ونواح فقال لينال « انظر من أين يأتى هذا البكاء وأحضر صاحبه أيا كان فاننى أحس أن وراءه شيئا » • فذهب ينال ورأى زوجة مرزاق وابنتيها يبكين • فأتى بهما الى سمك فقالت لهن ماه برى « أيتها المرأة ، لماذا بقيتن هنا » ؟

أجابت زوجة مرزاق قائلة « أيتها الملكة ، اننى ولدت هنا فى هذه القلعة وكبرت بها ولا أستطيع الذهاب الى مكان آخر » •

فقالت ماه برى « وماذا تريدين الآن لأهبك اياه فانهم قتلوا زوجك وابنيك » ؟ فتصاعد بكاء المرأة من أعماقها ولما هدأت قالت « أيتها الملكة ، نحتاج لبيتنا فى القلعة » •

تحدثت ماه برى مع سمك ، وبعد ذلك قال سمك مخاطبا زوجة مرزاق « اننا سنهدم القلعة » •

فقالت المرأة « اتركوا بيتى ولا تهدموه حتى أعيش فيه مع ابنتى هاتين » •

أجابها سمك « سوف نعطيكن من المال ما يكفيكن أنتن وأولادكن طوال حياتكن » •

وعندئذ دعت له أرملة مرزاق • فالتفت سمك الى خورشيد شاه وقال له « يجب هدم هذه القلعة ، ولكن قبل هذا يجب اخراج الكنز الذى عثرت عليه فيها » •

فقال له خورشيد شاه « أنت أدرى بما فيه المصلحة » •

فأمر سمك باحضار جميع الدواب وحملوا عليها الأموال التى كانت بالخزانة ، ثم زوج كل واحدة من بنات مرزاق الى رجل من رجاله وبعد هذا أمر بهدم القلعة بحيث لم يبق لها أثر •

وحينما انتهوا من هذا قال سمك لخورشيد شاه « يمكنك الآن أن تذهب أنت وماه برى الى المعسكر ولكن عليكما باليقظة والحيطة فان عدوا لدودا مثل كانون يتعقبنا كما يوجد غيره كثير خاصة ابنيه اللذين تخلصا من أسرنا ، ولقد استطعت انقاذ ماه برى بعد كل هذه الصعاب وسأذهب الى منغوليا لكى أحضر أرمنشاه وأرد بهذا العمل على كانون » ٠

فقال له خورشيد شاه « أيها البطل ، لا تقرب الملوك ولكن احضر مهران الوزير فقد حدثت كل هذه الفتن نتيجة لسوء فعله وكيده » ٠

رد عليه سمك قائلا « السمع والطاعة ، سوف أقوم ان شاء الله ــ وباقبالك ــ بأعمال تتحدث عنها الدنيا ما بقيت الدنيا » ٠

سار خورشيد شاه وماه برى فى طريقهما الى المعسكر الذى كان قريبا من القلعة أما سمك فأحضر صندوقا وضع فيه طرمشة وسار ومعه ورد وينال بن سنجانى فى طريقهم الى منغوليا ٠ وبعد أن ساروا يوما وليلة رأوا غبارا ظهر أمامهم فجأة فأخذوا ينظرون اليه فاذا برجل يخرج من وسط الغبار ويقترب منهم تبين أنه لهيب الذى تقدم اليهم وحياهم وهو يبكى وينتحب ٠ فقال له سمك العيار « ماذا بك يا أخى ، وماذا حدث للأسرى » ٠

أجاب لهيب قائلا « أيها البطل ، أى حديث عن الأسرى ؟ انهم ما زالوا فى قيودهم بل ان الخمار وصابر وصملاد أيضا أخذوا وحبسوا ، كما أعادوا سكينة ــ حبيبتى ــ الى قصر الملك » ٠

فقال له سمك « لا تحزن فسوف أعيدها اليك وأضعها بين يديك كما أعدت ماه برى الى خورشيد شاه ، ولكن أين كنت فى المدينة » ؟

أجاب لهيب « كنت فى بيت الأخوين القصابين » ٠

قال سمك « حسنا ، لقد حصلت لنا على مكان » ٠ ثم سأل لهيب « ما هذا الصندوق » ؟ فأجابه سمك « هذا طرمشة أحمله للمدينـــة » ٠ وسار أربعتهم حتى بلغوا المدينة واستطاعوا دخولها بالحيلة وذهبوا الى بيت القصابين ، وكان بيتا كبيرا واسعا تجرى به المياه ، كما كان له مطمورة (سرداب) تحت الأرض ٠ فاستضافهم الاخوان فى الحال ورحبا بهم ثم أخبراهم بنبأ القبض على جواد والأسمر وسام ، ثم ظهور فاضل وفساد كل تدبيرهم ٠ فسأله سمك العيار « وأين السجناء » ؟

فقال « فى قصر الملك » ٠

قال سمك « لا بأس » ٠

حين أرخى الليل سدوله وأنزل أستاره ، قام بقطع لسان طرمشة وأذنيه وكان قد فقأ عينيه ثم قال لورد احمل هذا واذهب بـه الى السوق والقه هناك . ففعل ورد ما أمره به سمك .

وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن العسس كانوا يسيرون فرأوا شخصا ملقى فى وسط السوق ، فأتوا بمصباح ليروا من يكون واذا به طرمشة مقيدا وهو يئن ويتوجع ، ففكوا قيوده فوجدوه وقد فقئت عيناه وقطعت أذناه واستؤصل لسانه وحطمت أسنانه ، فحملوه الى أحد الأماكن الى أن طلع النهار فأخذوه الى الملك أرمنشاه . فسألهم « من هذا » ؟ قالوا « انه طرمشة أيها الملك » .

قال الملك « ماذا حدث له » ؟ فذكروا له ما لحق به ، فتعجب الملك لهذا الأمر ولكن مهران الوزير قال « أيها الملك ، يجب الخوف من مثل هذا الرجل فهذه أعماله » . وكان طرمشة يتوجـع ويشير موافقا بيـده ورأسه بينما كان الجميع يتألمون له ويرثون لحاله . وذاع فى القصر أن طرمشة فعلوا به هذه الأفعال ، ودخل خادم من الحرم وتقدم الى الملك وأدى التحية وقال انهم يريدون طرمشة فى الحريم ليتفرجوا عليه ويروا من فعل به هذا . فقال الملك أرمنشاه « احملوه وخذوه » . فحمله شخصان أو ثلاثة وأخذوه الى بيت الحريم .

شاء الحق تعالى أن الخادم الذى حمل طرمشة أراد أن يأخذه عن طريق السطح ولكن قدمه زلت فسقط الاثنان وانكسرت يد الخادم ورقبة طرمشة ، فصاح الخادم « من شئوم ابن الحرام هذ كسرت يدى » . ثم قام وأخذ يركل طرمشة الذى كان فى حالة نزع وتوفى رغما عنه . ونقلوا هذا الخبر الى الملك فتعجب من ذلك وقال « انظـروا كيف تسير الأمـور وكيف كانت عاقبة طرمشة » .

أما سمك فقد كان فى بيت القصابين ينتظر أن تسنح له الفرصة لكى يخرج الأسرى من السجن .

يقول مؤلف القصة وراويها ان خورشيد شاه وماه برى حين وصلا للمعسكر خرج هامان الوزير لاستقبالهما وأدى التحية لهما وقد سره رؤية ماه برى ، وفرح الجيش كله وغمره السرور ، وذهب الملك الى ايوانه وقال له هامان الوزير « لما كانت ماه برى قد عادت فيجب أن نرسل رسالة الى أرمنشاه ونطلب استرداد الأسرى لكى يعيدهم الينا وتنتهى هذه العداوة ونستعد للعودة لأن والدك العظيم مرزبان شاه ينتظر فى شوق فان تأخرنا فى العودة فلا شك أنه سيأتى الى هنا وفى هذا مشقة أية مشقة » .

فقال خورشيد شاه « لقد قلت لك مرارا افعل ما فيه المصلحة فهذا واجبك » .

* في الحال كتب هامان الوزير رسالة الى ارمنشاه قال فيها :

« لتعلم وتتأكد أن سبب مجيئنا الى هذه الولاية كان من أجل ماه برى ، ومع كل هذه المآسى والآلام التى أصابتنا وأصابت الآخرين ومن بينها هلاك مائة ألف نفس ، واشتعال نيران العداوة التى لن تنطفىء جذوتها من القلوب ، ولكن اذا نظرت جيدا فان هناك بادرة خير قد لاحت فى النهاية اذ أعاد الله الينا ماه برى . ونريد الآن أن نحقن ما تبقى من الدماء ونزيل العداوة والبغضاء ، وكنا قد بعثنا برسول فاحتفظتم به مع الأسمر وسام وآخر لا نعلم مصيره . وعليك أن تعيدهم جميعا حتى نعود من هنا ونرجع الى ولايتنا ولا نشهر سيف العداوة مرة أخرى كى لا تراق دماء الناس . ولتعرف أيضا أنه منذ زمن جيومرث وجمشيد (١) والملوك السابقين ومن أعقبهم الى يومنا هذا من العادلين أو الظالمين ، فان أحدا لم يحتفظ بالسفراء أو استبقاهم ، ويجب عندما تقرأ الرسالة أن تعيد جوادا والأبطال الآخرين ، والا فبالله العادل المدبر سوف نترك هذه الشفقة وسأقدم على عمل من نتائجه أن نحمل تراب خرائب منغوليا على ظهـور الدواب الى حلب . ولتدرك وتتيقن جيدا أننى أنفذ ما أقول ، وليس لديك الا ثلاثة أو أربعة أشخاص سنتركهم ونتخلى عنهم ولكننا سنقتل عشرة آلاف منكم مقابل كل واحد منهم . وقد اخبرتك بالأمر حتى يكون لديكم علم والسلام » .

عندما أتم الرسالة قرأها على الملك ثم قال « من يحمل هذه الرسالة الى أرمنشاه ويعود بردها ؟ فنهض هرمز وقال أنا أحملها وأعود بجوابها » . فسلمه الملك الرسالة وخرج هرمز على رأس مائتى فارس وسار حتى وصل الى مدينة منغوليا .

يقول مؤلف القصة ، انه حينما خرج هرمز قام خورشيد شاه من مجلسه وتوجه الى خيمة النساء وطلب الوصال من ماه برى فأدت له التحية وقالت « أيها الأمير العظيم ليس من المناسب الاقدام على عمل غير لائق واقامة وصالنا على خطأ ، فأنا مقيمة معك ولكن ارسل رسالة الى أبى واطلب منه أن يأتى أو يرسل من ينوب عنه حتى يجمعنا معا كما هى العادة » .

---

(١) جيومرث عند الفرس يقابل آدم عند العرب . أما جمشيد فكان أحد ملوك ايران القدماء الصالحين الى أن تراءى له الشيطان على هيئة رجل صالح أغواه وادعى الألوهية فضاع منه الملك وفقد الصلاح .

استمع خورشيد شاه لهذا الرد فذهب الى هامان الوزير وأخبره بما دار بينه وبين ماه برى فقال هامان « السمع والطاعة ، ويجب العمل بما قالته ماه برى » ثم طلب قلما ودواة وكتب رسالة جاء بها :

« من خورشيد شاه الى حضرة الوالد العظيم فغفور شاه ملك بلاد الصين ، لتعلم أننى ابنك قد عزمت على قتال العدو كما هو معروف ، فهاجمتهم وقضيت عليهم بحيث لم ينج منهم غير ابن أرمنشاه وهو قزل ملك ومعه عشرة فرسان فروا منهزمين بينما هلك الباقون ، فلما فرغنا منهم أرسلنا شخصا الى القلعة الشاهقة ليحضر ماه برى لكى نحملها اليكم ولكنهم كانوا قد اختطفوها من هناك بخدعة وحملوها الى قلعة الفلك ٠

وقد ذهب بطل الدنيا وعيار الزمان والأخ والرفيق سمك الى قلعة الفلك فاستولى عليها وأعاد ماه برى قبل أن يهدم القلعة ٠ ولهذا فقلبى يتمنى وصالها الآن ، وأرغب أن تنيب أحدا عنكم وترسله لكى يجمعنا معا فى أقرب وقت على الرسم والعادة القديمة المتبعة كى ننال سعادتنا من الدنيا لأننى أرسلت رسولا الى أرمنشاه ليعيد الينا أسرانا ، وأنا فى انتظار ما سيصلنا من جواب وسأخبر الملك بما يحدث فورا » ٠

ختم هامان الرسالة ووضعها أمام خورشيد شاه الذى طلب سورة الحلبى وسلمها اليه وقال له « عليك أن تحمل هذه الرسالة الى مدينة الصين وتسلمها للملك فغفور فى يده ، وعليك بالاسراع فى الذهاب ، ومع أنك تعرف الطريق جيدا الا أنه من الأفضل أن تسافر بجمازة (١) حتى لا تتعب فى السير ، وعد بسرعة ومعك الرد عليها » ٠

أدى سورة الحلبى التحية وقال « سمعا وطاعة » ، ثم ذهب الى حظيرة الجمال واختار جمازة نجيبة ركبها ثم انطلق الى مدينة الصين ٠

أما فى الجانب الآخر فكان من ارادة الله أن هرمز السفير وصل بهذه الكوكبة من الفرسان الى مدينة منغوليا وقال لحراس الباب « أخبروا الملك بمجىء سفير » فذهب رجل وأخبر الملك ٠ قال أرمنشاه « أدخلوه » ٠ فاستقبله الحجاب والنقباء ، وصحبوه الى داخل المدينة حتى القصر الملكى ، فنزل وجاء حاجب صحبه حتى عرش الملك فقبل هرمز الأرض وقدم الشكر والثناء ، وبعد هذا أجلسوه حسب مراسم السفراء ثم أتوا بماء الورد فشربوا ، ومدوا الموائد فطعموا ، ولما فرغوا من هذا أعدوا مجلس الطرب وأخذوا فى تناول الشراب ٠

---

(١) الجمازة الناقة النجيبة سريعة العدو ٠

في هذه الأثناء قال الملك لوزيره شهران « سله اذا كان يحمل رسالة أو كتابا » ؟ فسأل شهران الوزير هرمز السفير قائلا « ان الملك يسألك عما لديك أو ما تحمل من رسائل » • فنهض هرمز وأخرج الرسالة وقبلها ثم وضعها أمام أرمنشاه الذى تناولها لكى يسلمها للوزير واذا بضجة عند باب القصر فقال الملك « انظروا ماذا هناك » ؟ فذهب الحجاب وصاحوا فى الناس قائلين « كفوا عن الضجيج فان الملك يقرأ كتابا ويستمع الى رسالة » • ولكن الناس ظلوا يتصايحون ، فلما رمقهم الحجاب بانظارهم رأوهم من الرعاة وهم يقولون « اخبروا الملك أن قلعة الفلك لم يبق لها أثر ، وقد خربوها وقتلوا كل من كان فيها » • فاغتم الحجاب وحزنوا ولكنهم قالوا لهم « اهدأوا حتى يستمع الملك الى الرسالة » ، ثم عاد الحجاب بينما هدأ الذين كانوا يصيحون •

أخذ شهران الوزير فى قراءة الرسالة والملك يستمع اليه الى أن قرأ « وذهبنا الى قلعة الفلك وهدمناها وأخذنا ماه برى » ثم قول الرسالة « أعد الرسول والأسرى وبقية التهديدات » ، وعندئذ ثار الملك وقال « أعد على كيف أخذوا قلعة الفلك » • فقال الوزير « يذكرون أنهم هدموا القلعة وأخذوا ماه برى ، والآن أعد الأسرى لنعود الى ولايتنا ووطننا » •

قال الملك « نعم ، اذهبوا وشاهدوا ما صارت اليه القلعة » • فأدى الحجاب التحية وقالوا « أيها الملك ، كان الرعاة أسفل قلعة الفلك وشاهدوا خرابها ، فتعجبوا ولما اقتربوا منها رأوا القتلى بعضهم فوق بعض ، فأخذوا يسيرون بينهم ويتعرفون عليهم حين سمعوا أنينا فذهبوا اليه وسألوا صاحبه ولكنه لم يجبهم فلما أجلسوه طلب ماء فسقوه حتى ارتوى وعادت اليه بعض قواه ، فقالوا له « لماذا قتلوكم وكيف هدموا القلعة » ؟ فأجابهم الرجل « فعلها سمك العيار وأخذ ماه برى وهدم القلعة وقتل هؤلاء القوم ، قال هذا ومات وقد جاء الرعاة الى باب قصر الملك وأخبروا الحجاب ليخبروك » •

قال الملك « أدخلوهم » • فذهب الحجاب وأحضروا الرعاة الى مجلس الملك وأوقفوهم أمام عرشه فقالوا « أيها الملك ، لم يبق لقلعة الفلك أثر اذ سووها بالتراب » • فأصيب الملك بدهشة واغماء • فلما مضت ساعة استرد وعيه وسألهم كيف عرفتم هذا ومن فعله ؟ فأعاد الرعاة ذكر ما سمعوه من ذلك الرجل ، فحزن أرمنشاه وأخذ قزل ملك يعض ظهر يده بأسنانه من الغيظ والحزن ، كما اغتم كل الأبطال فقال مهران الوزير « أيها الملك ، أعرف أن سمك ليس من هؤلاء الرجال الذين يمكن أن يعاملوا مثل هذه المعاملة ، والوسيلة هى أن تقتل كل الأسرى حتى تمتلىء قلوبهم بالخوف منك » •

كان شهران الوزير رجلا عاقلا فاضلا فقال « أيها الملك ، احذر أن تقدم أبدا على تنفيذ ما أشار به مهران الوزير حتى لا تندم على عاقبته ، ولا تسيء الى سمك لأن أى ملك لا يفعل هذا ، بل أعد الأسرى بعد أن تخلع عليهم ، وأعد هرمز أيضا لأن قتلهم لن يفيد بشيء الاسوء السمعة • ثم انكما كملكين قد اختلفتما ولا مفر من تبادل الرسل فان قتلت رسلهم فان رسلك لن يأمنوا على أرواحهم هناك وستزداد العداوة فى القلوب » •

حين قال شهران الوزير هذا الكلام هدأ أرمنشاه ولم يشأ أن يطلق سراحهم وهو فى ثورة غضبه وحزنه ولكنه رأى من الصالح أن ينزلوا هرمز فى قصر ويجعل معه جواد والأسمر وسام الى أن يحين الوقت المناسب •

كان قزل ملك يقف فى خدمة أبيه فقال « يا أبتاه ، ما هذا الذى تقول ؟ ماذا سيحدث أسوأ مما فعلوه بنا ، لقد هدموا قلعة الفلك وأخذوا الكنز الذى لم ير أحد أو يسمع بمثله ، وقد راح خمسون ألفا من رجالنا فى التراب لهذا السبب والدينا أربعة رجال منهم ، فهل نعيدهم ؟ هل ذهبت حميتنا كلها ؟ وهل عجزنا عنهم حتى يفعلوا بنا ما يشاءون أو يأمرون ؟ اننى لن أقبل هذا ولن ألطخ اسمى بهذا العار » •

شاء الحق تعالى أن يكون كانون أمير المدينة حاضرا ، فلما خرج هرمز من المجلس تقدم الى قزل ملك وأدى التحية وقال « أيها الأمير ، لا تشغل بالك ودعهم وشأنهم فلا غنى للملوك عن تبادل الرسل والسفراء ، وأنا أتعهد لك أن أذهب وأحضر ماه برى بل وخورشيد شاه أيضا كما سبق أن أحضرتها من القلعة الشاهقة » • فلما سمع قزل ملك هذا فرح وزال حزنه وأخرج اسورة من يده وأعطاها لكانون الذى أدى التحية وخرج من المجلس بحيث لم يشعر أحد بما دار بينهما من حديث •

كان لكانون أستاذ فى غاية الكمال ، عالم بفنون العيارة وعمل الأنقاب داهية فى المكر والتلبيس والاحتيال ، وكان اسمه خاطور • ذهب اليه كانون وأدى التحية وحدثه بكل ما كان وما تعهد القيام به ، ثم قال له « يا أستاذ ، ما الحيلة وهذا أمر لا يستهان به وان كنت قد أخذته على عاتقى وتلك الجماعة يقظة واعية ولن يتم الأمر الا بمساعدتك » •

قال خاطور « يا بنى ، أنت تعلم أنه منذ فقدت ابنى وقتلت أمى فاننى تبت عن هذا العمل وتركت العيارة ودلج الليل ما بقى لى من العمر ، ولا أستطيع الرجوع عن هذه التوبة » •

ارتمى كانون على الأرض وقال « أيها الوالد ، اياك أن تريق دمى وتسعى لهلاكى واذا لم تقم بمعاونتى وحمل هذا العبء معى فاننى لن أتمكن من القيام به • أيها الأستاذ لا تحرمنى من عونك فقد أخذت هذا

العمل على عاتقى اعتمادا عليك ، والا فلم أكن أهلا له وحدى ، وان كنت ستحرمنى من مساعدتك فانك تظلمنى وتحملنى مالا أطيق » ·

أشفق خاطور على كانون من كثرة تضرعه وبكائه أمامه فقال له « يا بنى ، انك لم تعد للأمر عدته بعد ، ولما كان هذا العمل يحتاج لتدبير فاننى سأفكر فيه فلا تشغل بالك لأننى سأتعاون معك فى هذا الشأن وسأبذل لك قصارى جهدى وأتمه لك » ·

فأثنى كانون عليه ثم ذهبا معا واختار خاطور عشرة رجال جلدين من ذوى الخبرة والتجربة وأمرهم أن يعدوا كل ما يلزم من الآلات والوسائل بحيث لا يشعر بهم أحد ثم توجهوا جميعا الى معسكر خورشيد شاه ·

بعد ذهاب كانون قال أرمنشاه لوزيره شهران « ماذا صنعت مع هذا الجيش » ؟

أجابه شهران « أيها الملك ، لقد أرسلت رسالة لاستدعاء الجند ، ولن نستطيع مواجهة العدو قبل أن يصلنا المدد ، وعليك أن تختار الرسل وتبعث معهم رد رسالة خورشيد شاه بما يعنى أننا أرسلنا نستدعى الجيش لأن الملك بلا جيش لا يستطيع عمل شىء ، فاذا ما اجتمع الجيش حاربناكم واقتصصنا لهزيمة جيشنا فى معركة سهل الحمر الوحشية ، واذا كنتم قد استرجعتم ماه برى من قلعة الفلك بالجرأة والشجاعة فسوف نرد على شجاعتكم ونعيد الكنز الذى أخذتموه أيضا · وبهذا الرد نوقفهم عن الهجوم الى أن يصلنا الجيش الذى طلبنا جمعه ، كما أن كانون ذهب فى مهمة لعله يوفق فيها ·

وحينما انتهى شهران الوزير من كلامه هذا ، استحسنه الملك وقال له « اخلع على الرسل وأعدهم » · ثم تفرق المجلس لأن الليل كان قد أقبـــل ·

فى اليوم التالى ذهب أرمنشاه الى ايوانه وجلس على عرشه وجاء الوزراء والأبطال الى حضرته ، وأرسل الملك يستدعى هرمز الذى جاء وأدى التحية · ثم أجلسوه فى مكانه وكان قزل ملك واقفا على رأس أبيه حزينا على فقده لماه برى خاصة بعد رؤيته لها وشغفه بها ، وكان حبه لها قد ملك عليه جوارحه ، وكان أول مرة يراها عندما أحضرها كانون من القلعة الشاهقة وان كان لم يكلمها ولكنه كان قد شغف بها ، فلما رآها جن بها حبـــا ·

حينما حضر هرمز وقبل أن يديروا كئوس ماء الورد التفت قزل ملك اليه وقال « واأسفاه لو أن سمك لم يكن سيدك والمتحكم فيك فكيف كان يمكنك تدبير هذا الأمر » ؟

نهض هرمز واقفا وقال « أيها الأمير ، هذا رسم الدنيا وقانونها ، اذ هناك أيد فوق غيرها من الأيدى ، وكلها يعلو بعضها فوق بعضها الآخر ، ودائما نجد قوما يرتبطون بشخص وليس بمائة ألف رجل وملك ، ومن الحسن أنك جعلتنى مرتبطا بسمك ، وأنت ألست مرتبطا بكانون ؟ ومع هذا فان الرجولة والشجاعة تظهران فى الميدان حيث يعرف الرجل من الجبان ، ويتضح اذا كان من الرجال أم من النساء • ثم أنه ليس لك الحق فى هذا الكلام لأنك لست الذى أحضر ماء برى بالشجاعة والرجولة من القلعة الشاهقة ، فالحديث عن الرجولة شىء والحيلة والمكر شىء آخر » •

حين انتهى هرمز من كلامه هذا انتفض قزل ملك من الغضب وضرب يده على مقبض سيفه واستله من غمده ، فقفز الملك وأمسك يد ابنه ولم يكن قزل ملك قد تحرك من مكانه حتى كان هرمز قد سحب سيفه أيضا قائلا له « أيها الأمير ، فى مثل هذا المكان لا تجرد السيوف من الغمدان ، بل تعال للميدان ولتنظر كيف تكون شجاعة الرجال والنزال وكيف تتقارع السيوف والنصال • ما فعلته الآن سهل ولكنه خروج على الأدب » •

حينما رأى مهران الوزير هذا الموقف أراد أن يطفىء هذه النيران حتى لا يزداد قزل ملك انفعالا ويزداد هرمز ثورة معه ، فالتفت الى هرمز قائلا « أيها البطل ، أتريدنا أن نقتلك ونلطخ أسماءنا بالعار وتقترن فى الدنيا بالظلم الى الأبد ؟ لن نفعل هذا • وحينما تقوم الحرب فآنذاك تظهر لمن الشجاعة » • قال هذا فسكن الاثنان وهدءا ، ثم التفت مهران الى الملك وقال « اخلع عليهم حتى يعودوا لمعسكرهم ونتهيأ نحن للحرب » • فأمر أرمنشاه باحضار جواد والأسمر وسام الى المجلس وخلع عليهم •

بعد ذلك كتب شهران الوزير جواب الرسالة كما سبق أن اتفق عليه مع أرمنشاه ، وقال فيها « ان أمور الملك لا تبقى على حال ، وكان استبقاء الرسل بسبب كلام غير لائق تحدث به فى المجلس ، وبسبب الأبطال الذين رجعوا من الحرب • واذا أردنا أن نعلل ما حدث فهو أننا أخذنا على غرة ، وقد بعثنا فى استدعاء جيش جديد وسنحارب حين يصل ، ونحن نعيد لكم الأسرى والرسل ، وما سيحدث بعد هذا أنتم تعرفونه والسلام » •

أتم الرسالة وختمها وسلمها لهرمز وأعادهم بعد أن خلع عليهم ، فلما فرغوا من أمرهم أخذوا يستعدون لاستقبال الجيش الذى طلبوه حتى يذهبوا للحرب •

يقول مؤلف القصة وراويها أنه حينما وصل كانون وخاطور الى معسكر جيش خورشيد شاه أخذا يتجولان حوله بحذر حتى بلغا وسط المعسكر فسألا أحد الجنود « أين خيمة الملك » ؟ فقال انها المواجهة لكما والمصنوعة من الحرير ذى السبعة ألوان وعلى قمتها عقيق مطرز حوله بالذهب والجواهر التى تتلألأ بالنهار كالنجوم • فعرفها خاطور وتوجه اليها ثم عاد يتجول فى المعسكر يبحث عن مكان حتى عثر على مجرى نهر جاف فقاس المسافة وحدد الاتجاه ثم جلس كانون مع كافور والآخرين وأرشدهم الى طريقة عمل النقب •

أما فى الناحية الأخرى ، فقد شاءت ارادة الحق تعالى أنه حين بعث خورشيد شاه بالرسالة الى الملك فغفور وحملها سورة الحلبى ، فان الملك فغفور تسلم الرسالة وكان له كاتب اسمه ملكدار ، أعطاه الرسالة ليقرأها ويذكر له ما جاء بها ، وقد انتشى الملك فغفور وفرح حين أتم ملكدار قراءة الرسالة •

قال الملك فغفور « يا ملكدار ، عليك بالذهاب لهذه المهمة » •

فأجابه ملكدار « سمعا وطاعة » • فعينه الملك فغفور مندوبا عنه • وكان هناك بطل اسمه قاورد كلفه بالذهاب مع ملكدار على رأس عشرة آلاف فارس ، كما أمر باعداد عشرين ألف حمل (١) من المواد الغذائية كالدقيق والقمح والشعير والعسل والتبن والسمن وغيرها ، وكذلك الخيام والسرادقات وأدوات الشرب والسلاح والمطبخ ، وكذلك ألف حمل من الأموال والتحف لترسل بسرعة الى خورشيد شاه • كما أعد رسالة بها كثير من الاعتذار وفيض من التمنيات الطيبة ، وقال انه كان يريد المجىء ولكن ابنه « خورشيد شاه » تعجل الزواج بما لم يتح لأبيه مجالا للاستعداد والتهيؤ ، ولهذا السبب أرسل ملكدار الكاتب حتى لا ينتظر طويلا وأنه سوف يحضر بعد ذلك •

بعد مضى ثلاثة أيام على خاطور وكانون وهم يعملون فى النقب ، وصل ذلك الجيش القادم من الصين حاملا الهدايا ، فأمر خورشيد شاه أن يستقبلوهم ويأتوا بهم الى مجلسه ، فلما دخل ملكدار المجلس أدى التحية لخورشيد شاه واتبعها بالثناء ، فلما انتهى من الدعاء ورأى خورشيد

---

(١) الحمل ـ وحدة وزن مازالت مستعملة فى ايران وتعادل ٣٣٣ كيلو جراما •

شاه تحيته وثناءه رحب به ثم أكرمه بأن أجلسه على العرش أمامه ، ثم أمر أن يزينوا المجلس فى الحال ، وحضر أمراء الدولة ذوى الجلال وعرض ملكدار الرسالة وأتم زواج ماه برى الى خورشيد شاه حسب التقاليد ، وقد نثر عيلهم الأبطال كثيرا من النثار (١) ٠

أمر خورشيد شاه فأتوا بما الورد والفاكهة وما الى ذلك فشربوا ثم مدوا الموائد الملكية ، فلما فرغوا من طعامهم أعدوا مجلس الطرب ، وعزف المطربون وغنى المغنون أشجى الألحان وأرق الغناء ، وقدمت الساقيات الفاتنات الشراب ٠

أشار خورشيد شاه الى هامان الوزير كى يخلع على الأبطال ، فطلب هامان من الخزانة كل ما يلزم وأعطى الخاص والعام كثيرا من الهدايا والعطايا ، ثم شربوا حتى سكروا ، ولما انتهى الحفل تفرقوا ٠ وكان خورشيد شاه يتعجل الوصال بماه برى حتى يجول فى ميدان العشق ويقطف ثمار الحب من بستان الشوق ، ولكن شاءت ارادة الله غير ما أراد ، اذ أن ماه برى كانت فى تلك الليلة غير مهيأة للزواج ، فحرما مما كانا يتمنيان وينتظران ٠ ولما وقف خورشيد شاه على هذا السبب قال « فلنسعد هذا الأسبوع ونفرح حتى يحين الوقت ، وأخذ المطربون يعزفون ويغنون فى كل المعسكر » ٠

فى الجانب الآخر كان خاطور وكانون مشغولين بعمل النقب حتى وصل الى منتصف المعسكر واقترب خاطور من مجلس الملك ، وكان الفرح والسرور يسيطران على المعسكر فاحتال خاطور حتى زج بنفسه قرب مخزن الشراب وأخذ يئن ويتوجع ، فأخذ كل من يراه يعطيه شيئا ، وفجأة رأى عبدا صغيرا من خاصة خورشـــيد شاه جاء وجلس على باب مخزن الشراب فنظر اليه خاطور وقال له « أيها الغلام ، اسقنى لوجه الله » ٠ فأتى الغلام بماء من مخزن الشراب وسقاه ٠

شرب خاطور الماء ثم قال « أيها الغلام ، هل هذا المكـــان تابع للملك » ؟

أجابه الغلام « هذا مخزن الشراب ، وذلك السرادق وتلك الخيمة التى خلفه هى مقر الملك » ٠

فسأله خاطور « لماذا كل هذا الفرح والبهجة » ؟

---

(١) النثار هو ما ينثر على العروسين والأبطال من جواهر أو أموال أو بعض الحلوى والحبوب والملح والبعض يلقى قصاصات أو أشرطة من الورق حاليا ٠

قال الغلام « ان مندوب الملك جاء وزوج ماه برى الى خورشيد شاه وسيزفان الآن » ٠

فقال خاطور « ألم يتزوجا بعد » ؟

أجابه الغلام « كلا ، فانهم يعدون لذلك » ٠

فسأله خاطور ثانية « وهل ماه برى فى تلك الخيمة » ؟

قال الغلام « نعم » ثم تركه ومضى ٠

حينما وقف خاطور على هذا بقى حتى حل الظلام فقام وعاد الى كانون وأرشدهم الى ما يجب عمله ، وكانوا منهمكين فى عملهم بينما جيش خورشيد شاه غارق فى لهوه وسروره ٠

شاء الحق تعالى أن يصل طيراق وعلام على رأس خمسين ألف فارس قادمين من الوديان الاثنى عشر ، كما تدفق الجند على أرمنشاه من كل صوب ورجأ فى منغوليا وصلت اليه رسالة من ملكهم ٠ فقد جاء غضبان من مدينة طميار ٠ وجاء مقدام والدرع من مدينة ديلمون على رأس مائة ألف فارس وعشرة آلاف ٠

حين اجتمع هذا الجيش الذى بلغ مائة وستين ألفا ، فتح أرمنشاه أبواب خزائنه وأخذ يجهز الجيش بسلاحه وعدته ، ثم قال علينا بالخروج من المدينة ، وأمر أن يقام له سرادق على أبهى زينة ، ثم خرج على رأس جيشه حتى ابتعد نحو فرسخ ولم يبق بينه وبين خورشيد شاه الا نهر كبير فأمر بحط الرحال ليستريح الرجال ، وحمل صاحب الخبر نبأهم الى خورشيد شاه فى الحال فقال « لا بأس » ٠ ثم أمر بجمع نقباء جيشه ، فلما حضروا أمرهم بالاستعداد على أن يكون الغد هو الميعاد ٠

أرسل النقباء المنادين فى المعسكر ينادون بالاستعداد ، فلما انقضى الليل وراح وأشرقت شمس الصباح ، دقت طبول الحرب من الجانبين ، وزلزلت الدنيا بأصوات الأبواق والنوافير والنقارات والطبول ، ثم تقدم الجيشان وبرز النقباء وتقدم يسار المرغزى وكان أخا لفرخ روز من ناحية الأب ولأن أباه كان اسمه المرغزى فكانوا يسمونه باسمه وكان يسار يقاتل راجلا ومعروفا بجلده وصبره على القتال ، طويل القامة رفيع الوسط عريض الصدر ضخم الساعدين قوى الذراعين يلبس درع المشاة ويضع خوذة على رأسه وقد شد وسطه بحزام ، وتوشح قوسا خوارزمية عاجية المقبض ، وجعل على ظهره درقة خفيفة الزرد ، وأمسك بيده رمح مشاة ، وكان يثير الغبار أثناء دخوله الميدان ، ثم أخذ يصيح ويستعرض مهارته

وقدرته على الهجوم ، وكان يسار المرغزى هذا لا نظير له فى رمى السهام ، فصال وجال ثم طلب رجلا للمبارزة •

تقدم رجل من جيش أرمنشاه الى الميدان وقد جهز نفسه بآلات القتال ، وتقدم صائحا نحو يسار وناداه قائلا « ما كل هذا التخويف والترهيب ؟ ألست أنت فى النهاية الذى تريد القتال ، فهات ما عندك من شجاعة وجرأة الرجال » •

كان يسار ممسكا برمحه فى يده ، فأخذ يديره فوق رأسه ثم تقدم نحو ذلك الرجل الذى كان يسمى عيدان ، واشتبكا فى القتال وتشاجرا بالرماح حتى تقصفت فى أيديهما فمد يسار يده الى قوسه وأخذ سهما من جعبته وشده فى قوسه وأحكم تصويبه ثم أطلقه •

حين رأى عيدان أن السهم قد انطلق رفع درعه ليحتمى به ولكن السهم أصاب الدرع ونفذ منه ثم أصاب مدرعته واخترقها وأصاب صدر عيدان ولم يبق فيه بل خرج منه واتجه الى الأرض وانغرس فيها حتى نهايته • أما عيدان فعلته صفرة الموت وفاضت روحه •

صاح يسار وطلب رجلا غيره للمبارزة ، وتقدم رجل آخر فرماه بسهم فقتله • وجاء ثالث متوجها نحوه ولكن يسارا لم يدعه يقترب بل رماه بسهم قتله أيضـــا ، وهكذا حتى قضى على سبعة رجال ، وعندئذ تقدم فجأة الى الميدان شاب من جيش طيراق القادم من الاثنى عشر واديا ، ذو هيبة وله رهبة ، كان يلبس سوادا فى سواد ، الى جانب قبحه وبشاعة خلقته وقذارة وجهه وسواده الفاحم وشكله المخيف ، وتقدم نحو يسار فى جرأة شديدة حتى أن فرخ روز ــ أخاه ــ الذى كان يقف فى قلب الجيش استولى عليه الرعب والخـوف •

حين تقدم هذا الرجل الى يسار وصاح فيه صيحة مرعبة قائلا « ما هذه الشطارة التى تبديها ، هات ما عندك من مهارة فى اطلاق السهام والتسلح بأسلحة الجبناء » • فأصاب قلب يسار خوف ورهبة منه ولكنه قال له « أيها الرجل الحر ، ما اسمك اذ أنك دخلت الميدان بجرأة وشجاعة وهيبة » ؟

فرد الرجل « اسمى الشيطان الجهنمى » •

فقال له يسار « أيها الحر ، لا تحتاج الى دليل فاسمك ينطبق عليك • فهات ما عندك من فنون الحرب » •

تناول كل منهما رمحه واشتبكا فى قتال مرير نحو ساعة يتطاعنان ، ثم ألقيا الحراب ومدا يديهما الى سيفيهما فجرداهما من غمديهما وأخذا

يتقارعان ، وما أكثر ما قرع كل منهما خوذة الآخر ومفرقه ، ولم يظفر أحدهما بالآخر • فتركا السيوف وتناولا الأقواس العاجية اليد ، الطيارة السهام وأخرجا السهام من جعبتها فقال الشيطان الجهنمي ليسار « هات كل ما عندك فقد أعطيتك السبق فى اطلاق السهام » •

أطلق يسار المرغزى سهما من قوسه فأبعده الشيطان بلعبة منه ، فرماه يسار بسهم آخر فصده كما صد سهما ثالثا • ثم قال له « أيها الفتى الجميل ، أظن أن النوبة لى الآن ، فتعلم منى رمى السهام وان كنت لن أتركك حتى تتعلم ، ثم شد سهما فى قوسه وأطلقه صوب يسار الذى جعل درعه أمامه ليرده به ولكن السهم اخترق الدرع وأصاب يسار فى ذراعه مما جعله يعجز عن القتال •

نظر فرخ روز فرأى أخاه يسار وقد جرح ، فاندفع بجواده الى الميدان ، وكان الشيطان قد سحب سيفه ليضرب به رأس يسار ، فلما دفع فرخ روز حصانه بينهما نزل السيف على رقبة الحصان ففصله عن جسده ، وصار فرخ روز بلا حصان ، وأراد الجهنمى أن يهجم على فرخ روز ويضربه بسيفه ، فاندفع هرمز بحصانه الى الميدان ولم يكن قد بقى بينه وبين الجهنمى الا نحو خمسين خطوة حين أمسك بحربته وأخذ يلوح بها فوق رأسه ثم قذفها نحو رأس الجهنمى فحطمته وحطمت صدره ، فخر صريعا وتقدم اليه هرمز وضربه بسيفه فأطاح برأسه ، وعندئذ طلب فرخ روز حصانا آخر ركبه وتقدم به الى يسار المرغزى وحمله خلفه • وقد أثنى الجميع على هرمز لانقاذه لهما •

بعد هذا أخذ هرمز يصول ويجول فى الميدان وطلب رجلا للنزال ، فتقدم رجل من جيش أرمنشاه على فرس أبلق لا يشق له غبار ، وقد أدرع حصانه ووضع على جبهته بعض المرايا بعناية حتى أصبح يبرق كالمرآة فلا يستطيع أحد النظر اليه ، وقد ارتدى الفارس دروعه ، ووضع على رأسه خوذة ، وتوشح قوسه ، ولبس درقه على ظهره ، وارتدى ساقين وساعدين ، وعلق سيفه فى حمائله ، وأمسك رمحه فى يده وجعل كعبه يجر على الأرض تحته وأخذ يجول بفرسه فى الميدان ويصول ، حتى اذا جاء أمام هرمز صاح فيه صيحة تبعث الرعب فى القلوب قائلا له « ما كل هذا الصخب الذى تثيره والغضب الذى تظهره دون أن تستطيع القيام بشىء ، فهل تظن أن الدنيا خلت من الرجال » ؟

قال هرمز « يا عديم الأصل والنسب ، هل يقال لمثلى ما هذه الضوضاء والصخب » ؟ قل لى ما هو اسمك حتى أعرف كيف يمكننى أن أقاتلك ؟

أجاب ذلك الرجل قائلا « أنا عبد أرمنشاه وخادمه • اسمى كريم • فهات ما عندك من الشجاعة والرجولة » • قال هذا ثم تطاعنا بالرماح وجاهدا كثيرا الى أن تفوق هرمز وطعن كريم طعنة لم يطعنها أحد من قبله •

حين انتهى هرمز من القضاء على كريم ، جال فى الميدان وهو يزأر كالأسد يطلب رجلا غيره ، فتقدم رجل آخر فصرعه وقتله • وتقدم ثالث فقتله أيضا حتى قضى على سبعة رجال ولم يستطع أحد منهم حتى أن يجرحه • وظل هرمز يجول فى الميدان ويصول ويطلب غيرهم للنزال ، فلم يتقدم أحد لأنه قتل سبعة بحربته ولم يستخدم غيرها من السلاح •

هرمز يدعو قزل ملك لقتاله :

بعد هذا صاح هرمز قائلا « أين ذهب الملك الذى سحب سيفه فى المجلس وكان يصيح فهل كان ذاك ميدان الرجال ؟ قل له أن يتقدم ويشهر سيفه ويبدى شـــجاعته ورجولته ففى الميدان تجرد الســـيوف من الغمـــدان » •

حين سمع قزل ملك هذا الكلام اضطرب وثار وقال « احضروا سلاحى كى أذهب للميدان وأرد على هذا الحقير » • فأمسك به أبوه أرمنشاه وقال له « يا بنى ابق الى أن يدخل الجيش المعركة فنحن نعد الجيش لكى يكون بأرواحه درعا لنا » • فانفعل قزل وقال « اتركنى يا أبى أذهب للميدان فكل من لا يؤثر فيه الكلام ليس من الرجال ، والعرب تقول « ضرب اللسان أشد من ضرب السنان » ، ان قلبى يحرقنى وأنت لا تدرى » •

مع كل التضرع الذى تضرعه أبوه والتشفع الذى تشفعه ، فان قزل ملك لم يقبل وقال « ان لم تتركونى فاننى سأقتل نفسى » • فكف أبوه عن منعه وعندئذ طلب قزل ملك سلاحه ودرعه وجلس على ركبتيه ليضعوها عليه • فارتدى أول ما ارتدى عراقة من الحرير الأبيض لتخفف من حرارة الجسم ثم وضع فوقها درعا كأنه من صنع النبى داود ، ولبس فوقه جوشنا من الزرد كالأظافر ، ثم شد الأربطة وأحكمها ، ووضع على رأسه خوذة عادية مكللة بالجواهر ، وتمنطق بحزام حربى ثم شد وسطه بحمائل سيف هندى ، وجعل الدرق على ظهره وحمل السهام حوله كله لتكفيه ، ثم توشح بقوس خوارزمية •

بينما كان قزل ملك يرتدى دروعه أعدوا له فرسا عليه دراعة وسرجا خراسانيا وركابا سلطانيا ولجاما قويا وقد علق الوهق بقربوص السرج ، كما علق بجانبه حربة وزنها خمسون منا •

ركب قزل ملك حصانه وتوجه للميدان مثيرا للغبار وقد أقرن رمحه صوب هرمز قاصدا القضاء عليه ، ولكن هرمز رد حربته واشتبكا فى قتال

مرير واستعانا بالسيوف والدروع وتقارعا بها حتى صارت كالمناشير ، فألقوها من أيديهما وتناولا قوسيهما وأخذا يطلقان السهام حتى تكسرت الأقواس ولم يظفر أحدهما بالآخر • ولكنهما شدا عناني فرسيهما حين أدخلوا لهما ماء الورد من جيش خورشيد شاه لكي يشرب هرمز الذي كان يقاتل من الصباح حتى تلك الساعة من الزوال ، ولهذا قال الملك « احملوا اليه الماء » • كذلك أرسل أرمنشاه ماء الورد لابنه قزل ملك • فلما شربا قال هرمز « أيها الأمير ، لقد ارتوينا واسترحنا ويجب أن يشرب هذان الأخرسان فليس لهما لسان يطلبان به الشرب أو نستبدلهما » •

أجاب قزل الملك « لا بأس » • فطلبا فرسين ركباهمــا وأخذا مدة يستعرضان فنونهما في القتال مرة بالحربة وتارة بالسيف ولم يظفر أحدهما بالآخر •

قال هرمز « أيها الأمير ، ان شئت تقاتلنا راجلين فقد تقاتلنا طويلا من على ظهور الخيل ولم يوفق أى منا » •

أجابه قزل ملك « الأمر لك » • ونزلا عن صهوتي جواديهما وخلعا عن نفسيهما أسلحتهما الثقيلة والجيشان ينظران اليهما ، ثم أمسك كل منهما بحزام الآخر وكان قزل ملك يبدي قوته ساعة ، وساعة تكون القوة لهرمز الى أن تمكن قزل ملك من القفز وامساك هرمز بقوة وتعلق به هرمز بقوة أيضا وأخذا يتغالبان وكل منهما يبذل غاية قوته •

خشي أرمنشاه على روح ابنه اذا تغلب عليه هرمز فصاح في أبطاله « انقذوا ابني » فأدى كل من طيراق وعلام التحية واندفعا بفرسيهما الى الميدان • وحين رأى خورشيد شاه ان اثنين منهم دخلا الميــدان لمساعدة قزل ملك ، صاح في أبطاله قائلا « ادخلوا الميــدان » • فانطلق شروان الحلبي والأحمر بفرسيهما مسرعين حتى أنهما دخلا قبل البطلين الآخرين ولكن خيولهم ارتطمت بعضها ببعض لسرعتها وسقطت أربعتها من شدة الصدمة ووقعوا هم من على ظهورها ، وتماسك أربعتهم في عراك وتغالبا حتى تمكن شروان الحلبي والأحمر من حمل طيراق وعلام وأخذاهما بينما تمكن قزل ملك من حمل هرمز وأخذه الى جيشه •

حين وضع قزل ملك هرمز أمام أبيه وأدى التحيــة قال « يا أبتاه ، لنضرب رقبته » • فأضاف الوزير مهران قائلا « من الخير أن نقتل كل من نجده منهم » • ولكن الملك أرمنشاه كان حزينا على طيراق وعلام • فقال شهران الوزير « أيها الأمير ، ليس من الخير أن نقتل هرمز لأنهم سوف يقتلون طيراق وعلام وكلاهما من أصحاب التيجان • وأرى أن يتقــدم أحد للميدان ويقول لهم » سنقتل هرمز الا اذا أطلقتم سراح طيراق وعلام ونطلق لكم سراح هرمز » •

فقال أرمنشاه « نعم ما ارتأيت • فابعث بأحد الرجال للميدان » •

قال شهران « سأذهب بنفسي » • ثم تقدم الى مكان في مواجهة قلب جيش خورشيد شاه وصاح « قولوا للملك ان شئت أن نبعث لك بهرمز فأعد هذين الشخصين اللذين أخذتوهما » • فلما أبلغوا خورشيد شاه بهذا قال « لابأس » • وخلعوا عليهما وأعادوهما فأعادوا هرمز أيضاً •

بعد هذا دق الجيشان طبول الراحة وعندها أمر خورشيد شاه أن يخرج فرخ روز على رأس عشرة آلاف مقاتل كطليعة • اما في الجانب الآخر فقد أرسل أرمنشاه ابنه قزل ملك على رأس الطليعة كذلك •

يقول مؤلف القصة وراويها عن سمك وورد ولهيب وينال بن سنجاني الذين كانوا في بيت القصابين ، انه ذات ليلة قال لهم سمك « أيها الفتيان، الى متى نجلس ؟ سأخرج لأحضر مهران الوزير » • فنهض لهيب وقال « أيها البطل ، سأذهب أنا » •

فقال له سمك « بل اجلس فهذا ليس في طاقتك » •

رد لهيب « أيها البطل ، اذا لم يكن في طاقتي لما تعهدت القيام به • ثم أنني خدمتك هذا العمر وتعلمت منك شيئا » •

قال له سمك « أنت أعلم بنفسك » •

ارتدى لهيب سلاحه فلما خرج من البيت قال ورد « ان مهران الوزير مع الملك في معسكر الجيش » •

فقال القصابان « انه يعود كل ليلة الى المدينة في صحبة الملك » • ثم أخذوا يتحدثون في شتى الموضوعات وينصتون لعودة لهيب ولكن الليل انتصف ومضى وحل وقت السحر ولم يعد لهيب ، وطلع النهار وما رجع • وعندها انقبض قلب سمك والآخرين الى أن حل الظلام مرة أخرى فقال ورد « أيها البطل ، هل أذهب للبحث عن لهيب » ؟

فقال سمك « افعل ما شئت » • فلبس ورد سلاحه وخرج من البيت وسار في طريقه وبقي سمك وينال في تفكير وانتظار متى يعود ورد • وظلا الى أن انقشع الظلام وأضاء النهار ولم يعد ورد هو الآخر ، فاغتم سمك وقال في نفسه « واأسفاه ، ما هذا الذي فعلت ؟ سوف يلعنني رجال الدنيا ويقولون جلس سمك في البيت وأرسل زوجته بالليل لكي تبحث عن أحد الأعوان • واحسرتاه ، لقد ذريت سمعتي وشهرتي في الهواء » • وظل يفكر في هذا ويردد حتى انقضى النهار وحل الظلام فنهض سمك

ووضع فى وسطه حزام الليل (١) لكى يخـرج للبحث عن لهيب وورد. فأمسك به ينال وقال » أيها البطل ، لن أدعك تخرج قبل أن أخرج أنا ، حتى اذا لم أعد أيضا خرجت أنت للبحث عنا ، فاذا فقد مائة ألف منا أفضل من أن يصيبك مكروه أو أذى » • قال هذا وخرج وأخذ يطوف فى أنحاء المدينة بحثا عنهما حتى طلع النهار ولم يعد ينال أيضا الى البيت. وكاد سمك أن يجن ، وكان يتلوى ويعتصر من الحزن والغم ثم قال للأخوين القصابين » أخرجا لعلكما تسمعان شيئا عنهم وهل هم أحياء أم أموات » •

خرج الشقيقان وبقيا على باب قصر الملك يسترقان السمع فلم يصلا الى شىء فعادا الى سمك وأخبراه أنهما ذهبا الى كل مكان ولم يسمعا عنهم شيئا • فالتفت اليهما وقال « سوف أكتب رسالة الى خورشـــيد شـــاه. وعليكما أن تحملاها اليه » •

قالا « سمعا وطاعة » •

كان سمك حاذقا فى الكتابة لأنه لم يكن يكف عن التعلم فى كل مكان. يذهب اليه فكتب رسالة ابتدأها بذكر الله والثنـــاء على الملك ثم قال. « هذه رسالة منى ــ أقل عبيدك سمك ــ الى خورشيد شاه • اعلم وتأكد أننا حينما تركناك كانت الأمور تسير ــ باقبالك ــ على خير حال ، واذا كان أبطالك قد وقفوا فى خدمتك وهم يلبسون خلعتك أما نحن ــ عبيدك ــ فنأمل أن نقف فى خدمتك مكللين بأكاليـــل التوفيق بعد أن نـكون قد أحضرنا الوزير مهران وأخرجنا الخمار وأبناءه من السجن • ولكن حدث أن لهيبا ووردا وينال بن سنجانى خرجوا للبحث عن مهران الوزير ولكنهم اختفوا ولم أسمع عنهم شيئا وهل هم أحيـــاء أو أمــوات • وقد عجبت لأمرهم وحزنت وسوف أخرج للبحث عنهم • وقد سبق أن أخبرتك عن أحوال الشقيقين القصابين اللذين يحملان رسالتى هذه وبها أخبرك عن أحوالى حتى تمدنى بدعائك ، والسلام » •

حين أتم سمك الرسالة وقف الأخ الأكبر وأخذها وأخفاها فى ملابسه وخرج يسوق أمامه بعض الأغنام ، وسار فى طريقه حتى جـــاء معسكر خورشيد شاه وبحث عنه حتى وقف أمامه وأدى التحية وأثنى عليه بالدعاء ثم أخرج الرسالة وقبلها ووضعها على جانب العرش • فسأله خورشـــيد شاه « ممن هذه الرسالة » ؟

قال « انها من سمك العيار » •

---

(١) حزام الليل يقصد به الوهق لأن العيارين كانوا يلفونه حول وسطهم وكان أغلب نشاطهم بالليل •

أخذ خورشيد شاه الرسالة وسلمها الى هامان الذى قرأها وأعلمه بما فيها فأثنى الملك على سمك ودعا له كل الأبطل ثم سأل هامان الوزير « خط من هذا » ؟

أجاب الثعلب الفيلم « هذا خط سمك الذى يجيد الكتابة » ٠

وأضاف هامان الوزير قائلا « ان هذا الرجل يتمتع بكل الفضائل » ٠

بعد هذا أكرم الملك هذا الفتى القصاب وعززه وأجلسه أمامه وأخذ يسأله عن أحواله ، فشرح للملك كل ما جرى أو حدث ٠ وعندئذ أمر خورشيد شاه بكتابة رد الرسالة ٠

« وصل كتاب بطل الزمان وفتى فتيان العصر والأوان ــ أخينا سمك العيار ــ وعلمنا حاله وعليه عندما يطلع على رسالتنا هذه أن يسرع بالعودة لأننا فى شوق الى رؤياه ، ولا يجب أن يحمل نفسه مشاقا أكثر من هذا لأننا حينما نقوم بهذه الأمور سوف نبحث عنهم جميعا ونصـــل اليهم ٠ وقد وصل والدنا هامان الوزير ولدينا أعمال لا يحسن انجازها الا فى حضورك والسلام » ٠

عندما فرغوا من كتابة الرسالة أمر الملك بالانعام على الفتى القصاب بأموال وفيرة وخلعة فاخرة ثم أعطوه الرسالة فتوجه الى مدينة منغوليا ووصل الى منزله حاملا تلك الأموال بحيث لم يشعر به أحد ٠ فسلم الرسالة الى سمك الذى قرأها وقال « هذا رأى حسن ، أن أتركهم وأعود للمعسكر حتى يزفنى فتيان العالم بالدفوف ويقولوا « هذا سمك الذى يدعى كمال العيارة ، ترك زوجتـه واثنين من أعـــوانه فى الأسر وذهب ٠ ان هذا لا يليق بالرجولة أو الفتوة ، اننى لا أقبـــل هذا الرأى ، والله الخالق العادل لن أعود للمعسكر الا اذا عرفت أحوالهم ، فان كانوا فى السجن فسوف أقتحمه حتى يستقيم الأمر » ٠

أخذ سمك يتحدث فى هذا المعنى فى نفسه حتى أقبل الليل فنهض ولبس سلاحه وأراد أن يخرج فأمسك به القصابان وقالا « أيها البطل ، ان خرجت فخذنا معك حتى اذا اعترضك أحد كنا معك وعاوناك » ٠

فقال سمك « بل ابقيا هنا لأننى لن أتمكن من المحافظة عليكما ٠ واذا لم أعد حتى صباح الغد فاحملا خبرى الى الملك وقولا له ان سمك قد فقد » ٠ قال هذا وودعهما وخرج حتى أتى تلك الحجرة التى كان بها مهران الوزير ونظر فلم ير أحدا ، فتناول وهقه وقذف به ثم شده وأحكمه وتعلق به وصعد الى السطح فرأى حارسا نائما فأطبق على حلقه وضغط عليه ، فطلب الحارس الأمان ٠ قال له سمك « أصدقنى القول هل جاء

أحد الى هنا فى الليلتين أو الثلاث الماضية أولا ؟ ثم قل لى أين ينـــام الوزير مهران ؟

أجابه الحارس « لم أر أحدا • أما الوزير فهو أمامك نائم عند ذلك السراج الذى تراه » •

قيد سمك رجلى الحارس ويديه وتوجه الى ذلك السراج فلما نظر وجد مهران الوزير ممددا على سريره ، وقد جلس خادم عند رجليـــه يدلكهما له ، فتقدم سمك باحية الخادم وربت على كتفه فلما فتح عينيه أشار اليه سمك أن تعال • فظن الخادم أن أحدا يريده ليحدثه فى أمر ما • فترك قدمى مهران الوزير وسار أمام سمك ، وعندما خرج من الحجرة أمسك به سمك وألقاه على الأرض وأراد أن يقتله فقـــال له الخـادم « أيها الرجل الحر من أنت وماذا فعلت لتقتلنى » ؟

صـــديق صـــديقى :

رد عليه سمك قائلا « أيها الخادم ، أنا سمك العيار » • فلما سمع الخادم اسمه قال « أيها البطل ، لاتقتلنى فان لى حديثا معك وأنا ابحث عنك من زمن لأننى بحاجة اليك » •

سأله سمك « ومن أين تعرفنى » ؟

أجابه الرجل « أيها البطل ، كانت لى صداقة مع لالا صالح ، وقد أحضرونا معا من بلاد البربر وألقت بى الأيام هنا بينما ألقى به الزمن فى قصر الملك فغفور وحينما علمت أنهم قتلوا لالا صالح حزنت عليه أشد الحزن وانقبض قلبى أثناء الليل وأثناء النهار وبحثت عن أحد من ذوى الشهامة لكى يأخذنى لأخدم الأميره ماه برى بعده ، فلما سمعت اسمك ووقفت على أعمالك قلت لنفسى هذا هو الذى يحقق أحلامك ومنذ ذلك الوقت وأنا أبحث عنك لأراك والتحق بخدمتك وأقوم بما تشاء » •

فرح سمك حين سمع هذا وقال « ما اسمك يا لالا » ؟

أجابه الرجل « اسمى عنبر » •

فقال له سمك « اقسم لى على ألا تخن وأن تكون بقلبك معنا حتى أحقق لك ما تريد » فأقسم لالا عنبر كما أراد سمك ، وعندئذ احتضنه وقال له « يا لالا ، ألم يأت أحد الى هنا فى الليالى الماضية وقبضت عليه أو سجنته » ؟

أجاب لالا « لا أعلم شيئا عن هذا • ولكنهم ألقوا القبض على ثلاثة أشخاص فى ذلك البيت » • فرجح سمك أنهم ربما كانوا وردا ولهيبا وينال بنسنجانى • فلما ذهب ونظر وجدهم الخمار وصام وصملاد •

سمك على صدر الوزير مهران :

عاد سمك الى فراش مهران الوزير واستل خنجره ثم وضع يده على صدر مهران وأيقظه ، وحين فتح الوزير عينيه ورأى سمك عرفه وقال له « يا سمك ، لماذا جئت » ؟

أجابه سمك « جئت لأعرف منك أين مكان لهيب وورد وينال وماذا صنعت بهم ؟ قل الصدق والا قطعتك اربا » .

فقال مهران « واأسفاه ، لقد جئت اليوم ، ولو جئت بالأمس لكنت معهم أيضا فقد نبت العشب على قبورهم » .

قال سمك « يا مهران ، قل الصدق والا سأنتزع منك الحقيقة بالعصا » .

قال مهران « لو قتلتنى أو ضربتنى فلن أبوح بشىء أبدا ، فأنا شيخ عجوز ولو عشت عاما آخر فاننى سأموت بعده ، فافعل بى ما تشاء » .

قام سمك بتقييده وتكميمه وتركه مقيدا وذهب الى حيث كان الخمار وصابر وصملاد ففك قيودهم وحين انتهى من كل هذا كان النهار قد أوشك على الطلوع فقال له لالا عنبر « أيها البطل ، لن يمكنك الخروج من هنا فان رأيت فابق حتى أرى ما سيحدث ثم تذهب بعد ذلك » .

شكره سمك وقال له « أنت أدرى » ثم ذهبوا الى مكان اقامة عنبر حيث بقى سمك هناك بينما ذهب لالا الى القصر وعندما جاء حاجب وقال أن الملك يريد مهران الوزير رد عليه عنبر « لقد خرج عند الفجر قائلا انه ذاهب للملك » .

خرج ارمنشاه مع وزيره شهران من المدينة وحينما وصلا الى معسكرهم ارتفعت دقات طبول الحرب . ومن كثرة عدد جيش خورشيد شاه وعظمته لم يفكر أرمنشاه فى مهران الوزير أو يبحث عنه بل جاء ووقف فى قلب جيشه . وتقدم فارس من جيش خورشيد شاه الى الميدان وكان يركب حصانا عربيا وجهز نفسه بعدة كاملة من السلاح ، وأخذ يجول بعض الوقت فى الميدان يستعرض فنونه القتالية ثم وقف تجاه أرمنشاه وصاح قائلا « الى كل من يعرفنى ومن لا يعرفنى ، فأنا هرمز عبد خورشيد ، وليتقدم كل من كان منكم ذو رجولة أعظم وشجاعة أكثر » .

حينما كان هرمز يقول هذا دخل الميدان فارس من ميمنة جيش

أرمنشاه كأنه الريح وكان طويلا مزودا بعدة أسلحة واقترب من هرمز وصاح فيه قائلا « أيها الدنيء ، ما كل هذا الصخب ؟ لعلك لم تــــر الرجـــــال » ٠

رد عليه هرمز قائلا ؟ أيها الجاهل ، هل شبعت من حياتك فجئت لنزالى ؟ ألا تعرفنى ؟ قل ما هو اسمك ؟

أجابه ذلك الفارس « اسمى سعيد ، وأنا فى الحقيقة سعيد من حظى ، فهات ما عندك من فنون القتال والشجاعة » ٠ قالا هذا وتقارشا بالرماح وتبودلت بينهما الطعنات الى أن تمكن هرمز من طعن سعيد فى فخذه طعنة جعلت سنان الحربة يصيب بطن الحصان وجعلت سعيدا غير سعيد الحظ فى هذه المبارزة ٠

تعالت صيحات الفرح والسرور من جيش خورشـــــيد شاه بينما تصاعدت آهات الحزن والفزع من جيش أرمنشاه الى أن صال هرمز وجال مرة أخرى ثم طلب غيره للنزال ، فجاء بطل آخر صرعه هرمز أيضـــا ٠ وكلما دخل فارس ألحقه بسابقه الى أن صاح هرمز قائلا « أين ذلك الذى حملنى بالأمس ؟ هل ظن أنه حملنى بشجاعته ؟ لقد كان ذلك خطـــأ اذ سقطت قدمى فى جحر فار ، فتعال يا قزل ملك الى الميـــدان لترى ضرب الرجال بالسيف » ٠

أراد قزل ملك أن يدخـــل الى الميـدان فمنعه أرمنشاه وقال له « لاتذهب ٠ ليذهب العبيد والرعية لأن الرعية والجيش هم ذخر لمثل هذا اليوم ، ألا ترى أن خورشيد شاه لايتقدم الى الميدان ؟ أليس فى النهاية رجلا شجاعا ؟ هل رأيته فى يوم من الأيام نزل للقتال ؟

بينما كان أرمنشاه فى هذا الحديث ، تقدم علام وأدى التحية وقال « أيها الملك ان عبدك سيدخل الميدان ويأخذ بقصاص رجاله » ٠ فأثنى الملك عليه ٠ وعندئذ ترجل عن فرسه وشد أحزمته وأبزمته وتسلح بأربع عشرة قطعة مختلفة من السلاح ثم انطلق للميدان وتحته فرس كأنه وميض البرق ٠

عندما دخل علام الى الميدان تلقاه هرمز بالحربة وأخذا يتطاعنان بالحراب ويتشاجران بها حتى تقصفت فى أيديهما فألقياها واستلا من غمديهما سيفين كلسان الحية حداهما يمانيان وسناناهما كسن القلم وأخذا يتبادلان الضرب بهذين البتارين فوق رأسيهما حتى صار السيفان فى يديهما كالأسنان ، ومع هذا لم يظفر أحد منهما بالآخر ، فطرحاهما ثم تركا مسافة كبيرة بينهما ومدا أيديهما وتناولا قوسيهما ثم فكا سهامهما الطيارة عن وسطيهما وأخذا يطلقان السهام أحدهما صوب الآخر حتى

صارا كأنهما طائرين بسطا جناحيهما من كثرة ما تعلق بهما من سهام حتى نفدت السهام ولم تنفد عزائمهما أو يتغلب أحدهما على الآخر ٠

اقتربا مرة ثانيـــة وتناولا حربتيهما ذواتي القرنين من قربوص السرج وأخذا يكيلان الضربات أحدهما فوق رأس الآخر حتى حانت لحظة لعلام فأسرع وأمسك بهرمز من حزامه واستجمع قوته ورفعه عن سرج فرسه ووضعه أمامه على سرج حصانه ولوى عنانه وأسرع في اتجـــاه معسكر أرمنشاه ٠

شاءت ارادة الله أن يد هرمز وصلت الى ساق علام ورأى خنجرا مربوطا عليها فسحبه وطعن به علام الذى تقطعت أنفاسه وشلت يداه عن الحركة فأمسك هرمز بعنان الفرس واستدار به عائدا الى معسكر خورشيد شاه حيث ألقى علام على الأرض وقال لهم « قيدوه » ، ثم عاد الى الميدان وطلب رجلا للمبارزة ، فانطلق طيراق أخو علام الى الميدان حتى وقف أمام هرمز وصاح فيه صيحة مرعبة قائلا « أيها الحقير ، لقد أخذت بطلا عنده أكثر من مائة ألف من العبيد مثلك ، فتعال لأثأر منك لأخي » ٠ قال هذا ثم أخذا يتطاعنان بالرماح فلم يظفر أحد منهما بالآخر ، فتناولا سيفيهما وبذلا جهـــدا كبيرا ولكن هرمز كان قد صرع كثيرا من الرجال وتقاتل طويلا مع علام مما أتعبه وأرهقه ، فجاء طيراق وأمسكه من حزامه واستجمع قوته ورفعه عن سرج حصانه وحمله وانطلق به الى أن وضعه أمام أرمنشاه ٠

قال قزل ملك « يجب قطع رقبته » ٠ فتقدم طيراق وأدى التحية وقال « أحذر أيها الأمير فانهم قد يقتلون أخي » ٠

فقال شهران الوزير « بل مر بتقييده حتى نعلم ما سيؤول اليه الأمر » وقيدوا هرمز وعادوا الى معسكرهم ٠

فى الجانب الآخر فانه حين حمل هرمز البطل علام وألقاه أمام خورشيد شاه كان مايزال على قيد الحياة ولكنه مات بعد أن أخذ أخوه طيراق هرمز البطل الى معسكر أرمنشاه ٠

قال خورشيد شاه لوزيره هامان « ما العمل ؟ لو علموا أن علام مات فسيقتلون هرمز ٠ يجب أن نقيـده ونرسله الى الخيمة بحيث لا يعلم أحد بوفاته الى أن نرى ما سيصـــير اليه أمر هرمز » ٠ ثم أمر بدق طبول الراحة ، فأخذ الجيشان فى الاسترخاء ٠

لا تحمـــلا خبـــرى :

نعود الى حديث سمك العيار فيقول مؤلف القصة وراويها أنهم جلسوا في حجرة لالا عنبر الى أن طلع النهار فاستدعى سمك لالا عنبر

وقال له « تحمل هذه المشقة واذهب الى بيت القصابين وأخبرهما أنني في بيتك حتى لايحملا خبري الى خورشيد شاه وقل لهما أن يأتيا هذه الليلة تحت سطح قصر الملك » ٠

قال لالا « سأفعل هذا » ٠ ثم قام فركب فرسه وذهب للسوق حيث كان دكان القصابين فوجده مغلقا ، وكان بيتهما أمام الدكان فاتجه اليه فوجدهما واقفين مغمومين حزينين فادرك لالا ما بهما ، وتقدم اليهما وسلم عليهما فردا السلام وأديا التحية والاحترام فقال لهما « أيها الفتيان نحن في حاجة ماسة الى مائة خروف لقصر الملك » ٠

أجاب القصابان « ان الدكان مغلق وأبواب المدينة مغلقة أيضا » ٠

فقال لالا « لا بأس بما هو موجود عندكما » ٠

قال الأخوان « ليس لدينا شيء » ٠

فقال لالا عنبر « اذن أسقياني فانني أشعر بالعطش منذ الصباح » ٠

قال أحدهما للآخر « ان لالا عنبر لم يأكل شيئا وهو يطلب ماء ، وقد جاء يشتري لحما ، ولهذا فلا خوف من ادخاله البيت ليتناول شيئا من الطعام » ٠ قالا هذا ثم طلبا منه النزول قائلين « استرح لحظة ريثما تشرب الماء » ٠ ثم صحباه الى داخل البيت وأخذا يعدان شيئا ليقدماه الى لالا عنبر ولكنه قال لهما « يا أحرار الفتيـــان ، انني لم آت لضيافة ، ولكنني جئت رسولا من عند سمك » ٠

قالا « يا لالا ، ما هذا الكلام الذي تقوله ؟ مالنا وسمك » ٠

قال لهما « لا تخافا ولا تقلقا فأنا منكم وأنتم مني ، وقد أرسلني سمك لأقول لكما اذا لم يعد صباح الغد فلا تبلغا خورشيد شاه بذلك واطمئنا فانه بخير وهو يقيم في بيتي وقيد مهران الوزير كمـــا أطلق سراح الخمار وصملاد ، ويقول لكما أن تكونا الليلة تحت سطح بيت الملك لتساعداه » ٠

قال هذا فأثنى عليه القصابان وفرحـــا بما أخبرهما به ٠ وعاد عنبر الى بيته وأخبر سمك بما فعل فلما أقبل الليل وانتشر الظلام نهض القصابان وأعدا سلاحهما وخرجا متوجهين الى قصر الملك ٠

أما سمك فانه عندما حل الظلام ذهب الى الوزير مهران ووضعه في صندوق ثم جمع بعض آلات وأدوات الحانة الخاصة به ملأ به صندوقا آخـــر ٠ فقال له صـــابر وصـــلاد « هل سنحملهما » ٠ فأجابهما ســـمك « ليس أمامنا غير هذا لأن القصابين لم يحضرا » ٠ ثم ربطهما من وسطهما

وأنزلهما من فوق السطح ثم أنزل لهما الصندوقين • وبعد هذا قال للالا عنبر « عليك بالبقاء هنا لتعرف كل شيء يحدث من خير أو شر كي تخبرنا به الى أن أعود وآخذك معي الى خورشيد شاه » •

قال لالا عنبر « لا بأس » • وكان لالا عنبر يعرف كل ما يحدث من خير أو شر لأنه كان يعمل في جناح النساء •

نزل سمك وحملوا الصندوقين وساروا في طرق ملتوية الى أن وصلوا الى بيت القصابين ودقوا الباب فنزلت النساء وفتحن لهم الباب فدخل سمك وأصحابه ثم سألهن أين الاخوان ؟

أجابت النساء « لقد خرجا في الطريق اليكم » •

قال لهن سمك « ماذا تقلن » ؟ فأجبنه « لقد خرجا » •

كان مهران الوزير في الصندوق ينصت الى هذا الحديث حينما أمر سمك باخراجه من الصندوق ثم قال له « قل الصدق يا مهران ، أين هؤلاء الشبان لأن اختفاءهم لم يبتعد عنك ، ولاشك أن كل هذا من تدبيرك ولعلك أنت الذى سجنتهم » •

قال مهران الوزير « يا سمك ، لقد ابتعدت عن القصد ، وكنت أريد أن تسلك أنت أيضا نفس الطريق الذى انتهوا اليه حتى يتطهر العالم من ظلمك وجورك لأنك تذهب كل آن وزمان كاللصوص وتسرق الأشخاص ، وقد أنقذت هؤلاء الفتيان من يديك وذهبوا الى حيث لن تراهم اطلاقا ، ولن أفشي لك هذا السر • واعلم أنهم سيمسكونك أيضا وتلقى نفس المصير ان آجلا وان عاجلا • وأنا أدبر الآن لخورشيد شاه وماه برى أمرا سوف تتردد أصداؤه في جنبات الدنيا ولن يستطيع مائة ألف مثلك أن يتتبعوا أثره أو يدركوه » •

تعجب سمك حينما سمع كلام مهران الوزير فقال له « يا ابن الحرام ، يا سيء الفعال لقد فعلت كل ما في استطاعتك وسوف أرد على أعمالك هذه وان كنت لاتريد الكلام الآن فانني سأجعلك تتكلم بالعصا » •

قال صابر وصملاد « أيها البطل ، هل نقوم نحن بضربه كما أمر بضربنا بما يفوق الوصف ، وكان قد أمر بقتلنا لولا أن الملك أرمنشاه أنقذنا منه • ثم أمسكا بالعصى وأخذا يضربانه حتى تقطعت أوصاله وسال منه الدم ، ومع كل هذا العذاب لم يتكلم أو يقول الحقيقة •

كان سمك حزينا على القصابين وكان يسأل نفسه « ما هو التدبير وأين يمكن أن أجدهما » ؟ لقد كان الحزن عليهما لغيابهما أما الآن فقد زاد الخوف عليهما » ٠

نعود الآن الى حديث كانون وخاطور وكافور ، فيقول مؤلف القصة ان خاطور وكانون وكافور كانوا يعملون في شق النقب بينما كان هرمز قد وضع في سجن أرمنشاه وأوقفت الحرب بين الجانبين ليقيموا عرس خورشيد شاه ٠ فلما انقضت ثلاثة أيام شاءت ارادة الله أنه في الليلة التي كانت محددة للزفاف ، كان خاطور وكانون قد أتما حفر النقب منذ الصباح وأوصلاه الى مكان تحت سرير خورشيد شـــاه حتى أن قاعدة السرير كانت ستسقط فيه ٠ فقال خاطور لكانون احمل قاعدة السرير على كتفك الى أن يحل الظلام ونصلح هذا الثقب لأن الآن موعد تناولهم لطعام الافطار » ٠

حمل كانون قاعدة السرير على كتفه وأمسكها بيده ، وجاء خاطور وظلا في مكانهما وكان القوم يعدون لحفل الزفاف حيث يزفون ماه برى الى خورشيد شاه في هذه الليلة حتى يرتوى من رحيق حبها ٠ وكان السرور والفرح يعمان الجيش كله ، وكان المطربون والمغنـون يعزفون ويغنون ، وفي كل ركن تجمعت جماعة تشرب وتطرب حتى انقضى النهار وأقبل الليل وأخذ خورشيد شاه يتناول الشراب الى أن قالوا له « أيها الأمير لقد حان موعد الخلوة » وقام ملكدار وهو مندوب الملك فغفور ـ فأخذ بيد خورشيد شاه وسار معه حتى باب الخيمة التي كانت بها ماه برى ، ودخل هامان الوزير وملكدار الخيمة وكانت المشاطات جالسات يزين ماه برى وقد أسدلوا النقاب على وجهها ، فتقدم منـــدوب الملك وأمسك يد ماه برى ووضعها في يد خورشيد شاه وبهذا جمع شملهما طبقا للتقاليد التي كانت سارية آنذاك ٠

فرحـــة لم تتم :

قبل خورشيد شاه يد الأميرة وأراد أن يرفع النقاب عن وجههـا فقال له ملكدار « أيها الملك ، ان الأميرة تستحق مهرها حتى تكشف لك عن وجهها » ٠

فقال خورشـــيد شاه « يا ملكدار ، لقد أحضر هامان الوزير ثلثمائة ألف دينار من أبي وقد وهبتها لها جميعا لأنني لم أنفق منهـا شيئا على نفسي أو على جيشي ، فلتأخذها كلها لأنهم أحضروا لنا أموالا وافرة من قلعة الفلك تكفي نفقات الجيش كله عشر سنوات كمـــا ستصلنا أموال من أبي » ٠

قال ملكدار « أيها الملك ، ان الأميرة لا تطلب مالا ، فلو أن كل أموال الدنيا كانت لها فهى لك أيضا ، ولكنها تريد منك عهدا وهو ألا تعاشر مخلوقة أخرى غيرها ما بقيت على قيد الحياة ، ولا تسبب لها الغيرة والحسد فهى لا تطيقهما » .

تعهد خورشيد شاه وأقسم بقوله « اننى لن أتزوج أبدا غير ماه برى طالما كانت زوجة لى » .

بعد أن أقسم خورشيد شاه ، أمر هامان الوزير باخـــلاء الخيمة فيما عدا زوجة ملكدار التى كانت واقفة عند طرف السرير كما جرت العادة حينما يدخل العريس والعروس الى الخلوة فان الداية تقف عند الباب حتى اذا لامس العريس عروسه قامت بسقيهما ماء الورد . ولكن خورشيد شاه كان ثملا فوضع رأسه بجوار ماه برى وراح فى نوم عميق، كما أن زوجة ملكدار نامت هى الأخرى على باب الخيمة .

حين شعر خاطور وكانون وكافور أن الحركة هدأت بدأوا العمل فى اكمال النقب ثم خرجا منه الى داخل خيمة العروسين فلم يشاهدوا أحدا فى الخيمـــة سوى خورشيد شاه وماه برى نائمين . فقام ثلاثتهم بتقييد خورشيد شاه ولكن ماه برى استيقظت وأرادت أن تصرخ ولكن لسانها انعقد من الخوف حين رأت هؤلاء الثلاثة بأسلحتهم وخشيت أن يقتلوها ان هى فعلت شيئا . وقام الثلاثة بحملها الى داخل ذلك النقب ومنه الى بداية النقب خارج المعسكر .

كان خاطور قد أرسل شخصا وأحضر حصانين من المعسكر فأجلسهما عليهما وقال « يجب أن نأخذهما الى المدينة لأنها أفضل من نقلهما الى المعسكر » . وفعلا أخذوهما الى قصر الملك ووضعوهما فى القيود والأغلال وعادوا الى المعسكر حيث كان أرمنشاه جالسا على عرشه وحوله أمـراء الدولة ، دخلوا عليهم وأدوا التحية فبادرهم الملك بقوله « ماذا فعلتم فيما ذهبتم لأجله » ؟

أجاب خاطور « لقد قمنا به كما تريد ــ بحسن اقبالك وطلعتك ــ وحملنا خورشيد شاه وماه برى الى قصرك ووضعناهما فى القيود » .

كان قزل ملك يقف أمام الملك فغمره السرور حينما سمع هذا وقال يا خاطور « هل هذا الكلام حقيقة أم لا » ؟

أجابه خاطور « أيها الأمير ، ان الرجال لايكذبون خاصة عندما يكونون فى حضرة الملك » . وعندئذ أراد قزل ملك أن يذهب للمدينة فقال له أبوه وشهران الوزير « أين أنت ذاهب » ؟

أجاب قزل ملك « لأنظر ماذا يجب أن نفعله فى خورشيد شاه وماه برى » ٠

قال شهران الوزير « أيها الأمير ، هل انتهيت من الرد على أعمالهما بحيث تذهب الى المدينة ؟ لقد أحضرنا منهم شخصين ومازال أمامنا مائة وخمسون ألفا ٠ ومع أن الجيش لايستطيع أن يفعل شيئا بدون الملك الا أن هامان الوزير معهم ، ولهذا يجب ردهم أولا ثم الذهاب بعد ذلك للمدينة ٠ ولا شك أنهم سيحاربون حينما يجدون أن الملك ليس بينهم ٠ فلتبق لترد عليهم ٠ أما خورشيد شاه وماه برى فهما فى أيدينا ويجب ارسالهما الى قلعة الوديان الاثنى عشر لأنها قلعة ليست كباقى القلاع ، فهى تقع فى وسط اثنى عشر واديا ولو اجتمعت حولها كل جيوش الدنيا فانها لن تصل اليها لمنعتها وتحصينها ٠ ولا يوجد طريق يؤدى اليها بل يصعدون اليها عن طريق سلم من الجلد ، لأن الاثنى عشر واديا تقع على نصف جبل ٠ فلنرسلهما الى تلك القلعة حتى ننتهى من أمر هذا الجيش ثم ننظر فى أمرهما كما يجب » ٠

قال قزل ملك « ان كان الأمر كذلك فلترسلهما الآن قبل أن ننشغل بالحرب » ٠ عندئذ التفت الملك أرمنشاه الى طيراق وقال له « اذهب الآن الى المدينة وخذ معك خمسين فارسا وعندما يحل الظلام احمل خورشيد شاه وماه برى الى قلعة الوديان الاثنى عشر وسلمهما الى غضبان مستحفظها » ٠ فأدى طيراق التحية وذهب فى الحال الى المدينة على رأس خمسين فارسا وجلس يشرب فى ايوان الملك الى أن يخيم الظلام ويقوم بحملهما الى القلعة ٠

هكذا يقول الراوى ان جيش خورشيد شاه لم يدر شيئا منذ ذهبت ماه برى وخورشيد شاه للنوم ، ونامت زوجة ملكدار على باب الخيمة وجاء الرجال الثلاثة وحملوهما ، فلما كان وقت السحر ولم يسمع أى صوت قالت زوجة ملكدار « ربما كان خورشيد شاه ما زال نائما » ٠ وتعجبت كيف لم يتم الوصال مع كل الشوق ، فتطلعت من زق الخيمة فلم تر خورشيد شاه ولا ماه برى ورأت احدى أرجل السرير وقد غاصت فى الأرض فنظرت تحت السرير فشاهدت هذا النقب الذى حملا منه فأخذت فى الصراخ ٠

جاء العبيد والخدم مسرعين ، فشاهدوا هذه الحال وسيطر عليهم الحزن وانتشر الخبر فى المعسكر فعمه الصخب والهرج ، وفقد الجميع أعصابهم وقدرتهم على التصرف وقالوا لهامان الوزير والحزن يغمرهم ان الرد هو أن نهجم على جيش العدو ونهزمه ٠

فقال هامان الوزير « من الخير الا تقدم على هذا العمل حتى أنظر ماذا يفعلون ولعل أحدا يأتينا بنبأ يقين • ولكن علينا أن نستعد للعمل ، كما أننى سأكتب رسالة للملك فغفور أخبره بما حدث واستشيره فى الأمر » •

ظل الأبطال جميعا فى حزن الى أن انتهى هامان الوزير من كتابة رسالة شرح فيها ما حدث لهم الى ساعة الزفاف وترك خورشيد شاه وماه برى وحدهما ، ولكنهم نقبوا تحتهما أثناء الليل وحملوهما وهذا خطب عظيم جعلنا حيارى لا ندرى شيئا دون ملك يقودنا • وقد أراد الجيش أن يهجم على العدو ويهزمه ويثأر لهذا ، ولكن هذا ليس من الصالح وقلت فلننتظر ما هو مصيرهما فى أيدى الأعداء • وقد أخبرتكم بهذا حتى تعينوننا فى مأساتنا وحزننا » • فلما أتم الرسالة ختمها وسلمها الى سورة الحلبى وأرسله الى الملك فغفور وامتنع عن الحرب انتظارا لما ستسفر عنه الأحداث •

نعود لحديث خورشيد شاه وماه برى وما جرى لهما فيقول الراوى ان الملك أرمنشاه أرسل طيراق الى المدينة فذهب الى قصر الملك وجلس هناك يحتسى الخمر حتى يحل الليل ليحمل الأسرى الى القلعة • وعلم لالا عنبر أنهم أحضروا خورشيد شاه وماه برى وأن طيراق جاء لكى ينقلهما الى القلعة فحزن وأصابته الرعشة من هذا الخبر وقال لنفسه انه ان سكت حتى ينقلوهما فكيف يمكن الوصول اليهما بعد ذلك ؟ ان جيوش العالم لا تستطيع أن تصل الى تلك القلعة • فنهض فى الحال وذهب الى منزل القصابين ودق الباب ودخل فرأى سمك والآخرين يشربون فخلع عمامته ورماها على الأرض وقال ان الدنيا قد احترقت وأنت جالس هنا أيها البطل تشرب الخمر » •

هب سمك كالمجنون وقال « ماذا جرى » ؟

أجابه لالا عنبر « وماذا تريد أسوأ من هذا ؟ لقد أحضروا خورشيد شاه وماه برى الى قصر الملك وجاء طيراق لكى يحملهما الى قلعة الوديان الاثنى عشر » •

حين سمع سمك هذا الكلام صرخ من أعماقه ثم خر مغمى عليه ، فلما أفاق سأل « ماذا تقول يا عنبر ؟ كيف أحضروهما ؟ » •

أجابه لالا « قام خاطور وكافور وكانون بعمل نقب ثم حملوهما من تحت أرض المعسكر » •

فقال سمك « وما التدبير وماذا نفعل ؟ » •

أجاب لالا عنبر « لست أدرى ولا أعلم وقد جئت اليك وأخبرتك بما حدث حتى تفكر فى وسيلة لانقاذهما قبل أن يحل الظلام وينقلونهما الى تلك القلعة » ·

سمك ينقذ خورشيد شاه وماه برى :

طأطأ سمك رأسه ساعة ثم رفعها وقال « يا لالا ، هل تستطيع أن تأخذنى الى قصر الملك » ؟

رد لالا قائلا « كيف أستطيع هذا فى وضح النهار » ؟ ·

فقال سمك « على هيئة النساء فى عباءة وجرموق » ·

قال لالا « هذا ممكن ، بل يمكننى أن أصطحب شخصين أو ثلاثة » ·

قال سمك « الآن أمكن حل هذا الأمر » · ثم لبست زوجتـــا القصابين وجاريته ملابسهن كما ارتدى صابر وصملاد والجميع عباءات وجرامق وقالوا للالا « أدخلنا على الملكة فان سألتك من تكون فقل لهـا انهن نساء أعيان المدينة جئن يرجـون الملكة كى تتشفع عنـد الملك فى حاجة لهن » ·

قال لالا « سوف أفعل هذا » · ثم تقدمهم وبيده الصولجان الذى أخـذ يفسح به الطريق أمامهن حتى جـاء قصر الملك ودخل على الملكة بدرية وابنتها الأميرة بدور وأدى التحية لهما وهو واقف عن بعد فسألته الملكة « من هؤلاء » ؟

قال عنبر « أيتها الملكة ، انهن نساء أعيان المدينة جئن للتحيـــة ولكى تتشفعى لهن » ·

قالت الملكة « لا بأس ، أجلسهن » · فأشار سمك الى لالا بما معناه أخرج الجوارى لأنهن يردن التحدث مع الملكة على انفـــراد ويخجلن من وجودهن · فخرجت الجوارى وبقيت الملكة وابنتها الأميرة بدور وعندئذ وقف سمك وخلع العباءة عن رأسه وفعل صابر وصملاد مثله ، ونظرت الملكة والأميرة واذا هم ثلاثة رجال بلحاهم فاســـتولى عليهما الرعب والخوف ·

سأل سمك لالا قائلا « أين طيراق » ؟

فأجابه « انه فى ايوان الملك يحتسى الخمر » ·

فقال له سمك « أسرع واحمل اليه كوبا من ماء الورد فاذا شربه فضع رأسك قرب أذنه واهمس له أن الأميرة بدور تدعوه اليها وتريد التحدث اليه » · فلما فعل لالا ما أمره به سمك جـاء طيراق ولالا يسير أمامه حتى وصلا الى حيث كان يقف سمك ومعه الآخرين وما كاد طيراق

يتنبه لهذا حتى كانوا قد قيدوه وطرحوه أرضا . وبعد هذا قال سمك « يا لالا ، اذهب للايوان وقل لأتباعه يذهبوا لتناول الشراب لان البطل طيراق يقول انه لن يذهب الى القلعة الا عند الفجر » .

ذهب لالا الى الايوان وأخبر أتبـــاع طيراق أنه في خلوة فخرجوا جميعا وانشغلوا في أمورهم لأنهم قالوا ان شربنا سكرنا ولن نستطيع السفر عند الفجـــر .

بعد أن أخلى القصر من أتباع طيراق قال سمك « يا لالا ، آن الأوان لنذهب الى ماه برى وخورشيد شاه » . فتقدم لالا وصحبه سمك الى أن وصلا للمكان الذى كانوا قد حبسوهما فيه مقيدين بينما بقى صـــابر وصملاد وزوجتا القصابين حراسا على الملكة والأميرة .

حين رأى خورشيد شاه سمك مقبلا عليه صاح صيحة فرح فقال له سمك « أيها الملك ، أى داع لهذه الصيحة ؟ » ثم فك قيده وقيد ماه برى . فأخذ خورشيد شاه يدعو له ويثنى عليه ويمدحه قائلا « سعدت أيهـــا الفتى ، عيار الدنيا وفخر الرجال ، لست أدرى ماذا أقول لك أو كيف أرد لك هذا الجميل الذى لو بقيت الى آخر عمرى أكافئك عليه لما رددت اليك بعض جميل هذا العمل وحده ، ولكننى أدعو الله أن يجزيك كل خير » .

زواج فى قصر الأعـــداء :

قال له سمك « أيها الملك ، ألم تخل بماه برى بعد » ؟

قال خورشيد شاه « لا » .

فقال له سمك « أخل بها هنا ، بل يجب أن تفعـــل هذا الآن ولا تخجل . أما هذا الجميل فيعود الفضل فيه الى لالا عنبر الذى دلنا وأرشدنا وكان نعم العون والنصير وهو الذى أعلمنا بوجودك واحضرنا اليك لننقذك من الســـجن ، ولولاه ما عرفت ما وقع لك » . ثم ذكر له كل ما جـــرى .

نظرت ماه برى الى سمك وقالت له « يا أخى ، ان هذا الخادم يشبه لالا صالح كثيرا » .

فأجابها سمك « وقد طلب أن يحل محله » فقالت ماه برى « بل اننى سأعزه أكثر منه » . فأدى عنبر التحية لها ، ثم أطلقوا عليه اسم صلاح .

بعد هذا قال سمك « يا لالا صلاح ، اطلب من زوجتى القصابين أن تقفا على باب الحجرة ريثما يختلى الملك بماه برى » ثم خرج ســـمك وجاءت الزوجتان فأخذ خورشيد شاه يد ماه برى واحتضنها ثم وضع يده على قفل الحب ففتحه وأطلق عنان الرغبة فى ميدان الأمل وسدد سهم الوصال فى ساحة السرور ، ففض الختم الالهى فى سعادة وحبور ، ونالا

ما كانا يصبوان اليه منذ سنين وشهور ، وعندئذ طلبت زوجتا القصابين ماء الورد من لالا صلاح فأحضره لهما وقامتا بسقى العروسين وخدمتهما كما جرت عليه العادة انذاك • وجاء سمك وهنأهما وبارك لهما ثم أمر فاغتسلا ثم جلسوا يتحدثون فى كل أمر حتى يأتيهم المدد والعون • وكان هذا المدد والعون هو حلول الليل الذى أخذ ينشر ظلمته فيسهل حركتهم ويخفى أمرهم •

حين جمع النهار ذيوله ، وأقبل الليل بخيوله واضعا القمر تاجا على رأسه ناشرا النجوم جنودا من حوله ، نهض سمك وقال « يا لالا ، علينا أن نذهب من هنا قبل عودة أتباع طيراق » ••

فقال لا « سوف أخرجكم جميعـــا عن طريق القصر » • ونهض الجميع وأمر سمك أن يمسك صابر بطيراق ، وأن يمسك صملاد بالملكة ، وأمسك هو بالأميرة وتقدمهم لالا وتبعه خورشيد شاه وماه برى وزوجتا القصابين وخرج الجميع من القصر وعندئذ قال سمك « يا لالا ، ليس من الخير أن نبقى فى المدينة بل علينا أن نذهب الى معسكرنا ولكن أبواب المدينة مغلقة الآن » • فقال له لالا « أنت أدرى بهذا » • وعندئذ اتجهوا الى بيتالقصابين حيث تركوا زوجتى القصابين هنـــاك ثم توجهوا الى سور المدينة ففك سمك وهقه وأنزلهم جميعا من فوق السور فيما عدا صابر وصملاد اللذين أمرهما بالعودة الى المنزل ليخبرا زوجتى القصابين بالمحافظة جيدا على مهران الوزير حتى يعود اليهم •

نزل سمك من على السور واصطحب خورشيد شـــاه وماه برى وبدرية وبدور وسار فى طريقه حتى لاح النهار واكتست السماء بالشفق الذهبى فوصل مع خورشيد شاه الى معسكرهم فارتفعت صيحات الجند قائلين « عاد خورشيد شاه » • وحملوا الخبر سريعا الى هامان الوزير الذى سار على قدميه ومعه ملكدار والأبطال وقدموا له التحية • وجـــاء خورشيد شاه الى ايوانه وجلس على عرشه بينما أرسل ماه برى ومعها بدرية وبدور زوجة أرمنشاه وابنته ولالا صلاح الى الخيمة الخاصة •

أمسك سمك بغل طيراق (١) فى يده وأبقاه بالمجلس بينما صعد خورشيد شاه وجلس على العرش فقال سمك « أيها الملك ، لماذا نبقى على طيراق ؟ فلنقتله » •

فرد عليه هامان الوزير قائلا « يا أخى ، ان هرمز فى أيديهـــم فلاتنس هذا » •

---

(١) الغل جمعه أغلال وهو القيد الذى يوضع فى الرقبة •

بعد ذلك أمر خورشيد شاه بدق طبول الحرب ثم ركب هو وبقية الأبطال خيولهم والنشوة تملأ قلوبهم والسرور يغمرهم وتوجهوا الى الميدان •

حين وصلت دقات طبول الحرب الى سمع أرمنشاه وكان في مجلسه قال « ماذا حدث حتى تتصاعد دقات طبول الحرب من معسكرهم • لقد كانوا بالأمس فى مأتم واليوم فى نشوة وسرور • لعلهم سيحاربون لانقاذ ملكهم » ثم أمر أن يتوجه جيشه أيضا الى الميدان ، فلما اصطف الجيشان أخذ النقباء فى تسوية الصفوف •

كان أول شخص يخرج من جيش خورشيد شاه ويدخل الميدان هو خورشيد شاه نفسه ، وقد امتطى صهوة جواد لايشق له غبار ، وتزين بأسلحة الاحتفالات والمسرات ، وأخذ يجول فى الميدان ويصول ويظهر ما لديه من فنون القتال • ثم تبعه سمك العيار وقد سحب طيراق ويداه مقيدتان خلف ظهره ، وعلقت الأغلال فى عنقه وأوقفه أمام خورشيد شاه فى مواجهة جيش أرمنشاه • وعندئذ قال أرمنشاه لابنه قزل ملك وشهران الوزير وبقية الأبطال » ان هذا الفارس يشبه خورشيد شاه ، ولكن مَنْ هو ذلك المقيد ؟

فقال أحدهم « انه يشبه طيراق » •

قالوا « كيف يمكن أن يحدث هذا » ؟ وانهار الجميع وظلوا فى دهشة وتعجب وخمدت أنفاسهم ولم يستطع أحد منهم أن يتحرك من مكانه حتى صاح سمك العيار قائلا « يا ملك منغوليا ، ويا أبطال الليل ، ويا كل من يعرفنى ومن لايعرفنى ، أنا سمك العيار ، وهذا الفارس الذى أمامكم هو أمير الدنيا خورشيد شاه صهر الملك فغفور ملك الصين الذى سرقتموه مع الأميرة ماه برى لتحملوهما الى قلعة الوديان الاثنى عشر ، لقد فشل سعيكم وكيدكم لأننى استعدتهما ثانية ، فهل تريدون أن تعرفوا كيف حدث هذا ؟ ان هرمز فى أسركم فأعيدوه الينا لأطلق سراح طيراق لتسألوه كيف ندبر الأمور ونخطط لها » •

حينما سمع أرمنشاه هذا الكلام اعترته رعشة وأمر بدق طبول الراحة وقال « لا يجوز أن نحارب اليوم » •

وعندئذ تراجع الجيشان وذهب خورشيد شاه الى مجلسه وجلس على عرشه وحضر الأمراء وأخذوا فى تناول الشراب •

فى الجانب الآخر ، ذهب أرمنشاه الى مجلسه حزينا ، ثم أمر أن يحضروا هرمز ويخلعوا عليه ويعيدوه • وعندما عاد حملوه الى خورشيد

شاه فأدى التحية ولاطفه خورشيد شاه وأكرمه وأخذ يسأله عن ألم السجن • فرد عليه هرمز قائلا « أيها الملك ، باقبالك وسعدك تنتهى الأمور بسلام » • فأمر سمك أن يطلقوا سراح طيراق فى الحال ويعيدوه الى معسكره •

قال سمك لخورشيد شاه « ان الله ييسر الأمور لك ، ولولا وجودى فى المدينة لكان الأمر أكثر تعقيدا وصعوبة ، ولهذا عليك باليقظة والحيطة فان الجرة لا تسلم فى كل مرة • وقال الشـــاعر هذين البيتين فى هذا المعنى :

قلت لها مائة مرة يا حسناء الطبع والخلقة
ان ساحل النهر صخرى فحافظى على الجرة
ما أكثر الجرار التى يحملنها فى حبور ومسرة
ثم يرجعن باكيات وقد كسرنها على صخرة

أيها الملك ، يجب أن يكون الملك مدعمــا بالرأى القويم والتدبير السليم ، وعليك الآن أن ترتب أمر الجيش لأننى عائد الى المدينة للبحث عن لهيب وورد وينال والأخوين القصابين والرجل الذى دبر لنا هذه الأمور ، فان عدت فسأكون فى خدمتك والا فالوداع » •

كان الثعلب الفيلم يجلس الى جانب العرش فقال له سمك العيار « وداعا أيها الأستاذ ، اننى ذاهب الى ذنب الأفعى ، واياك أن تنسانى فقد كنت لك نعم التلميذ واننى أحذرك من ترك خورشيد شاه أو التحول عنه ، وأرجو أن تؤدى له ما يستحق فهو نعم الملك » • وبعد أن قال هذا أخذ يحتضن الموجودين مودعا حتى جاء الى فرخ روز فقال له « أيها الفتى وزينة الدنيا ، كن يقظا حذرا لأن خورشيد شاه تزوج ماه برى وسيكون ليل نهار منشغلا بها فهذا شأن الرجال قبل أن يلامسوا النساء يكونون لأنفسهم فاذا اتصـــلوا بهن لايتذكرون غيرهن ولا يدرون عن أنفسهم شيئا خاصة وأن خورشيد شاه ملك وشاب ، وأمر الملك لايستقيم مع الضعف والوهن • ومع أن هامان الوزير أعقل العقلاء وأبصر الوزراء فى تدبير أمور الملك واقامة شأن الرعية الا أن أمر الحرب شىء آخر » • ثم سلم على الجميع وودعهم وخرج متوجها الى مدينة منغوليا •

لقد سرقوا الملكة والأميرة :

أما فى الجانب الآخر فان طيراق ذهب الى مجلس أرمنشاه وأدى له التحية فلاطفه الملك وأكرمه باجلاسه أمامه وأخذ يسأله عن أحـــواله ، فانطلق طيراق فى الكلام وقال « أيها الملك الهمام ، حينما ذهبت الى المدينة بقيت فى الايوان حتى يحل الظلام فأذهب الى قلعــــة الوديان ، وفجأة جاء لالا عنبر وقال انهم يريدوننى فى جناح الملك الخاص ، ومع

أن ذلك مما يخرج عن الأدب أن أتجرأ على دخول ذلك الحرم ، الا أنه كان الخادم الخاص الذى لم يكن من اطاعة أمره مناص ، فدخلت مع الخادم خلف الأستار ولم أكد أتقدم بضعة أمتار حتى وجدت نفسى مقيدا وكان سمك ومعه اثنان أو ثلاثة واقفا » . ثم تحدث عن خلوة خورشيد شاه وماه برى ودخلتهما فى قصره ، ثم أسرهم للملكة والأميرة كما سمعها أو شـــاهدها .

حين سمع أرمنشاه هذا صاح من أعماقه وألقى التاج من على رأسه ، وشق قزل ملك ملابسه وأخذ فى البكاء ثم مد يده وسحب خنجره ليقتل نفسه ، فأمسك شهران الوزير يده وقال « أيها الأمير ، وما الفائدة الآن ان قتلت نفسك ؟ لقد وقع الخطب ولكن يمكن تدبيره بالصبر » .

كان خاطور وكانون وكافور واقفين حزانى مغمومين ، يعضـــون أصابع الندم من أجل عمل حققوه فى عشرات الأيام ثم ضاع فى ساعة من الزمان ، ولكن كانون قال « أيها الملك ، اننى أتحسر على أننى لا أعرف سمك شخصيا ولم أره والا لأمكننى بالحيلة أن أوقع به فهو الذى يثير كل هذه الفتن » .

بينما كان كانون فى حديثه وصل الخمسون فارسا قادمين من المدينة وهم الذين كانوا سيرافقون طيراق ليحملوا خورشيد شاه وماه برى الى قلعة الوديان الاثنى عشر وحين دخلوا مجلس الملك وجدوا طيراق جالسا أمامه فقالوا « أيها الملك ، بينما كنا ننتظره فى قصرك استدعاه لالا عنبر ثم أخبرتنا الجوارى أن البطل طيراق والملكة والأميرة وخورشيد شاه وماه برى ولالا عنبر قد اختفوا فجئنا لنخبرك بهذا » .

كان أرمنشاه يعض ظهر يده من الغيظ والكمد ، وكان قزل ملك يثور ويفور بينما كان الأبطـال فى حزن وضيق الى أن قال أحـــدهم « لقد أخذوا مهران الوزير أيضا » . فقال أرمنشاه « ليته لم يكن أصلا فى هذه الدنيا ولم نره لأن هذه الأحداث والفتن من صنعه وتدبيره ، والا ما هو شأننا مع ماه برى ؟ فمنذ شاعت قصة الأميرة ونحن نعرفها ولم تكن لنا بها رغبة ، ولكن تحريضه وزرايه كانا سببا فى خـــراب الدنيـــا » .

قال شهران الوزير « أيها الملك ، لقد انقضى الأمر ، والرأى أن نتدبر فيما سنفعل لأن كل هذه الفتن والحروب كانت ومازالت من أجل ماه برى ، ولما كان خورشيد شاه قد تزوجها ودخل بها ووصلا لمرادهما فان طلبنا لها صار صعبا بل غير لائق . وحينما كانت بكرا كان من الجائز طلبها قبل أن يمسها رجل لأن النساء كالجواهر ، تكون نفيسة

مالم تثقب ولم تصل اليها يد أى غواص حيث تكون قد نمت وترعرعت فى قاع بحر ربانى ، ولهذا تبحث عنها كل الدنيا ويطلبها الناس لعلهم يعثرون على مثل هذه الدرة النادرة وحين تقع فى يد الغواص ويقضى الرجل وطره منها تصير كقطعة من الفخار • وحتى ولو كانت من الحور العين القادمات لتوهن من الفردوس فان فى امكان قزل ملك أن يختار أجمل منها وأكثر منها أصالة لأنها طالما صارت امرأة فان طلبها والرغبة فيها تصير غير لائقة خاصـــة وأنها زوجة ملك • وهل لعاقل أن يطلب زوجة ملك ؟ ان البحث عنها أمر غـــير مقبول ولا يرضى به أى عاقل أو حكيـــم •

والشىء الثانى ـ أيها الملك ـ أن أم قزل ملك وأخته معهم الآن ، والحل أن نرسل اليهم رسولا يحمل مالا كثيرا ونستعيد منهـــم الملكة بدرية والأميرة بدور ، وان أذنت فأنا على استعداد للذهاب بنفسى والسعى فى اغرائهم بالمال وانجـــاز هذه المهمة وحينما نستعيد الملكة والأميرة فآنذاك ننظر فيما يجب عمله بعد ذلك » •

قال الملك أرمنشاه ؟ أصبت فى كلامك ، افعل ما ترى » •

أنتم بهديتكم تفرحون :

أمر شـــهران الوزير باعداد مائة فرس عربى مطوق مع عدتهـــا وجهازها ، ومائة غلام صبيح مليح باحزمة من الذهب ، ومائة صرة من الدنانير ، أخذها الوزير ليذهب بها الى معسكر خورشيد شاه وعندئذ تقدم كانون الى الوزير وأدى التحية وقال ؟ أيها الوزير ، اننى أريد أن أكون فى خدمتك حتى أستطيع أن أرى سمك العيار وأتعرف عليه لكى أدبر حيلة للايقاع به » فقال له شهران الوزير « لا بأس » •

بينما كانوا يعدون لذهابهم اذ بطبول الحرب تأتى من خلف معسكر أرمنشاه فقال « انظروا من هؤلاء » • ولكن شخصا دخل المجلس وقال « أيها الملك ، انه البطل أرجلك من بطاح خورجان جاء ليلتحق بخدمتك وهو يقود ثلاثين ألف فارس ومائتين وستين فيلا لا يوجد لها مثيل فى أى مكان الا فى بطاح خورجان » •

حين سمع أرمنشاه هذا الخبر ، غمره الفرح والسرور وأمر أن يخرج الجيش لاستقبالهم وأن يحضروا البطـــل أرجلك الى مجلسه • وما أن وصل القائد حتى قدم التحية لأرمنشاه وأتبعها بالثناء • فلاطفه الملك وأكرمه وأجلسه أمامه على العرش وأخذ يسأله عن الطريق ومشقته ، ثم انتقلا للحديث عن كل أمر وشأن ، وكان أرجلك يتعجب من أفعالهم وأعمالهـــم •

كان شهران الوزير قد رحل ووصل الى معسكر خورشيد شاه ، وكان هرمز وشروان الحلبى على طليعة الجيش فشاهداه وعرفاه وترجلا عن فرسيهما اكراما له وتحية ، ثم سألاه عن الملك أرمنشاه وابنه قزل ملك · وسألهم بدوره عن أحوال خورشيد شاه والملك فغفور ثم قال لهما « أيها البطلان ، أخبرا الملك اننى جئت للقائه ومعى رسالة من أرمنشاه فان أذن ذهبت الى مجلسه » · فتركه هرمز فى معية شروان الحلبى وذهب الى مجلس خورشيد شاه وأدى له التحية وقال « أيها الأمير ، جاء شهران الوزير ومعه رسالة من أرمنشاه فبماذا تأمر ؟ هل يأتى لخدمتك ؟ » ·

فقال هامان الوزير « أيها الملك ، لما كان شهران الوزير قد حضر فاحترمه وأكرمه لأنه رجل أصيل عريق ومن أهل العلم » ·

أمر خورشيد شاه أن يزينوا المجلس بالأقمشة المشغولة بالذهب ووضع عرش ملكى وكرسى فضى وآخر ذهبى واظهار مكان الأبطال ووقف الغلمان فى صفين أو ثلاثة ، كما أمر أن يصطف النقباء والأتبـاع فى أماكنهم ، وأن يذهب جميع الخاصة لاستقبال شهران الوزير ويصطحبوه فى اعزاز واكرام حتى المجلس » ·

رأى شهران هذا الاستقبال وتلك الزينة الملكية فأدى التحية وقبل الأرض أمام العرش ، وكان يقدم التحية كلما سار بضع خطوات ثم يثنى على خورشيد شاه ويمتدحه ، ونهض هامان الوزير وأخذ بيده وصعد به الى العرش وأجلسه الى جواره وأمر فى الحـال أن يحضروا ماء الورد فشربوا ثم مدت الموائد فطعموا كما هى عادة الملوك · وحين انتهوا من الطعام أعدوا مجلس الطرب وأخذ المطربون فى غناء أعذب الألحان ، وكان السقاة يدورون عليهم بكئوس المدام الى أن أشار خورشيد شاه الى هامان الوزير أن يسأله عما يحمل من رسائل · فقال هامان الوزير « يا شهران ، ان الملك يأمر ان كانت لديك رسالة فاذكرها أو قدمها » ·

وقف شهران الوزير وأدى التحية ثم قال « أيها الأمير ، ان أرمنشاه يبلغك السلام ويقول انه لم تكن بيننا ولا بين آبائنا خصـومة أو حرب أبدا الى أن كانت هذه الحرب بسبب ماه برى · وقد صارت من نصيبك ، ولهذا يجب أن تطوى هذه العداوة التى هلك بسببها كثير من الخلق · كما أن أم قزل ملك وأخته أخذهما سمك العيار · ومن القبيح سرقة زوجات الملوك وبناتهم واحضارهن أمام الغرباء · وعلى أية حال فقد حدث هذا ووقع وقد أرسـلنى لأشرب ماء الورد معكم وأعتذر لكم » ثم أخذ يعرض ما حمله من هدايا ·

بعد أن استمع خورشيد شاه لما ذكره شهران الوزير ورأى الهدايا التي قدمها ، رفع رأسه وقال « أيها الوزير ، هل يذكر هذا الكلام رجل

عاقل مثلك ؟ وهل للملك أن يبعث مثل هذه الرسالة ؟ هل على هذا النحو تشاور المقربون والندماء عندكم ورتبوا الأمور ؟ واذا كانوا لايدركون هذه المعانى فأنت رجل ذو كفاية وعلم ودراية ، أفلا تعلم أنكم لم تقدموا أى عمل طيب ولم تقوموا بفعل خير ؟ لقد فعلتم كل ما فى قدرتكم من شر ، أخذتم ماه برى من القلعة الشاهقة وسجنتموها فى قلعة الفلك الى أن أعادها لنا الله مع كل ما كان بالقلعة من كنوز ٠ ثم سجنتم أبطالى مع أننى بعثت بهم كرسل وسفراء ٠ ثم أرسلتم رجلا حفر نقبا وأخذتمونى مع ماه برى على أمل أن ترسلونى الى قلعـــة الوديان الاثنى عشر ، وقد نجانى الله وحفظنى اذ كان سمك بالمدينة فأخرجنا منها والا لما قصرتم أو توانيتم عن الاساءة لنا ٠ ثم تقولون ان نســـاءكم لا يجب أن تقع عليهن أعين الغرباء ، بينما ماه برى ليست أختا لكم أو زوجة لأحدكم بل غريبة عنكم فهل نساؤكم لايشاهدن ونساؤنا يعرضن على الملأ ؟ أهذا عمل العقلاء ؟ ثم انكم لن تغيروا طريقنا ولا هدفنا بواسطة المال ، فاحمل هذه الأموال وأعدها الى أرمنشاه وقل له ان أردت أن نعيد اليك زوجتك وابنتك وأن نعود نحن من هنا وكأننا لم نرك وكأنكم لم ترونا ، فعندكم خمسة من رجالنا أعيدوهم الينا حتى نعيد اليكم نســـاءكم ، والا فعندك النقابون ، فمرهم بعمل الأنقـــاب ليستعيدوا زوجة الملك وابنته اللتين لم آمر بتقييدهما ولم أرسلهما الى قلعـــة من القلاع بل أجلستهما مع زوجتى ماه برى » ٠

بينما كان خورشـــيد شاه فى هذا الحديث اذ بدقات الطبـول تتصاعد ، وحدثت ضجة فى المعسكر فقال الأمير « انظروا من هؤلاء » ٠ ودخل سام البطل وأدى التحية وقال « انه أرمن البطل من أقارب الملك فغفور قادم لخدمة الأمير ومعه جيش جرار من الصين » ٠ فأمر خورشيد شاه باستقبالهم ٠ وكان سبب مجيئهم أنه حينما وصلت رسالة هامان الوزير الى الملك فغفور والتى جاء بها أننا هزمنا جيش الأعداء ولكنهم أخذوا ماه برى ونحن ذاهبون لاستعادتها كان الملك فغفور قد جمـــع جيشا وأرسله الى خورشيد شاه ، والتقى هذا الجيش فى الطريق بسورة الحلبى وعلموا منه أن الأعداء اختطفوا خورشيد شاه أيضا ٠ وقد سار هذا الجيش حزينا الى أن بلغه خبر عودته سالما ففرح كثيرا وسار متوجها الى معســـكره ٠

بعد أن أمر خورشيد شاه جيشه باستقبال الجيش القادم ؛ أمر أن يخلعوا على شهران الوزير ويردوا اليه تلك الأموال التى أحضرها كهدية ٠

بينما كانت هذه الأحداث تجرى فى المجلس ، كان كانون يقف بالباب عند حراس الخيول وكان يسأل الخدم والحجاب عن قصة خورشيد

شاه وماه برى وكيف أخذوهما ثم كيف تمكنا من العودة والرجوع الى المعسكر • وكان كل شخص يقول ما يعتقد أنه الصواب •

فقال أحدهم ان الله شاء أن يعيدوهما فى الليل مع زوجة الملك أرمنشاه وابنته • وقال آخر ان لالا عنبر اتفق مع سمك العيار وهما اللذان قاما بهذا العمل العجاب • فسألهم كانون « وأين هو سمك من بين هؤلاء الواقفين » ؟

أجابوه « انه رجل لا يأبه بالزينة ، فلديه أسرار دفينة ، وهو لايأتى أبدا الى محفل أو جموع غفيرة » • وقال غيرهم « انه لبعض الأعمال ذهب الى المدينة » • فعلم كانون أنه هناك • وفى هذا الوقت كان شهران الوزير يخرج من المجلس وقد ارتدى خلعة ثمينة ، ووضع رجله فى الركاب استعدادا لرحلة الاياب مع ذلك المال والهدايا التى كان قد أحضرها لخورشيد شاه •

فى الجانب الآخر ، دخل أرمن البطل مع ضرام مجلس خورشيد شاه فى سرور وسعادة ، لأنهما كانا قد علما أنه عاد الى معسكره فى يمن واقبال • وحين وقف البطلان أمام عرشه قدما التحية وقبلا الأرض فلاطفهما خورشيد شاه وأخذ يسألهما عن الملك فغفور فقالا « ان هامان الوزير كان قد بعث اليه برسالة يخبره فيها بعودة الأمير الى معسكره محفوفا بالأمان والسلامة » • ثم أخذوا يتناولون الشراب ويحتسون المدام •

عاد شهران الوزير الى ارمنشاه وهو حزين فسأله الملك « ولم أعدت الأموال » ؟ فأخبره شهران بما كان من رد خورشيد شاه عليه • فقال الملك « لقد صدق فيما قال ، نحن الذين أخطأنا ثم ألقينا تبعة الأخطاء عليهم » •

فقال الوزير « أيها الملك ، لقد حدث ما حدث ولم تعد هناك وسيلة أو داع للسكوت فقد وصلهم جيش من الصين كما جاءنا المدد أيضا • والرأى أن نستعد للحرب ونصطف للقتال لنرى لمن يكون النصر » •

قال قزل ملك « يا أبتاه ، ليس هناك أفضل من الحرب ، ويجب علينا أن نضرب بالسيف حتى يتضح الأمر » •

قال الملك « استدعوا نقباء الجيش » • فلما حضروا قال لهم « أخبروا الجند لكي يستعدوا للحرب غدا » •

بينما كانوا يعدون الجيش ، أدى كانون التحية وقال « أيها الملك ، اننى ذاهب الى المدينـــة لعلى أستطيع القبض على سمك لأنه ليس فى المعسكر وقد ذهب الى هناك » • ثم تركهم وخرج فى طريقه للمدينة •

حين انتهى عمر النهار ، وجمعت الشمس أشـــعتها لترحــــل ، واستسلمت لظلمة الليل التى حلت محل ضـــياء النهـــار ، خرجت الطلائع من الجانبين وظلوا يتخذون كافة الاحتياطات حتى طلع النهار من جديد واستقرت الشمس على عرشها اللازوردى ، وتفتحت الورود فى بهجة كأنها فى عيد ، واذا بطبول الحرب تتصاعد من جديد من ناحيــة جيش أرمنشاه ، واتجه الجند الى الميدان ووصلت دقات الطبـــول الى آذان خورشيد شاه فأمر أن يتجه الجيش الى ساحة المعركة ، وتصاعدت فى المعسكر أصوات الأبواق النحاسية والنايات والنفيرات الحربية ، وتقدم الشجعان الصفوف وتأخر الجبناء من شدة الخوف ، وأخذ النقباء يسوون الصفوف على شكل ميمنة وميسرة وقلب وجناحين وساقة وفجأة برز فارس من جيش خورشيد شاه أخذ يصول ويجول ويقوم بألعـــاب الأبطــــال •

سأل خورشيد شاه « من هذا » ؟ قالوا « انه البطـــل أرمن » • فأثنى عليه وأضاف أنه لم يسترح بعد من عناء السفر ولكنه برز من أجـــلى » •

صاح أرمن طالبا ندا للمبارزة فخرج له البطل أرجلك صائلا جائلا وانطلق بفرسه في الميدان وقد لبس جوشنا دقيق الزرد ذهبى اللون ، ووضع على رأسه خوذة عادية ولكنها مكللة بالجواهر الغاليـــــة ، وقد تمنطق بحزام صيد وجعل فى منكبه قوسا خوارزمية وحمل كل ســلاح الحرب فى تنسيق واستعداد ، وكان يركب فرسا أبلقا ، فلما التقيا سأل كل منهما خصمه عن نسبه • ومع أن حصانيهما كانا كالجبلين الا أن كعبى رمحيهما كانا يجران على الأرض خلفهما لطولهما •

قال البطل أرمن « من الحسن أننا وصلنا حديثا ولم نحارب من قبل فأرنى ما عندك من فنون القتال » •

أجابه أرجلك البطل « نعم ما قلت » • ثم انتزع كل منهما حربته وأخذا يتطاعنان بهما حتى تقصف رمحاهما وتمزق درعاهما ولم يظفر أحد منهما بالآخر ، فألقيا الرمحين واستلاسيفين يبرقان كالماس وتحتبس من رؤيتهما الأنفاس وهما كما قال الشاعر :

ولهالة الأسياف حين تلألأت   قد شابهت ألوانها قوس القزح
وحكى الحسام بطوله وبلمعه   شمسا تشع وزندها حقا قدح

لو أبصر الرائى مقاتل ماصرع   فالعد ألف فى الثرى ممن ذبح

فلما استلا سيفيهما وجعلا الدرق على رأسيهما وأخذا يتبادلان الضرب على فرقيهما تكسر السيفان وانشطرت الخوذتان ولم يظفر أحـد منهما بالآخر شدا عنانى فرسيهما وجعلا بينهما مسافة كبيرة ثم تناولا قوسين قبضتهما من العاج ، وأخذا السهام من الجعاب ، حتى أفـرغ كل منهما ما فى جعبته ولم يصب أحدهما الآخر ولو بسهم • فأطلقـا لفرسيهما العنان وتناول كل منهما السنان ، واشتبكا فى أشـد نزال حتى أن الفرسين لم يحتملا ما بذله البطلان من قوة وعنف فسقطـا على الأرض ، ونهض البطلان فى خفة وسرعة وسحبا خنجريهما من وسطيهما وهجـم كل منهما على خصمه فى عنف وانفعال بعد كل ذلك القتال وفجأة سدد كل منهما ضربة الى جنب صاحبه كانت هى القاضية ، سقطا بعدها مضرجين بالدماء وفارقا الدنيا الدنية •

حين رأى الجيشان هذا المشهد ارتفع ضجيجهما ، واندفع بطل اسمه سحاب من جيش خورشيد شاه وطلب مبارزا فخرج له من جيش أرجالك المقتول رجل اسمه هور وهو ابن أخ أرجلك • وتقدم نحو سحاب وصاح فيه « أيها الأدنياء السيئون ، من أنتم حتى تقتلوا بطـلا مثـل أرجلك ليس له مثيل فى الدنيا وهو أفضل من ملككم مائة مرة ، والحمد لله أنه قضى على قاتله وعلى الآن أن أقتل منكم بطلا لقاء كل شعرة من شعر رأسه»• قال هذ واندفع تجاه سحاب الذى قال له « يا عديم الأصل يا ابن الحرام ، أمثلك ينطق اسم ملكنا على لسانه ولديه مثل أرجلكم هذا مائة ألف حارس للكلاب ؟ » ثم اندفع بدوره صوب هور ولم يدعه يتحرك اذ عاجله بحربة سددها الى صدره فخرجت من ظهره وجعلته يسقط على الأرض ومات فى الحـال •

صاح سحاب طالبا غيره للمبارزة ، فجاءه رجل الى ساحة القتال فقضى عليه ، ثم دخل ثالث فالحقه بسابقيه وهكذا كان يفعل بكل من يتقدم اليه حتى قتل سبعة عشر رجلا وتصاعدت صيحات الضجر والحزن من جيش أرمنشاه •

انتفض قزل ملك وتقدم الى أبيه وأدى التحية وقال « يا أبتاه ، ان هذا الأمر يتعلق بى ، فان كل هذه الفتنة والحروب وقعت بسببى ، وقد قتل من قتل ، ومازال القتل مستمرا لأننى أريد ماه برى ، وأرغب الآن فى الدخول الى ساحة القتال وأطلب خورشيد شاه للنزال فان ساعدنى الحظ تغلبت عليه وجعلت جيشه هباء ، والا فسألقى الهلاك على يديه ، وآنذاك لن يلومنى لائم لأن عشق ماه برى سيدفن معى • وهذا الأمر لن يتعدى هذين الاحتمالين اما أن أقتل واما أقضى عليه ، والا فاننى سأتخلص من

روحى اذ لم أعد أحتمل شدة الوجد والحب ، كما لا أستطيع تحمل كل هذا الذل والهوان » .

أمسك أرمنشاه بابنه قزل ملك وقال « يا بنى انك لا تدرك ما تقول، ولا تلق بنفسك الى التهلكة ، ولا تقدم على أمر تندم عليه ولا فائدة منه ، فابق فى مكانك الى أن يدخل الجيش المعركة ويقدم الجند أرواحهم فداء لك ، واذا فنى الجيش كله فذاك أحب الى نفسى من أن تمس شعرة من شعر رأسك ، فالجيوش جعلت لتحمى الملوك من أن يذلوا ومن أجل يوم كهذا يجعلون أرواحهم درعا لملكهم » . « وأخذ يحدث قزل ملك على هذا النحو كثيرا .

لم يقبل قزل ملك كلام أبيه وقال « يا أبتاه ، انك لا تحس بما أعانيه وبما لم أعد أطيق احتماله » . ثم انطلق الى ساحة القتال على فرس عربى كأنه صخرة قدت من جبل ، أو كأنه الريح والماء والنار ، وأخذ يصول ويجول ويزأر الى أن جاء الى سحاب وصاح فيه « أيها الحقير ، هل ظننت أنه لم يعد فى الدنيا رجال حتى انتفخت هكذا ؟ أرنى ما لديك من شجاعة حتى ترى طعن أسنه الرجال » .

قال هذا وتقارش رمحاهما وتبادلا الطعنات حتى تقصفت الحراب فألقياها ثم استلا سيفيهما المسمومين وأخذ كل منهما يضرب مفـــرق الآخر حتى حمى القتال بينهما وانفعل قزل ملك وقال لنفسه « ماذا حدث لى حتى أقضى كل هذا الوقت فى قتال هذا الرجل ؟ » ثم شب على سرج فرسه ورفع سيفه وهوى به على مفرق رأس سحاب الذى سارع الى رفع درقه فوق رأسه ولكن السيف هوى عليه فشطره نصفين ثم أصاب مفرق سحاب وغاص فى رأسه حتى حاجبيه فسال الدم على وجه سحاب الذى أظلمت الدنيا فى عينيه فانطلق هاربا من الميدان .

حين رأى قزل أن سحاب فر من أمامه ، تقدم حتى وقف أمام قلب جيش خورشيدشاه وقال « يا خورشيد شاه ، لماذا كل هذه الحرب والقتل ؟ هل لأننا نريد ماه برى ومن أجـــل هذا قتـــل عده آلاف من الخلق ؟ وان لم يكن من أجل ماه برى ، فمن أين أنا ومن أين أنت ؟ واذا كان قد حدث ما حدث وقضينا عاما فى هذا البلاء وتلك المحنة الا أن الآلاف مازالوا يعانون ويقاسون من جرائها . والآن فلتتفضل الى الميدان حتى نجرب بعضنا ونرى لمن يكون النصر وينجو هذان الجيشان من متاعبنا » .

الخصـــمان يقتتـــلان :

حين سمع خورشيد شاه هذا الكلام نزل عن فرسه وقال « احضروا سلاحى كى أدخل الى ساحة القتال وأرد عليه لأنه لم يرنى فى النزال » .

تقدم أخوه فرخ روز وأدى التحية وقال « أحذر أن تقدم على هذا العمل ، ولا تكن خفيف العقل مثل قزل ملك ، ومادمنا ــ نحن عبيدك ــ معك فاننا لن ندعك تذهب للقتال حتى لا يصيبك مكروه • ألا تذكر أنني في حلب وضعت يدى على صدرى وأقسمت وتعهدت أن أتقدم عليك فى كل بلاء أو شر وأفديك بروحى حتى اذا حدث سوء أو ضراء كنت أنــا المصاب الذى يفديك وتعود أنت سالما ويخلد اسمى فى الدنيــا عنـوانا للوفاء • أنت تعلم أن ما أقوله هو الحقيقة ، والدليل عليه ما حدث لى من وقوعى فى يدى المربية الساحرة وأنه لو كنت أنت الذى وقع فى يديها فان مائة ألف مثلى لم يكن فى استطاعتهم تدبير وسيلة لانقاذك أو نجاتك » •

قال خورشيد شاه « أخى العزيز ــ أسـعدك الله ــ دعنى أدخـل الميدان وأقاتل قزل ملك لأنه طلبنى فقد وقع الدور على » •

قال فرخ روز « ان الأحداث تقع للأمراء ولكن أتباعهـــم يجودون بأرواحهم من أجلهم •

فقال خورشيد شاه « هو هذا كما تقول ، ولكن دعنى أدخل الميدان هذه المرة » •

أجابه فرخ روز « قسما بتراب قدميك وقدم مرزبان شاه لا أتركك » • ثم انطلق بفرسه فى الميدان حتى وقف فى مواجهة قزل ملك •

حين رآه قزل ملك ظن أنه خورشيد شـاه فاعترته رعشة ورجفة ولكنه صاح فيه وأشرع اليه حربته ، وظلا طويلا يتطاعنان بالرماح حتى تمكن قزل ملك من تصويب حربته الى صدر فرخ روز الذى رفع درقه ليردها ولكن قزل ملك كان خبيرا بالقتال فحرف سنان حربته وطعن بها ساق فرخ روز طعنة اخترقتها وأصابت بطن الحصان ، فتألم فرخ روز من هذا الجرح وأصابته اغماءة ، فلوى عنان فرسه وانطلق منهزما فصاح فيه قزل ملك قائلا « أيها الملك لم يكن هذا اتفاقنا ، أبمثل هذه الشجاعة أقمت الدنيا وأقعدتها ؟ أين المفر ؟ وان ذهبت اليوم فغدا سيلحق بك ما لحق بك اليوم » •

صاح فرخ روز « أنا لست الملك ، بل أنا فرخ روز عبد الملك » ثم غادر الميدان فظل قزل ملك فى مكانه متعجبا يتحسر وقال « ظننت أننى قد اصطدت الملك وأوقعته فى الشرك ولكن خاب ظنى » •

كان قزل ملك فى الميدان يفكر فيما حدث بينما رأى خورشيد شاه أخاه فرخ روز وهو يخرج من ساحة القتال ويعود منهزما ، فطلب سلاحه فأحضروه له وجلس على ركبتيه وفتح حقيبة سلاحه وأخرجه ثم لبس

اثنتى عشرة طبقة من الحرير الصينى حتى تدفىء جسمه ، ووضع جوشنا دقيق الزرد وأربع عشرة قطعة من السلاح ، وجاء الخدم بحصان لو أردنا وصفه فاننا نحتاج الى خمسين مجلدا ، ثم وضع خورشيد شاه قدمه اليسرى فى ركابه واعتلى صهوته وتوجه للميدان وهو يصيح ويجول حتى صار فى مواجهة قزل ملك ٠

نظر قزل ملك الى قده وطوله ، والى فرسه وسلاحه وعتاده ثم قال له « أيها الرجل الحر ، ان كنت رجلا فقل لى ما اسمك » ٠

أجابه خورشيد شاه « أيها الجاهل ، هل تسأل الشمس عن دليل ؟ أو هل يمكن أن تطمس عين الشمس بالطين ؟ ان الحقير هو الذى يشعر بالعار من اسمه ٠ اسمى خورشيد شاه بن مرزبان شاه ملك حلب والشام والشامات والعراق وخراسان وفارس وبغداد ومازندران ، والرجال لا يخفون أسماءهم ، فان كنت رجلا فهات ما لديك بعد كل هذه الحركات والقفزات فقد أردت نزالى وها قد جئتك » ٠

حينما رأى قزل الأمير خورشيد شاه بكل هذه الهيبة والشجاعة قال له « أيها الملك ، أتسمح لى بأن أستبدل حصانى لأنه وهن من كثرة القتال ؟

فرد عليه خورشيد شاه بقوله « لا بأس » ٠ فعاد قزل ملك ليستبدل حصـــانه ٠

يقول مؤلف القصـــة وراويهـــا « ان ماه برى قالت ذات يـوم « يا لالا صالح ، اذا خرج خورشيد شاه يوما للقتال فاخبرنى لأننى أزيد مشاهدته » ٠ ولهذا ذهب لالا صالح الى ماه برى وقال « أيتها الملكة ، ان الملك فى الميدان » ٠ فقالت له « اذهب وقل لهامان الوزير ان ماه برى تريد مشاهدة الملك أثناء القتال فهل تأذن لها » ؟

جاء لالاصلاح الى الوزير هامان وأدى التحية وقال « أيها الوزير ، ان ملكة الدنيا تريد مشاهدة كيف يقاتل الملك » ٠

أى عاقل :

أجابه هامان الوزير « ان أى عاقل لا يعطى مثل هذه الموافقة أبدا لأنه لا يجوز والجيشان متواجهان أن تجلس هى فى المهد وتسير بين صفوف الجند ، ولا شك أن كل شخص سوف يتطلع اليها ويشاهدها ، وهذا ليس بحسن ولا أقبله كما أننى لا أتحمل عتاب الأمير » ٠

عاد لالاصلاح الى ماه برى وأخبرها برد الوزير فتضايقت الأميرة ولكن لالا صلاح قال لها « أيتها الملكة ، ان شئت أخذتك لمشاهدة القتال ، فانهض لنرتدى سلاح الرجال ونمتطى الخيل ونذهب الى أطراف المعسكر

ونشاهد الملك » • ففرحت ماه برى وقامت وارتدت ما يرتديه المقاتلون من ملابس وسلاح ثم ركبت وذهبت مع لالاصلاح الى أحد أركان الميدان •

شاء الحق تعالى وتقدس أن بدرية زوجة الملك أرمنشاه وابنته بدور كانتا فى خيمة ماه برى دون قيد أو حراسة لأن ماه برى كانت معهما طول الوقت ، فلما شاهدتا أنها ذهبت مع لالاصلاح وتركتهما وحيدتين ، كما أن جميع من كان بالمعسكر ذهب للتفرج ، قامتا ولبستا السلاح تماما كما فعلت ماه برى أمامهما ، وخرجتا ومشتا الى أن وصلتا الى معسكرهما ، ولكن نتيجة للضجة والصخب والحالة التى كانت موجودة آنذاك فان أحدا لم يهتم بهما أو يبحث عنهما حتى وصلتا الى جيش أرمنشاه سالمتين •

حين رأى الخدم زوجة الملك وابنته وقد عادتا ، فرحوا ونقلوا الخبر الى الملك الذى سر به كثيرا وغمره الفرح • وقد تصادف هذا مع اللحظة التى عاد فيها قزل ملك ليستبدل حصانه ، فسأله أرمنشاه بقوله « يا روح أبيك ، لماذا عدت » ؟

أجابه قزل ملك بقوله « ذلك الفارس هو خورشيد شاه ، وأعلم أنهم لم يروا حرب الأفيال ولا يعرفون قتالها • فمر لى بفيل أرجع به الى الميدان وأنازل به خورشيد شاه » • فأخبره أبوه أرمنشاه بنبأ عودة أمه وأخته • ثم أمر أن يختاروا فيلا من بين الأفيال ، فاختاروا له فيلا مقاتلا اسمه « العاصفة » ذا تجربة بالحرب ودربة ، وقد وضعت عليه الدروع ، وألبس خلاخيل الذهب فى رجليه ، وربط الى خرطومه عمود ثقيل ، وشد الى ظهره عرش عظيم جلس فوقه قزل ملك ورافقه عشرون حارسا وسائسا للفيل ، وقد لبسوا جميعا سلاحهم ومعهم النار والنفط بينما كان خورشيد شاه فى الميدان يستعرض ما لديه من فنون القتال •

اصطف الجيشان على الجانبين للتفرج ، ووقفت ماه برى ولالاصلاح فى أحد الأركان حتى عاد قزل ملك الى الميدان ، فلما رآه خورشيد شاه على هذه الحال يعود للقتال قال فى نفسه « لقد غدر ابن الحرام » • ثم أخذ ينظر الى الفيل وهو يقترب منه •

من حسن القضاء والقدر أن الحصان الذى كان يركبه خورشيد شاه سبق له أن واجه الأفيال واشترك فى قتالها ، ولهذا تقدم بجرأة نحو الفيل ، واندفع خورشيد شاه بشجاعة بينما كان أرمنشاه يشاهد ما يجرى فقال « يبدو أن خورشيد شاه سبق أن واجه الأفيال لأنه يتقدم نحو الفيل فى جرأة نادرة فما أعظمه من بطل » •

قال البطل طيراق « أيها الملك ، ان خورشيد شاه ليس من هؤلاء الأبطال الذين يمكن القضاء عليهم بالفيل اذ أنه بطل شجاع » •

أدخلوا فيلين آخرين الى الميدان فى كامل زينتهما وعلى ظهر كل فيل عشرون رجلا بالقسى والسهام والترس والنفط والنار ، وأحاطت الأفيال الثلاثة مع رجالها الستون بخورشيد شاه ، فاستولى الخوف على الحصان وأخذ يصهل من الخوف ، وحين رأى خورشيد شاه أن حصانه قد خاف سارع الى منديله وعصب به عينى الحصان ، ثم تقدم لقتال الأفيال فاندفع نحوه الفيل المسمى « العاصفة » رافعا خرطومه ليضرب رأس خورشيد شاه بالعود المربوط الى خرطومه ، فسارع خورشيد شاه بضرب الخرطوم بسيفه ليطيح به ولكن السيف اصطدم بالعمود الضخم فانكسر السيف ، فلكز خورشيد شاه فرسه وما كاد يندفع حتى لحق به فيل آخر فضرب خرطومه بسيف ثان كان معه فألقاه على بعد عشر خطوات .

وسقط الفيل بعد أن قطع خرطومه وأخذ يصيح مما أخاف بقية الأفيال فولت الأدبار وحاول مروضوها ايقافها بشتى الطرق ولكنهم لم يستطيعوا لأن عادة الأفيال أن تهجم هجمة واحدة وتشق طريقها ان استطاعت والا فانها تعود متوجهة الى الخصم وتقاتله من جديد . أما اذا جرح أحد الأفيال وسقط صائحا فان بقية الافيال تولى الأدبار ولا تثبت فى مكانها حتى ولو كان عددها ألفا .

لهذا فان خورشيد شاه عندما قتل ذلك الفيل فان بقية الافيال هربت منهزمة وعادت الى معسكرهم ، فقال شهران الوزير « افسحوا لها الطريق والا أثارت الذعر بين الجميع » ففتح لها الجنود ممرا بينهم سارت فيه ولكن مع هذا قتلت كثيرا من الجند أثناء اندفاعها حتى وصلت الى نهاية المعسكر واستطاع مروضوها وحفظتها السيطرة عليها بعد جهد وعناء .

فى الجانب الآخر قال خورشيد شاه لجنده « أدغروا (١) عليهم حتى تهزموهم » .

فقال له هامان الوزير « احذر أيها الملك أن يلتحم أربعمائة ألف فارس من كلا الجانبين فى القتال لأن هذا سيؤدى الى اختلاط الحابل بالنابل ، ولن يعرف عدو من صديق ، وقد يقتل مائة ألف من الخلق ، كما سيحل الدمار بكل شىء فلا تأمر بما ليس وراءه خير » .

بعد هذا الحديث أمروا أن تدق طبول الراحة ، فرجع الجيشان ونزل كل منهما فى معسكره ، وذهب شاهان الوزير الى مجلس الملك أرمنشاه ، بينما جهز القادة الطلائع وبعثوا بها خلد البقية للراحة .

---

(١) ادغروا — اهجموا . ومنها الدغرى وهى التقدم للأمام وهى عربية وليست دخيلة .

. نعود الى حديث سمك العيار وماذا حدث له فى مدينة منغوليا فيقول راوى القصة انه حينما عاد سمك من عند خورشيد شاه للبحث عن الأسرى وكل من فعل بهم هذا بالمدينة وكان صـــابر وصملاد فى بيت الأخوين القصابين يقومان بحراسة مهران الوزير فأخبرهما عن سبب مجيئه للمدينة وانه سيخرج الليلة فقالا له « خذنا معك لنكون فى خدمتك » . فأجابهما سمك العيار « أيها الرجلان الحران ، لقد جئت للبحث عن ورد والآخرين لعلى أجد اليهم سبيلا أو أعرف الذى فعل بهم ما حل بهم فكيف اصطحبكما ؟ ابقيا هنا وتتبعا أخبارى فان عدت صباح الغد فبها والا فاقطعا رأس مهران الوزير واحملاه الى خورشيد شاه وانبئاه بالخبر كى يبحث عنى حيا أو ميتـــا » .

رب صـــدفة :

قال هذا وبقى حتى المساء حين انتشر الظلام فقام وخرج وسار فى طريقه قليلا ثم حدث نفسه قائلا « كل يوم أسلك طرقا ملتوية غير مطروقة ، فلماذا لا أسلك اليوم طريقا رئيسيا لأن الطرق الملتوية لا توصل الى نتيجة ؟ ثم اتجه الى أحد الطرق الرئيسية وهو يتسمع ويتصنت حتى وصل الى زقاق وسمع صوتا فظن أن أحدا يطلب شيئا ، فتقدم الى أن وقف تحت نافذة فرأى امرأة تطل منها وقد أخرجت رأسها وتقول له « أيها الرجل الحر ، أين أنت ذاهب فى هذا الزقاق ؟ ألا ترحم روحك ؟ لعلك لم تسمع عن أفعال الأحمر الكافر » .

أجابها سمك « أيتها المرأة ، أنا رجل غريب ولا أعرف مكانا أقيم به والأبواب مغلقة وأنا مضطر للبقاء بالمدينة فاصنعى المعروف ودبرى لى مكانا أقيم به حتى لا يصيبنى مكروه » . فتوجهت المرأة الى الباب ففتحته وعندئذ قال لها سمك « أيتها المرأة ، من هو الأحمر الكافر ، وأين هو ولماذا يفر منه الناس » ؟

أجابت المرأة « أيها الرجل الحر ، أنت غريب ولا تعرف أن الكافر الأحمر كان رجلا لا يملك شيئا ، وكان عيارا قذرا ، دالج ليل ، فلما حدثت تلك الأحداث وجاء سمك الى هذه الولاية وقام بما قام به ، وأخذ سكينة ساقية الملك ، واقتحم السجن وحمل ابنى كانون ، استدعاه الملك وطلب شفاعته وطيب خاطره وأوكل له أمر المدينة وجعله يقسم على الطاعة له ، ولهذا فهو يطوف فى أرجائها يبحث عن سمك ، وهو الآن فى هذا الزقاق ، وقد رأيته فى الليلتين أوالثلاث الماضية وقد أمســك خمسة

أشخاص أثناء تجواله فى هذا الزقاق وحملهم الى داره لأن طريقه اليه يمر من هنا » .

قال سمك « يا أماه ، ألا تعرفين آين يقيم » ؟

قالت المرأة « عندما تخرج من هذا الزقاق اعبر السوق من الناحية اليمنى تجده يقيم فى سوق الصاغة » .

فقال لها سمك « يا أمى ، احفظى سلاحى هذا أمانة عندك الى أن أختبىء فى أحد الأركان حتى اذا رآنى وليس معى سلاح فانه لن يتعرض لى بأذى » .

قالت المرأة « ان شـــئت استرحت فى بيتى حتى الصـــباح ثم تذهب » .

فرد عليها سمك بقوله « بل أترك السلاح عندك وبهذا أطمئن » .

فلما وافقت المرأة ترك سلاحه لديها واكتفى بالخنجر والوهق وتوجه الى ذلك الزقاق الذى أشارت اليه المرأة وكان يبدو أن كانون قد عاد الى منزله فى نفس هذا اليوم بعد أن قبض على عدد من الأشخاص للاشتباه فيهم وشنقهم ، وهذا ما جعل سمك يعرف أن كانون عاد الى المدينة . فسار سمك حتى وصل الى سوق الصاغة فرأى شخصا ضخما كأنه مئذنة مسجد جالسا أمام دكان وفى يده خنجر طوله نحو شبرين وهو يزأر ويحدث نفسه بشىء ما ، وحينما ترامت الى سمعه أصوات وقع أقدام سمك صاح قائلا « من أنت ؟ لعلك لا تعرفنى حتى تجرأت بالمجىء الى هنا هكذا . ما أعظم جرأتك » .

أجاب سمك فى ذلة وضعف « أيها البطل ، لماذا لا أعرف ؟ ولكننى جئت لأن أحد الذين شنقتهم كان من أقاربى ولم أجرؤ على حمله نهارا ، وقد جئت الآن لآخذ جثته ولا أعلم أين هى الآن » .

رد الأحمر الكافر بقوله « ابحث عنه على الجانب الآخر فى وسط السوق » . فعاد سمك واختبأ فى أحد الأركان وأخذ ينظر الى الأحمر الكافر بامعان ويقول لنفسه « ماذا أستطيع أن أفعل مع هذا العملاق ؟ لو أنه ضربنى بيده لتطاير جسمى أشلاء على الأرض » . ثم أخذ يفكر الى أن نام الأحمر الكافر وتصاعد صوت شخيره الى أذن سمك فقال « ليكن ما يكون ، فان كان أجلى قد حان فلن أستطيع أن أطيله لحظة من الزمان ، والا فانى سأحقق ما أريد » . ثم ذهب الى الدكان وأخرج خنجره وطعن به كتف الأحمر الكافر طعنة أعتقد معها أن الخنجر نفذ من صدره ، ولكن الكافر قفز من غفوته وأمسك بسمك بين يديه جيدا ليلقى به على الأرض

ولكن يد سمك تعلقت بخصية الأحمر وضغط عليها بكل قوته مما جعل الأحمر الكافر بقامته الفارعة يسقط على الأرض مغشيا عليه . فقفز سمك فوقه وبسرعة قيد يديه ورجليه بالوهق وكمم فمه أيضا ، وبألف مشقة استطاع حمله على ظهره وسار فى طريقه الى بيت تلك المرأة التى ترك السلاح عندها فألقاه أمام الباب ثم دقه وقال « يا أماه ، اعطنى تلك الأمانة » .

فتحت المرأة الباب فرأت شخصا ضخما ملقى أمام بابها مقيدا ، فقالت « أيها الرجل الحر ، من هذا » ؟

قال سمك « يا أماه ، هذا الأحمر الكافر » فلما سمعت المرأة اسمه انتفضت وقالت « من الذى أتى به وأى بطل استطاع أن يقيده هكذا » ؟

قال سمك « أنا الذى حملته الى هنا » .

قالت المرأة « ومن تكون أنت حتى تتمكن من القيام بهذا العمل » ؟

رد عليها قائلا « أنا سمك العيار » .

حين سمعت المرأة اسم سمك خرت صعقة وقالت « أيها الفتى ، اننى أبحث عنك فى الدنيا كلها . والآن وقد أمسكت بالأحمر الكافر فأعلم أن أبا صابر وصملاد وهو الخمار شقيقى . وقد ترك عندى أمانة لك منذ غادرت داره وقال ان رأيته أو سمعتى خبرا عنه أو عن مكانه فأوصلى له هذه الأمانة » .

سألها سمك « وما هى تلك الأمانة يا أماه » ؟

قالت « صندوق لا أعلم ما بداخله » .

فتبسم سمك وقال لها « أنت لى أم والخمار لى أب ، فما أحسن هذه المصادفة » ، ثم لبس سلاحه وألقى بالأحمر الكافر مقيدا داخل البيت وقال لها « احترزى عليه حتى أذهب واحضر ابنى أخيك كى يساعدانى فى حمله لأننى لا طاقة لى على حمله وحدى » .

قالت المرأة « أخشى أن يهرب » .

فقال لها سمك « يا أماه ، خذى هذا الخنجر فى يدك ، فاذا تحرك — مع أننى أحكمت وثاقه — فاطعنيه به الى أن يموت ولا جناح عليك » . ثم ترك سمك المرأة تحترز على الأحمر الكافر وعاد الى منزل القصابين وذكر لصابر وصملاد أنه أوقع بالأحمر الكافر وأنه تركه مقيدا فى منزل

عمتهما وقال لهما « تعاليا وساعدانى على حمله الى المعسكر لأننى لا يمكننى الابقاء عليه فى المدينة » .

فرح صابر وصملاد وسألاه « كيف عرفت الطريق الى منزل عمتنا » ؟ فذكر سمك لهما ما حدث وأضاف أن الله يهيىء الأمور ويهدى الى الطريق السوى .

فقالا له « وماذا نصنع بمهران الوزير ؟ اننا لن نتركه اذ ربما جاء أحد وأخرجه من هنا ، وآنذاك سوف يلحق بنا أشد الأذى لأنه أبغض عدو لنا » .

قال سمك « لهذا يجب قتله جزاء له » . ثم تقدم نحوه وفقأ عينه اليمنى بخنجره ثم قطع أذنيه وبتر أنفه ثم قال « لنتركه فهو لم يعد يصلح لشىء » . فتركوه وذهبوا الى منزل تلك المرأة . وحمل ثلاثتهم الأحمر الكافر وذلك الصندوق الذى كانت به آلات الشراب التى تركها الخمار عندها ثم ساروا الى أن وصلوا الى سور المدينة فأنزلهم سمك بواسطة الوهق ثم هبط بعدهم ، وحملوا الصندوق وساروا فى طريقهم متوجهين الى المعسكر . وفجأة رأوا ثلاثة كأنهم أسود تواجههم وصاحوا فيهم فخاف سمك ورفاقه وقال سمك « واأسفاه ، لقد ضاع تعبنا وجهدنا » . وأراد أن يلجأ للحيلة والخديعة ولكنه حين أمعن النظر رأى هرمز وشروان الحلبى والأحمر ، ففرح وقال لهم « أيها الأبطال ، نحن أصدقاء ، أنا سمك العيار عبد خورشيد شاه » .

نظر هؤلاء الفرسان فرأوا سمك العيار وتقدموا اليه وقالوا « أيها البطل ، من هؤلاء الآخرين » .

أجابهم سمك « هذان أخواى ، وهذا هو الأحمر الكافر الذى قبض على رفاقى حينما ذهبت أبحث عن ماه برى . ولكن لماذا أتيتم أنتم الى هنا » ؟

قال هرمز « ان اقبال الملك وسعادته وهمتك هى التى قادتنا الى هنا اذ جئنا للنزهة لعلنا نحصل على صيد ، وقد وصلنا الى هنا ولم نجد أحسن من رؤيتك صيدا ، ثم قالوا لهم اركبوا حتى نرجع الى المعسكر » فقال سمك « خذوا هذا الصندوق أمامكم لنذهب معكم » ، فحمله شروان الحلبى أمامه على فرسه وسار ثلاثتهم وقد جعلوا الأغلال فى رقبة الكافر الأحمر ، بينما قيدت يداه خلف ظهره وكمم فمه حتى لا يتكلم أو يصيح وتوجهوا الى معسكر خورشيد شاه .

حينما أشرق الصباح وجلس الملك على عرشه وجاء الأبطال لخدمته ، دخل سمك الايوان على غير انتظار وأدى التحية ، وحينما رآه خورشيد شاه نهض واقفا فوقف جميع الأمراء فانحنى سمك وقبل الأرض وقال أيها الأمير ، ما هذه التحية التى تفضلت بها لعبدك ؟ ومن يكون سمك حتى يقوم من أجله ملك مثلك ؟ لكن هذا غير مستغرب منك » .

فقال الأمير خورشيد شاه « يا سمك ، كأنك أنا ، وأنا أنت » . فسجد سمك مرة أخرى وقبل الأرض ، فأكرمه الملك وأجلسه أمامه وقال « أيها البطل ، من أين جئت وماذا فعلت » ؟

قال سمك « أيها الملك — باقبالك — ذهبت وأتيت بذلك الشخص الذى قبض على ورد ولهيب وينال والأخوين القصابين مقيدا الى حضرتك » . ففرح خورشيد شاه وأثنى عليه وقال « أين هو » ؟ فتقدم هرمز والأحمر وشروان الحلبى وأدخلوا الأحمر الكافر مقيدا مغلولا ، وتقدم معهم صابر وصملاد وأدوا التحية . وحين نظر خورشيد شاه الى الأحمر الكافر اعتراه الخوف لأنه رأى رجلا كأنه قطعة من جبل ، فارع القامة ولكنه كان مقيدا ذليلا . وحين قارن بين الكافر وسمك وجد أن سمك لا يوازى أفخاذ الأحمر الكافر جسما فأثنى على سمك .

التفت خورشيد شاه الى صابر وصملاد وسأل عمن يكونان . فأجابه سمك أنهما أخواه ابنا الخمار الذى ذكره للملك والذى نزل فى بيته فى مدينة منغوليا . فأمر خورشيد شاه أن ينعموا عليهما وضمهما الى رجال الثعلب الفيلم ليكونا فى جملة الحرس .

حين انتهوا من هذا التفت سمك الى الأحمر الكافر وقال « أيها البطل ، هل رأيت عاقبة أعمالك وأين تقف الآن ؟ ان أردت أن تأمن على روحك فقل الحقيقة وأين أخفيت الأسرى وماذا صنعت بهم ؟ قل هل هم أموات أو أحياء » ؟ .

قال الأحمر الكافر « يا سـمك ، لقد أيقنت أن الله يوفقك فى أعمالك ، كما أن الحظ فى جانب ملككم والا لما استطعت أو استطاع ألف مثلك أن ينظر الى لا أن يأسرنى ويضع القيد فى يدى . ثم اننى الذى قبضت على ورد والآخرين ولكننى أقسمت للملك أرمنشاه وأعطيته ميثاقا ألا أتكلم أو أبوح بشىء الا له حتى ولو أدى الأمر الى موتى واراقة دمى ، فافعل بى الآن ما تريد لأننى لن أبوح بشىء » .

قال سمك « أيها البطل ، هل ستتكلم عندما أريق دمك » ؟ ثم أمر باحضار الحجام وقطع وريدا من يد الأحمر الكافر فأخذ دمه يسيل على الأرض ثم قال له « الآن ستتكلم » .

تعجب الأحمر الكافر من سمك وقال له « يا سمك العيار اعلم أننى لم أذهب لخدمة أرمنشاه ، بل انه حينما قدمت انت الى ولاية منغوليا وقمت بما قمت به من أعمال أرسل أرمنشاه الى وطلبنى وعاهدنى ووعدنى وقال لى ان أوقعت بهذه الجماعة فسأزوجك ابنتى بدور · ولم يكن قد بقى الا أنت حتى يفى بوعده لى وأتزوج ابنته · وانعكست الآية الآن ، فلم أقبض عليك بل وقعت أنا فى قبضتك ولكن قلبى متعلق بالأميرة بدور » ·

قال له سمك « يا كافر ، هل لك أن تقسم وتدخل فى طاعة الملك بحيث لا تغدر ولا تفكر فى الخيانة ، وأن تكون صديقا لأصدقاء الملك عدوا لأعدائه ، اذ أننى قد أحضرت الأميرة بدور وسوف أزوجك اياها · ثم كم كان يصلك كل عام من أرمنشاه » ؟ ·

قال « اننى لم التحق بخدمته ولكنه كان قد أعطانى ثلاثة آلاف دينار » · ثم أقسم بالخالق العادل وبأرواح الأطهار ألا يخون ولا يفكر فى الخيانة ، وأن يكون قلبا واحدا معهم صديقا لأصدقاء الملك عدوا لأعدائه وألا يغدر أبدا حتى ولا تأويلا ·

عندما أكمل الأحمر الكافر قسمه خلع عليه خورشيد شاه خلعة ملكية وأكرمه وأمر فى الحال فأعطوه ثلاثين ألف دينار نقدا ، وكتبوا له منشورا بخمسين ألفا غيرها كما وهبه خمسة غلمان وجاريتين وخياما وأدوات وسلاحا وخيلا وغير ذلك مما قد يحتاج اليه من هو فى منزلته ورتبته ثم قال لأحد الخدم « اذهب الى خيمة ماه برى وقل للالاصلاح أن يأتوا ببدور حتى نخبرها بما حدث للكافر الأحمر فى حضرة الملك لعلنى أستطيع أن أزوجها له » ·

ذهب الخادم الى خيمة ماه برى وأدى التحية وأخبرها أنهم سوف يزوجون بدورا الى الأحمر الكافر » · فقالت ماه برى « انهما هربتا » ·
عاد الخادم وأخبرهم أن بدور وأمها هربتا بالأمس وأن أحدا لم يشعر بهما الا الآن لأن الجميع انشغلوا عنهم ونسوهم ·

حين سمع الملك هذا الخبر شعر بالضيق وتعجب الأحمر الكافر ونظر سمك فرأى الأحمر وقد تغيرت حاله فقال له سمك « أيها البطل ، لا تفكر فى هذا الأمر فسوف أعيدهما وأنجز لك ما تريد لأننى لا أدرى كيف حدث ما سمعته الآن ، وعليك أن تطالبنى بانجاز ما وعدناك به » ·
وبعد هذا الحديث أخذوا فى تناول الشراب ·

شاء الحق تعالى أن أحد الجواسيس حمل الى الملك أرمنشاه أن سمك العيار قد اختطف الأحمر الكافر وحمله الي معسكرهم وأنه خدعه وأدخله

فى طاعة خورشيد شاه وأقسم على الولاء لهم وخرج عن طاعتك . فارتعد أرمنشاه وقال « كيف يمكن أن يحدث هذا ؟ من الذى يمكنه أن يوقع الأحمر الكافر فى الشرك ؟ هذا محال » .

قال الجاسوس « أيها الملك ، لقد رأيته . فان شئت فارسل أحدا الى المدينة ليتأكد من هذا » . فأرسل الملك شخصا الى كانون ليستعلم منه . فلما ذهب الشخص الى كانون قال له « يزعمون أن الأحمر الكافر دخل فى طاعة خورشيد شاه ونحن لا نصدق هذا فابعث فى طلبه وتعال معه عند الملك » .

انتفض كانون من مكانه وسيطر عليه الرعب والفزع وبحث عن الأحمر الكافر فى كل المدينة فلم يعثر له على أثر ، فتوجه الى المعسكر ودخل على أرمنشاه وأدى له التحية ثم قال « أيها الملك ، ان الكافر ليس فى المدينة » .

تعجب الملك كما تعجب قزل ملك ، وشهران الوزير وكل الأبطال الحاضرين ، وأخذوا يدلون بآرائهم فقال كانون « أيها الملك ، ان الأسرى فى بيت الأحمر الكافر ولا يمكن الابقاء عليهم هناك بعد أن اختطفوا رجلا مثله ، وقد انضم اليهم الآن وربما يأخذ الأسرى . ومع أنهم من أهل مدينتنا الا أنهم من مخالفينا ومعارضينا ، ولا شك أن سمك يريدهم ولهذا يجب ابقاؤهم فى السجن لأن سمك سوف يقع فى المصيدة من أجلهم فهو الذى يقوم بهذه الأعمال » .

سأل أرمنشاه « أين يمكن أن نبقيهم بحيث لا يتمكن سمك من أخذهم » ؟

أجاب شهران الوزير « ارسلهم الى قلعة الوديان الاثنى عشر لأنها قلعة محكمة واذا وافقتنى فيجب أن نرسل الأميرة بدور وأمها الملكة أيضا حتى لا ننشغل من ناحيتهما و لانقلق أثناء القتال » .

قال أرمنشاه « لنفعل هذا » . ثم التفت الى طيراق وقال له « انهض واذهب مع كانون الى بيت الأحمر الكافر وخذ الأسرى الى قلعة الوديان » .

قال شهران الوزير « يجب تجهيز الأميرة لكى تذهبا معهما أيضا » . فأرسل الملك خادما الى قصر الحريم ليقول لهما « يجب عليكما الذهاب الى قلعة الوديان الاثنى عشر فجهزا ما يلزمكما » .

ردت عليه الملكة بدرية بقولها « قل للملك أن لا حاجة لارسالنا للقلعة ، فعندى فى القصر مكان لو اختفيت فيه عشر سنوات لما استطاع

أحد الاهتداء اليه وأنت لا تعرفه ولا أى شخص آخر سوى ا
وكان جدى هو الذى أعد هذا المكان ولم أخبر الملك عنه حتى ا
عاد الخادم الى الملك وأخبره بما كان . فقال الملك « لا
وفى الحال أمر بأن تعود الملكة والأميرة الى المدينة ، فذهبتا من
تلك المطمورة وأعدتا ما تحتاجان اليه ، كما عاد كانون وطيراق
لكى يأخذ الأسرى .

ذهب كانون وطيراق الى بيت الأحمر الكافر وأخرجا الأسر
وساقهم طيراق أمامه متوجها الى قلعة الوديان ورافقه كانون مسافة
ثم قال له « أيها البطل تنبه وكن حذرا وحافظ عليهم لأنهم يمثا
يمكن عن طريقهم الايقاع بسمك » . ثم عاد . وتابع طيراق
مائتا فارس والأسرى حتى وصل الى الوديان الاثنى عشر فرأى
قلعة كان مستحفظها رجلا شديد البأس قوى المراس ، وبها عذ
لأنها كانت حصينة منيعة المنال كما لو أن فنانا ماهرا قد ناطح
وبناها من صخر فوق صخر ليس به أى طريق . أما بابها
فمعلق فى وسطها ، واذا أراد شخص الصعود اليها جاء غضبان
القلعة بنفسه وفتح الباب وأنزل سلما من الجلد به عشرون د
عليها القادم .

حين وصل طيراق أسفل القلعة سلم وأدى التحية اللازمة
كان يمت له بصلة قرابة ، ثم سلمه الأسرى وقال له « أيها ا
حذرا يقظا لأن هناك رجلا يريدهم عجزت الدنيا كلها أمام أعمال
فحافظ عليهم جيدا ثم أضاف « اذا لم ترنى فلا تدع أحدا
القلعة » .

قال غضبان « سمعا وطاعة » . وعاد طيراق الى معسكر أر

التحاق شباب الأعداء بخدمة سمك :

يقول مؤلف الأخبار أنه عندما سمع شباب مدينة منغوا
الذين كانوا يدعون العيارية أن سمكا قيد الأحمر الكافر وأخذ
العجب منه والاعجاب به فخرجوا من المدينة وهم يزعمون أن
للالتحاق بخدمة ملكهم أرمنشاه ، ولكنهم حينما اقتربوا من المعس
الى معسكر خورشيد شاه . وحين رأت الطلائع هؤلاء المشاة تو
سائلين « من أنتم ومن أين جئتم » ؟ فأجابوهم « نحن خد
وتلامذة سمك العيار ومريدوه جئنا لأداء الخدمة » . فسار
وهرمز حتى دخلوا المعسكر فأوقفاهم ودخلا على خورشيد شاه

(١) المنزل مسافة سفر يوم بالدواب وهى حوالى ٣٥ كيلو مترا .

الملك ، لقد جاء أربعمائة رجل شجاع من مدينة منغوليا وهم من محبى سمك العيار ومريديه ويرغبون الالتحاق بخدمتك » . وكان سمك موجودا فأراد أن ينهض ولكن الملك قال له « لا تبتعد عنا وليدخلوا المجلس » .

أدخلوا هذه الجماعة فأدت التحية ثم انتحى بهم سمك جانبا وأخذ يسألهم ويرحب بهم ، وأمر خورشيد شاه فخلعوا عليهم جميعا وسلحوهم كما يجب وذلك ارضاء لسمك ، ثم ضمهم الى رجال الثعلب الفيلم . وبعد هذا انشغلوا بالشراب .

كان أحد الجواسيس موجودا فعاد الى أرمنشاه وأخبره بهذه الواقعة ، فحزن الملك وقال « ما هذه المصيبة ؟ كلما أصلحت ناحية خربت الناحية الأخرى » . وعندئذ تقدم كانون وأدى التحية وقال « أيها الملك ، اسمح لى بالذهاب الى المدينة لأراقب الأمور هناك فقد يتسرب خبر هذه الحادثة الى المدينة ويلتحق الجميع بخدمة خورشيد شاه وتخرج المدينة من أيدينا » .

قال الملك أرمنشاه « يجب عليك الذهاب والمحافظة على الأوضاع واليقظة ليل نهار » فخرج كانون من مجلس الملك متوجها الى المدينة وانشغل بهذا الأمر .

نعود الى أحوال سمك وجماعة الأسرى وما انتهى اليه أمرهم . فيقول مؤلف القصة وراويها أنه حينما أقبل الليل وانتشر الظلام وخيم على الدنيا انشغل خورشيد شاه والأبطال بتناول الشراب فى الايوان ، وكان سمك العيار يجلس أمام الأمير حين قام فجأة وأدى التحية وقال « أيها الملك العظيم ، لم أحسن الصنع اذ انشغلت باحتساء الخمر بينما زوجتى وأصحابى فى السجن . ولهذا سأذهب للمدينة للبحث عنهم » . وكان الأحمر الكافر حاضرا فالتفت اليه سمك وقال « أيها البطل ، أين الأسرى ؟ ارشدنى الى مكانهم لكى أذهب لاحضارهم » .

قال الأحمر الكافر « أيها البطل ، عندما تصل الى المدينة ففى مواجهة ذلك الزقاق الذى أسرتنى عنده وحملتنى منه الى منزل تلك العجوز تجد مكانا فسيحا به بركة ماء على حافتها طريق مستقيم . فسر فيه حتى يقابلك سور مربع له باب معلق ولكنه ليس مغلقا ، وفى داخل ذلك السور قصر مبنى من الصخر على سطحه حارس ، ويقف خلف باب القصر بواب ، ولا يوجد سواهما فى هذا القصر الذى يوجد بداخله الأسرى مقيدين » .

سأله سمك « وما هى امارتك حتى يفتحوا الباب » ؟

أجابه الأحمر الكافر قائلا « اذهب الى القصر وخذ يد البواب واجذبه اليك واضغط على يده لأن عنده أربعة عشر صندوقا مملوءة بالذهب والجواهر

لأنه موضع ثقة وبهذا سيسلمها لك فاحضرها مع الأسرى كى ننفقها فى خدمة الملك » .

فرح سمك وشكره وخرج فى طريقه حتى دخل المدينة تحت جنح الظلام ثم ذهب الى بيت المرأة العجوز أخت الخمار ودق بابها ففتحت له وحين رأته ثم أدخلته وأجلسته وأخذت ترحب به الى أن سمعا دقا على البـــاب .

بارح الجنســون :

قالت العجوز « يا سمك ، ادخل الى داخل البيت حتى أنظر من بالباب فربما كان ابنى » . فدخل سمك وذهبت العجوز الى الباب ففتحته ، ونظر سمك من بعيد فرأى شابا يدخل ثم يجلس أمام العجوز وبقى معها مدة . وكان سمك يستمع لما يدور بينهما الى أن قال الشاب وكان اسمه بارح « أماه ، هل تسمعين شهرة سمك ورجولته وعيارته وبطولته التى يقوم بها فى أعماله ؟ كيف استطاع الايقاع بالأحمر الكافر الذى لم يقدر عليه أرمنشاه وجنوده ، ثم حمله الى خورشيد شاه مع كل ضخامته ، كما أن أربعمائة عيار وفتى شاطر أحبوا سمك واعجبوا به والتحقوا بخدمته . يا أماه ، لقد احببته أنا أيضا وسوف أذهب الى معسكره لألتحق بخدمته ، كما أن لى معه عملا فسوف أرجوه فى أمر آمل أن يتحقق على يديه » .

قالت أمه « يا بارح ، هل ما قلته صحيح وأنك أحببته أم أنك تكذب وتتهكم ؟ أتريد أن توقع سمك فى شراكك » ؟

أجاب بارح « يا أماه ، احذرى ما تقولين ولا تظنى بى هذا الظن فالرجال لا يكذبون وأنا رفيقه وخادمه وعندما ألتحق بخدمته فسأفديه بروحى ، فلماذا تقولين لى مثل هذا الكلام » ؟

قالت الأم « اقسم على أن ما قلته صدق وليس كذبا وأنك لا تضمر الخيانة فى قلبك حتى يرضى عليك قلبى ويفرح بك » .

قال الشاب « يا أمى ، ان ابن الحرام هو الذى يكذب ، وتعلمين أننى لا أكذب فلست ابن حرام » . ثم أقسم أمام أمه بالله العادل الخالق على أن ما قاله صدق وأنه لا يضمر فى قلبه الخيانة وأنه صديق لسمك » .

كان سمك ساعتئذ يقف خلف الباب ينصت لما يدور بينهما ، ففتح الباب وخرج وألقى السلام ، ونظر بارح فرأى سمك ومع أنه لم يكن قد رآه من قبل ولكنه أدرك أنه سمك فنهض وأدى التحية ثم انحنى على قدمى سمك ولكن سمك قال له « لو شئت فاننى كنت أجىء اليك حتى تقول لى ما فى قلبك » .

قال بارح « أيها البطل ، لقد انتشر صدى عياريتك وما تقوم به من أعمال فى أرجاء الدنيا فادركنى ــ أعانك الله ــ طالما أنك تنادينى بالأخ اذ أصابنى شىء لم أخبر به أمى للآن لأن حله سيكون على يديك ، اذ تعلق قلبى بحب فتاة هى خازنة بدور بنت الملك وقد أصبحت متيما بها هائما بحبها متحيرا فيما صار اليه أمرنا وهذا ما أريدك من أجله فربما جمعتنى واياها » ٠

قال سمك فى نفسه « ما هذه المحنة ؟ ان كل من يقع فى مأزق أو ورطة يأتى الى ٠ لقد تعلق قلبه بحب فتاة وابتلى بالهوى والنوى وهى نفس المشكلة التى حلت بخورشيد شاه فى البداية » ٠ ثم سأل بارح قائلا « أيها الشاب كيف أحببتها » ؟

أجاب بارح « أيها البطل ، لقد رأيت هذه الفتاة ذات يوم فى السوق ترافقها جاريتان وكانت قد اشترت عدة أثواب ، ثم توجهت الى قصر الملك وكنت أراقبها حتى وصلت الى زقاق فتقدمت اليها وحييتها ودعيت لها ، وكانت معى برتقالة قدمتها لها فأخذتها من يدى وأخذت قلبى معها ، وصرت من حبها فى حيرة وحرقة وأصبحت منذ ذلك اليوم هائما وجدا لا أدرى ماذا أفعل ٠ وكل كلام أقوله لا يتسم بالعقل حتى صار فتيان المدينة يلقبوننى بارح المجنون ٠ وقد ذكرت لك حالى فابحث لى عن حل » ٠

قال سمك لنفسه « لو أن تلك العابثة لم تمل الى هذا الشاب لما أخذت البرتقالة من يده » ٠ ثم قال له « يا أخى ، اطمئن فاننى كنت قد أخذت الأميرة بدور ولكنها هربت وسوف آخذها الى الأحمر الكافر وأحضر لك محبوبتك أيضا » ٠

سر بارح مما قاله له وأثنى عليه ثم قال « أيها البطل سمك ، اذا خرجت فكن فى شدة الحذر واليقظة لأن خاطور وكانون وفاضل ومحارب ومائتى رجل آخرين يتجولون فى المدينة للبحث عنك ويفتشون عنك بكل دقة وعناية »

قال سمك العيار « يا أخى ، اطمئن فانه يمكن الهروب من أى شخص ولكن لا يمكن الفرار من القضاء ، والأمر لا يتعلق بالرجولة والجلد ، ولكن الله يهيىء الأمور وهو المدبر لها ، ولكن ألا تعلم أى شىء عن أحوال أولئك الأسرى الذين يسجنونهم فى قصر الأحمر الكافر » ؟

قال بارح « أيها البطل سمك ، لقد أخذهم طيراق الى قلعة الوديان الاثنى عشر » ٠

قال سمك « يا بارح ، فلنذهب الى قلعة الوديان الاثنى عشر ونحاول

لعلنا نستطيع اخراجهم ، فقد سبق أن أخذت القلعة الشاهقة وقلعة الفلك » .

قال بارح « أيها البطل ، ان هذه القلعة ليست كغيرها من القلاع لأن على مدخل الوادى رجال يحرسونه ولا يمكن لطفل أن يدخل ذلك الوادى مهما تخفى دون أن يروه ، فكيف يذهب أحد عيانا الى الوديان الاثنى عشر ؟ ان القلعة مقامة وسط الوادى ، يصعد الرجال اليها على سلم من الجلد ولا يستطيع أحد قط الوصول اليها الا برضاء مستحفظها » .

اغتم سمك حين أخبره بارح بهذا ولكنه قال « يا أخى ، لعل الله يهيىء لنا مخرجا وننقذهم من تلك القلعة » . ثم خرج من البيت وسار فى طريقه حتى وصل الى سوق الصاغة فى ذلك المكان الذى كان قدر رأى فيه الأحمر الكافر ، ونظر فرأى شخصا جالسا . فقال سمك لنفسه « لا أعرف من هو ذلك الشخص » ولهذا وقف فى ناحية من الطريق وأخذ يراقبه حتى جاء شخص آخر وجلس معه . ثم رأى فاضل ومحارب وقد جاءا مع جماعة من الناس . وحين أمعن النظر فيهم عرف أنهم خاطور وكانون وكافور ، فأخذ ينصت اليهم اذ أن كانون كان يبعث كل جماعة من الرجال الى مكان ما ثم التفت الى كافور وقال له « يا كافور ، انهض وخذ خمسة من الرجال واذهب الى باب قصر الملك وحافظ عليه واحذر من سمك ولا تغفل عنه » .

ذهب كافور مع خمسة من الرجال وعندئذ قال سمك لنفسه « لقد وقع حظى مع كافور » ثم تبعهم حتى وصلوا الى باب قصر الملك وجلسوا ، فوقف سمك فى ركن من الأركان وأخذ يفكر فيما يفعله الى أن قام أحد الرجال الخمسة لقضاء حاجة وابتعد عن رفاقه مسافة ، فسار سمك فى أثره الى أن جلس لغسل نجسه فانقض عليه سمك وأخذه أخذ مقتدر وكتم أنفاسه وضغط على حلقه حتى فاضت روحه فنزع ملابسه وارتداها وجرده من سلاحه ثم جره من رجله وألقاه فى مكان بعيد وعاد الى تلك الجماعة ووقف مقابلهم لأنه أدرك أنه لا يعرف اسم ذلك الشخص الذى قتله ولبس ملابسه . وبعد فترة قال كافور « أين ذهب سعيد » ؟ فلما سمع سمك هذا الاسم عرف أن اسمه كان سعيدا ، فتقدم بجرأة ووقف خلف كافور ، ثم قال له « يا كافور انهض وتعال فهناك رجل يقف فى تلك الحارة ولا أعرف من هو » .

قام كافور وسار مع سمك حتى ابتعد عن رجاله الأربعة ففاجأه سمك وتعلق به وألقاه على الأرض وصوب خنجره اليه وقال له « ان نطقت بكلمة قتلتك فأنا سمك . افتح فمك » ففتح كافور فمه خوفا على حياته ، فأخذ سمك عمامته . ومزقها وكمم فمه بنصفها وقيد يديه ورجليه بنصفها الآخر ثم طرحه على الأرض وعاد الى الرجال الأربعة وقال لهم « ان كافور يطلبكم » . فذهب أحدهم مع سمك وهو يظن أنه سعيد وسار معه الى المكان

الذى كان به كافور وعندئذ أمسك به سمك وألقاه بدوره على الأرض . وهكذا فعل بالباقين حتى أمسك الرجال الأربعة بالحيلة ثم حملهم واحدا واحدا وعلقهم من أرجلهم على باب القصر الملكى ، ثم حمل كافور الى بيت القصابين وألقاه هناك ثم قال « فلأقطع رأس مهران الوزير وأتخلص من هذا الحقير . وذهب الى فراشه فرآه يتألم ويتوجع فقال له « يا مهران ، لا تقلق فقد جاءتك الرحمة ، ثم فك قيده وقطع رأسه وحمله وذهب به الى باب قصر الملك وعلقه بحلقة بابه ثم عاد الى كافور وساقه أمامه مكمما مقيدا حتى وصل الى سور المدينة فربطه بالوهق وأنزله خلف السور ثم نزل بعده ودفعه أمامه متوجها الى معسكر خورشيد شاه ، فلما التقى بمقدمة الطليعة كان الأحمر الكافر قائدها تلك الليلة فتقدم صائحا « من أنت » ؟ فعرفه سمك من صوته وأجابه « أنا سمك أيها البطل » .

فسأله الأحمر الكافر « ومن الذى أحضرته معك » ؟

رد عليه سمك « انه كافور خادم كانون ، خذه وتحفظ عليه لأننى عائد للمدينة واحترز عليه جيدا » .

سأله الأحمر الكافر « هل ذهبت الى قصرى » ؟

قال سمك « لم أذهب لأنهم أخذوا الأسرى الى قلعة الوديان الاثنى عشر » .

فقال له الأحمر « اذهب واحضر تلك الصناديق » .

قال سمك « سمعا وطاعة » . ثم عاد الى المدينة وقال لنفسه « فلأذهب الى قصر الأحمر الكافر وأرى هل يصدق أم هو من الكاذبين » ؟ ثم سار الى قصره وقرع الباب ففتحوه فى الحال فدخل وأمسك يد حارس الباب وجذبه اليه وضغط على يده فقال الرجل « السمع والطاعة » ثم أمسك هو يد سمك وقال له « من أنت » ؟ فأجابه سمك « اسمى سمك » .

سأله الرجل « هل أنت الذى أخذ الأحمر الكافر وأنت الذى تقوم بكل هذه الأعمال » .

قال سمك « نعم » . وعندئذ حياه الحارس وقال « أيها البطل ، تعال معى » . ثم سار معه الى بيت وفتح بابه فرأى سمك أربعة عشر صندوقا مملوءة ذهبا وجواهر وثيابا فاخرة ملونة وقال له « أيها البطل ، احضر رجالا ليحملوها » .

سأله سمك « ما اسمك » .

أجاب الرجل « اسمى جليد » .

قال له سمك « يا جليد ، لما كنت موضع ثقة الأحمر الكافر فانك كذلك بالنسبة لى أيضا ، فاحتفظ بالصناديق حتى أعود اليك لأننى جئت للبحث عن الأسرى » .

فقال له جليد « لقد نقلوهم » . فخرج سمك على عجل من ذلك القصر لأن الوقت كان متأخرا وذهب الى بيت تلك العجوز وذكر لابنها بارح ما حدث مع الحارس وقال له لقد فعلت كذا وكذا ، وقمت بكيت وكيت ، وقد هيأ لى الله القيام بهذه الأعمال » .

رأس الوزير على الباب :

أثنى بارح عليه بينما كانت الشمس تشرق من وراء أستار الأفق وأخذ ضوء النهار ينتشر ، واذا بضجة تتصاعد فى أرجاء المدينة بأن أربعة رجال قد شنقوا على باب قصر الملك ، كما علقت رأس مهران الوزير فى حلقة الباب » .

حين سمع كانون هذا الخبر ، طلب أن يبحثوا عن كافور فلم يقفوا له على أثر ، فذهب بنفسه الى باب قصر الملك ورأى الرجال المشنوقين ورأس مهران الوزير ، فصاح كانون ومن كان معه وتردد الصياح فى المدينة وأخذ الناس يتحدثون عما وقع وكل منهم يروى حكاية ، فبعضهم يثنى على سمك ويشيد به ، وبعضهم يتعجب منه ، بينما أرسل كانون الى الملك يخبره بما حدث .

حين علم الملك بما حدث تملكه الضيق والغضب وحزن قزل ملك ، وبهت الأبطال والقواد وتحدثوا فيما بينهم عما يمكن أن يفعلوه متسائلين عن أى جنس من الرجال هذا الذى لايستطيع آلاف من الرجال خارج المدينة وداخلها أن يحاربوه ، بينما يقوم بكل هذه الأعمال . وبينما كانوا فى حديثهم ترامت الى سمعهم دقات طبول الحرب من جانب عدوهم ، وكان السبب فى ذلك أن الأحمر الكافر كان قد عاد بالطليعة الى خورشيد شاه ومعهم كافور فلما سألهم خورشيد شاه عمن يكون ، أجابه الأحمر الكافر قائلا « أيها الملك العظيم ، هذا الرجل أحضره سمك » ثم قص عليه ما حدث ، فأمر الملك بقتله لأنه تابع لكانون .

قال له الأحمر الكافر « بل نضعه فى السجن وأجعل عليه حفظة يقظين لأنه لو كان للقتل ما أرسله سمك بل لقتله هناك » . لهذا قيدوه وجعلوا عليه الحراس . وبعد هذا قال الأحمر الكافر « أيها الملك ، لماذا أنت قاعد أمام هذا الجيش ؟ مرنا حتى أقتلعه من مكانه فى لحظة وأذروه مع الرياح وأجعل حرمته تستباح » .

قال له خورشيد شاه « لا تتعجل الأمور » . ثم أمر بقرع الطبول فخرج شجعان الرجال يتقدمون الصفوف ، وحين سمع أرمنشاه هذا

استولى عليه الغم وأمر أن يخرج جيشه الى الميدان ، وأخذ الجانبان يسويان الصفوف ويعدون الميمنة والميسرة والقلب والجناح والساقة (١) ·

عدوان يتقاتلان :

كان أول شخص يبرز من جيش خورشيد شاه للقتال فى الميدان هو الأحمر الكافر ، وكان يركب حصانا معروفا ويلبس درعا محكم الزرد · ويضع على رأسه خوذة عادية ولكنها ضخمة كالقبة ، ويتمنطق بحزام مرصع بالجواهر فى وسطه ، وجعل فى جعبته سهاما طول الواحد منها احدى عشرة قبضة ، وعلق فى ساعده قوسا شاشيا (٢) ، وجعل على ظهره درقا حديديا ، وعلق سيفه فى حمائله وأمسك فى يده حربة طويلة ، وكان حصانه من رأسه الى حافره مغطى بالدروع وتقدم بجرأة ومهابة كأنه جبل يركب جبلا ، ثم أخذ مدة يصول ويجول ويطرد ويلعب ثم صاح « هل من مبارز » ؟

خرج قطران البطل من جيش أرمنشاه وقد تسلح بكل سلاح ، ولبس دروعا كأنها من صنع النبى داود ، فخوذته التى على رأسه من ست ثنيات ، والدرق على ظهره ، وقوس فى ساعده ، وساقين وساعدين ، وعلق عمودا ضخما فى قربوص السرج ، ورمحا خطائيا (٣) فى يده ، كعبه يجر على الأرض خلفه ، وقد ركب حصانا يسبق الريح ويفوق السحاب ، قلبه كالشيطان ، جرىء كالأسد والهزبر فى المعركة ، يقضى على الأخضر واليابس ،لا يشق له غبار ، يصل الى هدفه قبل أن يرتد عنه البصر ، وعلى هذا الحصان دخل البطل قطران الى الميدان وتقدم نحو الأحمر الكافر وألقى عليه السلام من وراء ظهره دليلا على الاستهزاء به ·

رد عليه الأحمر التحية لأنهما كثيرا ما كانا قد شربا معا كئوسا دهاقية وتوطدت بينهما صداقة أخوية ، ثم قال قطران « أيها البطل ، ما هذا الذى صنعته ؟ لقد لطخت اسمك بالعار وتركت مالك وأهلك ، وتغاضيت عن حق أرمنشاه عليك ، وعصيت ملكا واجب الطاعة ، فهل يقدم أحد على ما أقدمت عليه » ؟

أجابه الأحمر الكافر « أيها البطل ، أنك لا تعرف شيئا · فلماذا أخدم فى مكان أحصل منه كل عام على ثلاثة آلاف دينار تصرف لى تحت اسم المحتاجين ، كما يدعوننى الأحمر الكافر القاتل ، ولا يعلن اسمى فى أى

---

(١) الساقه أى المؤخرة ·

(٢) نسبة الى مدينة شاش احدى توابع مدينة سمرقند فى بلاد ما وراء النهر فى البلاد الاسلامية التى استولى عليها الروس وضموها للاتحاد السوفيتى ثم استقلت مؤخرا ·

(٣) نسبة الى بلاد الخطا أو الختا فى آسيا الوسطى ويقال لها الخطا والختل ·

ديوان مع الأبطال والأمراء ؟ ولماذا لا أخدم ملكا لم يكد يرانى حتى دفع لى ثلاثين ألف دينار نقدا ولم أكن قد أديت له أى عمل أو خدمة ؟ وسيخلع على مرتين فى الأسبوع كانت أولاهما عندما ذهبت اليه وتقدر قيمتها بأكثر من عشرة آلاف دينار ، كما أنه لم يشرب دون وجودى معه منذ فترة من الوقت ، كما جعلنى بطل جيشه كله • فهل تقبل أنت ما تقوله لى ؟ ثم قال لى كم يدفع لك الملك كل عام » ؟

أجاب قطران « خمسين ألف دينار » •

قال الأحمر الكافر « اننى مستعد لكى أحصل لك على خمسين ألفا من الخزانة نقدا ثم أضمن لك ستين ألفا أخرى لنفقاتك تصلك خالصة كل عام مع اقطاعية » •

رد عليه قطران قائلا « انه لا يمكن للانسان أن يلطخ اسمه من أجل زيادة أجره ، ولا يجوز عصيان الملك بعد عدة سنوات وترك الأهل والمال » •

قال له الأحمر الكافر « أيها البطل ، ان الأهل والمال هما الخدمة ، فحيثما خدمت يكون أهلك ومالك • فتعال آسرك وأحملك الى خورشيد شاه حتى لا يقول أحد أن قطران أساء التصرف وذهب الى خورشيد شاه خوفا على حياته » •

قال قطران « ليس هذا عملا حسنا ، ولا أقبل على نفسى هذا العار بحملى ذليلا الى خورشيد شاه ولن أتظاهر بهذا العجز » •

رد عليه الأحمر الكافر « سوف أدبر حيلة وهى أن نصول مدة ونجول ثم نعود لاستبدال الخيل ، وسوف أحمل لك خاتما من خورشيد شاه كموافقة منه ان قبلت عرضى » •

قال قطران « هذا رأى سليم ، ولكن على شرط أن أقبل هذا العرض من أجلك أنت حتى نعمل معا مرة أخرى » • وأخذا يجولان فى الميدان بعض الوقت ثم توقفا عن القتال ورجع كل منهما الى معسكره •

عاد الأحمر الكافر الى خورشيد شاه وحياه ، فسأله الملك « لماذا رجعت » ؟

أجاب الأحمر الكافر « أيها الملك ، لقد دبرت أمرا » •

فسأله الملك « ماذا فعلت » ؟ وعندئذ قص عليه الأحمر الكافر ما دار بينه وبين قطران فى الميدان من حديث عن الخاتم واقطاعات بستين ألف دينار وخمسين ألف دينار نقدا من الخزانة •

فسأله الملك ثانية « وهل قبلت أنت هذا العرض » ؟

أجابه الأحمر الكافر « نعم » ٠

فقال الملك « سوف أدفع مائة ألف دينار وأكثر من أجل صدقك ولكي يعلم قطران أن كلامك معتمد لدينا مصدق عندنا » ٠ فأدى الأحمر الكافر التحية وقال « أيها الملك ، اعطنى الخاتم كى أعود » ٠ فأعطاه الملك خاتمه وعاد الأحمر الى ساحة القتال ٠

فى الجانب الآخر عاد قطران الى أرمنشاه فسأله لماذا رجعت ؟ فأجابه قطران « أيها الملك ، طلب الأحمر الكافر الاذن لكى يستبدل حصانه لأنه ظهر عليه الاعياء ، وقد عدت أيضا لاستبدل حصانى » ٠ ثم ركب حصانا آخر وعاد الى الميدان لمقابلة الأحمر الكافر ، فلما التقيا حيا كل منهما الآخر ثم قص الأحمر على قطران ما دار بينه وبين خورشيد شاه وسلمه الخاتم فشكره قطران وأثنى عليه ٠

قال له الأحمر الكافر « علينا أن نتظاهر بالقتال حتى يحل الظلام وآنذاك نتوجه الى معسكرنا » ٠ ثم أخذا يتقاتلان ويتظاهران بالتفانى فى القتال حتى حل الظلام ودق الجيشان طبول التحاجز فقال الأحمر الكافر « أيها البطل ، آن موعد الذهاب لأن الملك ينتظرنا » ٠

أجابه قطران « أيها البطل ، لقد فكرت فى شىء وهو ألا أذهب أمام خورشيد شاه دون هدية خاصة بعد أن أبدى كل هذه الشهامة تجاهى ثم أذهب لخدمته ، كما أن زوجتى وأبنائى فى المدينة وسوف أذهب لأخبئهم فى مكان أمين » ٠

قال الأحمر الكافر « لا ضرورة للهدية عند مقابلة الملك » ٠

أجابه قطران « ليكن هذا ، ولكن أرمنشاه سيرسلنى الى قلعة الوديان الاثنى عشر لكى أحضر الأسرى ، وسأحاول أن أحضرهم كهدية معى كى يتأكد الملك من اخلاصى » ٠

فقال له الأحمر الكافر « نعم ما فكرت فيه » ٠ ثم عاد كل منهما الى معسكره ٠ فتوجه الأحمر الكافر الى خورشيد شاه وذكر له ما دار بينه وبين قطران فأثنى الملك عليه ، ثم عاد الجيشان الى معسكريهما بينما خرجت الطلائع من الجانبين ٠ فخرج الأحمر الكافر مع شروان الحلبى من جيش خورشيد شاه ، وخرج قزل ملك من جيش أرمنشاه ومعه سليم البطل على رأس اثنى عشر ألف رجل وقد التزم الجانبان الحيطة والحذر بينما كانت بقية الجيشين تخلد للراحة ٠

نعود الى حديث سمك وما صارت اليه حاله فى مدينة منغوليا :
فيقول مؤلف القصة وراويها انه حينما خرج سمك من قصر الأحمر الكافر وذهب الى بيت تلك العجوز وأخبر ابنها بارح بما حدث ، كان النهار قد انقضى وأقبل الليل وانتشر الظلام ، فأراد سمك الخروج ولكن بارح قال له « أيها البطل ، ان أربعمائة رجل يتجولون فى المدينة ، كما يطوف بها فاضل ومحارب وقد تعهدا بالمحافظة على المدينة وحراستها ، كما أن كانون وخاطور فى قصريهما » .

قال له سمك « ان كل من يضع قدمه فى هذا العمل لابد له أن يعرف كل شيء ،وان لم يكن يعرف فعليه أن يتعلم ، وأنا أتعلم من كل شيء تقع عليه عينى فى هذه الدنيا حتى أننى لا أكف عن التعلم لحظة من الزمن لأننى قد أستفيد مما أتعلمه فى يوم من الأيام ، فان لم أكن عرفته فاننى أصير عاجزا عن مواجهته أو القيام به ، فاحضر لى عودا موسيقيا لأريك » .

سمك مطربا :

كان بارح متلهفا يريد أن يتعلم لأنه كان عاشقا متيما ، وكان عنده عود موسيقى فى البيت فأحضره وأعطاه لسمك الذى تناوله وشد أوتاره وضبطها مما أدهش بارح وجعله يتعجب من مهارته ثم أمسك بالريشة وأخذ يعزف عليه ويغنى صوتا فى الفراق ينساب كالماء الرقراق مما راع بارح وملك عليه حواسه فقال لسمك « أسعدك الله يا سمك ، فأنت تتحلى بكل علم وفن » .

خرج الاثنان من البيت وأخذ يطوفان فى المدينة يغنيان فساعة يغنى سمك وساعة يعزف بارح حتى وصلا الى قصر كانون ، وكان بارح معروفا فى المدينة وكانوا يلقبونه « بارح المجنون » ، فلما وصل صوتهما الى سمع كانون قال « انه بارح المجنون يتجول فى المدينة » ، ثم أخرج رأسه من النافذة وقال « أيها المجنون ، اصعد هنا » وفتحوا له باب القصر وصعد بارح وسمك معه وأديا التحية فأجلسهما كانون ثم أمر لهما بشيء من الطعام فأكلا ثم قدموا لهما الشراب فشربا ، ثم أخذا يغنيان زمنا حتى سمعوا دقا على الباب ، فأمر كانون بفتحه ودخل رجل وأدى التحية ، ونظر اليه سمك واذا هو جليد بواب الأحمر الكافر .

سأل سمك نفسه « ترى لماذا جاء ابن الحرام هذا الى هنا » ؟ وأخذ ينصت اليه وهو يقول « أيها الأمير ، عندى عشر صناديق مليئة بالذهب والجواهر ملك للأحمر الكافر أودعها عندى كأمانة ، ولما كان قد خرج عن طاعة الملك فاننى لا أستطيع الاحتفاظ بها أكثر من هذا ، فجئت اليك لتأخذها وتنفقها حتى لا يجيء سمك ويأخذها فالأفضل أن تنفقها أنت » .

قال سمك فى نفسه « سرق ابن الحرام هذا أربعة صناديق لنفسه » .

وقال خاطور وكانون « هذا حسن » • ثم أجلساه وأخذوا يشربون ساعة من الزمن الى أن قالا « يا جليد ، قدم الشراب لهذا الشاب المغنى فان النوبة نوبته فى الشرب » • فقام جليد وفى يده كأس شراب ، ووقف سمك وقد نكس رأسه حتى لا يعرفه جليد ،ولكن جليد حملق فيــه ثم ارتعش وسقط الكأس من يده ، فقال له خاطور وكانون « ما هذا يا جليد ؟ سكرت ولم تشرب بعد ؟ » •

ســمك فى الشــبك :

فصاح جليد قائلا « يا أحرار الرجال ، هل تعرفون مع من تجلسون ومع من تشربون ؟

قال كانون « ماذا تقول » ؟

أجابه جليد « ان هذا الرجل الذى يطربكم قد دخل عليكم بالحيلة ، انه سمك العيار وأنتم عنه غافلون » • وحين سمعا اسم سمك هبا واقفين ليمسكا به فقال سمك لنفسه « ان حركت يدى قتلانى ، فلأستسلم للقضاء وما سيفعله بى » ، فقيداه وأخذ خاطور وكانون ينظران اليــه ويتعجبان لأنه كان ضئيلا صغير الجسم ويقولان « هل يفعل رجل بهذا الضعف كل هذه الأعمال ؟ كيف يحمل هذا رجلا مثل الأحمر الكافر ويأسره ؟ ثم قالا قيدوا بارح لأنه هو الذى رتب هذه الخدعة » ، فقيدوه أيضا • ثم قال خاطور « يا كانون ، لا يجب أن نقتل سمك هنا بل يجب أن نحمله الى أرمنشاه حتى يهلكه ويكون عبرة للناس » •

سمع سمك هذا الكلام فقال لنفسه « فــلأدبر حيــلة أتخلص بها الليلة من الموت وليكن غدا ما يكون » ، ثم تكلم فقال « أيها الأمير ، اقتلنى هنا كما تريد لأننى قمت بكثير من الأعمال كلها من الفتوة والعيارة تقتضى الانتقام والعبرة ، وبعد أن تقتلنى احمل رأسى الى المعسكر » •

أجابه خاطور « نعم ، انك تبحث عن موت معجل لك ثم أحمل رأسك الى الملك • بالله العادل لن أقتلك هنا بل أمام أرمنشاه ، وأمثل بك حتى تعلم أن ابنى لا يجب أسره ، وأن عملى لا يجب الاستهزاء به » •

فقال سمك لنفسه « لقد أمنت القتل الآن ، وليكن غدا ما يكون » •

ثم سكت فطرحوهما أرضا وفتشوا سمك فوجدوا الخنجر والوهق وكيس المخدر فى وسطه فأخذوها ثم وضعوا كل واحد منهما فى مكان ، وعندما انتهوا من هذا كان فاضل ومحارب قد عادا الى القصر للراحة فلما سمعا هذا الخبر فرحا وسعدا •

قال كانون لابنيه « ابقيا فى البيت مع سمك » ، ثم قال خاطور وكانون لجليد « انهض واذهب الى أرمنشاه وأبلغه بهذا الخبر ، وأنك أنت الذى كشفت هذا السر وخذ منه البشرى وعد غدا مع بعض الفرسان لكى

نحمل سمك الى المعسكر ، وسوف أهبك صندوقين من هذه الصناديق » ٠
ففرح جليد وخرج ليتوجه الى المعسكر ولكنه ضل الطريق ووقع فى أيدى طليعة خورشيد شاه ، وكان قائد الطليعة هو الأحمر الكافر الذى عرفه حين رآه وتقدم اليه وقال « يا جليد ، لماذا جئت » ؟

ارتبك جليد حين رأى الأحمر الكافر وقال « أيها البطل ، أخبرونى أنهم أسروك وجاء طيراق وأخذ الأسرى ، وقد جئت لأعرف أخبارك وأعرف منك ماذا أصنع ؟ وأين أضع تلك الصناديق حتى لا يجىء سمك ويأخذها » ٠

قال الأحمر الكافر « عد واحرس المكان جيدا لأننى أرسلت سمك لاحضارها وعليك أن تعاونه فى ذلك » ٠

عاد جليد حتى وصل الى طليعة جيش أرمنشاه وكان سليم هو قائدها ، فتقدم نحوه وسأله « من أنت » ؟

رد عليه جليد « أنا قادم من عند كانون أحمل بشارة للملك » ٠
فأردفه سليم خلفه على الحصان وانطلق به حتى وصل الى ديوان الملك أرمنشاه ، فروى له جليد قصة القبض على سمك ، ففرح الملك بهذا الخبر وظهر السرور عليه وقال « يا سليم ، خذ مائة من الفرسان وعد بسرعة الى المدينة وحين يطلع النهار اذهب الى قصر كانون واحضر سمك من هناك » ٠
فلما تنفس الصبح توجه القائد مع الفرسان الى المدينة ويرفقتهم جليد ٠

انج سـمك :

نعود الى سمك حيث كان فى أسر كانون فيقول مؤلف القصة وراويها انه حينما وضع كانون وخاطور سمك فى القيد وأرسلا جليد ليخبر الملك كى يرسل رجالا يأخذون سمك اليه فان سمك ظل فى القصر بينما نام فاضل ومحارب فى الغرفة فرحين بما جرى لسمك ٠

شاءت ارادة الله أن كانت لكانون بنت محجبة اسمها ضياء ، وهى أخت فاضل ومحارب ، ولكنها كانت فى غاية الفتوة والمهارة وعلى درجة عالية فى العيارة لأنها كانت تقضى ليلها ونهارها تتعلم الفنون التى يتعلمها الرجال ، وكانت تسمع باستمرار كل ما كان يقوم به سمك من أعمال ، فكانت تثنى عليه كثير الثناء ٠

فى تلك الليلة حين علمت أنهم قبضوا على سمك فى قصرهم حزنت عليه وأخذت تفكر وتتأسف على أن يضيع رجل مثله ، وتتساءل ماذا فعل من شر حتى يقتل ٠ انه لم يقم الا بما تستوجبه الفتوة والعيارة ٠ هل لأنه رجل شهم لا يتحملون رؤيته ؟ ولهذا فليس أفضل من أن أذهب وأحل وثاقه حتى ينطلق وينجو بنفسه ٠

قالت هذا ثم قامت وذهبت الى ذلك المكان الذى كان فيه سمك فرأت أخويها نائمين فتخطتهما ، ووجدت قفلا على باب غرفة سمك فقالت ان كسرته فانهما سيستيقظان ويسوء أمر سمك ، ولهذا أخرجت خنجرها وأخلت حول الباب ثم نزعته من دعائمه وأسندته الى الحائط وكان سمك يشاهد هذا العمل فقال « ربما جاء أحد ولكن لست أدرى ما وراءه ، وعلى أية حال فلن يكون الا خيرا والا لما نزع الباب وعمل بهذا الحرص والهدوء »· وكان سمك يفكر فى هذا وينصت فى الظلام حين تقدمت اليه ضياء ووضعت يدها بهدوء عليه ثم همست له « أيها الرجل الحر ، لا ينبغى أن يفعل الفتيان هذا ويبحثون عن الصيد فى عرين الأسد » ·

فسأل سمك « أيها الرجل الحر ، من أنت وما اسمك » ؟

أجابته الفتاة « مالك واسمى » · ثم أخذت تفك قيده واستطاعت بعد جهد أن تخلصه من يديه ورجليه ثم قالت له « انقذ رأسك واذهب » · ثم خرجت وعادت الى حجرتها وأخذت تراقب حتى خرج سمك من ذلك المكان فرحا ثم أخذ يبحث عن بارح وقال لنفسه « يجب ألا أتخلى عنه » · ثم ذهب الى المكان الذى كان بارح مسجونا به ففتحه وأخرجه · وقال سمك لنفسه « ان فاضل ومحارب شابان ولا يجوز قتلهما ، ثم أخذ يبحث عن خاطور وكانون حتى اهتدى الى حجرتهما ولكنه وجد بابها مغلقا فأراد أن ينزعه من الجدار ولكن ضياء كانت تراقب كل هذا فقالت له « أيها الرجل الحر ، هكذا لا يفعل الرجال ، ألم أقل لك اذهب ولا مجال للبقاء هنـا » ؟

فقال سمك « أيها الفتى ، من أنت فانك أديت لى هذا الجميل لكى أعرف حقك على » ؟

أجابت الفتاة « اذهب لأننى قمت بما تحتمه على فتوتى ، واذا ذكرت لك اسمى فاننى سأتهم ، وليس من اللائق أن أسىء الى اسمى وسمعتى ، ولكنك ان اردت أن تعرف من أنا فابحث عنى ، والوقت الآن ليس وقت عمل فاذهب قبل أن يحل عليك بلاء أو يلحق بك أذى » وحين قالت ضياء هذا خـرج سمك وبـارح ، وبعد فترة أخـذت ضياء تصيح قائلة « يا أحرار الرجال ، ما هذا الاستغراق فى النوم ؟ ألا تفكرون ؟ هل يفعل الرجال والعيارون ما تفعلون ؟ الحذر يا أبتاه » ·

استيقظ خاطور وكانون على صياح ضياء وخرجا من غرفتهما فشاهدا الباب منزوعا والفتـاة تصيح ، فسألها كانون « ما هذا يـا فتاة وماذا حدث » ؟

قالت ضياء « يا أبى ماذا تريد أسوأ من هذا ؟ لقد قمت لقضاء الحاجة فرأيت شخصين كانا يخلعان هذا الباب ، فلما أخذت فى الصياح والصراخ فرا ، ولولاى لكان هلاككما أثناء النوم الذى استولى عليكما لأننى صرخت كثيرا قبل أن تستيقظا » .

سقط خاطور وكانون منهارين من هول هذه المفاجأة ، ولكنهما تحاملا على نفسيهما وذهبا الى حيث كان سمك مسجونا فشاهدا الباب وقد نزع وهرب سمك وبارح . فحزن فاضل ومحارب واغتما . وكان أتباعهم الذين أتوا على صوت الصراخ قد استولى عليهم الحزن والضيق وكانوا يتمتمون ببعض الكلمات التى تعبر عن شعورهم ..

قال خاطـور « كيف يمكن أن يحدث هذا ؟ ألم يكن هذا هو سمك نفسه ؟ وألم يكن ذلك أحد أتباعه ؟ واذا لم يكن هو سمك فأى مخن كان»؟

فأجابه كانون « لقـد كان سمك الذى يتلون ويتشـكل بكل لون وشكل ، انه أستاذ الصنعة وله مريدون كثيرون ، واذا كان أحد أتباعه قد جاء الى هنا وخلصه من السجن فهذا غير مستبعد » .

ثم قالا لفاضل ومحارب « أهكذا تنامان حتى يأتوا وينتزعوا الباب ويأخذونهما وأنتما لا تشعران » ؟

أجاب فاضل ومحارب « لقد كنا متعبين من كثرة ما تجولنا وطفنا فى المدينة اليوم فاستولى علينا النوم » .

وبعد هذا أخذوا يتحدثون فى مختلف الموضوعات حتى لاح ضوء الصباح فى أفق المشرق فوصل سليم البطل ومعه مائتا فارس يتقدمهم جليد قادمين من عند الملك أرمنشاه لكى يأخذوا سمك الى المعسكر . وحين وصل سليم تقدم اليه خاطور وكانون وهما مغمومان وألقيا عليه التحية ، فقال لهما سليم « أحضرا سمك لآخذه الى أرمنشاه فى المعسكر » . فرد عليه خاطور بعجز وضعف قائلا « أيهـا البطل ، بعـد أن أرسلنا جليد الى المعسكر ، لم نعرف كيف هرب سمك اذ لم يشعر به أحد منا ، ولولا ابنتى لقتلنا جميعا » .

قال سليم « ما هذا الكلام ؟ وكيف يمكن ذكر هذا للملك ؟ شخص تقبضون عليه ويحبس وتقولون للملك أرسل أحدا يأخذه ثم نقول له انه هرب » ؟ وفى الحال أرسل رجلا الى الملك ليخبره بما حدث فتألم أرمنشاه كثيرا وغضب وقال « ان هذا العمل ليس ببعيد عن خاطور وكانون ، لقد دبرا هذا الأمر ليسخرا منى . هل وصلت بى الحال الى أن يستهزئا بى ؟ عد سريعا اليهما وضع حبلين فى رقبتيهما واسحبهما الى هنا حتى أرى ماذا يجب أن أفعل بهما » .

عاد الفارس الى سليم وذكر له رسالة الملك وهى أنه يأمر بوضع حبلين فى جيديهما واحضارهما الى المعسكر • فربطهما سليم من رقبتيهما بحبلين وساقهما للمعسكر وجعلهما أمام عرش الملك أرمنشاه الذى كان جالسا يغلى من الغضب والذى كان يفكر فيما حدث وكيف حدث ، ولكنه لم يستطع بأية حال أن يصل الى السر وكيف يتخلص من السجن فى ساعة واحدة • وعندما نظر الى كانون وخاطور قال « أسرعوا بقتلهما شنقا ورجمهما حتى لا يجرؤ أحد بعد الآن على الاستهزاء بملكه أو السخرية منى » •

وقف شهران الوزير وأدى التحية وقال « أيها الملك ، احذر فانهما حاكما المدينة ، وهما يعرفان خيرها وشرها ، واذا كان قد حدث خطأ هذه المرة وهرب سمك منهما ، ألم يكونا هما اللذان أمسكاه ؟ انهما سوف يبحثان عنه ويمسكانه ثانية • وأنت أيها الملك تعرف أحوالهما كما تعلم ما فعله سمك وكيف أنه خرب قلعة الفلك وكيف أخذ الأسرى • كما أنه فعل ما فعل فى السجن مع طرمشة • كما أنهما كانا قد أحضرا خورشيد شاه وماه برى فاستردهما سمك بالليل • وما فعل سمك بابنتك وامها وبطيراق • فان تجاوزت عن كل هذا فانظر كيف حمل الأحمر الكافر الذى لا يقدر عليه أى رجل • ولهذا يجب أن تكرمهما وتنعم عليهما بالخلع وتعيدهما الى المدينة فلعلهما يستطيعان الايقاع بسمك فهما يعرفان هذا كما لا نعرفه أنت وأنا • وأنت تعلم أنه حين ينتشر فى المدينة أن الملك أنعم عليهما بالخلع فانهما سيقللان من ظلمهما ويجتهدان فى البحث عن سمك • اما ان قتلتهما فان سمك سوف يقلب المدينة رأسا على عقب ويخرجها من أيدينا ، وكما رأيت وسمعت فان أربعمائة رجل من أهل المدينة قد التحقوا بخدمة سمك دفعة واحدة ، وقد ذكرت لك ما رأيت أنه الصالح العام والملك أعرف بالصواب » •

حينما سمع أرمنشاه كلام الوزير شهران أدرك أنه تكلم بالصدق والصواب ، فأمر فى الحال فأعطوا لخاطور وكانون الخلع وأعادوهما الى المدينة حتى يحافظا عليها ويبحثا عن سمك •

حينما عاد خاطور وكانون الى المدينة التفت الملك الى قطران وقال له « قم واذهب الى قلعة الوديان ومعك خمسون فارسا واحترس من سمك لأنه ربما يذهب الى هناك ويطلق سراح الأسرى ، ولا يهمنا الأسرى ولا من هم حتى نحتفظ بهم فى القلعة ، ولكنهم مصيدة لسمك لعلنا نوقع به • وحافظ على القلعة من سمك حتى لا يستولى عليها منا ويلحق بنا العار أكثر من هذا » •

نهض قطران وقال « سمعا وطاعة » وتوجه الى قلعة الوديان الاثنى

عشر مع خمسين غلاما لكى يحافظ عليها ، فلما اقتربوا كان بالوادى بطلان هما طيراق وعلام وكانا قد اختارا مندوبين لهما فى القلعة هما صيام والآخر غاطوش ، وقد علما أن الملك أرسل قطران للمحافظة على القلعة وأنه سوف يصل لهذا الغرض ، فاستولى عليهما الضيق وقالا « أليس للملك ثقة بنا حتى يرسل مندوبا علينا ؟ انه منذ أيام جيومرث (١) الذى كان أول ملك فى الدنيا حين أوجد هذه القلعة ، ومنذ سيامك وابنه هوشنج وطهمورث الذى قيد الشيطان وجمشيد الذى ملك سنوات طويلة وشيد الكثير من العمائر فى الدنيا ، والضحاك(٢) الدنس الساحر ، وبعده فريدون السعيد ولهراسب وكشتاسب ودارا والاسكندر الرومى الذى استولى على المشرق والمغرب والى هذه الأيام التى نعيش فيهـا فان أحدا ـ سواء كان ملكا أو أميرا ـ لم يرسل مندوبا للمحافظة على القلعة بل كان المندوبون من أهل الوادى • وكان جميع الملوك يعتمدون عليهم ولم يرسلوا حارسا على هذه القلعة • ونحن لسنا عاجزين عن هذا العمل ولن ندع هذا العجز يستولى علينا ، ويجب أن نكتب رسالة لأرمنشاه نوضح له فيها هذا الأمر ، ونرسل رسالة أخرى الى طيراق ـ وكانوا قد عرفوا بمقتل أخيه علام وأرسلوا له تعزية ـ ونذكر له فى الرسالة أن الأمر ان كان كذلك وسيرسل الملك البطل قطران للمحافظة على القلعة فاننا سنذهب الى الملك ونلتحق بخدمته لأننا لا نستطيع أن نرى غريبا يأمرنا » •

قالا هذا وكتبا الرسالة وأرسلاها قبل أن يصل قطران للقلعــة • وبعد هذا اليأس ذهبا واستقبلا قطران ورافقاه الى الوادى وأخبرا مستحفظ القلعة بهذا فجاء وفتح بابها ورأى قطران وسلم عليه وأدى الخدمة له وسأل عن الملك ثم قال له « لأى أمر جاء البطل ؟

ذكر له قطران المهمة التى جاء من أجلها فقال المستحفظ « أيها البطل، اذا كان الملك أرسلك لهذا العمل فانه لم يفعل خيرا ، اذ أن أهل القلعة سيئون ولا يستطيعون رؤية غريب أمامهم•وهذه القلعة لى ومعى بها عشرة رجال ، وقد أحضروا خمسة من الأسرى وهم معنا هنا ، واذا جاءت جيوش الأرض فانها لن تستطيع أن تفعل شيئا بأيديها لأن باب القلعة كما ترى كأنه معلق بين السماء والأرض » •

أجابه قطران « ان الملك أرسلنى ولم أستطع عصيانــه ، ولم أكن أعرف أن القلعة هكذا والا لما حضرت ولا مفر من أن أبقى الى أن يستدعينى

---

(١) جيومرث عند الفرس يقابل آدم عند العرب والمسلمين • أما بقية الأسماء حتى دارا فهى أسماء ملوك من العصر الأسطورى الفارسى قبل تكوين دارا لأول مملكة فى ايران سنة ٥٥٩ ق•م •

(٢) لأن الفرس القدماء يزعمون أنه من أصل عربى فينعتونه بصفات سيئة •

الملك » . قالوا هذا وبقوا على هذه الحال بينما قال قطران لنفسه « ماذا يستطيع الانسان أن يفعل بهذه القلعة ؟ اننى لا أستطيع أخـذ الأسرى منها » .

عندما وصلت رسالة صيام وغاطوش الى الملك أرمنشاه سلمها الى شهران الوزير لكى يقرأها ويخبره بما فيها فقال « انهم أنـاس جبليون طباعهم سيئة ، وهم كالنمور لا يستطيعون رؤية أحد برأسهم ولم يكن من الصالح ارسال قطران » .

قال الملك «أكتب رسالة واستدعيه» . فكتب الوزير رسالة استدعاه فيها وأرسلها فى الحال ، وحينما وصلت الرسالة الى قطران أدرك أنه لو كان قد بقى مائة سنة فى ذلك المكان لما استطاع أن يفعل شيئا مع تلك القلعة فتوجه عائدا الى معسكره .

العـــدوان المتفقـــان :

شاء الحق تعالى أنه حينما عاد قطران الى المعسكر كان اليوم التالى موعدا للقتال،فأخذ يعرض على الملك أحوال الوديان الاثنى عشر حتى خلدوا للراحة .فلما أسفر صباح اليوم التالى عن وجهه ارتفعت دقات الطبول من الجانبين ، فامتطى الفرسان جيادهم وهيأوا السلاح ورتبوه على أجسامهم وتوجهوا الى ساحة المعركة ، فتقدم النقباء ورتبوا صفوف الجند وأعدوا الميمنة والميسرة والقلب والجنـاح حينما برز الأحمـر الكافر من صفوف جيش خورشيد شاه وتوجه الى ساحة القتال ، وأجرى فرسه فى الميدان ثم وقف أمـام خورشيد شاه وأدى التحية وقال « أيها الملك ، ان عبدك يستأذن فى الدخول الى الميدان » .

فقال الملك « اذهب ، رافقتك عناية الله » .

كان الأحمر الكافـر فى ذلك اليوم يمتطى صهوة جواد كأنـه جبل ويتسلح بأربع عشرة قطعة من السلاح رتبها حول جسمه ودخل الميـدان وأخذ يجول ويبدى بعض ألعاب الفروسية ، ثم طلب رجلا للنزال .

فقال أرمنشاه « من ذلك الذى برز من جيشهم الى الميدان فانه نعم البطل الماهر » ؟

أجابوه « أيها الملك ، ألا تعرف ، أنه الأحمر الكافر » ؟

فرد الملك أرمنشاه « عندما كان ــ ابن الحرام هذا ــ فى خدمتنا كان فقيرا يسرق ويدلج بالليل ويقتل ، ولم يقل أنه يجيد الحرب الى أن انضم اليهم فاتضح أنه لا ينقصه شىء من فنون القتال فمن ذا الذى يدخل الميدان ويرد على هذا الحقير » ؟

كان هناك بطل من صحراء خورجــان اســمه « سنجاق » انطلق بفرسه فى الميدان ، وكان مجهزا بكل المعدات والحبال الموشاة بالذهب حتى وقف فى مواجهة الأحمر الكافر وصاح فيه « يا ابن الحرام يا عديم الشهامة ، لماذا خنت عهد الملك أرمنشاه ؟ ماذا فعل بك من سوء ؟ اننى الآن سأجازيك بما تستحق » . قال هذا وانتزع حربته من مكانها واتجه نحو الأحمـــر الكافر الذى كان واقفا فى مكانه ينظر اليه لا يتكلم ولا يرد وتركه يهجم عليه هجمة أو هجمتين وهو واقف فى مكانه يصد هجماته حتى استشاط غيظا فنزع حربته من مكانها ثم ضرب بها صدر سنجاق ضربة جعلته ينكفىء على ظهره ، ثم ثبت كعب رمحه فى فخذه ووضعها تحت بطه واستجمع قوته واندفع نحوه فألقاه من على حصانه فسقط على بعد نحــو عشرين خطوة منه مما جعل الميدان يمتلىء بالغبار كأن ألف فارس يندفعون فيه .

بعد هذا زار الأحمر الكافر فى الميدان وطلب رجلا آخر وقال اننى سأجول فى الميــدان فتعالوا أيهــا الأبطال الذين امتلأت كأس عمرهم . تعالوا كى تجربوا أنفسكم ساعة » .

وفجأة دخل فارس الى الميدان تبدو عليه الشجاعة أكثر من سنجاق ، وتقدم نحو الأحمر الكافر وشتمه ، واندفع فى وسط الغبار ثم هجم على الأحمر الكافر .

كان الأحمر الكافر ينظر اليه حتى اقترب منه فضربه حربة واحدة على ظهره نفذت منه وسقط صريعا ، وتسرب الخوف الى قلب أرمنشاه لأن أحدا لم يجرؤ على الدخول الى الميدان ، وكان الأحمر الكافــر يزأر وقال « يا ارمنشاه ، أين ذهب رجالك ؟ قل لهم لكى يدخل أحدهم الى الميدان. أبمثل هؤلاء الرجال تحارب ؟ أين ذهب قطران ؟ قل له ليأت الى الميدان ويرى طعان حربتى » .

كان قطران قد عاد من رحلته ويقف أمام ارمنشاه ، فأدى التحية وقال « أيها الملك ، اننى متعب من السفر ولكن الأحمر الكافر يطلبنى ولهذا سأدخل الميدان بسعدك واقبالك » . فقال له الملك « اذهب واجتهد فى أن تقهره » .

انطلق قطران بفرسه الى الميدان الى أن وقف فى مواجهــة الأحمر الكافر وأدى التحية فسأله الأحمر الكافر أيضا عن أحواله ثم ذكر له قطران ما حدث من ذهابه وعودته ومحاولته عند قلعــة الوديــان الاثنى عشر ثم استدعائه ، وبعد هذا تقارشا برمحيهما وتحاربا حربا شديدة مما جعل الجيشين يتعجبان منهما ، ولكنهما كانا يرعيان الحرمة فيما بينهما الى أن شعر الأحمر الكافر بالعطش فصاح « هاتوا الماء » .

أمر خورشيد شاه قيم الشراب أن يملأ طاسة محلاة بالجواهر بالماء ويضع فيه السكر النبات ويدخل بها الى الميدان وناولها للأحمر الكافر وقال له « أيها البطل ، ان الملك قال لى أن أقول لك أن كل ما أعطيه لأحد لا أسترده منه » • عندئذ خلع الأحمر الكافر خوذته عن رأسه ووضع الطاسة على رأسه • فسأله قطران « أيها البطل ، ما هذا » ؟

أجابه الأحمر الكافر « لقد أرسلها لى الملك بالماء ووهبها لى ، وهو يقول أن كل ما أهبه لأحد لا أسترده منه ، وهذا الكلام يعنيك أيضا » •

قال قطران « ان كلام الملوك كله حكم ورموز، فاعطنى هذه الطاسة »• فأعطاها له الأحمر الكافر وقال له « لقد وهبتها لك » • فأخذ قطران الطاسة من يده وتوجه الى أرمنشاه ووضعها أمامه • فنظر أرمنشاه فوجد أنها كانت من أدوات حانته التى كان سمك قد استولى عليها فقال « يا قطران ، هذه طاستى أخذوها مع أدوات الحانة فعد اليهم وقل لهم تجودون من أموال غيركم ؟ ان الجود يجب أن يكون من مالكم » • فعاد قطران وذكر هذا للأحمر الكافر •

قال الأحمر الكافر « ان الملك أرمنشاه لا عقل له ، ألا يعلم ان هذا هو أساس الدنيا لأن أى شخص لم يجلب معه شيئا عندما ولد من بطن أمه ، ولكنهم يحصلون على الأشياء من الأماكن المختلفة • انهم يأخذون ويسرقون ويمنحون ويأكلون ثم يجعلون أنفسهم ملوكا من أموال الناس • ان العقلاء يعلمون أن هذا أمر الدنيا • ومع كل هذا فقد حصلنا عليها منكم بالشجاعة ، وملكك لديه رجال فقل لهم ليأتوا ويأخذوا من عندنا » •

عاد قطران وذكر هذا لأرمنشاه • فقال الملك والوزير والآخرون « صدق فيما قال » • ثم عاد قطران الى الميدان وظل فترة مع الأحمر الكافر يتبارى فى القتال الى أن قال له الأحمر الكافر « أيها البطل ، الى متى ننتظرك ؟ فطالما أنك لم تحصل على شيء من تلك الهدية فتعال نذهب الى خورشيد شاه » •

أجابه قطران « دعنا نتبارى فى الميدان الى أن يدقوا طبول الراحة وآنذاك آتي معك لأننى كنت فى شغل شاغل من ناحية الزوجة والأبناء وقد أخفيتهم فى المدينة واستراح قلبى » • قال هذا وظل زمنا يجول مع الأحمر الكافر ثم استدار برمحه وعاد مع الأحمر الكافر الى خورشيد شاه وأدى التحية ، وحينما رأى أرمنشاه وقزل ملك والأبطال هذا استولى عليهم الضيق وقال الأبطال « أيها الملك ، أرأيت كيف أظهر قطران الخسة وعصاك ؟

ساقوط يسقط الأبطال فى الأسر :

وكان البطل سليم شقيق قطران واقفا أمام أرمنشاه فأخذ يعض جلد ظهر يده بأسنانه من الكمد والغيظ ، وكان يصيح من أعماقه ويتلوى الى أن تقدم أحد حراس قطران وكان اسمه « ساقوط » وأدى التحية وقال « أيها الملك ، اذا ذهبت وأعدت قطران والأحمر الكافر فماذا يعطيني الملك » ؟

أجابه الملك «ان أعدتهما وهبتك ستين ألف دينار هى راتب قطران» . قال هذا ثم دقوا طبول الراحة وعاد كلا الجيشين الى معسكريهما وسار ساقوط وتوجه الى قطران وأدى له التحية . وحين رآه قطران سأله « كيف أتيت » ؟

أجابه ساقوط « أيها البطل ، اننى عبدك ما حييت ، أضع رأسى حيث يكون حافر حصانك ، فلما جئت ــ بالتوفيق ــ الى هنا ، فماذا أصنع أنا هناك » ؟ فدعا له قطران واصطحبهما الأحمر الكافر الى الديوان حيث أديا التحية لخورشيد شاه .

أكرمهما خورشيد شاه وعززهما وأنعم على قطران البطل والأحمر الكافر بخلعة جميلة وأمر فأعطوه ستين ألف دينار نقدا من الخزانة ، وكتبوا له منشورا بمائة ألف أخرى ، فأدى قطران التحية ، ثم انشغلوا فى الايوان بشرب المدام .

عندما أقبل عالم الظلام . وانهزمت جيوش الروم أمام جيوش الزنج (١) قال خورشيد شاه « يجب أن نزيد الطليعة هذه الليلة فربما بيتوا (٢) لنا الليلة انتقاما لقطران » فأدى الأحمر الكافر التحية وقال « مع أننى قمت اليوم بالقتال فى الميدان فاننى يمكن أن أخرج على رأس الطليعة » . وقال قطران « أيها الملك ، أنا أذهب أيضا » . وأدى هرمز وجواد التحية قالا « نحن أيضا سنرافقهما » .

أثنى خورشيد شاه على الجميع ثم خرج أربعتهم على رأس عشرين ألف فارس كطليعة . كما خرجت الطليعة من الجانب الآخر بقيادة سريع وقباد ، وكان ساقوط ينتهز الفرصة المناسبة ويقول لنفسه « ان عملى سوف ينجح » . فلما انقضى ردح من الليل قال قطران « أيها الأبطال ، ان النوم يغالبنى ، فتعالوا نسترح قليلا فقد فات وقت الهجوم كما أن جنود الطليعة يتولون الحراسة » . قالوا هذا وتوجه أربعتهم مع ساقوط الى روضة قريبة ونزلوا عن خيلهم وربطوها معا وقالوا لساقوط « تولى حراستنا ساعة حتى نستريح بعض الوقت فقال ساقوط « السمع

---

(١) جيوش الروم كناية عن ضوء النهار وجيوش الزنج كناية عن ظلام الليل .

(٢) البيتوتة هى هجوم الجيش بالليل .

والطاعة » . وقال فى نفسه « هذا ما كنت أتمناه » . واستغرق أربعتهم فى النوم ، فلما أدرك أنهم صاروا لا يدرون شيئا عن الدنيا ورأى أنهم على هذه الحال قام وأطلق خيلهم ثم ركب فرسه وانطلق الى معسكر ارمنشاه وذهب الى سريع وقباء وأدى التحية وقال « أيها البطلان ، أسرعا فان البطل قطران والأحمر الكافر وهرمز وجواد نائمين فى الموضع الفلانى، وقد أطلقت خيلهم فادركاهم قبل أن يستيقظوا » .

حين سمع قباد وسريع هذا الخبر سارا فى هدوء مع خمسين فارسا قويا وساقوط أمامهم حتى أحاطوا بهم ثم صاحوا فيهم فقفزوا من نومهم ، وما كادوا يفتحون عيونهم حتى كان الجند قد قيدوهم ، فتنبهت الطليعة على الضجة وأصواتهم ، وأخذ الجيشان من الطليعتين يتوجهان اليهما للمساعدة الى آن طلع النهار وكان قد قتل الكثير ، فعادت الطليعتان الى معسكريهما .

وصل الخبر الى خورشيد شاه أنهم أسروا أبطال الجيش فانتفض فى مكانه وقال « كيف حدث هذا ؟ » وتضايق كثيرا من هذا العمل ، وتحير هامان الوزير والأبطال ولم يخرجوا للحرب فى ذلك اليوم من ضيقهم وحزنهم وظلوا فى تفكير ماذا يصنعون ؟

في الناحية الأخرى كان سريع وقباد وساقوط قد قيدوا الأحمر الكافر وقطران البطل مع هرمز وجواد وحملوهم الى الملك أرمنشاه وحين رآهم أمر بقتلهم ، فأدى شهران الوزير التحية وقال « أيها الملك ، احذر فطالما كان فى سمك نفس حياة فلا تمس شعرة من رءوسهم الى أن نقضى على سمك أولا ، لقد سبق أن أسرنا خمسة أشخاص لا حول لهم ولا قوة وسجناهم فى قلعة الوديان ، فلننتظر حتى نرى ما سيحدث لهم ، ونحن نحتفظ بهم خوفا من سمك فمر بأن نقيد هؤلاء الأربعة أيضا ونسلمهم لخاطور وكانون » .

أرسلوا الى خاطور وكانون وأحضروهما وقالوا لهما « انظرا من هؤلاء الأسرى الأربعة الذين أوقعنا بهم وسوف نسلمهم لكما ، ولكن لا ليهربوا منكما أو يخطفوهم ، ان دماءهم فى عنق الملك أرمنشاه » . ثم سلموهما الأسرى فأخذاهم وتوجهوا للمدينة فى حراسة خمسين فارسا وسجنوهم فى قصر كانون ثم أحضروا الحدادين وجهزوا لهم أربعة قيود وأغلال ثقيلة جعلوها فى أيديهم وأرجلهم وأعناقهم ثم احترزوا عليهم بعشرة رجال يقفون على باب الحجرة التى كانوا بها .

شاء الحق تعالى أن ينتشر الخبر فى المدينة وتعلم به امرأتا القصابين وخاصة أنهم أسروا الأبطال أثناء نومهم ، فأخبرتا سمك الذى تعجب

وتحير وقال « واأسفاه على أحوال خورشيد شاه التى وصلت الى هذا الحد الذى جعلهم يأخذون فيه الأبطال على هذا النحو . لقد كان نوما خطيرا » ، وكان يفكر فى هذا الأمر عندما دخل بارح من الباب وكان سمك قد غير له ملامح وجهه وشكله وأرسله ليتسمع له الأخبار ، وتقدم الى سمك وقال « أيها البطل أدركنا فانهم أحضروا الأحمر الكافر مع قطران وهرمز وجواد أسرى وسجنوهم فى قصر كانون » .

بارح لا يكافح :

بقى سمك حتى حل الليل ثم قال « يا بارح ، ان قلبى مشغول على هؤلاء الرجال وكيف وقعوا فى الأسر ، والآن يوجد أربعة أبطال فى السجن ، كما علينا أن نبحث عن محبوبتك ، وواجبنا أولا أن نخرج الأسرى من سجنهم ثم ننشغل بحبيبة قلبك » .

قال بارح « بل حبيبتى أولا ، فليس هذا وقت الأبطال اذ أن صبرى قد نفد ولم أعد أطيق بعادها ، وكنت لا أتكلم خجلا منك ، وسوف أخرج معك لنبحث عنها » قال هذا وقاما واتخذا طرقا ملتوية غير مطروقة الى قصر الملك .

كان من تقدير الحق تعالى أنهم حينما أحضروا الأحمر الكافر مع قطران وهرمز وجواد الى المدينة علمت ضياء بهم فتضايقت وقالت لنفسها « لا شك أن سمك سوف يأتى فى طلبهم ولهذا سأخرج الليلة من البيت » وسارت حتى جاءت على أول أحدى الحارات فرأت رجلين يسيران وهما يحملان أدوات رجال الليل ، فانعمت النظر فيهما وأدركت من هيئة ومشية أحدهما أنه سمك والآخر بارح لأنها كانت قد رأتهما فى قصرها ، فقالت لعلهما لا يعلمان شيئا من أمر هؤلاء الأسرى والا لكانا قد جاءا الى قصرنا وسوف أنظر أين يذهبان .

سارت ضياء فى أثرهما وكانت تحرسهما من الخلف الى أن وصلا الى قصر الملك فقالت « لا شك أنهما يريدان الملكة وابنتها فلأنظر كيف يعملان » . قالت هذا لنفسها واختبأت حتى دار سمك حول القصر فوجد الحراس نائمين فى أحد جوانبه فقال « يا بارح ، اقذف الوهق » .

قال بارح « أيها البطل ، ليس هذا عملى » . فأخذ سمك الوهق من بارح ثم قذفه على ركن برج القصر فتعلق به باحكام ثم قال « يا بارح ، ابق هنا حتى أعود » . قال هذا ثم أمسك بالوهق وتسلق عليه الى السطح ، وكانت تنظر اليه ، فلما صعد سمك كان الحراس يغطون فى النـــوم فتخطاهم وأخذ يطوف على سطح القصر وينظر فى كل مكان حتى رأى ضوءا فاتجه اليه ونظر فرأى حجرة يجلس فيها خادم وحيدا ، فقال سمك لنفسه « ان هذا الخادم يعرف أحوال الملكة ويعرف أين هم » . ثم نزل بالوهق

من على السطح ودخل الغرفة وأمسك الخادم جيدا وشهر خنجره فى وجهه وقال له « ان نطقت قتلتك » • وكان الخادم نفسه قد انهار من الخوف ثم قال له « اصدقنى أين توجد امرأة الملك وابنته لأنهما ليستا بين الجوارى ، وقد طفت بالقصر كله فلم أجدهما » •

سمك يصطاد الملكة والأميرة :

فسأله الخادم « أيها الرجل ، أنت نفسك من تكون » ؟

أجابه سمك « أيها الخادم ، ألا تعرفنى ؟ أنا سمك العيار ، فما اسمك وما عملك » ؟ وحين سمع الخادم اسم سمك ارتعد وقال « يا سمك ، هل أنت الذى تقوم بكل هذه الأعمال حتى أنهم أخفوا الملكة وابنتها خوفا منك » ؟

أجابه سمك « نعم ، قل لى ما هو اسمك ؟ دلنى على مكان الملكة وابنتها » •

قال الخادم خوفا على حياته « يا سمك ، احترس فاننى الخادم الخاص للأميرة واسمى ريحان • أما زوجة الملك وابنته فموجودتان فى ذلك الجناح المواجه لى فى مطمورة هناك وعندما تدخل ذلك الجناح ستجد فى وسطه بعض الآجر الملقى ، ارفع خمس آجرات منها فيظهر لك باب كبير من الحديد اذا فتحته يظهر أمامك سلم ، اهبط عليه تجد الملكة وابنتها هناك مختبئتين تحت الأرض خوفا منك ، ولا يعلم أحد فى الدنيا هذا السر سواى » •

ربط سمك يدى الخادم ورجليه وكمم فاه وألقاه فى مكانه ثم ذهب الى ذلك الجناح ورفع بعض الآجر فظهر باب حديدى فتحه ورأى سلما فقال لنفسه « ان مكانا كهذا لا يمكن الذهاب اليه الا بالسحر » ، ثم سحب خنجرا من وسطه وهبط على السلم نحو عشر درجات فرأى ضوءا ونظر فشاهد بدور وبدرية نائمتين على سريرهما وبجوار رأسيهما شمع ينير لهمـــا •

اقترب سمك منهما وصاح فيهما فقفزتا فى فراشهما وشاهدتا شخصا يقف أمامهما فقالتا « من أنت » ؟

قل سمك « أيتها الرعناءتان ، ألا تعرفانى ؟ أنا سمك العيار ، أنا الذى تختبئان خوفا منه فى هذا المكان السحيق • أتظنان أننى لا أستطيع أن آخذكما من مثل هذا المكان ؟ اذا ذهبتما فوق الفلك فاننى سأنزلكما من فوقه ، فما بالكما بمثل هذا المكان » ؟

حين سمعتا اسم سمك انهارت قواهما فقيدهما سمك ، ثم رأى سلما خشبيا كانتا تستخدمانه فى الصعود والهبوط الى ذلك المكان فحملهما الى السطح حتى ينزلهما من على القصر •

هكذا يقول المؤلف ان سمك عندما صعد الى سطح القصر ترك بارح أمام القصر حتى يرجع اليه فكان يتجول من جانب الى آخر فى انتظار عودة سمك ، فقالت ضياء ما أعظم جهله وحماقته ، فمن الواضح أنه لم يعمل قط بالعيارة لأن كل من يخرج للسرقة لا يفعل هذا ، انه يظن أنه هكذا يقوم بالحراسة ولو رآه أحد فانهم سيمسكون سمك فى القصر ويهلكونه ولو كان أحد غيرى فى مكانى لكان هلاك سمك مؤكدا » ٠

قالت هذا وتقدمت فى جرأة وصاحت فى بارح قائلة « من أنت » ؟ فأجابها « رجل غريب » ٠ ولم يكد يتم كلمته حتى كانت ضياء قد ضربته بقبضة يدها فأوقعته على الأرض ثم قيدت يديه ورجليه وكممت فاه وحملته وألقته فى زقاق ثم ذهبت ووقفت فى المكان المحدد تنتظر الى تلك اللحظة التى أشار فيها سمك اشارة من فوق القصر فصفرت ضياء فقال سمك « خذ هاتين الاثنتين لأن حبيبتك ليست فى هذا المكان حتى أعرف من لالاريحان أين هى » ٠ ثم أنزل الملكة والأميرة وعاد الى لالاعنبر لكى يعرف منه أين توجد دانة (١) ٠

ضياء تسرق صيد سمك :

حملت ضياء الملكة والأميرة الى ذلك المكان الذى كانت تقف فيه وقالت لنفسها « اننى لا أستطيع ابقاءهما هنا » ثم تذكرت منزل جلبهار (٢) الذى كان قريبا من القصر فحملت الاثنتين الى قصر جلبهار ودقت الباب فنزلت جلبهار وحينما رأت ضياء فرحت بها ثم سألتها « من هاتين الاثنتين » ؟

أجابتها ضـــياء « يا أختاه ، انهمـــا بدرية وبدور زوجة الملك وابنته » ٠

فسألتها جلبهار « من أين أتيت بهما » ؟

فقالت ضياء « سلماهما لى كأمانة فاحترسى واحترزى عليهما فهما مقيدتان ولا تفكى وثاقهما حتى أعود » ٠

فقالت جلبهار « الســـمع والطاعة » ٠ ثم أدخلاتهما وعادت ضياء وتوجهت الى قصرها وخلعت سلاحها ونامت ٠

فى الجانب الآخر عاد سمك الى لالا ريحان وقال له « أين دانة » ؟

---

(١) دانة بالفارسية يعنى واحدة أو فريدة وتطلق عند تجار اللؤلؤ على اللؤلؤة الكبيرة وتستعمل فى دول الخليج كاسم للبنات كما أن الكلمة عنوان لأغنيات شعبية خليجية جميلة ترجع لأيام صيد اللؤلؤ ٠

(٢) جل بالضم بمعنى الورد ، وبهار بالفتح يعنى الربيع ، جلبهار تعنى ورد الربيع ٠

فرد عليه لالا ريحان قائلا « يا سمك ، منذ اختفت زوجة الملك وابنته لم تأت الى هنا ، وربما كانت فى بيتها » • فكمم سمك فمه ثانية وألقى وهقه من فوق السطح ونزل عليه ثم نظر فلم ير أحدا ، فقال لنفسه « واأسفاه لأننى قمت بعمل لن يقبله منى أى عاقل ، أين كان عقلى حين سلمت بنت الملك الى حقير ؟ كيف لم أنزل بعد أن أنزلتهما ؟ ما شأنى ولالاعنبر ودانة ؟ اذا كان من الضرورى أن أعرف مكان دانة فكان من الأفضل أن أعرفه من الأميرة • ما هذا الذى فعلته ؟ اننى أعرف أن بدور أحسن من دانة وأفضل وأخشى أن يكون بارح قد أخـــذ الأميرة واعجبا ببعضها ، وأرجو ألا يكون قد ارتكب هذا الخطأ ويلطخ اسمى ويجعـل الدنيا تذمنى وتلومنى » • ثم توجــه الى منزله • فلما ســار قليلا رأى شخصا ملقى على الأرض ، فلما تحقق منه وجده بارح ففك قيوده وقال له « ما هذه الحال ؟ أين حملت الملكة والأميرة » ؟

أجابه بارح « يا سمك ، أتسخر منى ؟ أية ملكة وأية أميرة ؟ حينما ذهبت أنت الى قصر الملك وكنت أنا واقفا أمام باب القصر وفجأة جاء شخص وصاح فى صيحة أخافتنى ثم ضربنى بقبضته فأسقطنى ثم قيدنى على هذا النحو وتركنى ولا أعرف أكثر من هذا الى أن حضرت الآن » •

قال سمك « يا بارح ، ان الملكة والأميرة قد اختفيتا بسببك ، كما أن دانة حبيبتك ليست فى قصر الملك •••••• (١) فمن يفعل هذا ؟ اذا كان من أهل المدينة فتربطه بى صداقة والا لكان من الممكن أن يقضى على » • وهكذا ظلا يقلبان فى الأمر حتى طلع النهار •

يقول مؤلف القصة أنه لم ينتشر أى خبر فى المدينة لأن لالا ريحان لم يخرج من مكانه كما أن جاريه من الجوارى لم تذهب الى حيث كان يرقد لتراه مقيدا فتشيع تلك الحادثة فى المدينة ، ولهذا ظل ما حدث مجهولا • فلما انتهى عمر النهار المضىء وانتشر جناح الظلام على الآفاق ، ونام الناس جميعا وأصبح التمييز بين الأرض والفضاء مستحيلا من حلكة الليل وشدة الظلام ، نهض سمك وقال « يا بارح ، لقد مر على هذا اليوم كأنه عام كامل وسأخرج الآن للبحث عن حبيبتك دانة وعن الشخص الذى فعل ذلك بنا بالأمس ، فاحذر أن تخرج فى أثرى حتى لا أنشغل عليك وكفى أنك كنت سبب تعبى وشقائى عندما علمت بما حدث وخرج الصيد من مصيدتى » • قال هذا وخرج •

---

(١) ساقط فى المخطوطة الأصلية •

أما فى الجانب الآخر فانه كان من تقدير الله أن ضياء فى قصرها أخذت تستعرض الأحداث مع نفسها وقالت لا شك أن سمك سيخرج الليلة ليبحث عن أسباب فعلتى هذه أو من فعلها ، ولهذا سأخرج أيضا ٠

الصـــديقان وجهـــا لوجـــه :

حينما أقبل الليل واشتد الظلام التقت ضياء بسمك وهو يسير فعرفته واستترت منه الى أن مر من أمامها ثم سـارت فى أثره وقالت « لأنظر ماذا سيفعل » ٠ وهكذا حتى وصل الى بيت دانة فوقف واختبأت ضياء الى أن ابتعد وأخذ يدور حول البيت ثم اختار ركنا وقذف الوهق فتعلق بركن السطح ثم أمسك به وتسلقه ونظر من فوق السطح فرأى دانة جالسة مع جارية لها تتحدثان فى موضوعات شتى وأمامهما صندوقان ، ففتح باب السطح ونزل بجرأة ثم صاح فيهما قائلا « أنا سمك العيار » ٠

ذهلت الفتاتان عندما سمعتا اسم سمك ، فتقدم اليهما ولكى يبعث الرعب فى قلب دانة فقد أمسك بالجارية الأخرى وقتلها ثم قيد دانة وبعد ذلك سألها « ما هذا الصندوق » ؟

أجابت دانة « هذا به جواهر وذلك صندوق زينة وبه مفتاح خزانة الأميرة » ٠

فقال سمك « انها تنفع لى » ، ثم كمم فم دانة وصعد بها كما حمل الصندوقين معه ، وربط دانة بالوهق وأنزلها من فوق السـطح لينزل بعدها فيفكها من الوهق ثم يصعد ثانية لينزل الصندوقين ٠

كانت ضياء تراقبه ولم تكد دانة تقترب من الأرض حتى كانت ضياء قد قطعت الوهق وأخذت دانة واختفت معها فى الحارة المواجهة للمنزل » ٠

كان سمك يدلى الوهق فلاحظ أنه خف فى يده فلما سحبه وجد أنه قطع فامتلأ قلبه بالحسرة وقال لنفسه « ربما فعلها بارح ، انه يمزح معى » ، ثم ربط الصندوقين بالوهق ونزل الى الأرض وجمع وهقه وحمل الصندوقين وسار فى طريقه عبر تلك الحارة التى كانت ضياء تختبىء بها ، ورأته وهو يحمل الصندوقين على كتفه فتقدمت اليه وصاحت « من أنت ، وما هذا ؟

نظر سمك فرأى شخصا ضخم الجثة مسلحا فقال لنفسه « لا شك أنه الشخص الذى سرق الملكة والأميرة منى » ، ولم يتصور أنها ضياء التى خلصته من السجن ، فوضع الصندوقين على الأرض واستل خنجره وهجم على ضياء ليطعنها ٠

أمسكت ضياء يده ولوت ذراعه ثم ضربته بقبضة يدها على أذنه فشعر بدوار وكاد يسقط على الأرض لأنه كان ضئيل الجسم ، أما ضياء

فكانت فارعة قوية البنيان ؛ وفي هذه اللحظة وصل العسس على الصوت ، ولهذا انطلق سمك خوافا على نفسه منهم واتجه الى منزله . أما ضياء فانها اختفت مع دانة في الحارة لأنها كانت تعرف المنطقة جيدا ، فلما ابتعد العسس خرجت من مخبئها وحملت الصندوقين واصطحبت دانة معها وتوجهت الى قصر جلبهار ودقت الباب ففتحته ورأت ضياء ففرحت بها ثم قالت لها « يا أختاه ، ما هذا » ؟

أجابتها ضياء « أمانة أخرى » . ثم أخذت دانة الى الملكة والأميرة ووضعت أمامهما الصندوقين وعادت ضياء الى قصرها ونامت .

ظل سمك في تفكير دائم يستعرض كل الاحتمالات حتى طلع النهار وتعالت الأصوات من القصر أن جارية دانة قد قتلت ودانة غير موجودة . ووصل الخبر الى كانون بأنهم اختطفوا دانة . فجاء رجاله وبحثوا في كل مكان فلم يعثروا على أثر فخرجوا من البيت وأرسلوا شخصا الى لالا ريحان ليخبر الملكة بما حدث . فلما وصل رآه مقيدا مطروحا على الأرض فصاح وجاء الحرس فحلوا وثاقه وحملوه الى كانون فذكر له أحواله وأن سمك العيار جاء اليه وأخذ زوجة الملك وابنته وقيده منذ ليلتين .

ثار كانون وأخذ يصيح وقال « كيف يمكن أن نخبر الملك بهذا ؟ أنقول كنا في المدينة نقوم بحراستها وجاء سمك وفعل هذا » ؟

قال خاطور « لا نخبر الملك الليلة ونغلق أبواب المدينة جيدا ونختار الرجال والحراس ونتخذ من الاجراءات ما يجعلنا نمسك بسمك ، فهو ما زال هنا والا فاننا سنهلك » . قال هذا وصمتا حتى لا يتناقل الكلام في المدينة ويشيع أو يعلم به أحد ، ثم توجها لأبواب المدينة كأنهما يتنزهان قالا نراقب الأبواب حتى لا يدخل المدينة أو يخرج منها أجانب . ثم عادا الى وسط المدينة واختاروا الرجال الذين سيبحثون عن سمك وكانوا يستعملون كل ما لديهم من رأى وحكمة في الاحتياط لهذا الأمر .

يقول جامع القصة ومؤلف الأحداث أن سمك كان ضائقا مغيظا يعض ظهر يده بأسنانه من الغيظ ثم قال « يا بارح ، سأذهب هذه الليلة الى قصر كانون لأعرف أحوال الأسرى وأبذل جهدي في انقاذهم وتحريرهم ولأعرف أيضا كيف وقعوا في الأسر . فابق أنت هنا حتى عود » . قال هذا وخرج تاركا بارح .

من قضاء السماء أن العسس كانوا منتشرين في المدينة فكان سمك يتجول متخفيا حتى وصل الى قصر كانون ، وكان خاطور وكانون بعد أن بثوا رجالهما في كل مكان قد ذهبا الى القصر وأخذا في تناول الشراب .

وكانا منذ أتوا بهرمز والآخرين يتولى خمسون رجلا حراستهم كل ليلة بقيادة فاضل ومحارب ٠

حين وصل سمك الى قصر كانون رأى تلك الجلبة والضوضـــاء فاختبأ فى زقاق حتى انقضى ثلثا الليل الحالك الظلمة فقال فاضل ومحارب « اننا فى حاجة الى شراب ونحن واثقان أن أحدا لن يجرؤ على الاقتراب من قصرنا ، فلنذهب الى الحديقة ونتناول الشراب » ٠

قالت جماعة من الرجال « الأمر لكما » ثم دخلا الحديقة ٠ وحين رأى سمك أن ما حول القصر قد خلا من الرجال حمد الله الذى هيأ له هذه الفرصة فأخذ يطوف حول القصر ويفكر فى حيلة ٠

كانت ضياء قد توقعت قدوم سمك فقالت لأمها « يا أماه ، انتظرى بعض الوقت فى المنزل ريثما أعود » ٠ ثم خرجت فلمحت سـمك وهو يطوف حول القصر ثم جلس فى مكان وأخذ ينقب فى الجدار حتى نقبه نقبا يمكنه الدخول منه بسهولة ٠

كانت ضياء تتعجب من سرعته فى عمل النقب حتى دخل القصر ورأى حجرة صغيرة مغلقة فنقب حائطها أيضا وعندئذ رأى الأسرى مقيدين مطروحين على الأرض ففرح وتقدم ووضـــع يده على قطران الذى قال « من أنت » ؟ فأجابه « أنا سمك العيار ٠ من أنت » ؟ ٠

قال « أنا قطران يا سمك أعانك الله لأنك جئتنا فلم تعد لدينا الطاقة على تحمل القيد والسجن » ٠

استطاع سمك بصـــعوبة أن يخلص القيد من رجليه ثم قال له « اخرج فأنت تعرف الطريق الى بيت الأخوين القصابين حتى أفك قيود الآخرين ثم ألحق بك وأفك القيد من يديك ولكن تنبه وكن حذرا فى الطريق » ٠

خرج قطران لكى يذهب فتقدمت اليه ضياء وأمسكت بذراعه فظن أنه سمك فسار معها حتى قصرها ، فأجلسته عند مربيتهـا وقالت له « اجلس حتى أحضر الباقين » ٠

عادت ضياء الى النقب وكان الأحمر الكافر قد خرج فأخذته من يده الى حيث أجلسته مع قطران ، ثم عادت الى النقب وكان جواد قد خرج وهو لا يعرف الطريق فأمسكت يده وذهبت به الى رفيقيه ، ثم رجعت وأخذت تراقب ان كان سمك سيخرج أم لا ، فرأت هرمز يخرج فقالت له « أيها البطل ، تعال لكى نذهب الى الآخرين » ٠ فذهب معها أيضا ٠

ثم عادت ضـــياء لتنظر ماذا سيفعل سمك وظلت تراقب النقب حتى خرج منه ٠

كان من تقدير الحق أن فاضل قال لنفسه « لقد تركنا باب القصر » ٠ ثم قام وخرج لكى يطوف حول القصر ، وحين اقترب من النقب ظهر سمك وفوجئت ضياء بهما فقالت وا أسفاه كيف يهلك سمك فى هذا الموقف مع كل ما قام به من أعمال ؟ ولن أستطيع أن أمنع أخى ، كما أننى لن أستطيع أن أظهر فى هذا الأمر فما الحل ؟ لا أدرى ما أفعل ٠ والخوف من هلاك سمك قائم ٠

وطعنت أخاها :

رأت ضياء هــذا الموقف وخافت على روح ســمك فقالت لنفسهــا « سوف أقوم بعمل من أعمال الرجولة والفتوة يذكرونه لى ما بقيت الدنيا واشتهر به ولو كان خطأ وليس من أعمال الرجال » ٠ قالت هذا وسحبت خنجرها وتقدمت الى أخيها وطعنته فى ظهره طعنة خرجت من صدره ، فلم يشهق ومات ٠ وخرج سمك فرأى شخصــا واقفا قد شهر خنجره وفاضل ملقى على الأرض مقتول ، فأدرك سمك أنه لابد أن يكون أحد أصدقائه فقال « أيها الرجل الحر ، قل لى من أنت ؟ وقد فعلت كل هذه الفتوة من أجلى فى هذه اللحظات التى أصبحت فيها رأسى لا تساوى كسرة خبز » ؟

ردت عليه ضياء قائلة « اذهب وانج برأســك فالموقف لا يحتمل الكلام ، فان تكلمت اتهمت فى نفسى وهذا ليس بحسن ، ولكنك ان بحثت عنى ستجدنى لأن من جد وجد » ٠ قالت هذا وذهبت ٠

قال سمك لنفسه « بالله العادل الخالق ان هذا الشخص هو نفسه الذى خلصنى من القيد فى هذا القصر ٠ أسعدك الله اذ أنقذتنى من الهلاك مرتين ٠ اذا عرفت من أنت لخدمتك طول حياتى وأوقفتها على خدمتك » ٠ وكان يحدث نفسه على هذا النحو حتى وصل الى منزل الأخوين القصابين ٠

فى الناحية الأخرى ، ذهبت ضياء الى مربيتها وقالت لها « على أن أصطحب هؤلاء الأسرى الأربعة الى قصر جلبهار حتى أعد لهم ما يلزمهم وأرى كيف يمــكن أخذهم الى المعســكر » ٠ ولهذا ذهبت اليهم وقالت « أحرار الرجال ، يجب عليكم الذهاب عند الملكة والأميرة ودانة حتى أعد الأمر لكم وأرسلكم للمعسكر ، فاطمئنوا لأن البطل سمك مشغول بأمر ما ، وقد عهد الى بهذا الأمر » ٠ ثم اصطحبت الأربعة واحدا واحدا وأجلسته وجعلت جلبهار عليهم لترعاهم وتواسيهم وعادت هى ثانية لمربيتها ٠

في الجانب الآخر ، دخل سمك بيت الأخوين القصابين فلم ير أحدا فدهش وقال « يا بارح ألم يأت أحد الى هنا » ؟

أجاب بارح « لم يأت أحد » ٠

قال سمك « لا أشك أن ذلك الشخص أخذهم أيضا » ٠ ثم أخذا يتكلمان فى كل أمر وشأن وكلاهما يتعجب مما حدث ، بينما سمك يفكر « ترى أى بطل فعل هذا بى ؟ » ٠

أسماء شخصيات القصة بعد تعريبها
حسب ظهورها ودور كل منها والأصل الفارسى له

الاسم المعرب	الأصل الفارسى	دوره فى القصة
مرزبان شاه	مرزبان شاه	ملك حلب والشام
هامان	هامان	وزير مرزبان شاه
سمارق	سمارق	ملك العراق
جلنار	جلنار	بنت ملك العراق وأم خورشيد شاه
فرخ روز (١)	فرخ روز	أمير أخو خورشيد شاه
جمهور	جمهور	أحد أقارب ملك حلب
شروان	شروان	وزير سمارق ملك العراق
خورشيد شاه	خورشيد شاه	الأمير بطل القصة
سمن	سمن	مربية الأمير فى حلب
عليان	اليان	من قواد مرزبان شاه
طيار	اليار	من قواد مرزبان شاه
قمر الملك	قمر الملك	أخت خورشيد شاه
ماه برى	ماه برى	الأميرة بطلة القصة
فاتكة	شروانة	الساحرة مربية الأميرة
فغفور	فغفور	ملك الصين والد ماه برى
سعد النقاش	سعد نقاش	خطاط فى الصين
سعد البزاز	سعد بزاز	نقيب البزازين فى الصين
الثعلب الفيلم	شغال بيل زور	رئيس فتيان الصين

(١) بفتح الفاء وتشديد الراء وضمها ومعناها « اليوم السعيد » .

الاسم المعرب	الأصل الفارسى	دوره فى القصة
سمك العيار	سمك عيار	رئيس عيارى الصين
بهجة الروح	روح أفزا	مطربة الأميرة ووصيفتها
نور الفؤاد	دل افـرز	اسم الأمير عندما تنكر كمغنية
كمكوك	كمكوك	حارس سجن الساحرة
قابض	قابض	ابن الوزير مهران
بهمن	بهمن	ابن ملك عمان
السباع	شيرافكن	أحد قواد ملك الصين
أدهم	شبديز	أحد عبيد السباع
صبيح	مهرويه	نباش
سماح	سامانه	زوجة صبيح
ذهب	زرند	طبيب حجام
سعيد الجواهرى	سعيد جوهرى	تاجر مجوهرات
سادر	سهمين	عيار
جوهر	دريار	عيار
عسكر	سباهر	عيار
هادى	هداكر	عيار
لاحق	ديرك	عيار
مضرس	تيزدندان	عيار
غلاب	مرد أويز	عيار
سورى	سورى	عيار
فائق	بردين	عيار
حبيب	مهرك	عيار
أرمن شاه	أرمن شاه	ملك منغوليا
قزل ملك	قزل ملك	ابن ملك منغوليا
شهران	شهران	وزير ملك منغوليا
قطران	قطران	بطل منغوليا وقائدها
قطور	قطوز	شقيق قطران

الاسم المعرب	الأصل الفارسي	دوره في القصة
كرمون	كرمون	أحد أبطال الصين
الراونـدي	راوندي	أحد خدم مهران الوزير
شـاكر	شـاكر	كاتب قزل ملك
ضرغـام	شيرويه	ابن السباع وأحد قواد الصين
مليـك	شـاهك	أحد قواد الصين
سـمور	سـمور	أحد قواد الصين ومن أقارب ملكها
زيـد	زيـد	أحد أصدقاء سـمك
الراعي الأسمر	سـياه كيل	أحد أبطال الصين وقوادها
سـنجر	سـنجر	أحد غلمان الفغفور
الأحمر شيخ الرعاة	أرغون سرجوبان	أحد حكام أقاليم الصين
قـرن	قـرن	أحد رجال الأحمر المقربين
سـام	سـام	قائد من قواد الفغفور
المقوقـر	مقوقـر	مستحفظ القلعـة الشاهقـة وابن الساحرة
شـاهان	شـاهان	أحد أبطال منغوليا
سـنجام	سـنجام	أحد أبطال الصين
لهيب	أتشـك	خادم قطران ثم أصبح تابعا لسمك
سـكينة	دل آرام	ساقية ملك الصين وحبيبة لهيب
كافـور	كافـور	رئيس قصر قزل ملك وخادمه
سـامان	سـامان	أحد رجال قزل ملك
سـليم	سـليم	بطل وشقيق قطران
سـمران	سـمران	قائد من قواد منغوليا
فارس	كيل سـوار	قائد من قواد منغوليا
كانـون	كانـون	رئيس منغوليا وقائد عياريها
كافـور	كافـور	عيار وخادم لكانون
أرغوان	أرغـوان	جارية من جواري الأميرة
عنبـر	عنبـر	خادم الملك أرمنشاه الخاص

الاسم المعرب	الأصل الفارسى	دوره فى القصة
صنوبر	الغو	جارية من جوارى الأميرة
نظيف	ناك	نقيب القلعة الشاهقة
سورة الحلبى	سوره حلبى	عيار من رجال خورشيد شاه
الغزالى الرازى	أهوبانى رازى	أحد رجال مهران الوزير
جامح	رمو	من غلمان مهران الوزير
محارب	رزميار	بطل وابن كانون رئيس عيارى منغوليا
فاضل	بهزاد	بطل وابن كانون رئيس عيارى منغوليا
الجمل	بغرائى	ملك وادى الخنزير
صابر	صابر	ابن الخمار
صلاد	صلاد	ابن الخمار
شمران	شمران	بطل من منغوليا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٤/١١٢٦٦

ISBN — 977 — 01 — 4215 — 8

هذه القصة من روائع القصص الاسلامى ولعلها أطولها فيما أعلم اذ كتبت باللغة الفارسية فى خمسة مجلدات نقدم اليوم الجزء الأول منها.

ومع أنها قصة حب بين الأمير خورشيد شاه ابن ملك حلب والأميرة ماه برى بنت ملك الصين إلا أن الدور الرئيسى فيها قامت به مجموعة من العيارين. والعيارون جماعات من الناس كان لها دور فى التاريخ خاصة فى العصر العباسى وكانوا يتصفون بالبطولة والشجاعة والجرأة والمهارة فى القتال والحفاظ على الحرمات والنجدة إلى جانب بعض صفات العنف والقوة.

وتدور أحداث القصة فى تتابع وحبكة قصصية تشد القارئ شدا لمتابعة ما يجرى وما يكاد ينتهى حدث حتى يشده حدث اكثر تشويقا فمن تصارع الأبطال ومعارك الجيوش إلى مجالس الملوك واستقبالات السفراء واختطاف الأعداء وسرقة الأسرى والمسجونين.

كما تعكس القصة كثيرا من صور الحياة فى تلك الأيام التى كتبت فيها وهى أواخر العصر العباسى وعادات الناس وتقاليدهم مما يضفى على الجانب القصصى جانبا تاريخيا أيضا.

٥٧٥ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب